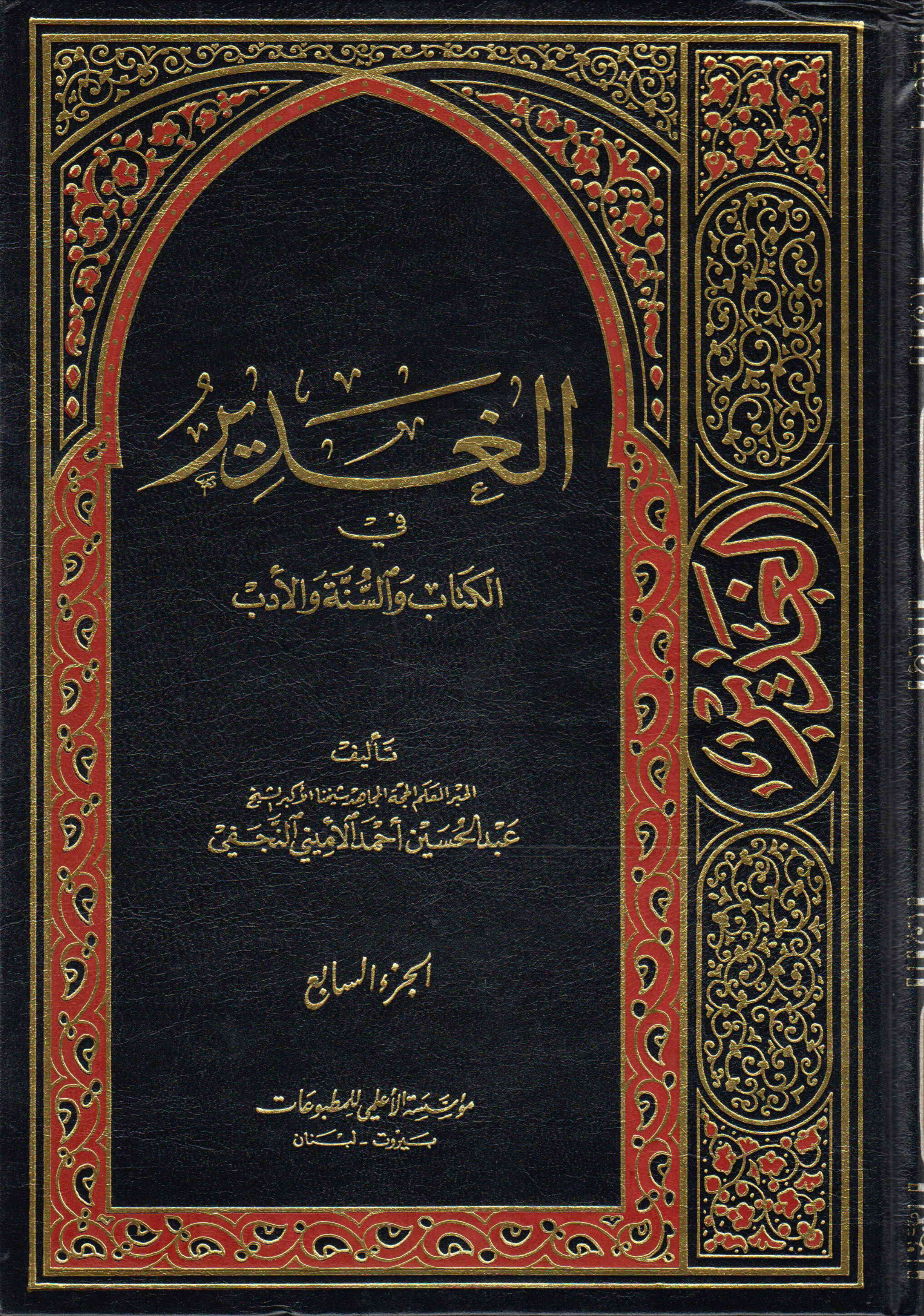
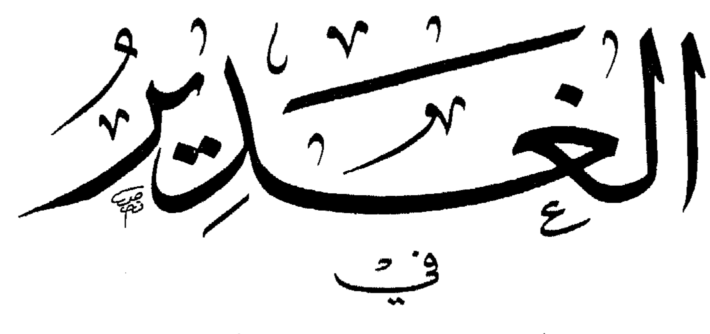

الغدير
في
الكتاب والسنة والأدب
تأليف
الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
الجزء السابع
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
الغدير


الغدير
في
الكتاب والسنة والأدب
٧



في الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي

مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ

عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء السابع

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. : ٧١٢٠

الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

سّسة الأعلمي للمطبوعات :
بروت . شارع المطار . قرب كليّة الهندسة .
ت الاعلمي . ص.ب : ٧١٢٠
ف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



كلمة المؤلف

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

أمل محقق وشكر متواصل

كنّا نأمل أن يكون نظر أعلام الأُمّة والأساتذة المثقفين في كتابنا هذا نظرة بسيطةً مجرَّدةً عن عوامل النقمة ، معرّاةً عن تحيّزات وانحيازات ، ليسهل التّفاهم ويتسنّىٰ الوقوف على الحقيقة التي هي ضالّتنا المنشودة ، ويستتبع ذلك الوئام والسلام من أقرب طرقهما ، وأوصل الوسائل إليهما ؛ لأنّي لم أقصد (وشهيدي الله) غير الإصحار بالحقّ والدّعوة إليه .

وما قد يحسبه القارىء شدَّة في البيان (لعمر الله) صراحةٌ في القول ، وقوَّةٌ في الحجَّة ، لا قسوةٌ في الحجاج ، وقد عرف ذلك منّا شاعر الأهرام أُستاذ الأدب وعلم الإجتماع بكلية ـ البوليس ـ الملكيَّة بالقاهرة محمّد عبد الغني حسن المصري ، وأعرب عنه بقوله من قصيدة يطري بها الكتاب ويصف مؤلِّفه :

يشتدُّ في سبب الخصومة لهجةً	لكن يرقُّ خليقةً وطباعا
وكذلك العلماء في أخلاقهم	يتباعدون ويلتقون سراعا

لقد حقَّق الله سبحانه هذا الأمل فوجدنا قراءنا الأكارم في ظنِّنا الحسن بهم وحسبتُ أنهم وجدوني في ظنِّهم الحسن بي ـ ولله الحمد ـ فجاء رجالات الأُمَّة حماة البيت الهاشمي الرفيع ، وأركان عرشه المعلّى وفي مقدَّمهم فخامة نوري باشا

السعيد ، وفخامة السيِّد صالح جبر ، ومعالي السيِّد نجيب الراوي ـ على ما بلغنا ـ يدافعون عن الكتاب جلبة كل مغفَّل غير عارف بنفسيَّات المؤلِّف ، وما انحنت عليه أضالعه من الصالح العام ، فشكراً لهم ثمَّ شكراً .

وقد انهالت علينا كلمات الثناء وجمل التقريظ والإطراء من شتّى النواحي ، وأقاصي البلاد وأدانيها ، ومن أُناس مختلفين في الآراء والنزعات ، لكن ذلك الخلاف لم يسفَّ بهم إلى هوَّة العصبيَّة ، ولم يزعهم عن المصارحة بالحقِّ ، والأخذ بالجامعة الدينيَّة ، والتآخي في الله وفي الدين ـ إنَّما المؤمنون إخوة ـ فنحن كما قال شاعر الأهرام المذكور :

إنّا لتجمعنا العقيدة أُمَّةً ... ويضمُّنا دين الهدى أتباعا

ويؤلِّف الإسلام بين قلوبنا ... مهما ذهبنا في الهوى أشياعا

فمرحىً بها من غرائز كريمة ، ونوايا حسنة ، ونفسيات نزيهة ، بعثتهم إلى الأُلفة والإخاء ، وإن رغمت آناف دجّالين يسرّون على الأُمّة حسواً في ارتغاء .

وقد نشرنا في غير واحد من الأجزاء المتقدِّمة جملاً ذهبيَّة ممّا وافانا عن الملوك والسّاسة ، والحجج والآيات من العلماء الفطاحل ، والأساتذة النبلاء وصاغة الشعر المقدّمين ، وهناك أُناس لم تنشر كلماتهم ولم تُذكر أسماؤهم لضيق في نطاق الأجزاء فها نحن نوعز إليهم مشفوعاً ذلك بشكر متواصل وثناء جميل .

آية الله سيِّدنا الحجَّة السيِّد محمَّد الكوهكمري (١) — قم المشرَّفة

العلاَّمة الشريف الحجَّة الحاج السيِّد جعفر آل بحر العلوم — نجف الأشرف

صاحب المعالي السيِّد عبد المهدي المنتفكي (٢) — بغداد

---

(١) توفّي قدس سره يوم الإثنين ثالث جمادى الأُولى سنة ١٣٧٢ كان في الرعيل الأول من زعماء الدين ومراجع المسلمين ، وله في إقامة حوزة العلم بقُم المشرفة أشواط بعيدة وخطوات واسعة بالتدريس والتهذيب والإصلاح ، وادرار المعيشة وسدّ أعواز الطالبين ، وإقامة الامت والعوج ، ولم يفتأ على وتيرة واحدة في السعي وراء صالح الأُمّة وتسديد خطة العلم والعمل ، والسوق إلى الطريقة المثلى والسير بالأُمَّة إليها في سبيلها الجدد ، كما أنّ له أياد مشكورة على حوزة النجف الأشرف حتى لفظ نفسه الأخير سعيداً شكوراً .

(٢) تلقينا منه بعدُ كلمة تنشر في الجزء الثامن .

العلاّمة الحجَّة الحاج السيِّد حسن اللواساني	غازية . سوريا
البحّاثة الكبير الأستاذ السيِّد علي فكري صاحب تآليف قيّمة [١]	مصر . القاهرة
العلاّمة الشريف السيِّد محمَّد سعيد الحكيم	بصرة
البحّاثة الجليل السيِّد سبط الحسن صاحب تآليف ممتعة	محمود آباد . الهند
العلاّمة الشهير السيِّد علي أكبر البرقعي صاحب تآليف نفيسة [٢]	قُم المشرَّفة
العلاّمة الشريف السيِّد محمَّد علي القاضي الطباطبائي	قُم المشرَّفة
الأستاذ محمَّد عبد الغني حسن مؤلِّف (أعلام من الشرق)	مصر . القاهرة
الخطيب الشريف السيِّد صالح السيِّد عباس الموسوي	بغداد . صبابيغ الآل
الخطيب المفوَّه السيِّد عبّود الحسني	بصرة
الدكتور الشهير مصطفى جواد البغدادي	بغداد
العلاّمة الصالح الشيخ حسن الناصري	نجف الأشرف
الخطيب المصقع الشيخ كاظم آل نوح مؤلِّف (محمَّد والقرآن)	كاظميَّة
الخطيب الأكبر المدره الحاج الشيخ محمّد تقي الفلسفي	طهران
البحّاثة الكبير الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي	عاملة . نبطيَّة
الأستاذ القدير السيِّد شمس الدين الخطيب البغدادي	بغداد
الشريف الفاضل السيِّد عبد الزهراء السيِّد حسين الخضري	خضر . العراق
العلاّمة الثقة ميرزا محمَّد علي الچرندابي التبريزي	قُم المشرَّفة
الأستاذ عبد الحمزة نصر الله فتحي	ديوانيَّة . العراق

---

(١) توفّي وكان مؤلفاً مكثراً نزيهاً .

(٢) مرت كلمتنا فى الرجل في الجزء الرابع ص ٢١١ .


- ١ -

كتــاب

تفضّل به الشريف المصلح الأكبر آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي ، وهو من عرفته الأمّة فشكرته على أياديه الواجبة ، ومساعيه المشكورة ، ودأبه المتواصل على الإصلاح والدعوة الإلهية ، والنظر في مناهج المسلمين ، والتفاني دون الحقّ المتبع . فحيّاه الله وجزاه عن أمّته خيراً .

حجّة الإسلام العلاّمة الثبت المجاهد (الأميني) أعزّه الله وأعزّ به .

تحيّة طيّبة وسلاماً كريماً .

أشعر أنّ لك عليَّ واجباً يتجاوز حدود القول في تقريظ (الغدير) موسوعتك النادرة ، والثناء عليها بوصفها مجهوداً ثقافيّاً منقطع النظير .

فالقول في هذا ونحوه أدنى ما يُستقبل به جهادك ، وأقلّ ما يوزن به تتبّعك واستيعابك ، أمّا الذي يعطيك كفاء حقّك في هذه الموسوعة الفاضلة فتقديرٌ يبلّغ الأُمّة أنّك من أبطالها الأقلّين ، ويدعوها من أجل هذا إلى شدِّ أزرك وإرهافك في سبيلك النيِّر الخيِّر هذا ، إنصافاً للقيم التي توشك أن تضيع فتُضيع ؛ ومتى ضاعت وأضاعت فقد خسرت الحياة «مثلها الأعلى» وعادت بعده تافهة لأنّها تخلو آنذاك من حقٍّ وخيرٍ وجمال ، أي تخلو ممّا يحبّب الحياة ويرفعها ، ويدلّ على أقدارها .

موسوعتك (الغدير) في ميزان النقد وحكم الأدب عملٌ ضخمٌ دون ريب ،

فهي موسوعةٌ لو اصطلح على إبداعها عدّةٌ من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقّاً .

ولكنّي ما سقت كلمتي لأقول هذا ، وإنَّما سقتها لأُشير إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفكّكة داعياً إلى التشدُّد ، والإلتفات حول الحفنة الباقية من رجال الفكر الإسلامي ممَّن يجيلون أقلامهم في علومنا وآثارنا بفقه وحبّ .

فليس شيءٌ عندي أخطر على هذا الفكر الولود من التفرُّق عن رجاله ، لأنَّ التفرُّق عنهم نذيرٌ بعقم نتاجه ، وقطع حلقاته ، فالتفرُّق عنهم بمعناه تفريقٌ للحواضر والبواعث التي تتّصل بها حياة الحقّ في طبائع الأشياء وظواهر السنن .

وليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عقم هذا النتاج وقطع هذه الحلقات .

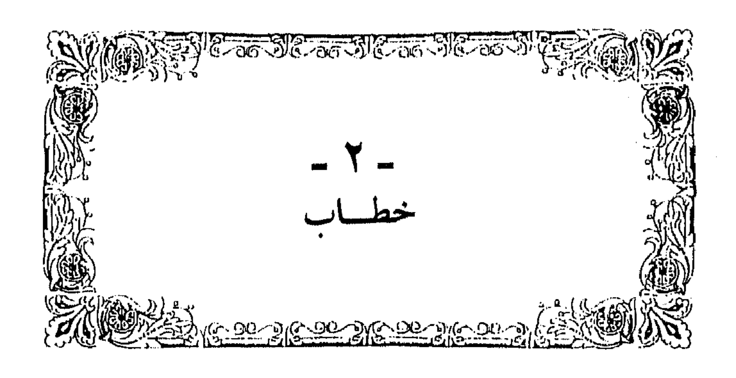
فإذا دعونا إلى موازرتك والوقوف إلى جانبك في شقّ الطريق بين يدي (غديرك) فإنَّنا ندعو في واقع الأمر إلى خدمة فكرةٍ كلّيةٍ ترتفع بها شخصيّة الأُمَّة كاملة ، آملين أن يرى المفكّرون بك مثلاً يشجعهم بحياة الأُمَّة حولك ، وحسن تقديرها لك ، أن يخدموا الحقَّ الذي خدمته لوجه الحقّ خالص النيَّة .

أقف هنا لأقول : إنَّ قمَّة (الهرم) في عملك الجاهد القيّم إنّما هي حبُّك له حبّاً يدفعك فيه إلى الأمام في زحمة من العوائق والمثبِّطات ، وهي خصلةٌ في هذا العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دأب أبطالنا من خدّام أهل البيت وناشري علومهم وآثارهم ، ذلك الدأب الذي أمتع الحياة بأفضل مبادىء الإنسانيَّة من معارفهم النيِّرة .

أمَّا الجوانب الفنيَّة فقد نسجتها نسج صناع ، وهيَّأت لقلمك القوي فيها عناصر التجويد والإبداع في مادَّة الكتاب وصورته ، وفي أدواتهما المتوفّرة على سعة باع ، وكثرة اطّلاع ، وسلامة ذوق ، وقوَّة محاكمة ، أمامك ، حفظك الله وأعانك .

عبد الحسين شرف الدين
الموسوي

١٤ ذو الحجَّة ١٣٦٨



- ٢ -
خطـاب

تفضّل به سيدنا الشريف المبجّل آية الله السيّد محسن الحكيم «وإنه لأريض للفضل» حيّاه الله وبيّاه نذكر نصّ خطابه شكراً لسماحته وإكباراً لمقامه الأسمى .

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

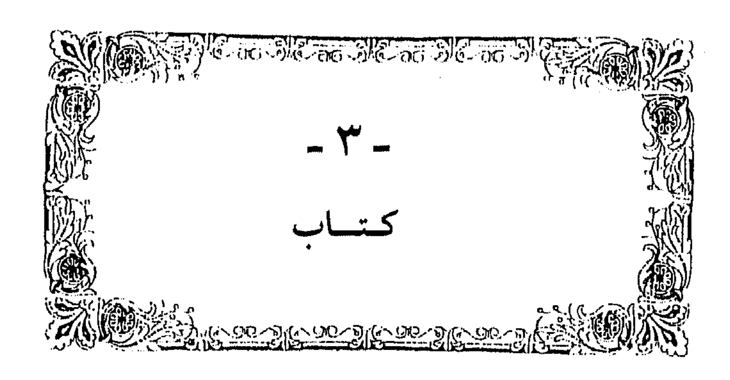
الحمد لله كما هو أهله ، والصَّلاة والسَّلام على خير خلقه محمَّد وآله الطيبين الطاهرين وبعد : فإنَّ من أعظم ما أنعم به الله جلَّ وعزَّ على هذه الفرقة المحقَّة والطائفة الحقَّة أن أتاح لها في كلِّ عصر منها رجالاً لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن الجهاد في سبيلها والقيام بحقِّها ، والعمل على إعلاء كلمتها ، ورفع مقامها ، فحقَّقوا حقائقها ، وبلّغوا رسالتها، وأقاموا الحجَّة لها على غيرها ، كلُّ ذلك بالرغم ممّا مُنيت به من أشياء من شأنها أن تحول بينهم وبين ذلك كلّه لولا العناية الربّانية .

وإنَّ من فحول هذه الزمرة المجاهدة مؤلِّف كتاب (الغدير) المحقِّق الفذّ العلّامة الأوحد الأميني دام تأييده وتسديده ، وقد سرحت النظر في أجزائه المتتابعة فوجدته كما ينبغي أن يصدر من مؤلِّفه المعظَّم ، وألفيته كتاباً لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه بتوفيق من عزيز عليم ، ولقد توفّق كلّ التوفيق في قوّة حجّته ، وشدَّة عارضته ، وروعة أُسلوبه ، وجمال محاورته ، وقد ضمّ إلى حصافة الرأي جودة السرد ، وإلى بداعة المعاني قوَّة المباني ، وتفنّن في المواضيع المختلفة فوردها سديداً وصدر عنها قويماً .

فجديرٌ بالمسلم المثقَّف الذي يرتاد الحقيقة ويتطلّب الأمر الواقع أن يقرأه ويستنير بضوئه ، وحقيقٌ بمؤلِّفه الموفَّق أن يشكر الله تعالىٰ على توفيقه وعنايته ورعايته ، وجزاه الله على عظيم خدمته خير جزاء المحسنين ، والسَّلام عليه ورحمة الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم



- ٣ -

كتـــاب

أتــانـا من بحـاثـة المسيحيين ، القــاضي الحـرّ ، والشــاعـر النبيـل ، الأستــاذ بـولس سـلامة البيـروتي صاحب الملحمـة العـربيـة الغراء الخالد الذكر . فشكراً له ثمّ شكراً .

حضرة صاحب الفضيلة العلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني نفعنا الله بعلمه . آمين .

كـان عليَّ أن أكتب إلى فضيلتكم شـاكـراً يـوم تسلّمت الجـزء السّـادس من (الغدير) وقد شرَّفتموني بإدراج رسالتي في المقدِّمة .

وقـد اطّلعت على هـذا السفر النفيس فحسبت أنَّ لآلىء البحـار جميعاً قـد اجتمعت في غـديـركم هـذا . أجل : يـا صـاحب الفضيلة ! إنَّ هـذا العمـل العـظيم الـذي تقومون به منفردين لَعِبءٌ تنوء به الجماعة من العلماء ، فكيف استطعتم النهـوض به وحدكم ؟ .

لا ريب أنَّ تلك الروح القدسيَّة روح الإمام العظيم عليه وعلى أحفاده الأطهار أشرف السَّلام هي التي ذلَّلت المصـاعب ، وفتحت بصيـرتكم النيِّـرة على كنـوز المعـرفة ، تغتـرفون منهـا وتنشرون ، فيبقى ذخـراً للمؤرِّخين ، ومـرجعـاً للعلمـاء ، ومنهلاً للشعراء ، يسقون منه غراس الأدب كلما لفحها الهجير .

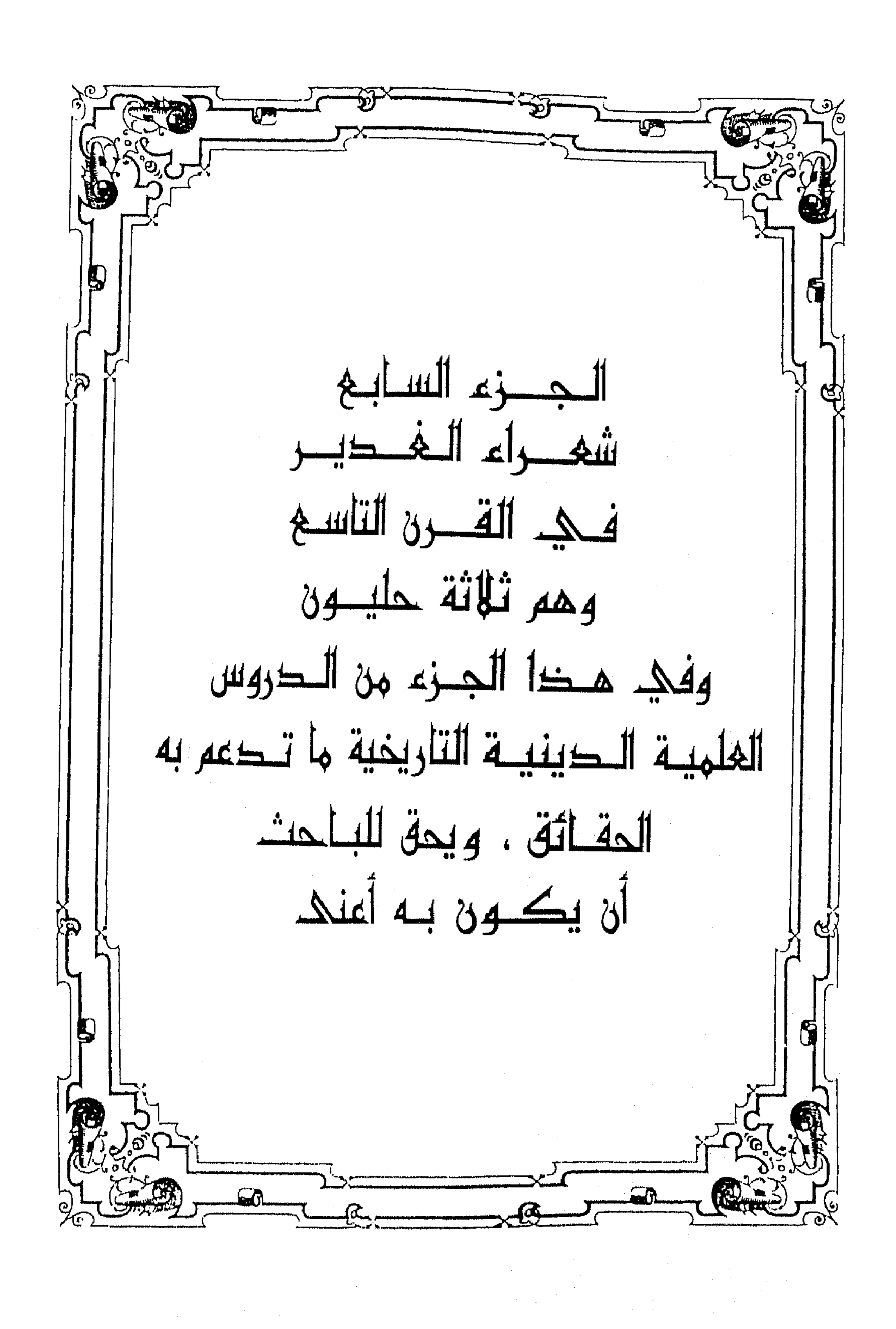
ولقد لفت نظري على الأخصِّ ما ذكرتموه بشأن الخليفة الثاني فللّه درُّكم ، ما أقوى حجَّتكم ، وأسطع برهانكم ، فلو حاول بعد هذا مكابرٌ أن يردَّ تلك الحجج المكينة لكان مَثلُه مَثَل الوعل الذي ناطح الصخرة .

حفظكم الله يا صاحب الفضيلة ! منارةً تبعث أضواءها من النجف الأشرف فتنير البلاد العربيَّة ، وإنِّي أسأل الله سبحانه أن يطيل حياتكم الثمينة بشفاعة مولانا أمير المؤمنين المرفوع اللواء في الدارين المخلّد الذكر إلى الأبد .

بيروت ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ .

المخلص

بولس سلامة



الجزء السابع

شعراء الغدير

في القرن التاسع

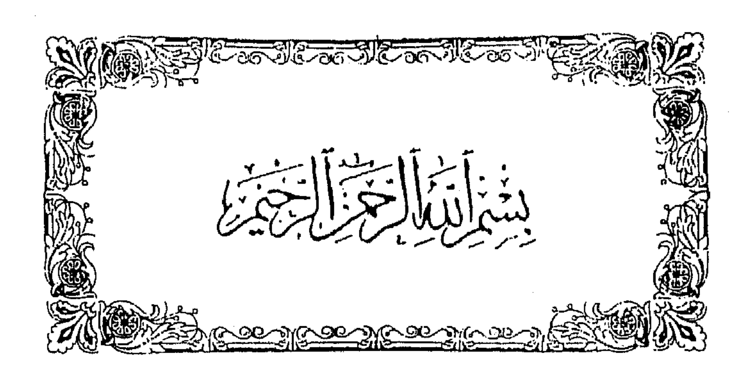
وهم ثلاثة حليون

وفي هذا الجزء من الدروس

العلمية الدينية التاريخية ما تدعم به

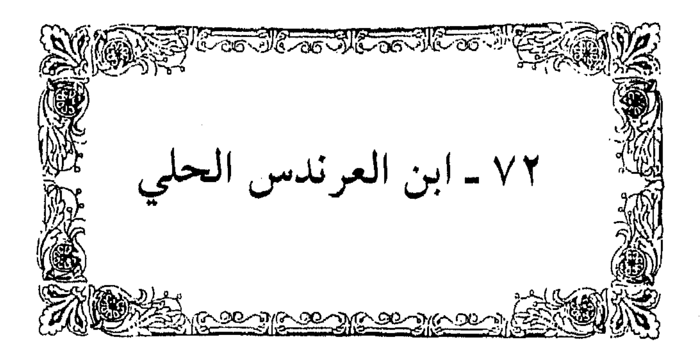
الحقائق ، ويحق للباحث

أن يكون به أعنى



سُبحانكَ أنتَ وَليُّنا مِنْ دونِهِمْ ، وَاجعَلْ لَنا مِنْ لَدُنك وَلِيّاً واجعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنكَ نصيراً ، يا أيّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحقُّ مِن رَبِّكم ، فَمَن اهتَدى فَإنّما يهتَدي لِنَفسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عَليها ، وَمَا أنا عَليكُمْ بوكيلٍ وَمَا عَلينا إلاَّ البلاغ ، قَد جاءكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مبِينٌ ، لِيَهلكَ مَنْ هَلكَ عَنْ بَيِّنةٍ ، وَيحيى مَن حَيَّ عنْ بيِّنةٍ ، وَيُحذِّركُمُ اللَّهُ نفْسَهُ وَأنْ تَقولوا عَلى اللَّهِ ما لا تَعْلمُون، هذا كتابٌ أنزلناهُ مُباركٌ فاتَّبعوهُ وَاتّقوا لعلّكُمْ تُرحمون ، وَلقدْ جِئناكُم بالحقِّ وَلكنَّ أكثرَكُمْ للحقِّ كارِهُون ، يَعرفُون نعمةَ اللَّه ثُمَّ يُنكِرونَها تحُاجّونَ فِيما ليسَ لَكم بِهِ عِلمٌ ، إن تتَّبِعونَ إلاَّ الظنَّ وَإنْ أنتُمْ إلاَّ تخرصُون ، لا تَتَّبعوا أهواء قومٍ قَدْ ضَلّوا مِنْ قَبلُ وأضَلّوا كثيراً ، أطيعُوا اللَّه وأطيعُوا الرَّسُول وأُولي الأَمْر منكُم ، الَّذين يُنفقُونَ أَمْوالَهُم باللَّيلِ وَالنَّهار سِرّاً وَعَلانيَةً ، وَيُطعِمونَ الطَّعامَ على حبِّه مِسكيناً وَيتيماً وأسيراً ، الَّذِينَ آمنوا وَعملوا الصّالِحاتِ أُولئكَ هُمْ خيرُ البريَّة .

الأميني



٧٢ - ابن العرندس الحلي

أضحى يميس كغصن بانٍ في حُلى ... قمرٌ إذا ما مرَّ في قلبي حلا
سلب العقول بناظرٍ في فترةٍ ... فيها حرام السحر بان محلّلا
وانحلَّ شدُّ عزائمي لمَّا غدا ... عن خصره بند القباء محلّلا
وزهى بها كافور سالف خدِّه ... لمّا بريحان العذار تسلسلا
وتسلسلت عبثاً سلاسل صدغه ... فلذاك بتُّ مقيّداً ومسلسلا
قمرٌ قويم قوامه كقناته ... ولحاظه في القتل تحكي المنصلا
وجناته جوريَّةٌ وعيونه ... حوريَّةٌ تسبي الغزال الأكحلا
أهوى فواترها المراض إذا رنت ... وأحبّ جفنيها المراض الغزَّلا
جارت وما صفحت على عشّاقه ... فتكاً وعامل قدّه ما أعدلا
ملكت محاسنه ملوكاً طالما ... أضحى لها الملك العزيز مذلّلا
كسرى بعينيه الصحاح وخدّه ... النعمان بالخال النجاشي خوّلا
كتب العليُّ على صحائف خدّه ... نوني قسيِّ الحاجبين ومَثّلا
فرمى بها في عين غنج عيونه ... سهم السهام أصاب منّي المقتلا
فاعجب لعين عبير عنبر خاله ... فيٍ جيم جمرة خدِّه لن تشعلا
وسَلا الفؤاد بحرّ نيران الجوى ... منّي فذاب وعن هواهُ ما سلا
فمتى بشير الوصل يأتي منجحاً ... وأبيت مسروراً سعيداً مُقبلا

ولقـد بـرى منّي السقـام وبثُّ في لجـج الغرام معـالجاً كـرب البلا
وجـرت سحـائب عبـرتي في وجنتي كـدم الحسين عـلى أراضي كـربـلا
الصـائم القـوّام والمتصـدّق الطـعّـامُ أفـرس مَن على فـرسٍ عـلا
رجُـلٌ بصيـوان الغمـامـة جـدّه الـمختـار في حـرِّ الهجيـر تـظلّلا
وأبـوه حـيـدرة الـذي بـعـلومـه وبـفضـلـه شـرح الكتـاب تفـصّـلا
والأُمُّ فـاطـمـة الـمـطهَّـرة الـتي بـالمجـد تـاج فخـارهـا قـد كلّلا
نـسبٌ كـمنبلج الـصبـاح يـزيـنـه حسبٌ شبيـه الشمس زاهي المجتلى
السيّـد السند السعيـد السـاجد السِّـبـط الشهيـد المستضـام المبتلى
قـمـرٌ بكـت عـين الـسمـاء لأجله أسفـاً وقلب الـدهـر بـات مقلقـلا
تـالـلّه لا أنـسـاه فـرداً ظـامـيـاً والـمـاء ينهـل منـه ذيبـان الفـلا
والسيّـد العبّـاس قـد سلب العـدى عـنـه الـلبـاس وصيّـروه مجـدّلا
والـطفـل شمس حيـاتـه قـد أصبحت بـالخسف في طفـلٍ وجـلّ مؤثـلا[1]
وبنـو أُميّـة في جسـوم صحـابـه قـد حـطّمـوا السمـر اللدان الـذبّـلا
شـربـوا بكاسـات القنا خمـر الفنـا مـزج البلاء بـه فـأمسـوا في البـلا
وتقـاطعت أرحـامهـم وجسـومهم كـرمـاً وأوصلت الـرؤوس الأرجـلا
وتـوارثـوا من بعـد سلب نفـوسـهم دار المقـامـة في القيـامـة مـوئـلا
والـسبط شـاكٍ مـا لـه من نـاصـرٍ شـاكٍ إلى ربّ الـسّمٰـوات العـلى
ظـامٍ إلـى مـاء الفـرات فـإن يـرم نهـلاً يـرى البيض الصـوارم منهـلا
والقـوم محـدقـةٌ عليـه بجـحفـلٍ كـالـبحـر آخـره يـحـاكي الأوّلا
متـلاطمٌ سـغبت[2] بـه أسيـافـهم فغـدا الهـم لحم الفـوارس مـأكـلا
ومن العجـائب أنّـه يشكـو الـظمـا وأبـوه يسقي في المعـاد السلسـلا
حـامـت عليـه لـلحمـام كـواسـرٌ ظمئت فـأشربت الحمـام دم الطلا[3]

---

(١) الطفل من طفلت الشمس : دنت للغروب . المؤثل : الدائم .
(٢) السغوب والسغب : الجوع .
(٣) الكواسر جمع الكاسرة مؤنث الكاسر: العقاب. الطلا: ولد الظبي ساعة يولد . الصغير من كل شيء .

أمست بـه سمـر الـرّمـاح وزرقهـا ... حمراً وشهب الخيل دهماً جفَّلا [١]
هـاتيك بـالـدم قـد صُبغن وهـذه ... صُبغت بنقـع صبغـةً لن تنصـلا
عقدت سنابك صافنات خيولـه ... من فوق هامات الفوارس قسطلا [٢]
ودجت عجاجتـه ومدَّ سـواده ... حتّى أعاد الصبح ليلاً أليلا
وكأنّما لمع الصوارم تحتـه ... برقٌ تألّق في غمامٍ فانجلى
جيشٌ ملا فوه الفلا وأتى فلا ... أمست سنابك خيله تفلي الفلا
أبناءُ من جحد الوصيَّ وكذّب الـ ... ـهادي النبيَّ وكان حقّاً مرسلا
بذلوا النفوس وبدّلوا من جهلهم ... ما ليس في الإسلام كان مبدَّلا
فمحلّلٌ قد صيّروه محرَّماً ... ومحرَّمٌ قد غادروه محلّلا
وتعمّدوا قتل الوصيِّ وحرّفوا ... ما كان أحمد في الكتاب له تلا
وأتوا إلى قتل الحسين وأجّجوا ... ناراً لهيبُ ضرامها لن يُصطلى
فسطا عليهم بالنزال بعزمة ... تذرُ الحسام المشرفيَّ مفلّلا
من فوقِ طرفٍ أعوجيّ سابح ... كالبرق يسبق في سُراه الشمألا [٣]
فرسٌ حوافره بغير جماجم الـ ... ـفرسان في يوم الوغى لن تنعلا
أضحى بمبيضِّ الصباح محجّلا ... وغدا بمسودِّ الظلام مسربلا
وبكفّه سيفٌ جرازٌ باترٌ ... عضبٌ يضمّ الغمد منه جدولا [٤]
فقر الجماجم والطلا بغراره [٥] ... من كلّ كفّار وأبرى المفصلا
فكأنّه وجواده وحسامه [٦] ... يا صاحبيَّ لمن أراد تأمّلا

(١) الشهب والشهباء : بياض يتخلله سواد . الدهمة : السواد . الجفل من جفل الشعر : شعث وثار .

(٢) السنبك : طرف الحافر . ج السنابك . الصافنات جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفاً حافر الرابعة . القسطل : المنية . الغبار الساطع في الحرب .

(٣) الطرف من الخيل : الكريم الطرفين . السابح من سبح في الماء : عام وانبسط فيه ويستعار لمر النجوم وجري الفرس . الشمأل : ريح الشمال .

(٤) الجراز بضم المعجمة : السيف القطاع . الباتر : السيف القاطع ج بواتر . العضب : السيف القاطع .

(٥) الفقر : الحز . الطلا بضم المهملة وكسرها: قشرة الدم . الغرار : حد السيف .

(٦) سبقه إلى مثل هذه البداعة شيخنا علاء الدين الشفهيني بما هو أوسع وأبلغ راجع ج ٦ =

شمسٌ على الفلك المدار بكفّه ... قمرٌ منازله الجماجم والطلا

والخيل محدقةٌ بجيم جماله ... وقلوبهم في الغلي تحكي المرجلا[١]

والسبط يخترق المواكب حاملاً ... بعزيمةٍ تردي الخميس الجحفلا

فبسين سمر الخطّ يطعن أنجلاً ... وبباء بيض الهند يضرب أهدلا[٢]

فتخال طاء الطعن أنّى أعجمت ... نقطاً وضاد الضرب كيف تشكّلا

حتّى إذا ما السبط آن مماته ... وعليه سلطان الحمام توكّلا

داروا به النفر الطغاة بنو الزنا ... ت العاهرات وطبّقوا رحب الفلا

ورماه بعض المارقين بعيطلٍ ... سهماً فخرَّ على الصعيد مجدّلا

وأتى بغيٌّ بني ضباب صائلاً ... بالقسّ تغميض القطامي الأجدلا

وجثا على صدر الحسين وقلبه ... حقداً وعدواناً عليه قد امتلا

فبرى بسيف البغي رأساً طالما ... لثم النبيُّ ثنيّتيه وقبّلا

واسودّ قرص الشمس ساعة قتله ... أسفاً وشهب الفلك أمست أفّلا

ونعاه جبريلٌ وميكالٌ وإسرا ... فيلُ والعرش المجيد تزلزلا

والطير في الأغصان ناح مغرّدا ... والوحش في القيعان ناح وأعولا

وأتى الجواد ولا جواد فوقه ... متوجّعاً متفجّعاً متوجّلا

عالي الصهيل بمقلةٍ إنسانها ... باكٍ يسحّ الدمع نقطاً مهملا

فسمعن نسوان الحسين صهيله ... فبرزن من خلل المضارب نكّلا

ينثون من جَون العيون مدامعاً ... حمراً على بيض السوالف هُطّلا[٣]

حتى إذا قُتل الحسين وأصبحت ... من بعده غرّ المدارس عُطّلا

ومنازل التنزيل حلَّ بها العزا ... ومِن الجليس أنيس مربعها خلا

= ص ٤٢٣

(١) المرجل : القدر .

(٢) الأنجل من نجل الرجل نجلاً : وسعت عينه وحسنت . الأهدل : المسترخي المشفر أو الشفة .

(٣) ينثون من نثى نثوا : فرق ونشر . الجون : الأبيض . الأسود . السوالف جمع السالفة صفحة العنق ، وسالفة الفرس : ما تقدم من عنقه . هطل المطر : نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر فهو هاطل والجمع هُطّل .

بغت البغاة جهالةً سبي النسا — وبغت وحقٌّ لمن بغى أن يجهلا

نصبوا بمرفوع القناة كريمةً[١] — جهراً وجرّوا للمعاصي أذيلا

وسروا بنسوته السراة بلا ملاً — حسرى يلاحظهنّ ألحاظ الملا

وغدوا بزين العابدين الساجد الـ — ـحَبْر الأمين مقيّدا ومغلّلا

وسكينة أمست وساكن قلبها — متحرّكٌ فيه الأسى لن يرحلا

وبدال دمع العين منها غرّقت — صاد الصعيد وأنبتت كاف الكلا

وديارهنّ الآنسات بلاقعٌ — أقوت[٢] وكنّ بها الأحبّة نزّلا

والصبر عنّي ظاعن مترحّلٌ — لمّا شددن على المطيّ الأرحلا

ومدامعي فوق الخدود نوازلٌ — لمّا زممن جمالهنّ البزّلا[٣]

تسري بهنّ إلى الشآم عصابةٌ — أمويّةٌ تبغي العطاء الأجزلا

تُرضي يزيد لكي يزيد لها العطا — جهلاً ويتحفها السؤال معجّلا

فلألعننّ بني أميّة ما حدا الـ — حادي وما سرت الركائب قفّلا

ولألعننّ زيادها ويزيدها — ويزيدُها ربّي عذاباً منزلا

تبّاً لهم فعلوا بآل محمّد — ما ليس تفعله الجبابرة الأولى

ولأبكينّ على الحسين بمدمعٍ — قانٍ أبلُّ به الصعيد الممحلا

يا طفّ طاف على ثراك من الحيا — هامٍ تسير به السحائب جفّلا[٤]

ذو هيدبٍ متراكبٍ مُتلاحمٍ[٥] — عالي البروق يسحُّ دمعاً مُسبلا

يشفيك إذ يسقيك منه بوابلٍ — عذب له أرجٌ يُحاكي المندلا[٦]

ثمَّ السّلام من السّلام على الذي — نُصبت له في (خمّ) رايات الولا

---

(١) الكريمة : كل جارحة شريفة .

(٢) أقوت الدار : خلت من ساكنيها .

(٣) زمم الجمال : خطمها . بزل البعير : انشق نابه . فهو بازل ج بوازل وبزل .

(٤) الحيا : المطر . هام فاعل من همى يهمي همياً أي سال لا يثنيه شيء . جفل ؛ أي أسرع . والجفيل : الكثير .

(٥) الهيدب من السحاب : المتدلي الذي يدنو من الأرض . المتلاحم : المتلاصق والمتلائم .

(٦) الوابل : المطر الشديد . الأرج : الرائحة الطيبة : المندل بفتح الميم . العود الطيب الرائحة .

تالي كتاب اللّه أكرم من تلا ... وأجلّ من للمصطفى الهادي تلا

زوج البتول أخ الرسول مطلّق الدُّ ... نيا وقاليها بنيران القلا

رجلٌ تسربل بالعفاف وحبّذا ... رجلٌ بأثواب العفاف تسربلا

تلقاه يوم السلم غيثاً مُسبلاً ... وتراه يوم الحرب ليثاً مُشبلا

ذو الراحة اليمنى التي حسناتها ... مدّت على كيوان باعاً أطولا[1]

والمعجزات الباهرات النّيرا ... ت المشرقات المعذرات لمن غلا

منها رجوع الشمس بعد غروبها[2] ... نبأ تصير له البصائر ذُهّلا

ولسيره فوق البساط فضيلةٌ[3] ... أوصافها تُعيي الفصيح المقولا

وخطاب أهل الكهف منقبةٌ غلت ... وعلت فجاوزت السماك الأعزلا

وصعود غارب أحمدٍ فضل له ... دون القرابة والصحابة أفضلا

هذا الذي حاز العلوم بأسرها ... ما كان منها مُجملاً ومفصّلا

هذا الذي بصَلاته وصِلاته ... للدين والدنيا أتمّ وأكملا

هذا الذي بحسامه وقناته ... في خيبر صعب الفتوح تسهّلا

وأباد مرحب في النزال بضربة ... ألقت على الكفّار عبئاً مُثقلا

وكتائب الأحزاب صيّر عَمروها ... بدمائه فوق الرمال مُرمَّلا

وتبوك نازل شوسها فأبادهم ... ضرباً بصارم عزمه لن يُفللا

وبه توسَّل آدم لمّا عصى ... حتى اجتباه ربُّنا وتقبّلا

وبه دعا نوحٌ فسارت فلكه ... والأرض بالطو فان مفعمةٌ ملا

وبه الخليل دعا فأضحت ناره ... برداً وقد أذكت حريقاً مُشعلا

وبه دعا موسى تلقّفت العصا ... حيّات سحرٍ كُنَّ قِدماً أحبلا

وبه دعا عيسى المسيح فأنطق الّـ ... ميت الدفين به وقام من البلا

---

(١) كيوان : زحل تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العلو والبعد . الباع : قدر مد اليدين .

(٢) مر حديث رد الشمس في الجزء الثالث ص ١٦٥ ـ ١٨٢ ط ٢ .

(٣) أخرجها الثعلبي والفقيه المغازلي والقزويني عن ابن عباس وأنس بن مالك وستأتي بلفظها في محلها إن شاء الله تعالىٰ .

وبخمّ واخاه النبيُّ محمَّدٌ حقّاً وذلك في الكتاب تنزّلا
عذل النواصب في هواه وعنَّفوا فعصيتهم وأطعت فيه مَن غلا
ومدحته رغماً على آنافهم مدحاً به ربِّي صدا قلبي جلا
وتراب نعل أبي ترابٍ كلّما مسَّ القذا عيني يكون لها جلا
فعليه أضعاف التحيَّة ما سرى سارٍ وما سحَّ السحاب وأهملا
سمعاً أمير المؤمنين قصائداً تزداد ما مرَّ الزمان تجمّلا
عربيَّة نشأت بحلّة بابلٍ فغدت تُخجّل بالفصاحة جرولا
سادت فشادت للعرندس صالح مجداً على هام النجوم مؤثّلا
وسمت قلوب حواسدي وسمت على [نمَّ العذار بعارضيه وسلسلا](١)
وعلت بمدحك يا عليُّ ووازنت [لم أبك ربعاً للأحبّة قد خلا](٢)

مايتبع الشعر :

ذكر شاعرنا ابن العرندس في قصيدته هذه جملة من مناقب مولانا أمير المؤمنين وقد مرَّ تفصيل بعضها ، وستوافيك كلمتنا الضافية في بعضها الآخر ، ونقتصر في المقام على ما أشار إليه بقوله :

وصعود غارب أحمد فضلٌ له دون القرابة والصَّحابة أفضلا

عن عليّ رضي الله عنه قال : انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال : إجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثمَّ صعد رسول الله ﷺ على منكبي ثمَّ قال : انهض بي إلى الصنم فنهضت به فلمّا رأى ضعفي تحته قال : إجلس فجلست وأنزلته عنّي وجلس لي رسول الله ﷺ ثمَّ قال لي : يا عليّ : إصعد على منكبي . فصعدت على منكبيه ثمَّ نهض بي رسول الله ﷺ فلمّا نهض بي خيل لي أنّي لو شئت نلت أُفق السَّماء وصعدت على الكعبة وتنحّى رسول الله ﷺ فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول

---

(١) مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلي المذكورة في الجزء السادس ص ٤٤٣

(٢) هي قصيدة جمال الدين الخليعي المترجم في الجزء السادس ص ٢٩ ـ ٣٦ والقصيدة في الإمام السبط الشهيد تقدر بـ ٧٥ بيتاً كما مرّ في ج ٦ ص ٣٥ .

الله ﷺ : عالجه فعالجته فما زلت أُعالجه ورسول الله ﷺ يقول : إيه إيه إيه . فلم أزل أُعالجه حتّى استمكنت منه . فقال : دقّه فدققته وكسرته ونزلت .

وفي لفظ : قال رسول الله ﷺ : إقذف به . فقذفت به فتكسّر كما تنكسر القوارير ثمّ نزلت . وفي لفظ : ونزوت من فوق الكعبة .

وعن جابر بن عبد الله قال : دخلنا مع النبيِّ ﷺ مكّة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستّون صنماً فأمر بها رسول الله ﷺ فألقيت كلّها لوجوهها وكان على البيت صنمٌ طويلٌ يُقال له : هبل . فنظر النبيُّ ﷺ إلى عليّ وقال له : يا عليّ ! تركب عليَّ أو أركب عليك لأُلقي هبل عن ظهر الكعبة ؟ قلت : يا رسول الله ! بل تركبني : فلمّا جلس على ظهري لم استطع حمله لثقل الرسالة قلت : يا رسول الله ! بل أُركبك . فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي ، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى : ﴿**وقل جاء الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً**﴾(١) .

وعن ابن عبّاس قال : قال النبيُّ ﷺ لعليّ : قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسِّره فقاما جميعاً فلمّا أتياه قال له النبيُّ ﷺ : قم على عاتقي حتّى أرفعك عليه فأعطاه عليٌّ ثوبه فوضعه رسول الله ﷺ على عاتقه ثمَّ رفعه حتّى وضعه على البيت فأخذ عليٌّ الصنم وهو من نحاس ، فرمى به من فوق الكعبة كأنّما كان له جناحان .

هذه الأثارة أخرجتها أُمّةٌ من الحفّاظ وأئمّة الحديث والتاريخ ، وأخذها منهم رجال التأليف في القرون المتأخِّرة وذكروها في كتبهم مرسلين إيّاها إرسال المسلّم من دون أيِّ غمز في سندها . وإليك جملةٌ منهم :

١ ـ اسباط بن محمّد القرشي المتوفّى سنة ٢٠٠ روى عنه أحمد في المسند .

٢ ـ الحافظ أبو بكر الصغاني المتوفّى سنة ٢١١ حكاه عنه السيوطي .

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٨١ .

٣ ـ الحافظ ابن أبي شيبة المتوفّى سنة ٢٣٥ حكاه عنه الزرقاني والسيوطي .

٤ ـ إمام الحنابلة أحمد المتوفّى سنة ٢٤١ في مسنده ج ١ ص ٨٤ بإسناد صحيح رجاله كلُّهم ثقات .

٥ ـ أبو علي أحمد المازني المتوفّى سنة ٢٦٣ روى عنه النسائي .

٦ ـ الحافظ أبو بكر البزّار المتوفّى سنة ٢٩٢ كما في الينابيع .

٧ ـ الحافظ ابن شعيب النسائي المتوفّى سنة ٣٠٣ في الخصائص ص ٣١ .

٨ ـ الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ في مسنده .

٩ ـ الحافظ أبو جعفر الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ كما في جمع الجوامع .

١٠ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ كما في تاريخ الخميس .

١١ ـ الحافظ الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ في المستدرك ج ٢ ص ٣٦٧ وصحّحه .

١٢ ـ الحافظ أبو بكر الشيرازي المتوفى سنة ٤٠٧ / ١٠ في نزول القرآن من طريق جابر .

١٣ ـ الحافظ أبو محمّد أحمد بن محمّد العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى .

١٤ ـ الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٣٤٠ روى عنه الخطيب إملاءً .

١٥ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ روى من طريقه الخوارزمي .

١٦ ـ الحافظ الخطيب البغدادي المتوفّى سنة ٤٦٣ في تاريخه ج ١٣ ص ٣٠٢ .

١٧ - الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي المتوفّى سنة ٤٨٣ في مناقبه من طريق أبي هريرة .

١٨ - الحافظ أبو عبدالله الفراوي المتوفّى سنة ٥٣٠ كما في كفاية الكنجي .

١٩ - أخطب خطباء خوارزم المتوفّى سنة ٥٦٨ في المناقب ص ٧٣ من طريق الحافظين : البيهقي والحاكم .

٢٠ - الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ في صفة الصفوة ج ١ ص ١١٩ .

٢١ - الحافظ رضي الدين أبو الخير الحاكمي في أربعينه في فضائل عليّ عليه‌السلام .

٢٢ - الحافظ أبو عبد الله ابن النجار المتوفّى سنة ٦٤٣ كما في الكفاية .

٢٣ - أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢ في مطالب السؤول ص ١٢ .

٢٤ - أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي المتوفّى سنة ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧ .

٢٥ - الحافظ أبو عبد الله الكنجي المتوفّى سنة ٦٥٨ في الكفاية ص ١٢٨ . وقال : رواه الحاكم والبيهقي ، وهو حديثٌ حسنٌ ثابتٌ عند أهل النقل .

٢٦ - الحافظ الصالحاني كما في تاريخ الخميس .

٢٧ - الحافظ محب الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٠ نقلاً عن أحمد وابن الجوزي والحاكمي .

٢٨ - جمال الدين أبو عبد الله ابن النقيب المتوفّى سنة ٦٩٨ في تفسيره والعبر .

٢٩ - شيخ الإسلام الحموي المتوفّى سنة ٧٢٢ في فرائد السمطين .

٣٠ ـ الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ في تلخيص المستدرك وقال : إسناده نظيفٌ والمتن منكر . قال الأميني : لم يك يعرف أي حافظ هذه النكارة في تلكم القرون الخالية إلى أن جاد الدهر بالذهبي ، وكوى الحديث بعينه ، فكوّاه نار حقده ، غير أنَّ تلك النكارة الموهومة دفنت معه ولم يتّبع أثره فيها أيُّ محدِّث بعده .

٣١ ـ الحافظ الزرندي المتوفّى بضع سنة و ٧٥٠ في نظم درر السمطين .

٣٢ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج٦ ص ٤٠٧ عن ابن أبي شيبة ، وعبد الرزّاق ، وأحمد ، وابن جرير ، والخطيب ، والحاكم وقال : صححه . وذكره في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٦٤ .

٣٣ ـ الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣ في المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٢٠٤ نقلاً عن ابن النقيب .

٣٤ ـ القاضي الديار بكري المالكي المتوفّى سنة ٨٢/٩٦٦ في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٥ نقلاً عن الطبراني والزرندي والصالحاني وابن النقيب المقدسي والمحبّ الطبري وصاحب شواهد النبوَّة فقال : ثمَّ إنَّ عليّاً أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب تأدّباً وشفقةً على النبيِّ ﷺ ولمّا وقع على الأرض تبسَّم فسأله النبيُّ ﷺ عن تبسّمه ؟ قال : لأنّي ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألمٌ . قال : كيف يصيبك ألمٌ وقد رفعك محمّد وأنزلك جبريل ؟ وقال الشاعر :

قيل لي : قل في عليّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً موصده
قلت : لا أُقدم في مدح امرىء ... ضلّ ذو اللبِّ إلى أن عبده
والنبيّ المصطفى قال لنا : ... ليلة المعراج لمّا صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحسَّ القلب أن قد برده
وعليٌّ واضعٌ أقدامه ... في محلّ وضع الله يده

٣٥ ـ نور الدين الحلبي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٤ في السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٩٧ .

٣٦ ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ في شرح المواهب ج ٢ ص ٣٣٦ عن ابن أبي شيبة والحاكم فقال : قد أجاد القائل :

يا ربّ بالقدم التي أوطأتها ... من قاب قوسين المحلّ الأعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها ... كتف المؤيّد بالرسالة سلّما
ثبّت على متن الصراط تكرُّماً ... قدمي وكن لي منقذاً ومسلّما
واجعلهما ذخري فمن كانا له ... ذخراً فليس يخاف قطّ جهنّما

٣٧ ـ السيِّد أحمد زيني دحلان المكي المتوفّى سنة ١٢٣٢ في السِّيرة النبويَّة هامش الحلبيّة ج ٢ ص ٢٩٣ فقال : وقد أجاد القائل :

يا ربّ بالقدم التي أوطأتها ... إلى آخر الأبيات المذكورة

٣٨ ـ شهاب الدين الآلوسي المتوفّى سنة ١٢٧٠ في شرح العينيَّة ص ٧٥ وقد مرَّت كلمته في ج ٦ ص ٣٩ .

٣٩ ـ خواجه كلان القندوزي المتوفّى سنة ١٢٩٣ في ينابيع المودَّة ص ١٩٣ عن البزّار وأبي يعلى الموصلي .

٤٠ ـ الشيخ أبو بكر بن محمَّد الحنفي المتوفّى سنة ١٢٧٠ في قرَّة العيون المبصرة ج ١ ص ١٨٥ .

٤١ ـ السيِّد محمود القراغولي الحنفي في جوهرة الكلام ص ٥٥ ، ٥٩ .

الشاعر

الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلي الشهير بابن العرندس ، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلّفي علمائها في الفقه والأُصول ، وله مدائح ومراثي لأئمة أهل البيت عليهم‌السلام تنمُّ عن تفانيه في ولائهم ومناوءَته لأعدائهم ، ذكر شطراً منها شيخنا الطريحي في «المنتخب» وجملة منها مبثوثة في المجاميع والموسوعات ، وعقد له العلاّمة السماوي في «الطليعة» ترجمة اطراه فيها بالعلم والفضل والتقى والنسك والمشاركة في العلوم . وأشفع ذلك الخطيب الفاضل اليعقوبي في «البابليات» ، وأثنى عليه ثناءً جميلاً ، وذكر في «الطليعة» أنّه توفّي حدود سنة ٨٤٠

بالحلّة الفيحاء ودفن فيها وله قبرٌ يُزار ويتبرَّك به .

كان ابن العرندس يحاول في شعره كثيراً الجناس على نمط الشيخ علاء الدين الشفهيني المترجم في الجزء السادس ص ن ٤١٦ وتعلوه القوَّة والمتانة ، ويُعرب عن تضلّعه في العربيَّة واللغة ، ولولا تهالكه على ما تجده في شعره من الجناس الكثير لكان ما ينظمه أبلغ وأبرع ممّا هو الآن .

ومن شعر شيخنا الصّالح رائيةٌ اشتهر بين الأصحاب ، أنَّها لم تقرأ في مجلس إلاَّ وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالىٰ فرجه ، توجد برمَّتها في منتخب شيخنا الطريحي ج ٢ ص ٧٥ وهي :

طوايا نظامي في الزَّمان لها نشرُ ... يعطِّرها من طيب ذكراكمُ نشر
قصائدُ ما خابت لهنَّ مقاصدٌ ... بواطنها حمدٌ ظواهرها شكر
مطالعها تحكي النجوم طوالعاً ... فأخلاقها زُهرٌ وأنوارها زَهر
عرائس تجلى حين تُجلى قلوبنا ... أكاليلها درٌّ وتيجانها تبر
حسان لها حسّان بالفضل شاهد ... على وجهها تِبرٌ يُزان بها التِّبر
أُنظِّمها نظم اللآلي وأسهر الليالـ ... ـي ليحيى لي بها وبكم ذكر
فيا ساكني أرض الطفوف عليكمُ ... سلامُ مُحبّ ما له عنكمُ صبر
نشرتُ دواوين الثنا بعد طيِّها ... وفي كلِّ طرس من مديحي لكم سطر
فطابق شعري فيكمُ دمع ناظري ... فمبيضُّ ذا نظمٌ ومحمرٌّ ذا نثر
فلا تتهموني بالسّلوّ فإنّما ... مواعيد سلواني وحقّكمُ الحشر
فذلّي بكم عزٌّ وفقري بكم غنى ... وعسري بكم يسر وكسري بكم جبر
ترقّ بروق السّحب لي من دياركم ... فينهلُّ من دمعي لبارقها القطر
فعيناي كالخنساء[1] تجري دموعها ... وقلبي شديدٌ في محبَّتكم صخر
وقفت على الدّار التي كنتمُ بها ... فمغناكمُ من بَعد معناكمُ قَفْرُ
وقد دُرست منها الدُّروس وطالما ... بها درس العلم الإلٰهيّ والذّكر

(١) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث شاعرة صحابية شهيرة لها شعر كثير في رثاء أخيها لأبيها صخر وقد قتله بنو أسد .

وســالت عليهـا من دمـوعي سحـائبٌ إلى أن تـروّى البـان بـالـدمـع والسّـدر
فَــراق فِـراق الــرّوح لي بَعـد بُعـدكم ودار بـرسم الـدّار في خـاطـري الفكـر
وقـد أقلعت عنهـا السحـابُ ولم يُجـد ولا درَّ مـن بـعــد الـحسـيـن لـهــادر
إمــام الهـدى سبط النبـوَّة والـد الأئمَّـ ـة ربّ الـنّـهـى مـولـىً لـه الأمـر
إمــامٌ أبـوه المـرتضى علم الـهـدى وصيٌّ رسـول اللّه والصّنـو والصهـر
إمــامٌ بكتـه الإنس والـجنّ والـسمـا ووحش الفـلا والـطيـر والبرُّ والبحـر
لــه القبَّـة البيضــاء بالطفّ لم تزل[1] تـطوف بهـا طـوعـاً مـلائكـةٌ غـر
وفـيــه رسـول الـلّه قـال وقـولـه صحيـحٌ صـريـحٌ ليس في ذلكم نكـر
حُبي بـثـلاث مـا أحـاط بمـثـلهـا وليٌّ فمن زيـدٌ هنـاك ومَـن عمـرو ؟
لــه تـربـةٌ فـيـهـا الـشـفـاء وقـبَّـةٌ يجـاب بهـا الـداعي إذا مسَّـه الضـر
وذُريَّــةٌ دريَّــةٌ مـنــه تـسـعــة أئـمَّـة حـقّ لا ثـمـان ولا عـشـر
أيقتـل ظـمـآنـاً حسينٌ بكـربـلا وفي كـلّ عضـوٍ من أنـامله بـحـر ؟
ووالـده السّاقي على الحوض في غـد وفـاطمـةٌ مـاء الفـرات لـهـا مهـر
فـوالهف نفسي للحسـين ومـا جنـى عليـه غَـداة الـطفّ في حـربـه الشمر
رمـاه بـجيش كـالـظلام قـسيّـه الـ أهلة والخـرصـان أنـجمـه الـزّهـر
لـرايـاتهم نصبٌ وأسيـافهـم جـزمٌ وللنَّقـع رفـعٌ والـرِّمـاح لـهـا جـر
تـجـمَّـع فـيـهـا مـن طـغـاة أميَّـة عصـابـة غـدر لا يقـوم لهـا عـذر
وأرسلهـا الـطاغي يـزيـد ليملك الـ ـعـراق ومـا أغنتـه شـامٌ ولا مـصـر
وشــدَّ لـهـم أزراً سـليـل زيـادهـا فـحـلَّ بـه من شـدَّ أزرهـم الـوزر
وأمَّـر فيهـم نجـل سعـد لنحسـه فمـا طـال في الـريِّ اللعين لـه عُمـر
فلمَّـا التقى الجمعان في أرض كـربـلا تبـاعـد فعـل الخير واقتـرب الشـر
فحـاطـوا بـه في عشر شهـر محـرَّم وبيض المـواضي في الأكفّ لهـا شَمـر
فقـام الفتى لمّـا تشـاجـرت الـقنـا وصـال وقـد أودى بمهجتـه الـحَـر
وجــال بطـرف فـي المجـال كـأنَّـه دجى اللّيـل في لألآء غـرَّتـه الفجـر

---

(١) تلك القبة المقدسة كانت بيضاء في تلكم القرون وأما اليوم فقد تغشتها صفائح النضار ، فهي صفراء لونها تسرّ الناظرين كما أن باطنها سرح ممرد من قوارير .

له أربعٌ للرّيح فيهنَّ أربعٌ ... لقد زانه كرٌّ وما شانه الفر
ففرّق جمع القوم حتّى كأنَّهم ... طيور بُغاث[١] شتَّ شملهم الصقرُ
فأذكرهم ليل الهرير فأجمع الكلا ... ب على اللّيث الهزبر وقد هرّوا[٢]
هناك فدته الصّالحون بأنفس ... يُضاعف في يوم الحساب لها الأجر
وحادوا عن الكفّار طوعاً لنصره ... وجاد له بالنفس من سَعده الحُر[٣]
ومدّوا إليه ذُبَّلاً سمهريَّة[٤] ... لطول حياة السبط في مدِّها جزر
فغادره في مارق الحرب مارقٌ ... بسهم لنحر السبط من وقعه نحر
فمالَ عن الطِرف الجواد أخو الندى الـ ... جواد قتيلاً حوله يصهل المهر[٥]
سَنان سنانٍ خارقٌ منه في الحشا ... وصارم شمرٍ في الوريد له شَمر[٦]
تجرّ عليه العاصفات ذيولها ... ومن نسج أيدي الصافنات له طمر[٧]
فرجَّت له السبع الطباق وزلزلت ... رواسي جبال الأرض والتطم البحر
فيا لك مقتولاً بكته السماء دماً ... فمغبرٌّ وجه الأرض بالدّم محمر
ملابسه في الحرب حمرٌ من الدما ... وهنَّ غداة الحشر من سندس خضر
ولهفي لزين العابدين وقد سرى ... أسيراً عليلاً لا يفكُّ له أسر
وآل رسول اللّه تسبى نسائهم ... ومن حولهنَّ الستر يهتك والخدر
سبايا بأكوار المطايا حواسراً ... يلاحظهنَّ العبد في الناس والحر

---

(١) البغاث بتثليث الباء : طائر أبغث أصغر من الرخم بطيء الطيران ج بغثان .
(٢) ليلة الهرير من ليالي صفين قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف قتيل ولمولانا أمير المؤمنين ولاصحابه في تلك الليلة موقف شجاعة يذكر مع الأبد . الهرير كأمير . هرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد .
(٣) الحر بن يزيد الرياحي التميمي اليربوعي كان سلام الله عليه شريف قومه جاهلية وإسلاماً كما قاله ابن الأثير .
(٤) الذبّل بضم المعجمة ثم الموحدة المفتوحة جمع الذابل : الرقيق . السمهري : الرمح الصلب .
(٥) الطرف كما مر من الخيل : الكريم الطرفين : الأب والأم . المهر : ولد الفرس .
(٦) الشمر بفتح المعجمة من شمر تشميراً : مر مسرعاً . وأشمره بالسيف : أدرجه .
(٧) العاصفات : الأرياح الشديدة . الصافنات : «راجع ص ١٩» الطمر : الثوب البالي .

ورملة[١] في ظلّ القصور مصونة ... يُناط على أقراطها الدرُّ والتبر
فويلٌ يزيدٍ من عذاب جهنّم ... إذا أقبلت في الحسر فاطمة الطُّهر
ملابسها ثوبٌ من السمِّ أسودٌ ... وآخرُ قانٍ من دم السبط محمر
تنادي وأبصار الأنام شواخصٌ ... وفي كلِّ قلبٍ من مهابتها ذُعر[٢]
وتشكو إلى الله العليِّ وصوتها ... عليٌّ ومولانا عليٌّ لها ظهر
فلا ينطق الطاغي يزيد بما جنى ... وأنّى له عذرٌ ومن شأنه الغدر ؟
فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم النّعـ ... ـيم ويُخلى في الجحيم له قصر
ويشدو له الشادي فيطربه الغنا ... ويسكب في الكأس النّضار له خمر
فذاك الغنا في البعث تصحيفه العَنا ... وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
أيُقرع جهلاً ثغر سبط محمَّد ... وصاحب ذاك الثغر يُحمى به الثغر ؟
فليس لأخذ الثار إلاَّ خليفة ... يكون لكسر الدين من عدله جبر
تحفُّ به الأملاك من كل جانب ... ويقدمه الإقبال والعزُّ والنصر
عوامله في الدارعين شوارعٌ ... وحاجبه عيسى وناظره الخضر
تظلّله حقّاً عمامة جدِّه ... إذا ما ملوك الصيد ظلّلها الجبر
محيطٌ على علم النبوَّة صدره ... فطوبى لعلم ضمَّه ذلك الصدر
هو ابن الإمام العسكري محمَّد التـ ... ـقيُّ النقي الطّاهر العَلم الحَبر
سليل علي الهادي ونجل محمَّد الجـ ... ـواد ومَن في ارض طوس له قبر
عليّ الرضا وهو ابن موسى الذي قضى ... ففاح على بغداد من نشره عطر
وصادق وعدٍ انَّه نجل صادق ... إمامٌ به في العلم يفتخر الفخر
وبهجة مولانا الإمام محمَّد ... إمامٌ لعلم الأنبياء له بَقر
سلالة زين العابدين الذي بكى ... فمن دمعه يُبس الأعاشيب مُخضر
سليل حسين الفاطميِّ وحيدر الـ ... ـوصيِّ فمن طُهر نمى ذلك الطُّهر

---

(١) رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، شبب بها عبد الرّحمن بن حسّان بأبيات أولها :

رمل هل تذكرين يوم غزال ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمنّي

ولهذا التشبيب قصة توجد في معاجم التراجم .

(٢) الشواخص من شخص البصر ، أي : فتح عينيه فلم يطرف . الذعر : الفزع والخوف .

لــه الحسن المسمــوم عمٌّ فحبّذا الـ ... إمـامُ الـذي عمَّ الـورى جـوده الغَمْـرُ
ســميُّ رسـول الـلّه وارث عـلمـه ... إمـامُ عـلى آبـائـه نـزل الـذِّكـر
هـم النّـور نـور الـلّه جـلَّ جـلالـه ... همُ التين والـزيتـون والشفـع والـوتـر
مـهـابط وحـي الـلّه خـزّان عـلمـه ... ميـامين في أبيـاتهـم نـزل الـذّكـر
وأسماؤهـم مكتـوبـةٌ فـوق عـرشـه ... ومكنـونـة مـن قبـل أن يُـخلق الـذر
ولـولاهـمُ لـم يـخـلـق الـلّه آدمـاً ... ولا كـان زيـدٌ في الأنـام ولا عمـرو
ولا سـطحـت أرضٌ ولا رُفعـت سمـا ... ولا طـلعت شـمسٌ ولا أشـرق البـدر
ونـوحٌ بـه في الفلك لمّـا دعـا نجـا ... وغيض بـه طـوفـانـه وقضى الأمـر
ولـولاهمُ نـار الخليـل لمـا غـدت ... سـلامـاً وبـرداً وانـطفى ذلـك الجمر
ولـولاهمُ يعـقـوب مـا زال حـزنـه ... ولا كـان عن أيّـوب ينـكشـف الضـر
ولان لـداوُد الـحـديـد بـسـرّهـم ... فقـدَّر في سـردٍ يحيـر بـه الـفكـر
ولمّـا سليمـان البسـاط بـه سـرى ... أُسيلت لـه عـينٌ يـفيض لـه الـقـطر
وسخّـرت الـريـح الـرّخـاء بـأمـره ... فغـدوتهـا شـهـرٌ وروحتـهـا شهـر
وهم سرُّ موسى والعصـا عندمـا عصى ... أوامـره فـرعـون والتقـف السِّحـر
ولـولا همُ مـا كـان عيسى بن مريم ... لعـازر من طيِّ اللحـود لـه نشـر
سـرى سرّهم في الكـائنـات وفضلهم ... وكـلُّ نـبيّ فيـه مـن سـرّهـم سـر
عـلا بهمُ قـدري وفخـري بهم غـلا ... ولـولا همُ مـا كـان في النـاس لي ذكـر
مـصـابكـمُ يـا آل طـه ! مـصيـبـةٌ ... ورزءٌ على الإسـلام أحـدثـه الكفـر
سـأنـدبكم يـا عـدَّتي عنـد شـدّتي ... وأبكيـكمُ حـزنـاً إذا أقبـل العَشـر
وأبـكيـكمُ مـا دمـتُ حيّـاً فـإن أمت ... ستبكيكمُ بعـدي المـراثي والشعـر
عـرائس فكـر الصـالـح بن عـرنـدس ... قبولكمُ يا آل طه لها مهر
وكيف يحيط الـواصفـون بمـدحكم ... وفي مـدح آيـات الكتـاب لكم ذكـر ؟
ومـولـدكم بـطحـاء مكّـة والصَّفـا ... وزمـزم والبيت المحـرَّم والحـجـر
جـعلتـكمُ يـوم الـمعـاد وسيلتـي ... فـطوبى لمن أمسى وأنتم لـه ذخـر
سيُبلي الجـديـدان الجـديـد وحبُّكم ... جـديـد بقلبي ليس يُخلقـه الـدَّهـر
عـليكـم سـلامُ الـلّه مـا لاح بـارقٌ ... وحلّت عقـود المزن وانتشـر القـطر

وله من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام :

بـات العـذول على الحبيب مسهَّـدا ... فـأقـام عـذري في الغـ
ورأى العـذار بسـالفيـه مُسلسـلا ... فـأقـام في سجـن الغـر
هـذا الـذي أمسى عـذولي عـاذري ... فيـه وراقـد مقـلتيـه
ريـمٌ(١) رمى قـلبي بسهـم لحـاظـه ... عن قـوس حـاجبه أصـاب
قمـرٌ هـلال الشمس فـوق جبينـه ... عـال تـغـار الـشـمس منـ
وقـوامـه كـالغصن رنّحـه الـصبـا ... فيـه حمـام الـحي بـا
فـإذا أراد الـفـتـك كـان قـوامـه ... لـدنـاً وجـرَّدت الـلحـا
تـلقـاه منـعـطفـاً قضيـبـاً أميـداً ... وتـراه ملتفـتـاً غـزالاً
في طاء طـرَّتـه وجيـم جبـيـنـه ... ضـدّان شـأنهمـا الضَّـلالـ
لـيـلٌ وصبـحٌ أسـودٌ فـي أبيضٍ ... هـذا أضـلَّ الـعـاشقـين
لا تـحـسـبـوا داود قـدَّر سـرده ... في سين سـالفـه فبـا
لـكـنَّـمـا يـاقـوت خـاء خـدوده ... نمَّ(٣) العـذار بـه فصـار
يـا قاتـل العـشّـاق يـا مـن طـرفـه ... الـرشّاق يرشقنـا سهامـاً
قـسمـاً بثـاء الـثـغـر منـك لأنَّـه ... ثغـرٌ بـه جيم الجمـان تـ
وبـراء ريـقٍ كـالـمـدام مـزاجـه ... شهـدٌ بـه تـروى القلوب مـ
إنّي لقـد أصبحت عبدك في الهـوى ... وغـدوت في شـرح المحـ
فـاعـدل بعبـدك لا تجـر واسمـح ولا ... تـبخـل بقـربٍ من وفـا
وابـدِ الـوفـا ودَعِ الجفـا وذرِ العفـا ... فلقـد غـدوتُ أخـا غـرا

---

(١) الريم : الظبي الخالص البياض .

(٢) منعطفاً : منثنياً . القضيب : السيف القطاع . القوس عملت من قضيب مشقوق . الاميد من ماد يميد ميداً : تحرك واضطرب . الأغيد من غيد يغ عنقه لانت أعطافه فهو أغيد وهي غيداء .

(٣) نمَّ نمّاً : زين .

(٤) الرشق : الرمي . الردى : الهلاك .

(٥) الثغر : مقدم الأسنان . الجمان : اللؤلؤ .

وفجعت قلبي بالتفرُّق مثلما ... فجعت أُميَّة بالحسين محمَّدا

سبط النبيِّ المصطفى الهادي الَّذي ... أهدى الأَنام من الضلال وأرشدا

وهو ابن مولانا عليٍّ المرتضى ... بحر الندى مروي الصدا مُردي العدا

أسمى الورى نسباً وأشرفهم أباً ... وأجلّهم حسباً وأكرم محتدا

بحرٌ طما . ليثٌ حمى . غيثٌ همى ... صبحٌ أضا . نجمٌ هدى . بدرٌ بدا

السيِّد السند الحسين أعمُّ أهـ ... ـل الخافقين ندىً وأسمحهم يدا

لم أنسه في كربلا متلظِّيا ... في الكرب لا يلقى لماءٍ موردا

والمقنب الأمويُّ حول خبائه ... النبويِّ قد ملأ الفدافد فُدفدا(١)

عصبٌ عصت غضَّت بخيلهم الفضا ... غصبت حقوق بني الوصيِّ وأحمدا

حمَّت كتائبه وثار عجاجه ... فحكى الخضمَّ المدلهمَّ المزبدا

للنُصب فيه زماجرٌ مرفوعةٌ ... جزمت بها الأسماء من حرف الندا

صامت صوافنه وبيض صفاحه ... ـلَّت فصيَّرت الجماجم سجَّدا

نسج الغبار على الأُسود مدارعاً ... فيه فجسَّدت النجيع وعسجدا

والخيل عابسةُ الوجوه كأنَّها الـ ... ـعقيان تخترق العجاج الأَربدا

حتَّى إذا لمعت بروق صفاحها ... وغدا الجبان من الرواعد مُرعدا

صال الحسين على الطغاة بعزمه ... لا يختشي من شرب كاسات الردى

وغدا بلام اللدن يطعن أنجلاً ... وبغين غرب العضب يضرب أهودا(٢)

فأعاد بالضرب الحسام مفلَّلا ... وثنى السنان من الطعان مقصَّدا(٣)

فكأنَّما فتكاته في جيشهم ... فتكات (حيدر) يوم أُحد في العدى

جيشٌ يريد رضى يزيد عصابةٌ ... غصبت فأغضبت العليَّ وأحمدا

جحدوا العليَّ مع النبيِّ وخالفوا الـ ... ـهادي الوصيَّ ولم يخافوا الموعدا

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . الفدافد بفتح الفاء : الفلاة . فدفد بضم الفاء : الجافي الكلام المرتفع الصوت .

(٢) الأنجل : الواسع الطويل العريض ، يُقال : طعنة نجلاء . أي واسعة . الأهود من الهوادة : اللين والرفق .

(٣) المقصدة من القصدة بالكسر : القطعة مما يكسر . يُقال رمح قصد وقصيد وأقصاد : أي متكسر .

وغــواهـمُ شـيــطانـهـم فـأضـلّهـم ... عـمـداً فلم يـجـدوا وليّـاً مُـرشـدا

ومن العجـائب أنَّ عـذب فـراتـهـا ... تـسـري مُـسـلسـلةً ولـنْ تـتـقـيَّـدا

طـام وقـلب الـسـبط ظـام نـحـوه ... وأبــوه يـسـقـي الـنـاس سـلسـله غــدا

وكـأنَّـه والـطِـرف والـبـتّـار والـ ... ـخرصان في ظُلل العجاج وقد بدا[1]

شـمسٌ عـلى فـلكٍ وطـوع يـمـيـنـه ... قمرٌ يقـابـل في الـظّلام الفـرقـدا[2]

والسيّـد العبـاس قـد سـلب العدى ... عـنـه الـلبـاس وصـيَّـروه مـجـرَّدا

وابن الحسين السبط ظمـآن الحشـا ... والـمـاء تـنـهـله الـذئـاب مُـبـرَّدا

كـالـبـدرِ مـقـطـوع الـوريـد لـه دمٌ ... أمسى عـلى تـرب الصـعيـد مُبـدَّدا

والسّـادة الشهـداء صـرعى في الفلا ... كـلٌّ لأحقـاف[3] الـرمـال تـوسَّـدا

فـأولئك القـوم الّـذين على هـدى ... من ربِّهـم فمـن اقتـدى بـهـم اهـتـدى

والسبط حـرّان الحشـا لـمصـابـهم ... حـيـران لا يلقـى نصيـراً مُـسـعـدا

حتى إذا اقـتـربت أبـاعـيـد الـرَّدى ... وحـيـاتـه منـهـا الـقـريـب تبعَّـدا

دارت عـلـيـه عـلـوج آل أُمـيَّـة ... مـن كـلّ ذي نـقـص يـزيـد تـمـرُّدا

فـرمـوه عن صُفـر القـسيِّ بأسهم[4] ... من غيـر مـا جُـرم جنـاهُ ولا اعتـدى

فهـوى الجوادُ عن الجـواد فـرجَّت الـ ... ـسَّبـع الشِّداد وكـان يـومـاً أنكـدا

واحتـزَّ منـه الشمـر رأسـاً طـالمـاً ... أمـسى لـه حِـجـر الـنـبـوَّة مـرقـدا

فبكـتـه أمـلاك السَّـمـاوات العلى ... والـدهـر بـات عليـه مشقـوق الرّدا

وارتـدَّ كفُّ الجـود مكفـوفـاً وطـر ... ف العلم مـطروفـاً[5] عـليـه أرمـدا

والـوحش صـاح لمـا عـراه من الأسى ... والـطـيـر نـاحَ على عـزاه وعـدَّدا[6]

---

(١) الطرف . راجع ص ١٩ البتار : السيف القاطع . الخرصان : جمع الخرص ، الرمح القصير السنان .

(٢) هذه البداعة مأخوذة من علاء الدين الشفهيني كما مرّت في ج ٦ ص ٣٦٢ ومرّت لابن العرندس أيضاً في هذا الجزء ص ٥ .

(٣) الأحقاف جمع الحقف : ما اعوج من الرمح واستطال .

(٤) الصفر : الدائرة . القسيّ جمع القوس : آلة معروفة ترمى بها السهام .

(٥) المطروفة من العين : التي أصابها شيء فدمعت .

(٦) عدَّد الميت : عد مناقبه ووصفها .

وسروا بزين العابدين الساجد الـ   ـباكي الحزين مُقيَّداً ومُصفَّدا

وسكينةٌ سكن الأسى في قلبها   فغدا بضامرها[١] مُقيماً مُقعدا

وأسال قتل الطفِّ مدمع زينب   فجرى ووسط الخدِّ منها خدّدا

ورأيت ساجعةً تنوح بأيكة[٢]   سجعت فأخرست الفصيح المنشدا

بيضاء كالصبح المضيء أكفُّها   حمرٌ تطوَّقت الظلام الأسودا

ناشدتها يا ورق ! ما هذا البكا   ردِّي الجواب فجعت قلبي المكمدا

والطوق فوق بياض عنقك أسودٌ   وأكفُّكِ حمرٌ تحاكي العسجدا

لمّا رأت ولهي وتسآلي لها   ولهيب قلبي ناره لن تخمدا

رفعت بمنصوب الغصون لها يداً   جزمت به نوح النوائح سرمدا

: قُتل الحسين بكربلا يا ليته   لاقى النجاة بها وكنتُ له الفدا

فإذا تطوَّق ذاك دمعي أحمرٌ   قانٍ مسحتُ به يديَّ تورَّدا

ولبستُ فوق بياض عنقي من أسىً   طوقاً بسين سواد قلبي أسودا

فالآن هاذي قصَّتي يا سائلي   ونجيع دمعي سائلٌ لن يجمدا

فاندب معي بتقرُّحٍ وتحرُّقٍ   وابكِ وكن لي في بكائي مُسعدا

فلألعننَّ بني أُميَّة ما حدا   حادٍ وما غار الحجيج وأنجدا[٣]

ولألعننَّ يزيدها وزيادها   ويزيدُها ربِّي عذاباً سرمدا

ولأبكينَّ عليك يا ابن محمّدٍ   حتى أُوسَّد في التراب مُلحَّدا

ولأحلينَّ على عُلاك مدائحاً   من درِّ ألفاظي حساناً خُرَّدا

عُرباً فصاحاً في الفصاحة جاوزت   قُسّاً[٤] وبات لها لبيد[٥] مُبلَّدا

قلّدتها بقلائد من جودكم   أضحى بها جيد الزمان مُقلَّدا

يرجو بها نجلُ العرندس صالحٌ   في الخلد مع حور الجنان تخلّدا

---

(١) ضمر فهو ضامر : هزل ودقّ وقلّ لحمه .

(٢) الأيكة : الشجر الكثير الملتفّ .

(٣) غار الرجل : سار . انجد الرجل : أتى نجدا . قرب من أهله .

(٤) قس بن ساعدة الايادي خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل في البلاغة .

(٥) لبيد بن ربيعة العامري توفّي في أول خلافة معاوية وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة .

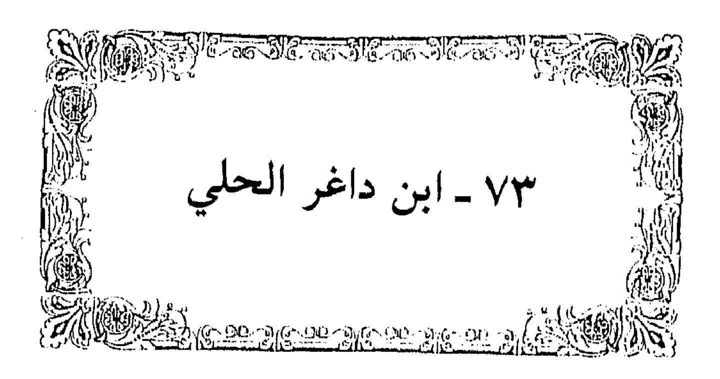
وسقى الطفوف إلها مرات من الحيا سُحباً تسحُّ عيونها دمع النَّدى[1]
ثمَّ السَّلام عليك يابن المرتضى ما ناح طيرٌ في الغصون وغرَّدا

وله قصيدة تناهز ٥٦ بيتاً يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه توجد في المنتخب لشيخنا الطريحي ج٢ ص ١٩ ط بمبىء مطلعها :

نوحوا أيا شيعة المولى أبا حسنٍ على الحسين غريب الدار والوطن

---

(١) الهامرات من همر الماء : انصب . والهمّار من السحاب : السيال . الحيا : المطر . سح الماء : صبه صباً متتابعاً غزيراً . الندى : المطر .



٧٣ ـ ابن داغر الحلي

حيَّا الإلٰه كتيبة مرتادها ... يطوى له سهل الفلا ووهادها
قصدت أمير المؤمنين بقبَّة ... يُبنى على هام السَّماك عمادها
وفدت على خير الأنام بحضرةٍ ... عند الإلٰه مكرَّمٌ وُفّادها
فيها الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ... أهل الفتوَّة ربّها مقتادها
فله الفخار قديمه وحديثه ... والفاضلات طريفها وتلادها(١)
مولى البريَّة بعد فقد نبيِّها ... وإمامها وهمامها وجوادها
وإذا القروم تصادمت في معركٍ ... والخيل قد نسج القتام طرادها
وترى القبائل عند مختلف القنا ... منه يحذِّر جمعها آحادها
والشوس تعثر في المجال وتحتها ... جردٌ تجذُّ إلى القتال جيادها(٢)
فكأنَّ منتشر الرعال لدى الوغا ... زجلٌ تنشَّر في البلاد جرادها
ورماحهم قد شظِّيت عيدانها(٣) ... وسيوفها قد كسِّرت أغمادها

---

(١) الطريف : المكتسب حديثاً . التلاد والتليد : ما كان من قديم .

(٢) الشوس جمع أشوس : الشديد الجريء في القتال . تعثر يُقال : عثر الرجل عثوراً إذا هجم على أمر لم يهجم عليه غيره . المجال : محل الجولان أي الميدان . جرد جمع الأجرد : السباق من الخيل . يجذ من جذ في سيره : أسرع : الجياد جمع الجواد : السريع من الفرس .

(٣) شظى تشظية : فرق ، تشظى العود : تطاير شظايا . عيدان وأعود وأعواد جمع عود : الخشب .

والشهب تغمد في الرؤوس نصولها والسمر تصعد في النفوس صعادها[1]
فترى هناك أخا النبيِّ محمّدٍ وعليه من جهد البلاء جلادها
متردِّياً عند اللقا بحسامه متصدِّياً لكماتها يصطادها
عضد النبيَّ الهاشميَّ بسيفه حتى تقطَّع في الوغا أعضادها
واخاه دونهمُ وسدَّ دُوينه أبوابهم فتّاحها سدّادها
وحباه في (يوم الغدير) ولايةً عام الوداع وكلّهم أشهادها
فغدا به (يوم الغدير) مفضَّلاً بركاته ما تنتهي أعدادها
قبلت وصيَّة أحمد وبصدرها تخفي لآل محمَّد أحقادها
حتى إذا مات النبيُّ فأظهرت أضغانها في ظلمها أجنادها
منعوا الخلافة ربَّها ووليِّها ببصائر عميت وضلَّ رشادها
واعصوصبوا في منع فاطم حقّها فقضت وقد شاب الحياة نكادها[2]
وتوفّيت غصصاً وبعد وفاتها قُتل الحسين وذبِّحت أولادها
وغدا يُسبُّ على المنابر بعلها في أُمَّة ضلّت وطال فسادها
ولقد وقفت على مقالة حاذقٍ في السالفين فراق لي إنشادها
[أعلى المنابر تعلنون بسبّه وبسيفه نصبت لكم أعوادها][3]
يا آل بيت محمَّد يا سادةً ساد البريَّة فضلها وسدادها !
أنتم مصابيح الظلام وأنتمُ خير الأنام وأنتمُ أمجادها
فضلاؤها علماؤها حلماؤها حكماؤها عبّادها زهّادها
أمّا العباد فأنتمُ ساداتها أمّا الحروب فأنتمُ آسادها
تلك المساعي للبريّة أوضحت نهج الهدىٰ ومشت به عبّادها
وإليكم من شاردات (مغامس) بكراً يقرُّ بفضلها حسّادها
كملت بوزن كمالكم وتزيّنت بمحاسن من حسنكم تزدادها

---

(١) الشهب جمع الشهاب : السنان . سمّي به لما فيه من بريق . نصول جمع النصل : حديدة الرمح والسهم . السمر : الرمح . صعاد جمع الصعدة : القناة المستوية .

(٢) اعصوصبوا : اجتمعوا وصاروا عصائب . شاب : خلط وغش . النكاد : الكدر .

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي رحمه الله المتوفّى سنة ٤٦٦ .

ناديتها صوتاً فمذ أسمعتها ... لبَّت ولم يصلد عليَّ زنادها
نفقت لديَّ لأنّها في مدحكم ... فلذاك لا يخشى عليَّ كسادها
رحم الإلٰه ممدّها أقلامه ... ورجاؤه أن لا يخيب مدادها
فتشفَّعوا الكبائر أسلفتها ... قلقت لها نفسي وقلّ رقادها
جرماً لو انَّ الراسيات حملنه ... دكّت وذاب صخورها وصلادها
هيهات تُمنع عن شفاعة جدِّكم ... نفسٌ وحبُّ أبي تراب زادها
صلّى الإلٰه عليكمُ ما أرعدت ... سحبٌ وأسبل ممطراً أرعادها

وله قوله من قصيدة تناهز الاثنين والتسعين بيتاً :

كيف السَّلامة والخطوب تنوبُ ... ومصائب الدنيا الغرور تصوبُ ؟
إنَّ البقاء على اختلاف طبائع ... ورجاء أن ينجو الفتى لعصيب
العيش أهونه وما هو كائن ... حتمٌ وما هو واصلٌ فقريب
والدهر أطوارٌ وليس لأهله ... إن فكّروا في حالتيه نصيب
ليس اللبيب من استغرَّ بعيشه ... إنَّ المفكِّر في الأُمور لبيب
يا غافلاً ! والموت ليس بغافلٍ ... عِش ما تشاء فإنّك المطلوب
أبديت لهوك إذ زمانك مقبلٌ ... زاهٍ وإذ غضّ الشباب رطيب
فمن النصير على الخطوب إذا أتت ... وعلا على شرخ الشباب مشيب
علل الفتى من علمه مكفوفة ... حتى الممات وعمره مكتوب
وتراه يكدح في المعاش ورزقه ... في الكائنات مقدّرٌ محسوب
إنَّ الليالي لا تزال مجدّة ... في الخلق أحداثٌ لها وخطوب
من سرَّ فيها ساءه من صرفها ... ريبٌ له طول الزمان مريب
عصفت بخير الخلق آل محمَّد ... نكباء إعصار لها وهبوب[1]
أمّا النبيُّ فخانه من قومه ... في أقربيه مجانبٌ وصحيب
من بعد ما ردّوا عليه وصاته ... حتى كأنَّ مقاله مكذوب
ونسوا رعاية حقِّه في حيدر ... في «خمّ» وهو وزيره المصحوب
فأقام فيهم برهة حتى قضى ... في الغيظ وهو بغيظهم مغضوب

---

(١) الإعصار : ريح ترتفع بالتراب . الهبوب من الرياح : المثيرة للغبرة .

ومنها قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام :

بأبي الإمام المستضام بكربلا ... يدعو وليس لما يقول مجيب

بأبي الوحيد وماله مِن راحمٍ ... يشكو الظما والماء منه قريب

بأبي الحبيب إلى النبيِّ محمَّدٍ ... ومحمَّدٌ عند الإله حبيب

يا كربلاء أفيكِ يُقتل جهرةً ... سبط المطهَّر ؟ إنَّ ذا العجيب

ما أنتِ إلَّا كربةٌ وبليَّةٌ ... كلُّ الأنام بهولها مكروب

لهفي عليه وقد هوى متعفِّراً ... وبه أُوامٌ فادحٌ ولغوب[(١)]

لهفي عليه بالطفوف مجدّلاً ... تسفي عليه شمألٌ وجنوب

لهفي عليه والخيول ترضّه ... فلهنَّ ركضٌ حوله وخبيب[(٢)]

لهفي له والرأس منه مميّز ... والشيب من دمه الشريف خضيب

لهفي عليه ودرعه مسلوبة ... لهفي عليه ورحله منهوب

لهفي على حرم الحسين حواسراً ... شعثاً وقد ريعت لهنَّ قلوب

حتّى إذا قطع الكريم بسيفه ... لم يثنه خوفٌ ولا ترعيب

للَّه كم لطمت خدودٌ عنده ... جزعاً وكم شُقّت عليه جيوب !

ما أنس إن أنسى الزكيَّة زينباً ... تبكي له وقناعها مسلوب

تدعو وتندب والمصاب تكظُّها ... بين الطفوف ودمعها مسكوب[(٣)]

ءَأُخيَّ بعدك لا حييت بغبطةٍ ... واغتالني حتفٌ إليَّ قريب

ءَأُخيَّ بعدك مَن يدافع جاهلاً ... عنّي ويسمع دعوتي ويجيب

حزني تذوب له الجبال وعنده ... يسلو وينسى يوسفاً يعقوب

الشاعر :

الشيخ مغامس بن داغر الحلي : طفح بذكر المغامس في حبِّ آل الله صلّىٰ

---

(١) الاوام : العطش. الفادح : الصعب المثقل . اللغوب : المتعب المعيي .

(٢) الخبيب من خب الفرس في عدوه : راوح بين يديه ورجليه أي قام على احداهما مرّة وعلى الأُخرىٰ مرّة .

(٣) تكظها من كظّ الأمر كظاً: غمّ وبهظ. الطفوف جمع الطف : ما أشرف من الأرض .

الله عليهم غير واحد من المعاجم المتأخّرة كالحصون المنيعة للعلّامة الشيخ علي آل كاشف الغطاء ، والطليعة للعلّامة السماوي ، والبابليّات للخطيب اليعقوبي ، وذكر شطراً من شعره شيخنا فخر الدين الطريحي في المنتخب ، والأديب الإصبهاني في التحفة الناصريَّة ، وتضمّن غير واحد من المجاميع قريظه المتدفّق بمدح أهل بيت الوحي أئمَّة الهدى ورثائهم صلوات الله عليهم حتّى جمع منها الشيخ السماوي ديواناً باسم المترجم يربو على ألف وثلاثمائة وخمسين بيتاً ولعلَّ التالف منها أكثر وأكثر .

فهو من شعراء أهل البيت المكثرين المتفانين في حبّهم وولائهم غير أنَّ الدهر أنسى ذكره الخالد ، ولعلَّ هذا الإنقطاع عن غيرهم عليهم السلام هو الذي قطع اطّراد ذكره في جملة من الموسوعات أو المعاجم لمن لا يأُلف إلى ودِّهم كما فعلوا ذلك بالنسبة إلى كثيرين من أمثال المترجم فتركوا ذكره أو أثبتوه بصورة مصغَّرة ، وعندهم مكبّرات لذكريات أُناس هم دون أُولئك في الفضيلة والأدب ، وكم للتاريخ من جنايات في الخفض والرفع ؛ والجرّ والنصب ؛ لا تستقصى ؟ .

كان الشيخ مغامس من إحدى القبائل العربيَّة في ضواحي الحلّة الفيحاء ، فهبطها للدراسة ، ولم يبارحها حتّى قضى بها نحبه شاعراً خطيباً ، في أواسط القرن التاسع ويعرب شعره عن أنَّه كان له شوطٌ في مضمار الخطابة كما كان يركض في كلِّ حلبة من حلبات القريض قال :

فتارةً أنظم الأشعار ممتدحاً ... وتارةً أنثر الأقوال في الخطب

وكان أبوه داغر شاعراً موالياً وهو الذي علّمه قرض الشعر ومرَّنه على ولاء العترة الطاهرة كما يأتي في قوله :

أعملت في مدحكم فكري فعلّمني ... نظم المديح وأوصاني بذاك أبي

فحيَّى الله الوالد والولد . وإليك فهرست قصائده التي وقفنا عليها في مجاميع الأدب :

عدد القصائد	المطلع	عدد الأبيات
١	محبّ الليالي في مساعيه متعبُ ... يساق إليه حتفه وهو يدأب	٩٣

٢ تــذكّــر مــا أحصى الكتــاب فتــابــا وحــاذر مــن مسّ الــعــذاب عــقــابــا ٩٢

٣ أصبحت للتــقــوى بجـهلك تــدَّعـي دعــواك بــاطــلــةٌ إذا لــم تــقــلع ٨١

٤ هــل حين عمَّمــه المشيب وقنَّعــا ؟ أتــراه يصنــع في الهــدايــة مصنعــا ؟ ٩٠

٥ أتــطلب دنياً بعــد شيب قــذال ؟[1] وتــذكــر أيّــامــاً مضت ولــيــالي ؟ ٩٢

توجد جملة من هذه القصيدة في المنتخب ج ٢ ص ٤٥ ط بمبىء .

٦ فصلت صــروف الحــادثــات مفــاصلي وأصــاب سهم النــائبــات مــقــاتلي

قــطع الــزمــان عــرى قــواي وكلّمــا قــطع الــزمــان فمــا لــه من واصــلِ ٧٧

هذه القصيدة ذكرها شيخنا الطريحي في المنتخب ج ٢ ص ٣٦ .

٧ لــغيــرك يــا دنيــا ثــنيــت عِــنــانــي وذاك لأمــر عــن غِــنــاك عَــنــانــي ٩٩

توجد هذه القصيدة برمَّتها في المنتخب ج ٢ ص ٥٨ .

٨ لــبــنــي الــهــادي مــنــاحــي فــي غــدوّي ورواحــي

صــاح مــا قــلــبــي بــصــاح مــا لــحــزنــي مــن بــراح ١٠٥

٩ هــجــر الــغــمض وســادي وكــوى الــحــزن فــؤادي

فــحــيــاتــي فــي نــكــادي لــقــتــيــل ابــن زيــاد ٦٢

١٠ لــيتــنــي كــنــت فــداءً لــلحــســيــنْ وهــو بــالــطفِّ قــطيــع الــودجين

يــنــظر الشــمــر بــعــيــنٍ وبــعــيــنْ يــنــظر النســوة بيــن العســكــريــن ١٠٦

١١ بكيــت ومــا لــريعــان الشبــابِ ولا لــدروس مــنــزلــة خــراب

ولا لــفــوات عيش مســتــطابِ ولا لــفــراق زيــنــب والــربــاب ٨٠

١٢ صحبتــكِ لا أنِّي بــودِّك مــغــرمُ فبيني فغيــري في هــواكِ المتيَّم ٨٨

١٣ رحــل الشبــاب وإنّــه لــكــريــمُ وفــراغــه عــنــد النفــوس عــظيم ٨١

١٤ أزال الشبــاب الغضَّ عنــك مــزيــلُ فهــل أنت للبيض الحسان خليــل ؟ ٧٥

١٥ يمدح بها النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

عــرِّج على المصطفى يــا ســائق النجبِ عــرِّج على خيــر مبعــوث وخيــر نبي

---

(١) القذال بفتح القاف : مابين الأُذنين من مؤخر الرأس .

عرّج على السيّد المبعوث من مُضر ... عرِّج على الصادق المنعوت في الكتب
عرّج على رحمة الباري ونعمته ... عرِّج على الابطحيِّ الطاهر النسب
رآه آدم نوراً بين أربعة ... لألاؤها فوق ساق العرش من كَثب
فقال : يا ربّ مَن هذا ؟ فقيل له ... قول المحبِّ وما في القول من ريب
: هم أوليائي وهم ذرّيةٌ لكم ... فقرَّ عيناً ونفساً فيهمُ وطب
أما وحقِّهمُ لولا مكانهمُ ... منّي لما دارت الأفلاك بالقطب
كلّا ولا كان من شمسٍ ولا قمرٍ ... ولا شهابٍ ولا أُفقٍ ولا حجب
ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا شجرٍ ... للناس يهمي[1] عليه واكف السحب
ولا جنانٍ ولا نارٍ مؤجَّجة ... جعلت أعداءهم فيها مِن الحطب
وقال للملأ الأعلى : ألا أحدٌ ... يُنبي بأسمائهم صدقاً بلا كذب
فلم يجيبوا فأنبا آدمٌ بهمُ ... لها بعلم من الجبّار مُكتسب
فقال للملأ الأعلى : اسجدوا كملاً ... لآدم وأطيعوا واتّقوا غضبي
وصيَّر اللّه ذاك النّور ملتمعاً ... في الوجه منه بوعدٍ منه مرتقب
وخاف نوحٌ فناجى ربَّه فنجا ... بهم على دسر الألواح والخشب
وفي الجحيم دعا اللَّهَ الخليلُ بهم ... فأخمدت بعد ذاك الحرّ واللهب
وقد دعا اللَّهَ موسى إذ هوى صعقاً ... بحقِّهم فنجا من شدَّة الكرب
فظلَّ منتقلاً واللّه حافظه ... على تنقُّله مِن حادث النُّوب
حتّى تقسَّم في عبد الإله معاً ... وفي أبي طالب عن عبد مُطَّلب
فأودع اللّه ذاك القسم آمنةً ... يوماً إلى أجلٍ بالحمل مقترب
حتى إذا وضعته انهدَّ مِن فزع ... ركن الضلال ونادى الشرك بالحرب
وانشقَّ إيوان كسرى وانطفت حذراً ... نيرانهم وأقرَّ الكفر بالغلب
تساقطت أنجم الأملاك مؤذنةً ... بالرَّجم فاحترق الأصنام باللهب
حتّى إذا حاز سنَّ الاربعين دعا ... ربِّي به في لسان الوحي بالكتب
فقال : لبَّيك مِن داعٍ وأرسله ... إلى البرية من عُجم ومن عرب
فأظهر المعجزات الواضحات لهم ... بالبيِّنات ولم يحذر ولم يهب

---

(١) همى الماء يهمي همياً : سال لا يثنيه شيء . الواكف : المطر المنهل .

أراهم الآية الكبرى فواعجباً ... ما بالهم خالفوا ؟ من أعجب العجب
رامت بنو عمِّه تبييته سحراً ... فعاذ منهم رسول اللّه بالهرب
وبات يفديه خير الخلق حيدرةٌ[1] ... على الفراش وفي يمناه ذو شطب[2]
فأدبروا إذ رأوا غير الذي طلبوا ... وأوغلوا الرسول اللّه في الطلب
فرابهم عنكبٌ في الغار إذ جعلت ... تسدي وتلحم في أبرادها القَشَب
حتى إذا ردَّهم عنه الإلّه مضى ... ذاك النّجيب على المهريَّة النُّجب
فحلَّ دار رجال بايعوه على ... أعدائه فدماء القوم في صبب
في كلِّ يومٍ لمولى الخلق واقعةٌ ... منه على عابدي الأوثان والصلب
يمشي إلى حربهم واللّه ناصره ... مشي العفرناة في غاب القنا السلب
في فتية كالاسود المحذرات لها ... براثن[3] من رماح الخطِّ والقضب
عافوا المعاقل للبيض الحسان فما ... معاقل القوم غير البيض واليلب[4]
فالحقُّ في فرح والدينُ في مَرَح ... والشركُ في ترحٍ والكفر في نصب
حتّى استراح نبيُّ اللّه قاضيةً ... بهم وراحتهم في ذلك التعب
يا من به أنبياء اللّه قد ختموا ... فليس من بَعده في العالمين نبي
إن كنت في درجات الوحي خاتمهم ؟ ... فأنت أوَّلهم في أوَّل الرُّتب
قد بشّرت بك رسل اللّه في أُمم ... خلت فما كنت فيما بينهم بغبي[5]
شهدت أنَّك أحسنت البلاغ فما ... تكون في باطل يوماً بمنجذب
حتّى دعاك إلّهي فاستجبت له ... حبّاً ومَن يدعه المحبوب يستجب
وقد نصبت لهم في دينهم خلفاً ... وكان بعدك فيهم خير منتصب
لكنَّهم خالفوهُ وابتغوْا بدلاً ... تخيَّروه وليس النبع كالغرب[6]

---

(١) مر حديث ليلة المبيت في الجزء الثاني ص ٦٦

(٢) الشطب جمع الشطبة بضم الأول وكسره . الخط في متن السيف .

(٣) البرثن من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الإنسان جمع : براثن .

(٤) المعقل : الملجأ . البيض جمع بيضاء : السيف . اليلب : الترس أو الدروع اليمانية من الجلود . خالص الحديد .

(٥) المستور : المجهول .

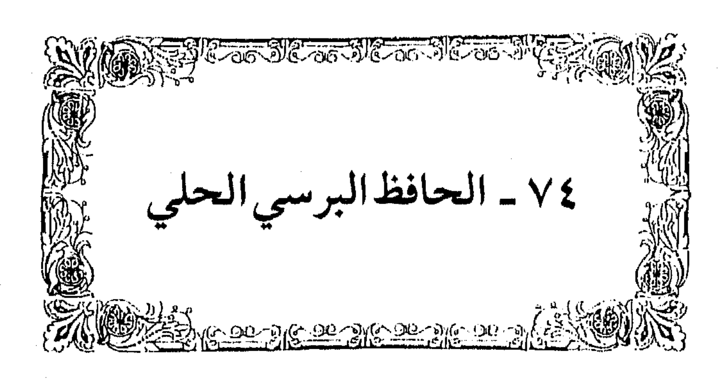
(٦) النبع : خروج الماء من العين . الغرب : الماء المقطر من الدلو بين الحوض والبئر .

ويقول فيها :

يا راكب الهوجل المحبوك تحمله[1] إلى زيارة خير العجم والعرب
إذا قضيت فروض الحجّ مكتملاً ونلتَ إدراك ما في النفس من إرب
وزرت قبر رسول الله سيِّدنا وسيِّد الخلق من ناءٍ ومُقترب
قِف موقفي ثمَّ سلّم لي عليه معاً حتى كأنِّي ذاك اليوم لم أغب
واثنِ السَّلام إلى أهل البقيع فلي بها أحبّة صبٌّ دائم الوصب
وبثّهم صبوتي طول الزمان لهم وقل بدمع على الخدَّين مُنسكب
: يا قدوة الخلق في علمٍ وفي عملٍ وأطهر الخلق في أصل وفي نسب
وصلتُ حبل رجائي في حبائلكم كما تعلّق في أسبابكم سببي
دنوت في الدين منكم والوداد فلو لادان لم يدن من أحسابكم حسبي
مديحكم مكسبي والدين مكتسبي ما عشت والظنُّ في معروفكم نشبي
فإن عدتني الليالي عن زيارتكم فإنَّ قلبي عنكم غير منقلب
قد سيط لحمي وعظمي في محبّتكم وحبّكم قد جرى في المخِّ والعَصب
هجري وبغضي لمن عاداكُم ولكم صدقي وحبّي وفي مدحي لكم طربي
فتارةً أنظم الأشعار ممتدحاً وتارةً أنشر الأقوال في الخطب
حتّى جعلت مقال الضدِّ من شبهٍ إذ صغت فيكم قريض القول من ذهب
أعملت في مدحكم فكري فعلّمني نظم المديح وأوصاني بذاك أبي
فهل أنال مفازاً في شفاعتكم ممّا احتقبت له في سائر الحقبِ ؟
فيا مغامس ! إحبس في مدائحهم تلك القوافي وأجر الله فاحتسب

---

(١) الهوجل : الناقة التي بها هوج من سرعتها . المحبوك : مشدود الوسط .



٧٤ - الحافظ البرسي الحلي

هـو الشّمس ؟ أم نـور الضّـريـح يلوحُ ؟ هـو المسـك ؟ أم طيب الـوصيِّ يفـوح؟
ويحـرُنـدا ؟ أم روضـةٌ حـوت الهـدى ؟ وآدم ؟ أم سـرُّ الـمـهـيـمـن نـوح ؟
وداودُ هـذا ؟ أم سـليـمـانُ بـعـده ؟ وهـارون ؟ أم مـوسى العصـا ومسيح ؟
وأحمـدُ هـذا المصـطفى ؟ أم وصيّـه عـليٌّ ؟ نـمـاه هـاشـمٌ وذبـيـح
محيط سـمـاء المجـد بـدرُ دجنَّـة وفـلكُ جـمـال لـلأنـام ويـوحُ[1]
حـبـيـب حـبيـب اللّه بـل سـرُّ سـرِّه وجـثـمـان أمـرٍ لـلخـلائـق روح
لـه النصُّ في (يـوم الغـديـر) ومـدحـه من اللّه في الـذكـر المبين صـريـح
إمـامٌ إذا مـا الـمـرء جـاء بـحـبِّـه فـمـيـزانـه يـوم الـمـعـاد رجـيـح
لـه شيـعـةٌ مـثـل الـنـجـوم زواهـرٌ لـهـا بيـن كـلِّ الـعـالـمين وضـوح
إذا قـاولـت فـالحـقُّ فيـمـا تـقـولـه بـه الـنـور بـادٍ واللسـان فـصـيـح
وإن جـاولت أو جـادلت عن مـرامهـا تـولَّـى العـدوُّ الجلد وهـو طـريـح
عـليـك سـلام اللّه يـا رايـة الـهـدى سـلامُ سـليـم يـغـتـدي ويـروح

وتأتي له قصيدة منها قوله :

مـولـى لـه بـغـديـر خـمّ بـيـعـة خضعت لهـا الأعنـاق وهي طـوايـح

---

(١) يوح : الشمس .

الشاعر :

الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلّي ، من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين في العلوم ، على فضله الواضح في فنِّ الحديث ، وتقدّمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته ، وتضلّعه في علم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها ، وبذلك كله تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقّة النظر ، وله في العرفان والحروف مسالك خاصّة ، كما أنَّ له في ولاء أئمة الدين عليهم السلام آراء ونظريّات لا يرتضيها لفيفٌ من الناس ، ولذلك رموه بالغلوّ والإرتفاع ، غير انّ الحقَّ أنّ جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلوّ وغير درجة النبوّة ، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله : إيّاكم والغلوّ فينا ، قولوا : إنّا عبيدٌ مربوبون . وقولوا في فضلنا ما شئتم[1] وقال الإمام الصادق عليه السلام : إجعلوا لنا ربّاً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم . وقال عليه السلام : اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا[2] .

وأنّى لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر ؟ وأنّى لنا الوقوف على غاية ما شرَّفهم الله به من ملكات فاضلة ، ونفسيّات نفيسة ؛ وروحيّات قدسيّة ، وخلائق كريمة ، ومكارم ومحامد ؟ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ؟ أو يمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ضلّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيَّرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الالبّاء ، وكلّت الشعراء ، وعجزت الأُدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه ، وفضيلة من فضائله ، وأقرّت بالعجز والتقصير ؛ وكيف يوصف بكلّه ؟ أو ينعت بكنهه ؟ أو يفهم شيء من أمره ؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ؟ لا . كيف ؟ وأنّى ؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ، فأين الإختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا[3] ؟ .

---

(١) الخصال لشيخنا الصدوق .

(٢) بصائر الدرجات للصفار .

(٣) من قولنا : فمن ذا الذي يبلغ . إلى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكليني ثقة الإسلام=

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمّة الهدى صلوات الله عليهم كلَّ هاتيك الشؤون وغيرها ممّا لا يتحمَّله غيرهم ، وكان في علماء قُم من يرمي بالغلوّ كلَّ من روى شيئاً من تلكم الأسرار حتى قال قائلهم : إنَّ أول مراتب الغلوّ نفي السهو عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن جاء بعدهم المحقِّقون وعرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً ، وهذه بليَّة مُني بها كثيرون من أهل الحقائق والعرفان ومنهم المترجم ، ولم تزل الفئتان على طرفي نقيض ، وقد تقوم الحرب بينهما على أشدِّها ، والصلح خير .

وفذلكة المقام أنَّ النفوس تتفاوت حسب جبلّاتها واستعدادتها في تلقّي الحقائق الراهنة ، فمنها ما تبهظه المعضلات والأسرار ، ومنها ما ينبسط لها فيبسط إليها ذراعاً ويمدُّ لها باعاً ، وبطبع الحال إنّ الفئة الأُولىٰ لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون ، كما أنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقَّقوه في مدحرة البطلان ، فهنالك تثور المنافرة ، وتحتدم الضغائن ، ونحن نقدِّر للفريقين مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحقِّ ونقول :

على المرء أن يسعى بمقدار جهده ... وليس عليه أن يكون موفَّقا

ألا إنَّ الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة[١] وقد تواتر عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام : انَّ أمرنا ، أو حديثنا . صعب مستصعب لا يتحمّله إلَّا نبيٌّ مرسلٌ أو ملكٌ مقرّبٌ ، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان[٢] إذن فلا نتحرّى وقيعة في علماء الدين ولا نمسُّ كرامة العارفين ، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه ، إذ لا يكلّف الله نفساً إلَّا وسعها . وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : لو جلست أُحدِّثكم ما سمعت من فم أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم لخرجتم من عندي وأنتم تقولون : إنَّ عليّاً من أكذب الكاذبين[٣] .

= في أُصول الكافي ص ٩٩ عن الإمام الرضا صلوات الله عليه .

(١) حديث ثابت عند الفريقين .

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٦ ، أُصول الكافي ص ٢١٦ .

(٣) منح المنة للشعراني ص ١٤ .

وقال إمامنا السيّد السجاد عليه السلام : لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق[1] وكلًّا وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً .

وإلى هذا يشير سيّدنا الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام بقوله :

إنّي لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ	إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
فربّ جوهر علمٍ لو أبوح به	لقيل لي : أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجالٌ مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا[2]

ولسيّدنا الأمين في أعيان الشيعة ج ٣١ ص ١٩٣ ـ ٢٠٥ في ترجمة الرجل كلمات لا تخرج عن حدود ما ذكرناه وممّا نقم عليه به اعتماده على علم الحروف والأعداد الذي لا تتمّ به برهنة ولا تقوم به حجّة ، ونحن وإن صافقناه على ذلك إلّا أنَّ للمترجم له ومن حذا حذوه من العلماء كابن شهرآشوب ومن بعده عذراً في سرد هاتيك المسائل فإنها أشبه شيء بالجدل تجاه من ارتكن إلى أمثالها في أبواب أُخرى من علماء الحروف من العامّة كقول العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٥ : قال بعض علماء الحروف : يؤخذ دوام ناموس آل الصدّيق وقيام عزّته إلى انتهاء الدنيا من سرّ قوله تعالىٰ : ﴿في ذريّتي﴾ . فإن عدّتها بالجمل الكبير ألف وأربعمائة وعشرة وهي مظنّة تمام الدنيا كما ذكره بعضهم فلا يزالون ظاهرين بالعزّة والسيادة مدّة الدنيا ، وقد استنبط تلك المدّة عمدة أهل التحقيق مصطفى لطف الله الرزنامجي بالديوان المصري من قوله تعالىٰ : **﴿لا يلبثون خلافك إلّا قليلا﴾** ، قال ما لفظه : إذا أسقطنا مكرّرات الحروف كان الباقي (ل ا ي ب ث و ن خ ف ك ق) أحد عشر حرفاً عددهم بالجمل الكبير ألف وثلاثمائة وتسعة وتسعين زدنا عليه عدد الحروف وهو أحد عشر صار المجموع وهو ألف وأربعمائة وعشرة

---

(١) بصائر الدرجات للصفار ص ٧ آخر الباب الحادي عشر من الجزء الأوّل . أُصول الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢١٦ .

(٢) تفسير الالوسي ج ٦ ص ١٩٠ .

وهو مطابق لقوله تعالىٰ : ﴿ذريّتي﴾ . وسمعت ختام الأعلام شيخنا الشيخ يوسف الفيشي رحمه الله يقول : قال محمّد البكري الكبير : يجلس عقبنا مع عيسى بن مريم على سجّادة واحدة وهذا يقوي تصحيح ذلك الاستنباط . ا هـ .

ونحن لا ندري ماذا يعني سيّدنا الأمين بقوله : وفي طبعه شذوذٌ وفي مؤلّفاته خبطٌ وخلطٌ وشيءٌ من المغالاة لا موجب له ولا داعي إليه وفيه شيءٌ من الضرر وإن أمكن أن يكون له محل صحيح ؟ ليت السيِّد يوعز إلى شيء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل حتى لا يبقى قوله دعوى مجرَّدة . وبعد اعترافه بإمكان محمل صحيح لما أتى به المترجم له فأيّ داعٍ إلى حمله على الخبط والخلط ، ونسيان حديث : ضع أمر أخيك على أحسنه ؟ وأيّ ضرر فيه على ذلك التقدير ؟ على أنّا سبرنا غير واحد من مؤلّفات البرسي فلم نجد فيه شاهداً على ما يقول ، وستوافيك نبذٌ ممتعة من شعره الرائق في مدائح أهل البيت عليهم‌السلام ومراثيهم وليس فيها إلّا إشادة إلى فضائلهم المسلّمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى ، فأين يقع الإرتفاع الذي رماه به بعضهم ؟ وأين المغالاة التي رآها السيِّد ؟ والبرسي لا يحذو في كتبه إلّا حذو شعره المقبول ، فأين مقيل الخبط والضرر والغلو التي حسبها سيِّد الأعيان ؟ .

وأمّا ما نقم به عليه من اختراع الصَّلوات والزيارة بقوله : (واختراع صلاة عليهم وزيارة لهم لا حاجة إليه بعدما ورد ما يغني عنه ولو سلّم أنّه في غاية الفصاحة كما يقول صاحب الرياض) فإنّه لا مانع منه إلّا ما يوهم المخترع أنّها مأثورة ، وأيّ وازع من إبداء كلِّ أحد تحيَّته بما يجريه الله تعالىٰ على لسانه وهو لا يقصد وروداً ولا يريد تشريعاً ؟ وقد فعله فطاحل العلماء من الفريقين ممَّن هو قبل المترجم وبعده ، ولا تسمع أُذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أيِّ أحد من أعلام الأُمَّة .

وأمّا قول سيِّدنا : «وإنَّ مؤلفاته ليس فيها كثير نفع وفي بعضها ضررٌ ولله في خلقه شؤون سامحه الله وإيَّانا» . فإنَّه من شطفة القلم صدر عن المشطف[1] سامحه الله وإيَّانا .

---

(١) المشطف كمنبر : من يعرض بالكلام على غير القصد .

تـآليفـه القيّمة :

١ ـ مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين .

٢ ـ مشارق الأمان ولباب الإيمان ألّفه سنة ٨١٣ .

٣ ـ رسالة في الصّلوات على النبيِّ وآله المعصومين .

٤ ـ رسالة في زيـارة أمير المؤمنين طـويلة قال شيخنـا صاحب الـرياض : في نهـاية الحسن والجزالة واللطافة والفصاحة معروفة .

٥ ـ رسالة اللمعة من أسرار الأسمـاء والصفات والحـروف والآيات والـدعوات فيهـا فوائد ولا تخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض .

٦ ـ الـدرّ الثمين في خمسمـائـة آيـة نـزلت في مـولانـا أميـر المؤمنين بـاتّفـاق أكثـر المفسِّرين من أهل الدين ، ينقل عنه المولى محمَّد تقي الزنجاني في كتابـه : طريق النجاة .

٧ ـ أسرار النبيِّ وفاطمة والأئمّة عليهم السلام .

٨ ـ لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد في أُصول العقائد .

٩ ـ تفسير سورة الإخلاص .

١٠ ـ رسالة مختصرة في التوحيد والصّلوات على النبيِّ وآله .

١١ ـ كتاب في مولد النبيِّ وعليٍّ وفاطمة وفضائلهم .

١٢ ـ كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق .

١٣ ـ كتاب الألفين في وصف سادة الكونين .

شعـــره الرائـــق :

للحافظ البرسي شعرٌ رائق وجلّه بل كلّه في مـدائح النبيِّ الأقـدس وأهل بيتـه الطاهر صلوات الله عليهم ويتخلّص في شعره بـ (الحافظ) ومن شعره يمدح به النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

أضــاء بــك الأُفــق المشــرقُ ... ودان لـمنـطقـك الـمـنـطق
وكــنــتَ ولا آدم كــائـنــاً ... لأنَّــك مــن كــونــه أسـبــق

أشار بهذا البيت إلى ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : كنت أوَّل الناس في الخلق وآخرهم في البعث .

أخرجه ابن سعد في الطبقات . والطبري في تفسيره ج ٢١ ص ٧٩ ، وأبو نعيم في الدلائل ج ١ ص ٦ وذكره ابن كثير في تأريخه ج ٢ ص ٣٠٧ ، والغزالي في المضنون الصغير هامش الإنسان الكامل ج ٢ ص ٩٧ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٣ ، والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٦٤ .

وفي حديث الإسراء : إنَّك عبدي ورسولي وجعلتك أوَّل النبيِّين خلقاً وآخرهم بعثاً[١] وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم : أوَّل ما خلق الله نوري[٢] وتواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم من طرق صحيحة : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين . أو : بين الروح والجسد . أو : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه .

ولــولاك لـم تخلق الكـائـنــات ... ولا بــان غــربٌ ولا مــشــرق

أشار به إلى ما أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦١٥ والبيهقي ، والطبراني ، والسبكي ، والقسطلاني ، والعزامي ، والبلقيني ، والزرقاني وغيرهم من طريق ابن عبّاس قال : أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى آمن بمحمَّد وأمر من أدركه من أُمّتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمَّد ما خلقت الجنّة ولا النار .

ومن طريق عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لمّا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحقِّ محمَّد لما غفرت لي فقال الله يا آدم ! وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنَّك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله ، فعلمت أنَّك لم تضف إلى اسمك إلَّا أحبَّ الخلق إليك . فقال الله :

---

(١) مجمع الزوائد ج ١ ص ٧١ .
(٢) السيرة الحلبيّة ج ١ ص ١٥٩ .

صدقت يا آدم ! إنّه لأحبُّ الخلق إليَّ ادعني بحقِّه قد غفرت لك . ولولا محمّد ما خلقتك .

فميمك مفتاح كلِّ الوجود ... وميمك بالمنتهى يغلقُ
تجلّيت يا خاتم المرسلين ... بشأوٍ من الفضل لا يُلحق
فأنت لنا أوّلٌ آخرٌ ... وباطن ظاهرك الأسبق

في هذه الأبيات إشارةٌ إلى أسمائه الشريفة : الفاتح ، الخاتم . الأوّل . الآخر . الظاهر . الباطن . راجع المواهب للزرقاني ج ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

تعاليت عن صفة المادحين ... وإن أطنبوا فيك أو أغمقوا
فمعناك حول الورى دارةٌ ... على غيب أسرارها تحدق
وروحك من ملكوت السَّماء ... تنزَّل بالأمر ما يُخلق
ونشرك يسري على الكائنات ... فكلٌّ على قدره يعبق
إليك قلوب جميع الأنام ... تحنُّ وأعناقها تعنق
وفيض اياديك في العالمين ... بأنهار أسرارها يدفق
وآثار آياتك البيِّنات ... على جبهات الورى تشرق
فموسى الكليمُ وتوراته ... يدلّان عنك إذا استنطقوا
وعيسى وإنجيله بشّرا ... بأنَّك أحمدُ مَن يُخلق
فيا رحمة اللّه في العالمين ... ومَن كان لولاه لم يُخلقوا
لأنَّك وجه الجلال المنير ... ووجه الجمال الذي يشرق
وأنت الأمينُ وأنت الأمان ... وأنت ترتِّق ما يُفتق
أتى رجبٌ لك في عاتقٍ ... ثقيل الذنوب . فهل تعتق؟

وله يمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

العقل نورٌ وأنت معناهُ ... والكون سرٌّ وأنت مبداه
والخلق في جمعهم إذا جمعوا ... الكلّ عبدٌ وأنت مولاه
أنت الوليُّ الذي مناقبه ... ما لعلاها في الخلق أشباه
يا آية اللّه في العباد ويا ... سرَّ الذي لا إلٓه إلاَّ هو !

تناقض العالمون فيك وقد ... حاروا عن المهتدى وقد تاهوا
فقال قومٌ : بأنّه بشرٌ ... وقال قومٌ : بأنّه اللّهُ
يا صاحب الحشر والمعاد ومَن ... مولاه حكم العباد ولاّه !
يا قاسم النار والجنان غداً ... أنت ملاذ الراجي ومنجاه
كيف يخاف البرسيُّ حرَّ لظى ... وأنت عند الحساب غوثاه ؟
لا يختشي النار عبد حيدرةٍ ... إذ ليس في النار مَن تولاّه

وله في مدح مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله :

أيّها اللائم دعني ... واستمع من وصف حالي
كلّما ازددت مديحاً ... فيه قالوا : لا تغال
وإذا أبصرت في الحـ ... ـقِّ يقيناً لا أُبالي
آية اللّه التي في ... وصفها القول حلا لي
كم إلى كم أيّها العا ... ذل أكثرت جدالي ؟
يا عذولي في غرامي ... خلّني عنك وحالي
رُح إلى مَن هو ناج ... واطّرحني وضلالي
إنّ حبّي لوصيِّ الْـ ... مصطفى عين الكمال[١]
هو زادي في معادي ... ومعاذي في مآلي
وبه إكمال ديني ... وبه ختم مقالي

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله :

بأسمائك الحسنى أُروِّح خاطري ... إذا هبَّ من قدس الجلال نسيمها
لئن سقمت نفسي فأنت طبيبها ... وإن شقيت يوماً فمنك نعيمها
رضيت بأن ألقى القيامة خائفاً ... دماء نفوسٍ حاربتك جسومها
أبا حسن لو كان حبّك مدخلي ... جحيماً لكان الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النار من كان موقناً ... بأنّك مولاهُ وأنت قسيمها ؟

---

(١) إنّ حبّي لعليّ المر ... تضى عين الكمال [خ ل]

فواعجباً من أُمَّة كيف ترتجي ... من اللّه غفراناً وأنت خصيمها ؟
وواعجباً إذ أخَّرتك وقدَّمت ... سواك بلا جرمٍ وأنت زعيمها

وقال في مدح مولانا أبي السبطين سلام الله عليه :

تعالىٰ عليٌّ في الجلال فرائدُ ... يعود وفي كفَّيه منه فرائد
ووارد فضلٍ منه يصدر عزلها ... تضيق بها منه اللها والأوارد
تبارك موصولاً وبورك واصلاً ... له صلةٌ في كلِّ نفسٍ وعائد
روى فضله الحسّاد من عظم شأنه ... وأعظم فضلٍ جاء يرويه حاسد
محبّوه أخفوا فضله خيفة الهدى ... وأخفاه بغضاً حاسدٌ ومعاند
فشاع له ما بين ذين مناقبٌ ... تُجلُّ بأن تُحصى إذا عدَّ قاصد
إمامٌ له في جبهة المجد أنجمٌ ... علت فعلت إن يدن منهنَّ راصد
لها الفرق من فرع السماك منابرٌ ... وفي عنق الجوزاء منها قلائد
مناقب إذ جلَّت جلت كلَّ كربة ... وطابت فطابت من شذاها المشاهد
إمامٌ يحار الفكر فيه فعابدٌ ... له ومقرٌّ بالولاء وجاهد
إمامٌ مبينٌ كلَّ أُكرومة حوى ... بمدحته التنزيل والذكر شاهد
عليه سلام اللّه ما ذكر اسمه ... محبٌّ وفي البرسيِّ ذلك خالد

وله في سيِّد العترة أمير المؤمنين عليه وعليهم السَّلام :

أبديتَ يا رجب الغريبْ ... فقيل : يا رجب المرجَّب
أبديت للسرِّ المصو ... ن المضمر الخافي المغيَّب
وكشفت أستاراً وأسرا ... راًعن الأشرار تُحجب
حلَّ الورى فإذا الظوا ... هر فضَّةٌ والبطن أسرب
إلاَّ قليلاً من رجا ... لٍ أصلهم زاك مهذَّب
وكتبتَ ما بالنورِ منـ ... ـهُ على خدود الحور يكتب
فلذاك أضحى الناس قلـ ... ـباً من قوى الجهل المركّب
رجلٌ يحبُّ ومبغضٌ ... قالٍ وحزب اللّه أغلب
وطويلُ أنف إن رآ ... ني مُقبلاً وَلّى وقطّب

فـي أُمِّـه شـكٌّ بـلا شـكّ ولـو صـدقت لأنجب
يـزورُّ إن سـمـع الـحـديـث إلى أميـر النحـل يُنسب
وتـراه إن كـرّرت ذكـر فضـائـل الكـرّار يغضب

ولـه رائية غـرّاء رنّانـة يمدح بهـا أمير المؤمنين عليه السلام خمّسهـا ابن السبعي[1] نذكرها معه :

أعيت صفـاتك أهـل الـرأي والنـظرِ وأوردتهم حيـاض العـجـز والخـطر
أنـت الّـذي دقَّ مـعـنـاه لـمـعـتبـر يـا آيـة الـلّه بـل يـا فتنـة البشـر
وحـجّـة الـلّه بـل يـا مـنـتـهـى الـقَـدَر

عن كشف معناه ذو الفكر الـدقيق وَهَنْ وفيـك ربُّ العلى أهـل العقـول فتن
أنّى بحـدّك يـا نـور الإلـه فـطنْ ؟ يـا من إليـه إشـارات العقـول ومـن
فـيـه الألـبّـاء تـحـت الـعـجـز والـخـطر

ففي حـدوثـك قـومٌ في قـواك غـووا إن أبصـروا منـك أمـراً معجـزاً فغَلوا
حيّـرت أذهـانهم يـا ذا العـلا فعَلوا هيّمت أفكـار ذي الأفكـار حيـن رأوا
آيـات شـأنـك فـي الأيّـام والـعـصـر

أوضحت للنّاس أحكـامـاً محـرّفـةً كـمـا أتيت أحـاديثـاً مـصـحّـفـةً
أنـت المقـدّم أسـلافـاً وسـالفـةً يا أوّلًا آخـراً نـوراً ومـعـرفـة
يـا ظـاهـراً بـاطـنـاً في الـعـيـن والأثـر

يـا مطعم القرص للعـافي الأسيـر ومـا ذاق الطعـام وأمسى صـائمـاً كـرمـا
ومُـرجع القـرص إذ بحـر الظّلام طمـا لـك العبـارة بـالنـطق البليـغ كمـا
لـك الإشـارة فـي الآيـات والـسّـور

أنـوار فـضـلك لا تطفى لـهـنّ عـدا ممّـا يكـتّمـه أهـل الـضـلال بـدا
تخـالفت فيـك أفكـار الـورى أبـدا كم خـاض فيـك أُنـاس وانتهى فغـدا
مـعـنـاك مـحـتـجـبـاً عـن كـلِّ مـقـتـدر ؟

---

(١) العلامة الحجة الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد الاحسائي نزيل الهند والمتوفّى بها من تلمذة ابن المتوج وقرناء ابن فهد الحلي المتوفّى سنة ٨٤١ .

لولاك ما اتّسقت للطُّهر ملّتهُ ... كلّا ولا اتّضحت للناس شرعته
ولا انتفت عن أسير الشكِّ شبهتهُ ... أنت الدليل لمن حارت بصيرته
في طيِّ مشتبكات القول والعبر

أدركتَ مرتبة ما الوهم يدركها ... وخُضت مَن غمرات الحرب مهلكها
مولاي يا مالك الدنيا وتاركها ... أنت السفينة مَن صدقاً تمسّكها
نجا ومن حاد عنها خاض في الشرر

مِن نور فضلك ذو الأفكار مقتبس ... ومن معالم ربّ العلم مختلس
لولا بيانك أمر الكلّ ملتبسٌ ... فليس قبلك للأفكار ملتمس
وليس بعدك تحقيقٌ لمعتبر

جاءت بتأميرك الآيات والصحفُ ... فالبعض قد آمنوا والبعض قد وقفوا
لولاك ما اتفقوا يوماً ولا اختلفوا ... تفرَّق الناس إلّا فيك وائتلفوا
فالبعض في جنّةٍ والبعض في سقر

خير الخليفة قومٌ نهجك اتّبعتْ ... وشرُّها مَن على تنقيصك اجتمعت
وفرقةٌ أوّلت جهلاً لما سمعتْ ... فالناس فيك ثلاثٌ فرقةٌ رُفعت
وفرقةٌ وقعت بالجهل والقذر

يا ويحها فرقة ما كان يمنعها ... لو أنّها اتّبعت ما كان ينفعها
يا فرقة غيّها بالشوم موقعها ... وفرقة وقعت لا النّور يرفعها
ولا بصائرها فيها بذي غور

بعظم شأنك كلُّ الصّحف تعترفُ ... ومن علومك ربُّ العلم يقترف
لولاك ما اصطلحوا يوماً وما اختلفوا ... تصالح الناس إلّا فيك واختلفوا
إلّا عليك وهذا موضع الخطر

جاءت بتعظيمك الآيات والسّورُ ... فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا
والبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا ... وكم أشاروا ! وكم أبدوا ! وكم ستروا !
والحقّ يظهر مِن بادٍ ومستتر

أقسمت باللّه باري خلقنا قسما ... لولاك ما سمَّك اللّه العليُّ سما
يا مَن له إسمٌ بأعلى العرش قد رُسما ... أسماؤك الغرُّ مثل النيّرات كما

صفاتك السبع كالأفلاك ذي الأكر

أنت العليمُ إذارَبُّ العلوم جهلْ إذكلُّ علم فشى في الناس عنك نقل

وأنت نجم الهدى تهدي لكلِّ مضلْ وولدك الغرُّ كالأبراج في فلك ال

معنى وأنت مثال الشمس والقمر

أئمَّةٌ سور القرآن قد نطقتْ بفضلهم وبهم طرق الهدى اتَّسقت

طوبى لنفسٍ بهم لا غيرهم وثقتْ قومٌ هم الآل آل اللّه مَن علقت

بهم يداه نجا مِن زلّة الخطر

عليهمُ محكم القرآن قد نزلا مفصّلاً من معاني فضلهمُ جملا

هم الهداة فلا تبغي لهم بدلا شطر الأمانة معراج النجاة إلى

أوج العلوم وكم في الشطر من غير !

بلطف سرِّك موسى فجَّر الحجرا وأنت صاحبه إذ صَاحبَ الخضرا

وفيك نوحٌ نجا والفلك فيه جرى يا سرَّ كلّ نبيٍّ جاء مشتهرا

وسرَّ كل نبيٍّ غير مشتهر

يلومني فيك ذو جهل أخو سفهِ ولا يضرّ محقّاً قول ذي شُبه

ومن تنزَّه عن ندٍّ وعن شَبهِ أُجلُّ وصفك عن قدرٍ لمشتبه

وأنت في العين مثل العين في الصور

ولهُ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام :

يا منبع الأسرار يا سرَّ المهيمن في الممالك !

يا قطب دائرة الوجود وعين منبعه كذلك !

والعين والسرَ الذي منه تلقَّنت الملائك

ما لاح صبحٌ في الدجى[1] إلاَّ وأسفر عن جمالك

يابن الأطايب والطواهر والفواطم والعواتك !

أنت الأمان من الرَّدى أنت النجاة من المهالك

أنت الصِّراط المستقيم قسيم جنَّات الأرائك

---

(١) ما لاح صبح للهدى. كذا في بعض النسخ .

والنار مفزعها إليك | وأنت مالك أمر مالك
يا من تجلّى بالجمالِ | فشقَّ بردة كلِّ حالك !
صلّى عليك اللّه من | هادٍ إلى خير المسالك
والحافظ البرسيّ لا | يخشى وأنت له هنالك

وله أبيات في أهل البيت عليهم السلام خمّسها الشاعر المفلق الشيخ أحمد بن الحسن النحوي نذكرها مع تخميسها :

ولائي لآل المصطفى وبنيهمُ | وعترتهم أزكى الورى وذَويهم
بهم سمةٌ من جدِّهم وأبيهمُ | هم القوم أنوار النبوَّة فيهم

تلوح وآثار الإمامة تلمعُ

نجومُ سماء المجد أقمارُ تِمِّهِ | معالمُ دين اللّه أطوادُ حلمه
منازلُ ذكر اللّه حكَّام حكمهِ | مهابطُ وحي اللّه خزّان علمه

وعندهمُ سرُّ المهيمن مودع

مديحهمُ في محكم الذّكر محكَمُ | وعندهمُ ما قد تلقَّاه آدم
فدَع حكم باقي الناس فهو تحكّمُ | إذا جلسوا للحكم فالكلُّ أبكم

وإن نطقوا فالدّهرُ أُذنٌ ومسمع

يحبِّهمُ طاعاتنا تتقبَّلُ | وفي فضلهم جاء الكتاب المنزَّل
يعمُّ شذاهم كلَّ أرض ويشملُ | وإن ذكروا فالكون نَدٌّ ومندل[١]

لهم أرجٌ من طيبهم يتضوَّع

دعا بهمُ موسى ففرَّج كربهُ | وكلّمه من جانب الطور ربّه
إذا حاولوا أمراً تسهَّل صعبهُ | وإن برزوا فالدَّهر يخفق قلبه

لسطوتهم والأُسد في الغاب تفزع

فلولاهمُ ما سار فلكٌ ولا جرى | ولا ذرأ اللّه الأنام ولا برى
كرامٌ متى ما زرتهم عجّلوا القِرى | وإن ذُكر المعروف والجود في الورى

فبحر نداهم زاخرٌ يتدفَّع

---

(١) النَدّ بفتح المعجمة و كسرها : عود يتبخر به . المندل : العود الطيب الرائحة .

أبوهم أخو المختار طه ونفسهُ　　وهم فرع دوحٍ في الجلالة غرسه
وأمّهم الزهراء فاطم عرسهُ　　أبوهم سماء المجد والأُمّ شمسه
نجومُ لها برج الجلالة مطلع
لهم نسبٌ أضحى بأحمد معرقا　　رقى منه للعلياء أبعد مرتقى
وزادهمُ من رونق القدس رونقا　　فيا نسباً كالشمس أبيض مشرقا
ويا شرفاً من هامة النجم أرفع
كرامٌ نماهم طاهرٌ متطهِّر　　وبُثَّ بهم من أحمد الطُّهر عنصر
وأُمُّهم الزهراء والأب حيدرُ　　فمن مثلهم في الناس إن عُدّ مفخر
أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمع
عليٌّ أمير المؤمنين أميرهم　　وشُبَّرهم أصل التُّقى وشبيرهم
بَهاليلُ صوّامون فاح عبيرهمْ　　ميامين قوّامون عزَّ نظيرهم
هداةٌ ولاةٌ للرسالة منبع
مناجيب ظلُّ الله في الأرض ظلُّهمْ　　وهم معدنٌ للعلم والفضل كلُّهم
وفضلهمُ أحيا البرايا وبذلهمْ　　فلا فضل إلّا حين يُذكر فضلهم
ولا علم إلّا علمهم حين يرفع
إليهم يفرُّ الخاطئون بذنبهمْ　　وهم شفعاء المذنبين لربِّهم
فلا طاعةٌ ترضى لغير محبّهمْ　　ولا عملٌ ينجي غداً غير حبِّهم
إذا قام يوم البعث للخلق مجمع
حلفتُ بمن قد أمّ مكّة وافدا　　لقد خاب مَن قد كان للآل جاحدا
ولو أنّه قد قطّع العمر ساجدا　　ولو أنَّ عبداً جاء لِلَّه عابدا
بغير ولا أهل العبا ليس ينفع
بني أحمد ! مالي سواكم أرى غدا　　إذا جئت في قيد الذنوب مقيَّدا
أُناديكمُ يا خير مَن سمع الندا　　أيا عترة المختار يا راية الهدى !
إليكم غداً في موقفي أتطلّع
فواللَّه لا أخشى من النار في غدِ　　وأنتم وُلاة الأمر يا آل أحمد !
وها أنا قد أدعوكمُ رافعاً يدي　　خذوا بيدي يا آل بيت محمَّد !

فَمَن غيركم يوم القيامة يشفع ؟

وهذه القصيدة خمّسها الشيخ هادي المتوفى سنة ١٢٣٥ ، ابن الشيخ أحمد النحوي المخمِّس المذكور أوّل تخميسه :

بنو أحمد قد فاز مَن يرتضيهمُ ... أئمّة حقٍّ للنجا يرتضيهم
وطوبى لمن في هديه يقتضيهمُ ... هم القوم أنوار النبوّة فيهم
تلوح وآثار الإمامة تلمع

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم قوله :

فرضي ونفلي وحديثي أنتمُ ... وكلُّ كلّي منكمُ وعنكم
وأنتمُ عند الصّلاة قبلتي ... إذا وقفت نحوكم أيمّم
خيالكم نصبٌ لعيني أبداً ... وحبُّكم في خاطري مخيّم
يا سادتي وقادتي أعتابكم ... بجفن عيني لثراها ألثم
وقفاً على حديثكم ومدحكم ... جعلت عمري فاقبلوه وارحموا
مُنّوا على الحافظ مِن فضلكمُ ... واستنقذوه في غدٍ وأنعموا

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم قوله :

يا آل طاها أنتمُ أملي ... وعليكمُ في البعث متّكلي
إن ضاق بي ذنبٌ فحبُّكمُ ... يوم الحساب هناك يوسع لي
بولاءكم وبطيب مَدحكمُ ... أرجو الرّضا والعفو عن زللي
رجب المحدّث عبد عبدكمُ ... والحافظ البرسي لم يزلِ
لا يختشي في الحشر حرَّ لظى ... إذ سيِّداه محمَّدٌ وعلي
سيثقّلان وزان صالحه ... ويُبيِّضان صحيفة العمل
لم ينشعب فيكون منطلقاً ... من ضلّةٍ للشعب ذي الظلل

وله مسمِّطاً فيهم صلوات الله عليهم قوله :

سرُّكم لا تناله الفكرُ ... وأمركم في الورى له خطر
مستصعبٌ فكُّ رمزه خطرُ ... ووصفكم لا يطيقه البشر

ومدحكم شرّفت به السور

وجودكم للوجود علّته ... ونوركم للظّهور آيته

وأنتمُ للوجود قبلته ... وحبُّكم للمحبِّ كعبته

يسعى بها طائفاً ويعتمر

لولاكمُ ما استدارت الأُكرُ ... ولا استنارت شمسٌ ولا قمر

ولا تدلّى غصنٌ ولا ثمرُ ... ولا تندّى ورقٌ ولا خضر

ولا سرى بارقٌ ولا مطر

عندكمُ في الإياب مجمعنا ... وأنتمُ في الحساب مفزعنا

وقولكم في الصراط مرجعنا ... وحبّكم في النشور ينفعنا

به ذنوب المحبِّ تُغتفر

يا سادةً قد زكت معارفهمْ ... وطاب أصلاً وساد عارفهم

وخاف في بعثه مخالفهمْ ... إن يختبر للورى صيارفهم

فأصلهم بالولاء يُختبر

أنتم رجائي وحبّكم أملي ... عليه يوم المعاد متّكلي

فكيف يخشى حرَّ السعير ولي ... وشافعاه محمَّدٌ وعلي ؟

أو يعتريه من شرِّها شررُ ؟

عبدكم الحافظ الفقير على ... أعتاب أبوابكم يروم فلا

تخيّبوه يا سادتي ! أملا ... وأقسموه يوم المعاد إلى

ظلٍّ ظليلٍ نسيمه عطر

صلّى عليكم ربُّ السّماء كما ... أصفاكمُ واصطفاكمُ كرما

وزاد عبداً والاكمُ نعما ... ما غرَّد الطير في الغصون وما

ناح حمامٌ وأورق الشجر

وله في العترة الطاهرة وسيِّدهم صلوات الله عليه وعليهم قوله :

إذا رمتَ يوم البعث تنجو من اللظى ... ويُقبل منك الدين والفرض والسنن

فوال عليّاً والأئمّة بعده ... نجوم الهدى تنجو من الضيق والمحن

فهم عترةٌ قد فوَّض اللّه أمره ... إليهم لما قد خصَّهم منه بالمنن

أئـمّـة حـقٍّ أوجـب الـلّـه حـقّـهـم ... وطـاعتهم فـرضٌ بهـا الخلق تمتحن
نصحتـك أن تـرتـاب فيـهم فـتنـثني ... إلى غيرهم مَن غيرهم في الأنـام مَن ؟
فـحـبُّ عـليٍّ عـدّةٌ لـولـيِّـه ... يُـلاقيـه عنـد المـوت والقبـر والكفن
كـذلـك يـوم البعث لم ينـج قـادمٌ ... مـن النـار إلاّ مَـن تـولّى أبـا الـحسن

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

يميناً بنا حـادي السّرى إن بـدت نجدُ ... يمينـاً فللعـاني العـليـل بهـا نـجـد
وعُـج فعسى من لاعـج الشـوق يشتفي ... غـريم غـرامٍ حشـو أحشـائـه وقـد
وسـربي لسـربٍ فيـه سـربُ جـآذر ... لسـربي من جهـد العهـاد بهم عـهـد
ومُـربي بليـل في بليـلِ عـراصهـا ... لأروى بـريّـا تـربـة تـربـهـا نـدُّ
وقـف بي أُنـادي وادي الأيـك علّني ... هنـاك أرى ذاك المسـاعـد يا سعـد !
فبـالـرَّبـع لي من عهـد جَيـرون جيـرةٌ ... يُجيـرون إن جـار الـزمـان إذا استعـدوا
هـم الأهـل إلاَّ أنَّـهـم لـي أهـلَّةٌ ... سـوى أنَّهم قـصـدي وأنّي لـهم عـبـد
عـزيـزونٌ ربـع العمـر في ربـع عزِّهم ... تـقـضَّـى ولا روعٌ عـرانـي ولا جـهـد
وربعي مُخضـرٌّ وعيشي مخضـلٌ ... ووجـهـيَ مُـبـيضٌ وفـودي مُـسـودُّ
وشـملي مـشـمـولٌ وبُـرد شـبيبـتي ... قشيبٌ وبـرد العيش مـا شـانـه نكـد
معـالـم كـالأعـلام معلمـة الـرُّبـى ... فـأنهـارهـا تجري وأطيـارهـا تشـدو
طـوت حادثـات الـدهـر منشـور حسنهـا ... كمـا رسمت في رسمهـا شمـألٌ تغـدو
وأضحت تجـرُّ الحـادثـات ذيـولهـا ... عـليـه ولا دعـدٌ هـنـاك ولا هِـنـد
ولا غـرو إن جـارت ومـارت صـروفهـا ... وغارت وأغرت واعتدت واغتدت تشـدو
فـقـد غـدرت قِـدمـاً بـآل محـمّـد ... وطـاف عليهم بـالـطفـوف لهـا جنـد
وجـاشت بجيشٍ جـاش طـامٍ عـرمـرمٍ ... خميس لهـامٍ حـام يُحمـومـه اسـد[1]

(١) طام من طمى يطمي الفرس : أي اسرع . ويُقال : البحر الطامي : أي الغزير . العرمـرم : الجيش الكثيـر . الخميس : الجيش ذات خمس فرق : المقـدمـة . القلب ، الميمنـة ، الميسرة ، الساقة. اللهـام : الجيش العظيم . حام أي دار بـه . اليحموم : اسم فـرس الإمام السبط الحسين ، وفرس هشام بن عبـد الملك ، وفرس حسـان الطائي ، وفـرس النعمان بن المنذر .

وعمّت بأشرار عن الرشد قد عَموا ... وهل يسمع الصمّ الدعاء إذا صدّوا ؟
فيا أُمّةً قد أدبرت حين أقبلت ... فراقها نحسٌ وفارقها سعد
أبت إذ أتت تنأى وتنهى عن النهى ... وولّت وألوت حين مال بها الجدُّ
سرت وسرت بغياً وسرّت بغيّها ... بغيّاً دعاها إذ عداها به الرشد
عصابة عصب[1] أوسعت إذ سعت إلى ... خطاء خطاها والشقاء بها يحدو
أثاروا وثاروا ثار بدرٍ وبادروا ... لحرب بُدورٍ مِن سناها لهم رشد
بغت فبغت عمداً قتال عميدها ... صدور طغاة في الصدور لها حقد
وساروا يسنّون العناد وقد نسوا الـ ... ـمعاد فهم مِن قوم عادٍ إذا عُدُّوا
فيا قلب قلب الدين في يوم أقبلوا ... إلى قتل مأمولٍ هو العَلم الفرد
فركن الهدى هدّوا وقدّ العلىٰ قدّوا ... وأزر الهوى شدّوا ونهج التقى سدّوا
كأنّي بمولاي الحسين ورهطه ... حيارى ولا عونٌ هناك ولا عضد
بكرب البلا في كربلاء وقد رُمي ... بعادٍ وشطّت دارهم وسطت جند
وقد حدقت عين الرَّدى حين أحدقت[2] ... عتاة عداةٍ ليس يُحصى لهم عدُّ
وقد أصبحوا حلاًّ لهم حين أصبحوا ... حُلولاً ولا حَلٌّ لديهم ولا عقد
فنادى ونادى الموت بالخطب خاطب ... وطير الفنا يشدو وحادي الرّدى يحدو
يسائلهم : هل تعرفوني ؟ مُسائلاً ... وسائل دمع العين سالَ به الخدُّ
فقالوا : نعم أنت الحسين بن فاطمٍ ... وجدّك خير المرسلين إذا عُدّوا
وأنت سليل المجد كهلاً ويافعاً ... إليك إذا عُدّ العلى ينتهي المجد
فقال لهم : إذ تعلمون فما الذي ... دعاكم إلى قتلي فما عن دمي بُدُّ !
فقالوا : إذا رمتَ النجاة من الرّدى ! ... فبايع يزيداً إنَّ ذاك هو القصد
وإلاّ فهذا الموت عبّ عبابه[3] ... فخض ظامياً فيه تروح ولا تغدو
فقال : ألا بُعداً بما جئتم به ... ومِن دونه بيضٌ وخطّيةٌ مِلد[4]

---

(١) العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل . العصب : الطي واللي ، والقبض على الشيء .
(٢) حدق : فتح عينيه وطرف بهما . أحدقت : أحاقت .
(٣) عبّ عبابه : كثر موجه وارتفع .
(٤) الملد بالفتح : الناعم اللين .

فضربٌ لهشم الهام تترى بنظمه ... فمن عقده حلٌّ وفي حلّه عقد
فهل سيّدٌ قد شيّد الفخر بيته ... حذار الرّدى يشقى لعبد له عبد ؟
وما عذرُ ليثٍ يرهب الموت بأسه ... يذلُّ ويضحي السيّد يرهبه الأُسد ؟
إذا سام منّا الدهر يوماً مذلّة ... فهيهات يأبى ربُّنا وله الحمد
وتأبى نفوسٌ طاهراتٌ وسادةٌ ... مواضيهمُ هام الكماة لها غمد
لها الدم وردٌ والنفوس قنائصٌ ... لها القَدم قِدمٌ والنفوس لها جند(١)
ليوث وغىً ظِلّ الرماح مقيلها ... مغاوير طعم الموت عندهمُ شهد(٢)
حماةٌ عن الأشبال يوم كريهة ... بدور دجىً سادوا الكهول وهم مُرد
إذا افتخروا في الناس عزَّ نظيرهم ... ملوكٌ على أعتابهم يسجد المجد
أيادي عطاهم لا تُطاول في النَّدى ... وأيدي علاهم لا يُطاق لها ردُّ
مطاعيم للعافي مَطاعين في الوغى ... مُطاعين إن قالوا لهم حججٌ لُدُّ(٣)
مَفاتيح للداعي مَصابيح للهدى ... معاليم للساري بها يهتدي النجد(٤)
نزيلهمُ حرمٌ مُنازلهم لقىً ... مَنازلهم أمنٌ بهم يُبلغ القصد
فضائلهم جلّت فواضلهم جلت ... مَدائحهم شهدٌ منائحهم نَدُّ(٥)
مَرابعهم تسقى مَرابعهم تُلقى ... مُطالعهم يُكفى مَطالعهم سعد
كرامٌ إذا عافٍ عفى منه معهدٌ ... وصَوَّح من خضرائه السبط والجعد(٦)
وآملهم راجٍ وأمَّ لهم رجاً ... وحلَّ بناديهم أحلّ له الرفد
زكوا في الورى أُمّاً وجدّاً ووالداً ... وطابوا فطاب الأُمُّ والأب والجدُّ
بأسمائهم يُستجلب البرُّ والرضا ... بذكرهمُ يُستدفع الضرُّ والجهد

---

(١) الورد : الماء الذي يورد . قنائص : الصيود . القدم بفتح القاف : الشرف القديم . القدم بكسر القاف : الزمان القديم .

(٢) الوغى : الحرب . المقيل : موضع النوم والراحة . مغاوير جمع المغوار : كثير الغارة .

(٣) لدّ بضم اللام جمع الألد : الخصم الشديد الخصومة .

(٤) النجد : الدليل الماهر .

(٥) الند : بفتح النون وكسرها : عود يتبخر به .

(٦) العافي : الوارد . الضيف : كل طالب فضل أو رزق . عفى : درس وبلى . صوّح : جفف يبس . السبط ضد الجعد . الجعد : القبض خلاف المسترسل .

ومالَ إلى فتيانه ورجاله يقول: لقد طاب الممات ألا اشتدّوا
فسار لأخذ الثار كلّ شمردل إذا هاج قدحٌ للهياج له زند[1]
وكلُّ كميّ أريحيٍّ غشمشم[2] تجمَّع فيه الفضل وانعدم الضدُّ
إذا ما غدا يوم الندا أسر العدى ولمّا بدا يوم النَدى أُطلق الوعد
ليوث نزالٍ بل غيوثٌ نوازلٌ سراةٌ كأُسد الغاب لا بل هم الأُسد
إذا طُلبوا راموا وإن طَلبوا رَموا وإن ضُربوا صَدوا وإن ضَربوا قدّوا
فوارس أُسد الغيل منها فرائسٌ وفتيان صدقٍ شأنها الطعن والطّرد
وجوههمُ بيضٌ وخضرٌ رُبوعهمْ وبيضهمُ حمرٌ إذا النَّقع مُسودُّ
إذا ما دُعوا يوماً لدفع مُلمَّة غدا الموت طوعاً والقضاء هو العبد
بها كلُّ ندبٍ يسبق الطرف طِرفه جوادٌ على ظهر الجواد له أفد[3]
كأنّهمُ نبت الرُّبى في سروجهم لشدَّة حزمٍ لا بحُزمٍ لها شُدّوا[4]
لباسهمُ نسج الحديد إذا بدوا جبالاً وأقيالاً تقلّهم الجرد[5]
إذا لبسوا فوق الدروع قلوبهم وصالوا فحرّ الكرّ عندهمُ بَرد
يخوضون تيّار الحمام ظوامياً ويحر المنايا بالمنايا لها مدُّ
يرون المنايا تنيلها غاية المنى إذا استشهدوا مرّ الرَّدى عندهم شهد
إذا فلّلت أسيافهم في كريهةٍ غدا في رؤوس الدارعين لها حَدُّ
فمن أبيضٍ يلقى الأعادي بأبيضٍ ومن أسمرٍ في كفّه أسمر صلد

---

(١) الشمردل بالمهملة والشمرذل بالمعجمة: الفتى السريع من الإبل وغيره. هاج: ثار وتحرك. القدح: الفولاذة التي تقدح بها النار. الهياج: الحرب. زند النار قدحها وإخراجها من الزند.

(٢) الكمي: الشجاع أو لابس السلاح. الغشمشم: المغشّم وهو الشجاع الذي يركب رأسه فلا يثنيه شيء عما يريد.

(٣) الندب: السريع إلى الفضائل، الظريف النجيب. الطرف بكسر المهملة مرّ ص ٣١. الأفد: العجلة والسرعة.

(٤) الربى جمع الربوة: ما ارتفع من الأرض. الحزم بفتح المهملة. ضبط الأمر. الحزم بضم الأول والثاني جمع الحزام بالكسر: ما يشدّ به وسط الدابة.

(٥) أقيال جمع القيل: الرئيس. تقلّهم من قلّ الشيء قلاً: أي حمله. وقلّه عن الأرض: رفعه. الجرد جمع الأجرد: السباق من الخيل.

يذبّون عن سبط النبيِّ محمَّدٍ وقد ثار عالي النَّقع واصطخب الوقد
يخال بَريق البيض برقاً سجاله الدماء وأصوات الكماة لها رعد
إلى أن تدانى العمر واقترب الرَّدى وشأن اللّيالي لا يدوم لها عهد
أعدّوا نفوساً للفناء وما اعتدوا فطوبى لهم نالوا البقاء بما عَدّوا
أحلّوا جسوماً للمواضي وأحرموا فحلّوا جنان الخلد فيها لهم خلد
أمام الإمام السبط جادوا بأنفس بها دونه جادوا وفي نصره جدّوا
شروا عندما باعوا نفوساً نفائساً ففي هجرها وصلٌ وفي وصلها نقد
قضوا إذ قضوا حقَّ الحسين وفارقوا وما فرَّقوا بل وافقوا السعد يا سعد
فلمّا رأى المولى الحسين رجاله وفتيانَه صرعى وشادي الردى يشدو
غدا طالباً للموت كاللّيث مغضباً يُحامي عن الأشبال يشتدُّ إن شدّوا
وإن جمعوا سبعين ألفاً لقتله فيحمل فيهم وهو بينهمُ فرد
إذا كرَّ فرّوا من جريحٍ وواقعٍ ذبيحٍ ومهزومٍ به طوّح الهدُّ[1]
ينادي : ألا يا عصبةً عصت الهدى وخانت فلم يُرعَ الذِّمامُ ولا العهد
فبعداً لكم يا شيعة الغدر إنَّكم كفرتم فلا قلبٌ يلين ولا وُدُّ
ولا يتنا فرضٌ على كلِّ مسلمٍ وعصيانُنا كفرٌ وطاعتنا رُشد
فهل خائفٌ يرجو النَّجاة بنصرنا ويخشى إذا اشتدَّت سعيرٌ لها وَقد ؟
ويرنو لنحو الماء يشتاق ورده إذا ما مضى يبغي الورود لَه رَدُّ
فيحمل فيهم حملةً علويَّةً بها للعوالي في أعالي العدى قصد
كفعل أبيه حيدرٍ يوم خيبرٍ كذلك في بدر ومِن بَعدها أُحد
إذا ما هوى في لبَّة الليث عضبه فمن نحره بحرٌ ومِن جزره مَدُّ
وعاد إلى أطفاله وعياله وغرب المنايا لا يفلُّ لها حَدُّ[2]
يقول : عليكنَّ السَّلام مودِّعاً فها قد تناهى العمر واقترب الوعد
ألا فاسمعي يا اخت إن مسَّني الرَّدى فلا تلطمي وجهاً ولا يُخمش الخدُّ

---

(١) طوّح به : حمله على ركوب المهالك وقذفه . الهدّ : الكسر . الصوت الغليظ .
(٢) الغرب يوصف به السيف أي قاطع حديد . المنايا جمع المنية : الموت . الفلّ : الثلمة في حدّ السيف . الحد من السيف : مقطعه .

وإن برحت فيك الخطوب بمصرعي وجلّ لديك الحزن والثكل والفقد
فارضي بما يرضي إلٰهكِ واصبري فما ضاع أجر الصابرين ولا الوعد
وأوصيكِ بالسجّاد خيراً فإنّه إمام الهدى بعدي له الأمر والعهد
فضجّ عيال المصطفى وتعلّقوا به واستغاث الأهل بالنّدب والولد
فقال وكرب الموت يعلو كأنّه ركام ومن عظم الظما انقطع الجهد[1]
: ألا قد دنا الترحال فاللّه حسبكم وخير حسيبٍ للورى الصَّمد الفرد
وعاد إلى حرب الطغاة مجاهداً وللبيض والخرصان في قدِّه قَدُّ
إلى أن غدا مُلقىً على التّرب عارياً يُصافح منه إذ ثوى للثرى خدُّ
وشمّر شِمر الذيلَ في حزِّ رأسه ألا قُطعت منه الأنامل والزّند
فوا حزن قلبي للكريم علا على سِنان سَنان والخيول لها وَخد[2]
تزلزلت السّبع الطباق لفقده وكادت له شُمُّ الشماريخ تنهدُّ[3]
وأرجف عرش اللّه من ذاك خيفةً وضجَّت له الأملاك وانفجر الصلد
وناحت عليه الطير والوحش وحشةً وللجنِّ إذ جنَّ الظلام به وَجد
وشمس الضّحى أمست عليه عليلةً علاها اصفرار إذ تروح وإذ تغدو
فيا لك مقتولاً بكته السماء دماً وثُلّ سرير العزِّ وانهدم المجد
شهيداً غريباً نازح الدار ظامياً ذبيحاً ومن قاني الوريد له ورد
بروحي قتيلاً غسله من دمائه سليباً ومن سافي الرياح له بردُ
ترضُّ خيول الشرك بالحقد صدره[4] وترضخ منه الجسم في ركضها جرد
ومذ راحَ لمّا راحَ للأهل مهره خليّاً يخدُّ الأرض بالوجه إذ يعدو
برزن حيارى نادبات بذلّةٍ وقلبٍ غدا مِن فارط الحزن ينقدُّ
فحاسرةٌ بالرِدن تستر وجهها وبرقعها وقدٌ ومدمعها رفد

---

(١) الركام : المتراكم بعضه فوق بعض . الجهد : الطاقة .

(٢) الوخد من وخد البعير أي أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام . وهذا البيت في نسخة :

فوالهف نفسي للمحيا علا على سنان سنان والخيول به تعدو

(٣) الشمراخ : رأس الجبل . تنهدّ : تقع وتنهدم : الأوصاب جمع الوصب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم .

(٤) الرضّ : الدقّ والجرش . الرضخ : الكسر . الجرد راجع ص ٣٩ .

ومن ذاهلٍ لم تدر أين مُعزُّها ... تضيقُ عليها الأرض والطرق تنسد
وزينب حسرى تندب الندب عندها ... من الحزن أو صابٌ يضيق بها العدُّ
تنادي : أخي يا واحدي وذخيرتي ... وعوني وغوثي والمؤمَّل والقصد
ربيع اليتامى يا حسينُ وكافلُ ... الأيامى زماناً بَعد بُعدكم البعد
أخي بعد ذاك الصون والخدر والخبا ... يُعالجنا علجٌ ويسلبنا وَغد
بناتك يابن الطّهر طاها حواسرٌ ... ورحلك منهوبٌ تقاسمه الجند
لقد خابت الآمال وانقطع الرجا ... بموتك مات العلم والدين والزهد
وأضحت ثغور الكفر تبسم فرحةً ... وعين العلى ينخدُّ من سحِّها الخدُّ[١]
وصوَّح نبت الفضل بعد اخضراره ... وأصبح بدر التمِّ قد ضمّه اللّحد
تُجاذبنا أيدي العدى فضلة الرِّدا ... كأن لم يكن خير الأنام لنا جَدُّ
فأين حصوني والأُسود الأولي بهم ... يُصال على ريب الزمان إذا يعدوا ؟
إذا غربت يابن النبيِّ بدورُكم ... فلا طلعت شمسٌ ولا حلّها سعد
ولا سحبت سحبٌ ذيولاً على الرُّبى ... ولا ضحك النوّار وانبعق الرعد[٢]
وساروا بآل المصطفى وعياله ... حيارى ولمُ يخشَ الوعيد ولا الوعد
وتطوي المطايا الأرض سيراً إذا سرت ... تجوب بعيد البيد فيها لها وَخد
تؤُمُّ يزيداً نجلَ هند إمامها ... ألا لُعنت هندٌ وما نجلت هند
فيا لك من رزءٍ عظيم مصابه ... يُشقُّ الحشا منه ويُلتدم الخدُّ
أيُقتل ظمآناً حسين بكربلا ... ومن نحره البيض الصقال لها ورد
وتضحي كريماتُ الحسين حواسراً ... يلاحظها في سيرها الحرُّ والعبد
فليس لأخذ الثار إلاَّ خليفة ... هو الخلف المأمول والعَلم الفرد
هو القائم المهديُّ والسيِّد الذي ... إذا سار أملاك السَّماء له جُند
يُشيِّد ركن الدين عند ظهوره ... علوّاً وركنُ الشِّرك والكفر ينهدُّ
وغصن الهدى يُضحي وريقاً ونبته ... أنيقاً وداعي الحقِّ ليس له ضدُّ

---

(١) ينخدّ : ينشق . السَّح : الصبّ المتتابع الغزير .

(٢) سحبت من السحب : الجرّ على وجه الأرض . النوار : الزهر والأبيض منه . انبعق : انبعج المطر .

لعلَّ العيون الرمد تحظى بنظرةٍ ... إليه فتجلى عندها الأعين الرّمد
إليك انتهى سرُّ النبيّين كلّهم ... وأنت ختام الأوصياء إذا عُدّوا
بني الوحي يا أُمّ الكتاب ومَن لهم ... مناقب لا تحصى وإن كثر العدُّ
إليكم عروساً زفّها الحزن ثاكلاً ... تنوح إذا الصبُّ الحزين بها يشدو
لها عبرةٌ في عشر عاشور ارسلت ... إذا أنشدت حادي الدُّموع بها تحدو
رجا (رجبٌ) رَحب المقام بها غدا ... إذا ما أتى والحشر ضاق به الحشد
بذلت اجتهادي في مديحكمُ وما ... قدارُ مديحي بَعد أن مَدح الحمد
ولي فيكمُ نظمٌ ونثرٌ غناؤه ... فقيرٌ وهذا جهد مَن لا له جهد
مصابي وصوب الدَّمع فيكم مجدَّد ... وصبري وسلواني به أخلق الجهد
تذكّرني يابن النبيِّ غداً إذا ... غدا كلُّ مولى يستجير به العبد
فأنتم نصيب المادحين وإنّني ... مدحت وفيكم في غدٍ يُنجز الوعد
إذا أصبح الراجي نزيل ربوعكم ... فقد نجحت منه المطالب والقصد
فإن مالَ عنكم يا بني الفضل راغبٌ ... يظلُّ ويضحي عند من لا له عند
فيا عدَّتي في شدَّتي يوم بعثتي ... بكم غلَّتي من عِلّتي حرُّها برد
عبيدكم (البرسيُّ) مولى فخاركم ... كفاه فخاراً أنّه لكمُ عبد
عليكم سلام الله ما سكب الحيا ... دموعاً على روضٍ وفاح لها ندُّ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

دمعٌ يبدّده مقيمٌ نازحُ ... ودمٌ يبدِّده مقيمٌ نازح
والعين إن أمست بدمع فجّرت ... فجرت ينابيع هناك مُوانح
أظهرت مكنون الشجون فكلما ... شجّ الأمون سجا الحرون الجامح (١)
وعليَّ قد جعل الأسى تجديده ... وقفاً يُضاف إلى الرحيب الفاسح
وشهود ذلّي مع غريم صبابتي ... كتبوا غرامي والسقام الشارح

---

(١) الشج من شجّ المفازة : قطعها . الأمون من الناقة : وثيقة الخلق القوية . سجا يسجو سجواً . مدّ حنينه . الحرون من الدابة الذي لا ينقاد . وإذا استدبر جريه وقف . الجامح : المتغلب على راكبه والذاهب به وهو لا ينثني .

أوهى اصطباري مطلقٌ ومقيَّدٌ غربٌ وقلبٌ بالكآبة بائح [١]

فالجفنُ مُنسجمٌ غريقٌ سائحٌ والقلب مُضطرمٌ حريقٌ قادح

والخدُّ خدَّده طليقٌ فاترٌ والوجد جدَّدهُ مجدٌّ مازح

أصبحت تخفضني الهموم بنصبها والجسم مُعتلٌّ مِثالٌ لائح

حلّت له حلل النحول فبرده بُرد الذبول تحلُّ فيه صفائح

وخطيب وجدي فوق منبر وحشتي لفراقهم لهو البليغ الفاصح

ومحرّمٌ حزني وشوّال العَنا والعيد عندي لاعجٌ ونوائح

ومديد صبري في بسيط تفكّري هزجٌ ودمعي وافرٌ ومُسارح [٢]

ساروا فمعناهم ومغناهم عفى واليومَ فيه نوائحٌ وصوائح

درس الجديد جديدها فتنكّرت ورنا بها للخطب طرفٌ طامح [٣]

نسج البلى منه محقّق حسنه ففناؤه ماحي الرسوم الماسح

فطفقتُ أندبه رهينَ صبابةٍ عدم الرفيق وغاب عنه الناصح

وأقول والزفرات تذكي جذوةً بين الضلوع لها لهيبٌ لافح

: لا غر وإن غدر الزمان بأهله وجفا وحان وخان طرفٌ لامح

فلقد غوى في ظلم آل محمّد وعوى عليهم منه كلبٌ نابح

وسطا على البازي غرابٌ أسحمٌ وشبا على الأشبال زنجٌ ضابح [٤]

وتطاول الكلبُ العقورُ فصاول اللّيث الهصور وذاك أمرٌ فادح [٥]

وتواثبت عرج الضباع وروّعت [٦] والسيد أضحى للأسود يكافح

آل النبيِّ بنو الوصيِّ ومنبع الـ ـشّرف العليِّ وللعلوم مفاتح

---

(١) بائح من باح يبوح بوحاً بسرّه : أظهره كأباحه .

(٢) إشارة إلى أنواع الشعر .

(٣) رنا إليه وله : أدام النظر إليه بسكون الطرف . الطامح من طمح البصر : ارتفع ونظر شديداً .

(٤) البازي من طيور الصيد وله أنواع كثيرة . الأسحم : الأسود . شبا : علا . الزنج : قوم من السودان . الضابح : المتغير اللون كلون الضبح أي الرماد .

(٥) صاوله : واثبه . الهصور من الأسد الذي يهصر فريسته أي يكسرها كسراً . الفادح : الصعب المثقل .

(٦) تواثبت من وثب وثباً : نهض وقام . عرج جمع الأعرج : المصاب في رجله الماشي مشية =

خــزّان علـم اللّه مـهـبط وحـيـهِ ... وبحـارُ علم والأنام ضحـاضـح [1]

التـائبـونَ العـابـدون الحـامـدونَ ... الـذّاكـرون وجنـحُ ليلٍ جـانـح

الصـائمونَ القـائمون المـطعمـونَ ... المؤثـرونَ لـهم يـدُ ومَنـائـح

عند الجدى سحب وفي وقت الهدى ... سمتٌ وفي يـوم النّزال جَحـاجح [2]

هـم قبلةٌ للسـاجـدينَ وكعبـةٌ ... لـلطائفيـنَ ومَشـعـرٌ وبَـطائـح

طـرق الهـدى سُفن النجاة محبُّهم ... ميـزانـه يـوم القـيـامـة راجـح

مـا تبلغ الشعـراء منهم في الـثنـا ... واللّه في السَّبـع المثـانـي مـادح

نسب كمنبلج الـصَّبـاح ومنتمىً ... زاكٍ لـه يعنو السمـاك الـرّامـح [3]

الجـدُّ خير المـرسلين محمَّـد الـ ... ـهادي الأمينُ أخو الختام الفاتـح

هـو خـاتمٌ بـل فـاتـحٌ بـل حـاكمٌ ... بـل شاهـدٌ بـل شـافعٌ بـل صـافـح

هـو أوّل الأنـوار بـل هـو صفـوة الـ ... ـجبّـار والنشـر الأريـج الفـائـح

هو سيِّد الكونين بل هو أشرف الثـ ... ـقلين حقّـاً والنـذيـر النـاصـح

لـولاك مـا خُلق الـزمـان ولا بـدت ... للعـالمين مَساجـدٌ ومَصـابـح

والأمُّ فـاطمـة البتـول وبضعـة الـ ... هادي الرسـول لها المهيمن مـانح

حـوريَّـةٌ إنـسـيَّـةٌ لـجـلالـهـا ... وجمـالهـا الـوحي المنـزَّل شـارح

والـوالد الـطهر الـوصيُّ المـرتضى ... عَلم الهـدايـة والمنـارُ الـواضـح

مـولىً لـه النبـأ العـظيم وحبُّـه النـ ... ـهج القـويم بـه المتـاجـر رابـح

مـولـىً لــه بغـديـر خـمٍّ بيعـةٌ ... خضعت لها الأعناق وهي طـوامـح

القسـور البتّـاكُ والـفتّـاكُ والسـ ... ـفّاك في يـوم العـراك الـذّابـح

أسـد الإلـه وسـيـفـه ووليُّـه ... وشقيق أحمـد والـوصيُّ النـاصـح

وبـعضـدهِ وبـعضبـهِ وبعـزمـهِ ... حقّـاً على الكفّـار نـاحَ النـائـح

= غير متساوية . الضبع : الضباع جمع الضبع .

(١) الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر .

(٢) الجدى : العطية . السمت : المحجة والطريق . الجحاجح جمع الجحجح : السيد المسارع إلى المكارم . المبادر .

(٣) يعنو : يذلّ ويخضع . السماك الرامح : نجم معروف يسمى بذلك لأنه يقدمه كوكب يقولون : هو رمحه .

يا ناصر الإسلام يا باب الهدى ... يا كاسر الأصنام فهي طوامح [١]
يا ليت عينك والحسين بكربلا ... بين الطغاةِ عن الحريم يُكافح
والعاديات صواهلٌ وجوائلٌ ... بالشوس في بحر النجيع سوابح [٢]
والبيض والسمر اللدان بوارقٌ ... وطوارقٌ ولوامعٌ ولوائح [٣]
يَلقى الردى بحر الندى بين العدى ... حتّى غدا مُلقىً وليس مُنافح [٤]
أفديه محزوز الوريد مرمَّلا ... ملقىً عليه الترب سافٍ سافح [٥]
والماء طامٍ وهو ظامٍ بالعرا ... فردٌ غريبٌ مستضامٌ نازح
والطاهرات حواسرٌ وثواكلٌ ... بين العدى ونوادبٌ ونوائح
في الطفّ يَسحبنَ الذُّيول بذلة ... والدّهر سهم الغدر رامٍ رامح [٦]
يسترنَ بالأردان نورَ محاسن ... صوناً وللأعداء طَرفٌ طامح
لهفي لزينب وهي تندب نَدبها ... في نَدبها والدمع سارٍ سارح [٧]
تدعو: أخي يا واحدي ومؤمَّلي ... مَن لي إذا ما ناب دهرٌ كالح؟ [٨]
مَن لليتامى راحمٌ؟ مَن للأيا ... مى كافلٌ؟ مَن للجفاة مناصح؟
حُزني لفاطمَ تلطم الخدَّينِ من ... عظم المصاب لها جوىً وتبارح [٩]
أجفانها مقروحةٌ ودموعها ... مسفوحةٌ والصّبر منها جامح
تهوي لتقبيل القتيل تضمّه ... بفتيل معجرها الدِّماء نَواضح
تحنو على النَّحر الخضيب وتلثُمُ الثـ ... ـغر التريب لها فؤادٌ قادح

---

(١) مرّ حديث كسره عليه السلام الأصنام في صفحة ٢٣ ـ ٢٨ من هذا الجزء .

(٢) الشوس جمع الأشوس . راجع ص ٢٤ . النجيع الدم المائل إلى السواد . سوابح جمع سابح : السريع الغير المضطرب في جريه .

(٣) البيض جمع الأبيض : السيف . السمر : الرمح . اللدان جمع لدن بفتح اللام : اللين .

(٤) المنافح : المدافع .

(٥) ساف من سفى يسفي سفياً : التراب تذرى وتبدد . سافح : المصبوب الذي لا يحبسه شيء .

(٦) يسحبن من سحب سحباً : جرّ على وجه الأرض . الرامح : الطاعن بالرمح .

(٧) السارح : الجاري جرياً سهلاً .

(٨) ناب : نزل . الكالح من كلح وجهه : عبس وتكشّر فهو كالح .

(٩) الجوى شدة الوجد من حزن أو عشق . داء في الصدر . التبارح من البرح : الأذى والعذاب الشديد والمشقة .

أسفي على حرم النبوَّة جئن مسـ ـروحاً هنالك بالعتاب تطارح[١]

يَنْدُبْنَ بدراً غاب في فلك الثرى وهزبر غابٍ غيَّبته ضرائح

هذي أخي تدعو وهذي ياأبي تشكو وليس لها وليٌّ ناصح

والطهر مشغول بكرب الموت من ردِّ الجواب وللمنيَّة شابح[٢]

ولفاطم الصغرى نحيبٌ مقرحٌ يذكي الجوانح للجوارح جارح

عِلجٌ يعالجها لسلب حليِّها فتظلُّ في جهد العفاف تطارح[٣]

بالردن تستر وجهها وتمانع الـ ـملعون عن نهب الرِّدا وتكافح

تستصرخ المولى الإمام وجدّها وفؤادَها بعد المسرَّة نازح

: ياجدُّ قد بلغ العدى ما أمَّلوا فينا وقد شمتَ العدوُّ الكاشح

ياجدُّ غاب ولينا وحميّنا وكفيلنا ونصيرنا والناصح

ضيّعتمونا والوصايا ضُيِّعت فينا وسهمُ الجور سارٍ سارح

يا فاطم الزهراء قومي وانظري وجهَ الحسين له الصعيد مصافح

أكفانه نسجُ الغبار وغسله بدم الوريد ولم تنحه نوائح

وشبوله نهب السيوف تزورها بين الطفوف فراعلٌ وجوارح[٤]

وعلى السنان سنان رافع رأسه ولجسمه خيل العداة روامح[٥]

والوحش يندب وحشةً لفراقه والجنُّ إن جنَّ الظّلام نوائح

والأرض ترجف والسماء لأجله تبكي معاً والطير غادٍ رائح

والدهر من عظم الشجى شق الردا أسفاً عليه وفاض جفنٌ دالح[٦]

يا للرِّجال لظلم آل محمّدٍ ولأجل ثارهمُ وأين الكادح ؟[٧]

---

(١) تطارح : تجاوب .

(٢) الشابح من شبح شبحاً الجلد : مده بين أوتاد . الرجل مده كالمصلوب .

(٣) تطاوح : تباعد .

(٤) فراعل جمع الفرعل : ولد الضبع . الجوارح جمع الجارحة : ذات الصيد من السباع والطير والكلاب .

(٥) روامح من رمحته الدابة : رفسته .

(٦) الدالح : الكثير الماء .

(٧) الكادح : الذي جهد نفسه في العمل .

يُضحي الحسين بكربلاء مرمَّلاً	عريان تكسوه التراب صحاصح [١]
وعياله فيها حيارى حسَّرٌ	للذلِّ في أشخاصهنَّ ملامح [٢]
يُسرى بهم أسرى إلى شرِّ الورى	من فوق أقتاب الجمال مضابح [٣]
ويُقاد زين العابدين مغلّلاً	بالقيد لم يشفق عليه مسامح
ما يكشف الغمّاء إلاَّ نفحةٌ	يحيي بها الموتى نسيمٌ نافح
نبويَّةٌ علويَّةٌ مهديَّةٌ	يُشفى بريّاها العليل البارح
يضحي مناديها ينادي : يالثا	رات الحسين وذاك يومٌ فارح
والجنُّ والأملاك حول لوائه	والرعب يقدم والحتوف تُناوح [٤]
و و في جذعيهما	خفضاً ونصب الصلب رفعٌ فاتح
و و والإثم وال	عدوان في ذُلِّ الهوان شوائح
لعنوا بما اقترفوا وكلُّ جريمة	شبَّت لها منهم زنادٌ قادح
يابن النبيِّ صبابتي لا تنقضي	كمداً وحزني في الجوانح جانح [٥]
أبكيكمُ بمدامع تترى إذا	بخل السحاب لها انصبابٌ سافح
فاستجل من مولاك عبد ولاك من	لولاك ما جادت عليه قرائح
برسيَّة كملت عقود نظامها	حليَّة ولها البديع وشائح [٦]
مدَّت إليك يداً وأنت منيلها	يابن النبيّ وعن خطاها صافح
يرجوبها (رجب) القبول إذا أتى	وهو الذي بك واثقٌ لك مادح
أنت المعاذ لدى المعاد وأنت لي	إن ضاق بي رَحب البلاد الفاسح
صلّى عليك الله ما سكب الحيا	دمعاً وما هبَّ النسيم الفائح

---

(١) صحاصح جمع الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار .

(٢) الملاح : ما بدى من محاسن الوجه ومساويه .

(٣) المضابح : المقالي والمخاصم .

(٤) تناوح : تقابل .

(٥) الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر . الجانح من جنحت السفينة : لزقت بالأرض فلم تمض .

(٦) وشائح جمع وشاح شبه قلادة يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها .

وله في رثاء الإمام السبط صلوات الله عليه قوله :

مـا هـاجني ذكـر ذات البـان والعلم ... ولا السَّـلام على سلمى بـذي سلم
ولا صبـوت لصبّ صـاب مـدمعـه ... من الصبـابـة صبَّ الـوابـل الـرزم[1]
ولا علـى طـلل يـومـاً أطـلت بـهِ ... مـخـاطبـاً لأُهـيـل الحيِّ والـخيم
ولا تمسَّكت بـالـحـادي وقلت لـه : ... إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم[2]
لكن تـذكـرت مـولاي الحسين وقـد ... أضحى بكـرب البلا في كـربلاء ظمي
ففاض صبري وفاض الدمع وابتعد الـر ... قـاد واقـتـرب السهـاد بـالسـقم
وهـامَ إذ همت العبـرات مـن عـدم[3] ... قلبي ولم استـطع مـع ذاك مـنـع دَمي
لـم أنسـه وجيـوش الكـفـر جـائشـة ... والـجـيش فـي أمـل والـديـن فـي ألـم
تـطوف بالطّف فـرسـان الضَّـلال بـه ... والحقُّ يـسمـع والأسـمـاع في صمم
وللمنـايـا بفـرسـان المنى عـجـلٌ ... والمـوت يسعى على سـاق بـلا قـدم
مُسـائـلاً ودمـوع الـعـيـن سـائـلـةٌ ... وهـو الـعـليـم بـعـلـم اللـوح والـقـلم
مـا إسم هـذا الثرى يـا قـوم ! فـابتدروا ... بـقـولهـم يـوصلون الكلم بـالـكـلم
بكـربـلا هــذه تُـدعى . فقـال : أجـل ... آجـالـنـا بـيـن تلك الـهـضـب والأُكـم
حـطوا الـرِّحـال فحـال المـوت حـلَّ بنـا ... دون الـبـقـاء وغـيـر الـلَّه لـمَ يـدم
يـا للرِّجـال لخـطب حـلَّ مختـرم الـ ... آجال مـعـتـديـاً في الأشهـر الحـرم
فهـا هنـا تـصبـح الأكـبـاد من ظـمـأٍ ... حـرَّى وأجسـادهـا تـروى بفيض دم
وهـا هـنـا تـصـبـح الأقـمـار آفـلـةً ... والـشَّمس في طفـل والـبـدر في ظلم
وهـا هنـا تملك السـادات أعبـدُهـا ... ظلمـاً ومخـدومهـا في قبضـة الخـدم
وهـا هنـا تصبـح الأجسـاد ثـاويـةً ... على الثَّرىٰ مَـطعمـاً للبـوم والـرَّخم[4]
وهـا هنـا بُعـد بُعـد الـدار مـدفننـا ... ومـوعـد الخصم عند الـواحـد الحكم

---

(١) صبوت من صبا يصبو : حنّ . الصب : العاشق . الصبابة : الشوق ورقة الهوى . الوابل المطر الشديد . الرزم : الذي لا ينقطع رعده .

(٢) مطلع بديعية صفي الدين الحلي . راجع ج ٦ ص ٦٣

(٣) همت من همى يهمي همياً : سال لا يثنيه شيء .

(٤) البوم : طائر يسكن الخراب . الرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع .

وصاح بالصحب هذا الموت فابتدروا | أُسداً فرائسها الآساد في الأجم
من كلِ أبيض وضَّاح الجبين فتىً | يغشي صلى الحرب لا يخشى من الضرم
من كلِّ منتدبٍ للّه محتسب | في اللّه مُنتجب باللّه مُعتصم
وكلِّ مصطلم الأبطال مصطلم الـ | آجال مُلتمس الآمال مُستلم
وراحَ ثمَّ جواد السبط يندبه | عالي الصهيل خليّاً طالب الخيم
فمذ رأته النساء الطاهرات بدا | يكادم(١) الأرض في خدٍّ له وفم
برزن نادبةً حسرى وثاكلةً | عبرى ومعلولة بالمدمع السجم
فجئن والسبط ملقىً بالنصال أبت | مِن كفّ مُستلمٍ أو ثغرٍ ملتثم
والشمر ينحر منه النحر من حنقٍ | والأرض ترجف خوفاً مِن فعالهم
فتستر الوجهَ في كمّ عقيلته | وتنحني فوق قلبٍ والهٍ كلم(٢)
تدعو أخاها الغريب المستضام أخي | ياليت طرف المنايا عن علاك عم
من اتكلت عليه في النساء ومَن | أوصيت فينا ومن يحنو على الحرم ؟
هذي سكينة قد عزَّت سكينتها | وهذه فاطمُ تبكي بفيض دم
تهوي لتقبيله والدمع منهمرٌ | والسبط عنها بكرب الموت في غمم(٣)
فيمنع الدمّ والنصل الكسير به | عنها فتنصلُّ لم تبرح ولم ترم
تضمُّه نحوها شوقاً وتلثمه | ويخضب النحرُ منه صدرَها بدم
تقول من عظم شكواها ولوعتها | وحزنها غير منقضٍّ ومنفصم
أخي لقد كنت نوراً يستضاء به | فما لنور الهدى والدين في ظلم
أخي لقد كنت غوثاً للأرامل يا | غوث اليتامى وبحر الجود والكرم
ياكافلي هل ترى الأيتام بعدك في | اسر المذلّة والأوصاب(٤) والألم
ياواحدي يابن أُمّي ياحسين لقد | نال العدى ما تمنّوا مِن طلابهم
وبرَّدوا غلل الأحقادِ من ضغنٍ | وأظهروا ما تخفّى في صدورهم

---

(١) يكادم : يعضّ .
(٢) الكلم من كلمه علماً : جرحه .
(٣) غمم بضم المعجمة جمع الغمة : الحيرة واللبس .
(٤) الأوصاب جمع الوصب راجع ص ٧٠ .

أين الشفيقُ وقد بان الشقيق وقد جار الرفيق ولجّ الدّهر في الأزم(١)

مات الكفيل وغاب اللّيث فابتدرت عرج الضباع على الأشبال في نهم

وتستغيث رسول اللّه صارخةً : يا جدُّ أين الوصايا في ذوي الرحم؟

يا جدُّ لو نظرتْ عيناك مِن حزن للعترة الغرِّ بعد الصون والحشم

مشرَّدين عن الأوطان قد قهروا ثكلى أسارى حيارى ضرّجوا بدم

يُسْرى بهنَّ سبايا بعد عزِّهمُ فوق المطايا كسبي الروم والخدم

هذا بقيَّة آل اللّه سيّد أهـ ل الأرض زينُ عباد اللّه كلّهم

نجل الحسين الفتى الباقي ووارثه والسيِّد العابد السجّاد في الظلم

يُساق في الأسر نحو الشام مهتضماً بين الأعادي فمن باكٍ ومبتسم

أين النبيُّ وثغر السِّبط يقرعه يزيدُ بغضاً لخير الخلق كلّهم؟

أيَنكت الرجس ثغراً كان قبَّله من حبِّه الطهر خيرُ العرب والعجم ؟

ويدَّعي بعدها الإسلام من سفه وكان أكفر من عاد ومن إرم ؟

يا ويله حين تأتي الطُّهر فاطمةٌ في الحشر صارخةً في موقف الأمم

تأتي فيطرق أهلُ الجمع أجمعهم منها حياءً ووجه الأرض في قتم

وتشتكي عن يمين العرش صارخة وتستغيث إلى الجبّار ذي النقم

هناك يظهر حكم اللّه في ملأ عضّوا وخانوا فيا سحقاً لفعلهم

وفي يديها قميصٌ للحسين غدا مضمَّخاً بدم قرناً إلى قَدم

أيا بني الوحي والذكر الحكيم ومَن ولاهمُ أملي والبرء مِن ألمي

حزني لكم أبداً لا ينقضي كمداً حتى الممات وردِّ الروح في رمم

حتّى تعود إليكم دولةٌ وُعدت مهديَّة تملأ الأقطار بالنعم

فليس للدين مِن حامٍ ومُنتصرٍ إلَّا الإمام الفتى الكشّاف للظلم

القائم الخلف المهديُّ سيِّدنا الطاهر العلم ابن الطاهر العلم

بدر الغياهب تيّار المواهب مَنـ صور الكتائب حامي الحلّ والحرم(٢)

---

(١) الازم : من أزم الدهر القوم : استأصلهم . وأزم بصاحبه : لزم . وأزم الحبل : أحكم فعله . والازم ج الأزمة : الشدة .

(٢) الغياهب جمع الغيهب : الظلمة الشديدة السواد من الليل . التيّار . موج البحر الهائج . الكتائب جمع الكتيبة : القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل .

يابن الإمام الزكيّ العسكري فتى الـ ... هادي التقيّ عليٍّ الطاهر الشيم
يابن الجواد ويا نجل الرضا ويا ... سليل كاظم غيظ مَنبع الكرم
خليفة الصّادق المولى الذي ظهرت ... علومه فأنارت غيهب الظلم
خليفة الباقر المولى خليفة زيـ ... ـن العابدين عليّ طيِّب الخيم
نجل الحسين شهيد الطفّ سيِّدنا ... وحبَّذا مفخرٌ يعلو على الأُمم
نجل الحسين سليل الطُّهر فاطمة ... وابن الوصيّ عليٍّ كاسر الصنم[1]
يابن النبيِّ ويابن الطُّهر حيدرة ... يابن البتولِ ويابن الحلِّ والحرم
أنت الفخار ومعناه وصورته ... ونقطة الحكم لا بل خطّة الحِكم
أيّامك البيض خضرٌ فهي خاتمة الـ ... ـدنيا وختم سعود الدين والأُمم
متى نراك فلا ظُلمٌ ولا ظلم ... والدين في رَغَد والكفر في رغم ؟
أقبل فسبل الهدى والدين قد طمست ... ومسّها نصبٌ والحقُّ في عدم
يا آل طاها ومن حبّي لهم شرفٌ ... أعدُّه في الورى من أعظم النعم
إليكمُ مِدحةٌ جاءَت منظَّمةً ... ميمونة صغتها مِن جوهر الكلم
بسيطة إن شذت أو أُنشدت عطرت ... بمدحكم كبساط الزهر منخرم
بكراً عروساً ثكولاً زفّها حزنٌ ... على المنابر غير الدَّمع لم تسم
يرجو بها (رجب) رَحب المقام غداً ... بعد العناء غناء غير منهدم
يا سادة الحقِّ مالي غيركم أملٌ ... وحبّكم عدّتي والمدح معتصمي
ما قدر مدحي والرَّحمٰن مادحكم ... في هل أتى قد أتى مع نون والقلم
حاشاكم تحرموا الراجي مكارمكم ... ويرجع الجارُ عنكم غير محترم
أو يختشي الزلَّة (البرسيُّ) وهو يرى ... ولاكم فوق ذي القربى وذي الرحم
إليكمُ تحف التسليم واصلةٌ ... ومنكمُ وبكم أنجوم من النقم
صلّى الإلٰه عليكم ما بدا نسمٌ[2] ... وما أتت نسمات الصبح في الحرم

وله قوله :

أما والّذي لِدَمي حلّلا ... وخصَّ أُهيل الولا بالبلا

---

(١) راجع من هذا الجزء ص ٢٣–٢٨

(٢) نسم جمع النسمة : الإنسان أو كل دابة فيها روح .

لئن أُسق فيه كؤس الحمام لما قال قلبي لساقيه : لا
فموتي حياتي وفي حبِّه يلذُّ افتضاحي بين الملا
فمن يسل عنه ؟ فإنَّ الفؤا د تسلّى وما قطُّ آناً سلا
مضت سنَّة اللّه في خلقه بأنَّ المحبَّ هو المبتلى

وله قوله :

لقد أظهرتَ يا حافظُ سرّاً كان مخفيّا
وأبرزتَ مِن الأنوارِ نوراً كان مطويّا
به قد صرت عند اللّهِ والسّادات علويّا
ومقبولاً ومسعوداً ومحسوداً ومرضيّا
فطب نفساً وعش فرداً وكن طيراً سماويّا
غريباً يألف الخلوةَ لا يقرب إنسيّا
غدا في الناس بالخلوةِ والوحدة منسيّا
وإن أصبحت مرفوضاً بسهم البغض مرميّا
فلم يبغضك إلاَّ مَن أبوه الزنج بصريّا
عمانيّاً مراديّاً مجوسيّاً يهوديّا
لهذا قد غدا يبغض ذاك الطين كوفيّا
وفي المولد والمحتد برسيّاً وحليّا

وله في الغزال قوله :

لقد شاع عني حبُّ ليلى وإنَّني كلفت بها عشقاً وهمت بها وجدا
وأصبحت أُدعى سيِّداً بين قومها كما أنَّني أصبحت فيهم لها عبدا
ألاقي الورى في حبِّها في تنكُّر فذا مانحٌ صدّاً وذا صاعرٌ خدّا
وذا عابسٌ وجهاً يطوِّل أنفه عليَّ كأنِّي قد قتلتُ له ولدا
ولا ذنب لي في هجرهم لي وهُجرهم سوى أنَّني أصبحتُ في حبِّها فردا
ولو عرفوا ما قد عرفتُ ويمّموا حماها كما يمّمته أعذروا حدّا
وظنّوا وبعض الظنِّ إثمٌ وشنَّعوا بأنَّ امتداحي جاوز الحدَّ والعدّا

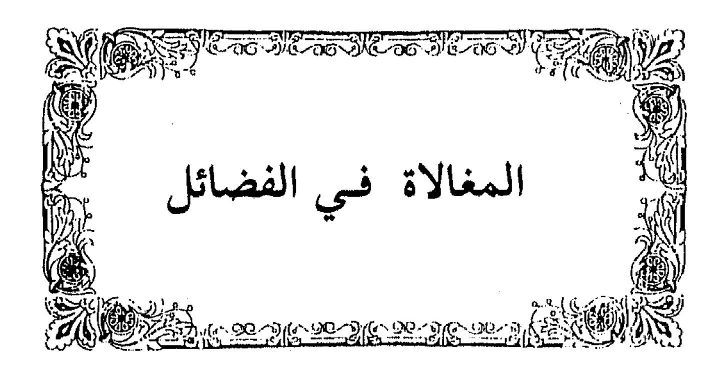
فـوالـلّه مـا وصفـي لـهـا جـاز حـدَّه ولكنهـا في الحسن قـد جـازت الحـدّا

هذه جملة ما وقفنا عليه من شعر شيخنا الحافظ البرسي وهي ٥٤٠ بيتاً ولا يوجد فيها كما ترى شيء ممّا يرمى به من الإرتفاع والغلوّ فالأمر كما قال هو :

وظّنـوا وبعض الـظنّ إثـمٌ وشنّعـوا بـأنَّ امتـداحي جـاوز الحـدَّ والعـدّا
فـوالـلّه مـا وصفـي لـهـا جـاز حـدَّه ولكنَّهـا في الحسن قـد جـازت الحـدّا

توجد ترجمته في أمل الآمل . ورياض العلماء . ورياض الجنّة في الروضة الرابعة . وروضات الجنات . وتتميم الأمل للسيّد ابن أبي شبانة . الكنى والألقاب . واعيان الشيعة . والطليعة . والبابليات .

ولم نقف على تاريخ ولادة شاعرنا الحافظ ووفاته ، غير أنَّه أرّخ بعض تآليفه بقوله : إنَّ بين ولادة المهدي عليه السلام وبين تأليف هذا الكتاب خمسمائة وثمانية عشر سنة . فيوافق سنة ٧٧٣ ، أخذاً برواية سنة ٢٥٥ في ولادة الإمام المنصور صلوات الله عليه ، ومرَّ في تاريخ بعض كتبه أنّه أرَّخه بسنة ٨١٣ ، ولعلّه توفّي حدود هذا التاريخ والله العالم .



المغالاة في الفضائل

لمّا وقع غير واحد من شعراء الغدير نظراء المترجم - البرسي - في شبك النقد والإعتراض ، ورُموا بالغلوِّ ؛ وجاء غير واحد من المؤلِّفين[١] فشنَّ عليهم الغارات بالقذف والسباب المقذع فيهمّنا إيقاف الباحث على هذا المهمِّ حتّى لا يستهويه اللغب والصخب ، ولا يصيخ إلى النعرات الطائفيَّة الممقوتة ، وقول الزور ، فنقول :

الغلوّ على ما صرَّح به أئمَّة اللغة كالجوهري والفيّومي والراغب وغيرهم هو تجاوز الحدِّ ، ومنه غلا السعر يغلو غلاءً ، وغلا الرجل غلوّاً ، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب فجاوزت لداتها قال الحرث بن خالد المخزومي :

خمصانة قلق موشحها ... رود الشباب غلا بها عظم

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تغالوا في النساء فإنّما هنّ سقيا الله[٢] وقول عمر : لا تغالوا في مهور النساء[٣] والغلوُّ ممقوت لا محالة أينما كان وحيثما كان

(١) كابن تيمية ، وابن كثير ، والقصيمي ، وموسى جار الله . ومن لفّ لفهم .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١ .

(٣) راجع الجزء السادس من الكتاب ص ١٢٤

في أيِّ أمر كان ، ولا سيَّما في الدِّين وعليه ينزّل قوله تعالىٰ في موضعين[١] من الذكر الحكيم : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ . ويعني في ذلك كما ذكره المفسرون[٢] غلوّ اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم ، وغلوّ النصارى حتى جعلوه ربّاً فالإفراط والتقصير كله سيِّئة . والحسنة بين السيِّئتين كما قاله مطرف بن عبد الله ، وقال الشاعر :

وأوف ولا تستوف حقّك كله وصافح فلم يستوف قطُّ كريم
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأُمور ذميم

وقال آخر :

عليك بأوساط الأُمور فإنَّها نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

وقال مولانا أمير المؤمنين : إنَّ دين الله بين المقصّر والغالي فعليكم بالنمرقة الوسطى فيها يلحق المقصّر ، ويرجع إليها الغالي[٣] غير أنّ من الواجب تعيين الحدِّ الذي لا يجوز في الدين أن يتجاوزه الإنسان لاستلزام الغلوِّ الكذب تارة ، والإغراء بالجهل أُخرىٰ ، وبخس الحقوق الواجبة آونة ، لاما دأبت عليه أُمَّة من الرمي بالغلوِّ كلّ قائل ما لا يروقها ، وتحدوها العصبيَّة العمياء إلى التجهم أمام القول بما لا يلائم ذوقها ، ومن هذا الباب أكثر ما ترمى به الشيعة الإماميَّة من الغلوِّ لاعتقادهم أو روايتهم فضائل لأئمَّة أهل البيت عليهم السلام ، وقد طفحت بها الصحاح والمسانيد ، وتدفَّقت بنقلها الكتب والمؤلَّفات ، حيث لم يُقم مَن نَبَزَهُم به لأئمّة الهدى وزناً تقيمه الحقيقة ويقتضيه مقامهم الأسمى ، ذلك المقام الشامخ المستنبط من الكتاب والسّنة والإعتبار الصحيح والقضايا الخارجيَّة الصادقة المتسالم عليها بين الأُمَّة ، لولا أنّ هناك من يتعامى أو يتصامم عن رؤية هذه وسماع هاتيك ، أو تقصر منّته العلميَّة عن تحليل الفلسفة الصحيحة ، أو يقصر باعه عن الإحاطة بالكائنات التاريخيَّة ، من الذين استأسرهم الهوى وَتدَهور بهم الجهل إلى هوَّة التيه والضلال ، فعدّوا من

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١٧١ ، سورة المائدة ؛ الآية : ٧٧ .
(٢) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١ .
(٣) ربيع الأبرار للزمخشري .

الغلوّ الفاحش القول بعلم الغيب فيهم ، أو إخبارهم عمّا في الضمير ، أو تكلّم الموتى معهم ، أو علمهم بمنطق الطير والحيوانات ، أو إحياء الله الموتى بدعائهم ، أو استجابة دعواتهم في برء الأكمه والأبرص ، وبلّ كلّ ذي عاهة ، أو القول بالرجعة لهم ، أو ظهور كرامة لهم تخرق العادة ، أو الشخوص إلى زيارة قبورهم والتوسّل بهم ، والتبرّك بتربتهم ، والدعاء والصّلاة عند مراقدهم ، أو التلهف والتأسف على ما انتابهم من المصائب ، إلى كثير من أمثال هذه من مبادىء تراها الشيعة في العترة الهادية من فضائلهم المدعومة بالبرهنة الصحيحة والحجج القويَّة ممّا أنكرته أبناء حزم وجوزي وتيميَّة وقيّم وكُثير ومَن حذا حذوهم ولفَّ لفَّهم .

ولعلَّ لهم العذر في ذلك بأنَّ الذي يرتأونه في الخليفة لا يزيد على أنَّه رجلٌ يقطع السارق ويقتصُّ من القاتل ، ويحفظ الثغور ، ويدحر الهرج في الأوساط ، ويجمع الفيء ويقسِّم ، إلى أمثال هذه ممّا هو شأن الملوك والأمراء في الأمم والأجيال ، وتُعرب عنه خطب أبي بكر وعمر لمّا استخلفا[1] واستخلاف عثمان ومعاوية وابنه الطاغي ، وهلمّ جرّا ، وحديث عبد الله بن عمر وحميد بن عبد الرّحمٰن كما يأتي بيانه .

وهم لا يوجبون في الخليفة قوَّة في النفس منبعثةً عن نزاهة وقداسة وعصمة يتصرَّف بها صاحبها في الكائنات كيفما اقتضته المصلحة ، ويبصر المغيَّب بعين بصيرته ، أو بنور بصره الذي لا يقلُّ عن أشعَّة (رنتجن) التي يبصر صاحبها الأمعاء من وراء الجلد الغليظ وتُري ما في قبضة الماسك بيده من ظهر اليد ، وبلغت بها القوَّة حتى أخذت بها الصورة الشمسيَّة من وراء سياج الصندوق الحديدي .

والذي يخبت في القوى النفسيَّة إلى مثل التنويم المغناطيسي الصناعي ، أو استحضار الأرواح واستخدامها للجواب عن كلِّ مسألة يريدها الإنسان ممّا في وراء عالم الشهود بقوَّة نفسه كيف يسعه إنكار ردّ الأرواح إلى الأجسام بإذن ربِّها لدعاء

---

(١) راجع الجزء السادس من الكتاب ص ٢٢٩ وهذا الجزء فيما يأتي .

وليٍّ ، أو مقدرة صدِّيق موهوبة له من باريء كيانه ؟ وليس على الله بعزيز ، هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنَّما يقول له كن فيكون .

وكذلك مَن يشهد : أنَّ الطائرات الجوِّية تطوي مئات من الفراسخ في آونة قصيرة ، وكان يستدعي ذلك اشغال أشهر من الزمن يوم كانوا يطوونها على الظهور ، أنّى يُسيغ له حِجاه أن ينكر طيّ الأرض لمن يحمل بين جنبيه قوىً مفاضةً من المبدأ الحقِّ سبحانه ؟ ﴿وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب﴾[١] .

ومثله : الذي يبصر المذياع وهو ينقل الأصوات من أبعد المسافات فيسمعها كأنَّه يتلو القرآن الكريم ، أو يُلقي خطابته ، أو يسرد أخباره ، أو يغنّي بأهازيجه إلى جنبه ، فهو لا يسعه إنكار ما يشابه ذلك في إمام حقّ مؤيَّد من عند الله ، ﴿إنَّ الله يسمع مَن يشاء وما أنت بمسمع مَن في القبور﴾[٢] .

ونظيره : المتكلّم الذي تُمثَّل له بالقوى الممثِّلة صورةُ مَن يخاطبه ويتكلّم معه (في الهاتف) مِن صقعٍ شاسعٍ كأنّه يراه وينظر إليه من كَثَب . ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السَّمٰوات والأرض﴾[٣] .

وأمثال هذه في المكتشفات الحديثة من آثار الكهرباء وغيرها كثيرة ذلَّلت فيهم المعضلات التي كانت تقصر عنها العقول السذّج قبل هذا اليوم ، ولعلَّ في المستقبل الكشّاف يكون ما هو أعظم وأعظم من هذه كلّها ، فإنَّ العلم لم يقف على حدّ ، ولا دلّت البرهنة على وصول الكشف إلى غايته المحدودة ، فمن الجائز أن يتدرَّج إلى الأمام كما تدرَّج في هذه القرون الأخيرة جلّت قدرة بارئها .

أنا لا أُحاول جعل تلكم المعاجز وكرامات الأولياء من قبيل ما ذكرته من مجاري الناموس الطبيعيِّ ، ولو أنَّها لا يعدوها الإعجاز حتّى لو كانت على تلك المجاري ، لأنَّها حدثت يوم لم تكن هذه الآثار مكتشفة ، ولا عرفها أحدٌ من الناس ، حتى انَّه لو فاهَ بها أحدٌ لما كانوا يحفلون به إلاَّ بالهزء والسخريَّة معتقدين

---

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٨٨ .

(٢) سورة فاطر ؛ الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ٧٥ .

بأنّه يلهج بالمحال فصدورها من إنسان هذا ظرفه وتلك أحوال أُمّته ، ولم يعهد أنّه دخل كلّية أو تخرّج على يد أستاذ لا يعدوه أن تكون معجزة ، لكنّا نعتقد أنّ أُولئك الأئمّة ـ بما أنّهم مقيّضون لإصلاح الأُمّة ولا يكون إلّا بخضوعها لهم ، وأقوى الحجج لاستلانة جماحها لذلك الخضوع هو صدور المعجزات والخوارق ـ لهم صلة بالمبدأ الأقدس يسدّدهم بها من فوق عالم الطبيعة ، وهو لازم اللطف الواجب على الله سبحانه من تقريب البعيد إلى ما ذكرناه من الاكتشافات الحديثة لتقريب الأذهان وتشحيذها ، وإيقاف المنصف على الحقائق . وقد فصّلنا القول في الموضوع في الجزء الخامس ص ٧٧ ، ٩٢

فهلمّ معي إلى أُناس يشنّعون على الشيعة بإثبات تلكم النسب ، ويقذفونهم بالغلوّ والكفر والشرك وهم يثبتونها لغير واحد من أوليائهم ، وذكروا أضعاف ما عند الشيعة من تلكم الفضائل المرميّة بالغلوّ في تراجم العاديّين من رجالهم ، ونشروها في الملأ واتّخذوها تاريخاً صحيحاً من دون أيّ غمز وإنكار في السند ، ومن غير مناقشة ونظرةٍ صحيحة في المتون ، كلّ ذلك حبّاً وكرامة لأُولئك الرجال ، وحبُّ الشيء يعمي ويصمّ ، وهذه السيرة مطّردة فيهم منذ القرن الأوّل حتّى اليوم ، ولا يسع لأيِّ باحثٍ رمي أُولئك المؤلّفين الحفّاظ بالضّلال والشرك والغلوّ وخروجهم عمّا أجمعت عليه الأُمّة الإسلاميّة كما هم رموا الشيعة بذلك ، على أنّ الباحث يجد فيما لفّقته يد الدعاية والنشر ، ونسجته أكفُّ المخرقة والغلوّ في الفضائل ، عجائب وغرائب أو قل : سفاسف وسفسطات ، تبعد عن نطاق العقل السليم ، فضلاً عن أن تكون مشروعةً أو غير مشروعة . وإليك البيان :

الغلوّ في أبي بكر :

ليس من العسير الشديد عرفان حدود أيِّ فرد شئت من الصّحابة ، إذ التاريخ ـ مع ما فيه من الخبط والخلط ، مع ما نسجت عليه أيدي المعرّة الأثيمة ، مع ما طمس صحيحه بالفتن المظلمة في أدوارها وقرونها الخالية ، مع ما لعبت به الأهواء المضلّة بالتحريف والإختلاق ، مع ما دسّ فيه عباقرة الإفك والإفتعال ، مع ما سوّدت صفحاته بآراء تافهة ، ونظريّات سخيفة ، ومبادىء فاسدة ، ونعرات طائفيّة ، ومخاريق قوميّة ، وجنايات شعوبيّة ـ فيه رمزٌ من الحقيقة ، لا يختلط للناقد

البصير زُبده بخاثره ، وصحيحه بسقيمه ، ويسع له أن يستخرج المحض بالمخض ، يتّخذ منه دروس الحقائق ، ويعرف به حدود الرجال ، ومقاييس السلف ، ومقادير الأُمم الغابرة .

ومن اللازم المحتوم علينا النظرة في تراجم الشخصيّات البارزة من رجال الإسلام سلفاً وخلفاً بعين الإكبار دون عين رمصة ، ولا سيَّما من عُرف منهم بالخلافة الراشدة بين الملأ الدينيِّ ولو بالإنتخاب الدستوري الذي ليس له أيّ قيمة وكرامة في سوق الإعتبار ، وميزان العدل ، **﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة﴾**[1] **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**[2] **﴿ولله الأمر من قبلُ ومِن بعدُ﴾**[3] **﴿وهو وليهّم بما كانوا يعملون﴾**[4] ، **﴿وكذّبوا واتّبعوا أهوائهم وكلّ أمر مستقرّ﴾**[5] .

فصاحب النبيِّ الأعظم في الغار ، والمهاجر الوحيد معه في الرعيل الأوَّل من المهاجرين السابقين يهمّنا إكباره وإعظامه ، ويُعدُّ من الجنايات الفاحشة بخس حقّه ، والتقصير في تحديد نفسيّاته ، والخروج عن قضاء العدل فيها ، والنزول على حكم العاطفة .

ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة وأنَّها كيف تمَّت ؟ كيف صارت ؟ كيف قامت ؟ كيف دامت ؟ وأنَّ الآراء فيها هل كانت حرَّة ؟ ووصايا المشرِّع الأعظم هل كانت متَّبعة ؟ أو كانت للأهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبّارة هي تبطش وتقبض ، وهي ترفع وتخفض ، وهي ترتق وتفتق ، وهي تنقض وتبرم ، وهي تحلّ وتعقد .

لا يهمّنا البحث عن هذه كلّها بعدما سمعت أُذن الدنيا حديث السقيفة مجتمع

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦٨ .
(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .
(٣) سورة الروم ؛ الآية : ٤ .
(٤) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٧ .
(٥) سورة القمر ؛ الآية : ٦٧ .

الثويلة ، وقرّطت بنبأ تلك الصاخّة الكبرى ، والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار ، إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة .

ما عساني أن أقول ؟ والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه بأنَّ كلَّ رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسّلامة لنفسه في عدم التحزُّب بأحد من تلكم الأحزاب المتكثّرة ، وترك الإقتحام في تلك الثورات النائرة ، وكانت الخواطر تهدِّده بالقتل مهما أبدى الشقاق ، أو التحيز إلى فئة دون فئة ، بعدما رأت عيناه فِرند الصارم المسلول ، وسمعت أُذناه نداء محزّ[1] يتوعّد بالقتل كلَّ قائل بموت رسول الله ، ويقول : لا أسمع رجلاً يقول : مات رسول الله إلاَّ ضربته بسيفي . أو يقول : من قال : إنَّه مات ، علّوت رأسه بسيفي ، وإنّما ارتفع إلى السَّماء[2] .

يصيح : مَن قال نفس المصطفى قبضت   علوت هامته بالسيف أبريها[3]

بعدما تشازرت الأُمّة وتلاكمت وتكالمت وقام الشيخان يعرض كلٌّ منهما البيعة لصاحبه قبل أخذ الرأي عن أيِّ أحد ، كأنَّ الأمر دبّر بليل ، فيقول هذا لصاحبه : أبسط يدك فلأُبايعك . ويقول آخر : بل أنت . وكلٌّ منهما يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه ، ومعهما أبو عبيدة الجراح حفّار القبور بالمدينة[4] يدعو الناس إليهما[5] . والوصيُّ الأقدس والعترة الهادية وبنو هاشم ألهاهم النبيُّ الأعظم وهو مسجّى بين يديهم وقد أغلق دونه الباب أهله[6] وخلّى أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين

---

(١) المحزّ : الرجل الغليظ الكلام .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٢ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ص ١٥٦ ، المواهب اللدنية للقسطلاني ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨٠ ، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٤ ، ذكرى حافظ للدمياطي ص ٣٦ نقلاً عن الغزالي .

(٣) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم شاعر النيل .

(٤) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٨١ ، ٣٨٢

(٥) تأريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٩ .

(٦) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٦ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٣ .

أهله فولوا إجنانه[١] ومكث ثلاثة أيّام لا يُدفن[٢] أو من يوم الإثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته[٣] فدفنه أهله ولم يله إلاَّ أقاربه[٤] دفنوه في الليل أو في آخره[٥] ولم يعلم به القوم إلاَّ بعد سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف الليل[٦] ولم يشهد الشيخان دفنه صلّى الله عليه وآله وسلّم [٧] .

بعدما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزبد شدقاه [٨] .

بعدما قرعت سمعه عقيرة صحابيّ بدريّ عظيم ـ الحباب بن المنذر ـ وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول : والله لا يردُّ عليَّ أحدٌ ما أقول إلاَّ حطمت أنفه بالسيف ، أنا جُذيلها المحكَّك[٩] وعُذيقها المرجّب ، أنا أبو شبل في عرينة الأسد يُعزى إلى الاسد ، فيقال عليه : إذن يقتلك الله . فيقول : بل إياك يقتل . أو : بل

---

(١) طبقات ابن سعد ص ٨٢١ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٦ .

(٢) تأريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧١ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٢ ص ٥٨ ، ٥٩ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٩٩ ، سيرة ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٤٠ ، تأريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٢ ، وقال : الأصح دفنه ليلة الأربعاء ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ١٧١ وقال : هو المشهور عن الجمهور . وقال : والصحيح أنه دفن ليلة الأربعاء ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨٤ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٨٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ص ٨٢٤ ، ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨ .

(٥) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٩٩ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ .

(٦) الطبقات لابن سعد ص ٨٢٤ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٤ ، تأريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ .

(٨) طبقات ابن سعد ص ٧٨٧ ، ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٣ .

(٩) الجذل بالكسر والفتح : أصل الشجرة والعود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتكّ به فتستشفي به ، فالقول مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه ، والتصغير للتعظيم .

وكذلك عذيقها المرجّب . والعذق : النخلة بحملها والترجيب أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها .

أراك تقتل[١] فأُخذ ووطىء في بطنه ، ودُسَّ في فيه التراب[٢] .

بعدما شاهد ثالثاً يخالف البيعة لأبي بكر وينادي : أما والله أرميكم بكلِّ سهم في كنانتي من نبل، وأخضب منكم سناني ورمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأُقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي[٣] .

بعدما رأى رابعاً يتذمَّر على البيعة ، ويشبُّ نار الحرب بقوله : إنِّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلَّا دم[٤] .

بعدما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون يُنزى عليه ، ويُنادى عليه بغضب : اقتلوا سعداً قتله الله إنَّه منافق . أو : صاحب فتنة . وقد قام الرجل على رأسه ويقول : لقد هممت أن أُطأك حتَّى تندر عضوك . أو تندر عيونك[٥] .

بعدما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة . أو : لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة[٦] .

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٤٥ ، مسند أحمد ج ١ ص ٥٦، البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩ ، تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٦ ، ج ٧ ص ١٤٢ ، الصفوة ج ١ ص ٩٧ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ وج ٢ ص ٤ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٨٧ ، أبو بكر الصديق للأستاذ محمد رضا المصري ص ٢٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٨٧ .

(٤) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا صفحة ٣١٢

(٥) مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٤ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ .

(٦) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ .

بعدما عاين الزبير وقد اخترط سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبايع عليٌّ . فيقول عمر : عليكم الكلب ، فيؤخذ سيفه من يده ويُضرب به الحجر ويُكسر[١] .

بعدما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره ، أو نظر إلى الحباب بن المنذر وهو يحطَّم أنفه ، وتُضرب يده أو إلى اللائذين بدار النبوَّة ، مأمن الأُمَّة ، وبيت شرفها ، بيت فاطمة وعليٍّ ـ سلام الله عليهما ـ وقد لحقهم الإرهاب والترعيد[٢] وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت : يابن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأُمَّة[٣] .

بعدما رأى هجوم رجال الحزب السياسيِّ دار أهل الوحي وكشف بيت فاطمة[٤] وقد علت عقيرة قائدهم بعدما دعا بالحطب : والله لتحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة . أو لتخرجنَّ إلى البيعة أو لأحرقنَّها على مَن فيها . فيقال للرجل : إنَّ فيها فاطمة . فيقول : وإن[٥] .

بعد قول ابن شحنة : إنَّ عمر جاء إلى بيت عليٍّ ليحرقه على من فيه فلقيته فاطمة فقال : ادخلوا فيما دخلت فيه الأُمَّة «تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤» .

بعدما سمع أنّةً وحنّةً من حزينة كئيبة ـ بضعة المصطفى ـ وقد خرجت عن

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٨ ، ١٣٢ ، ج ٢ ص ٥ ، ١٩ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٨ .

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٠ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٧ .

(٤) الأموال لأبي عبيد ص ١٣١ ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨ ، تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٢ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٤ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٥) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ، ج ٢ ص ١٩ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٥ .

خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة[١] ؟ .

بعدما رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميّات تنادي : يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله .
[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ج ٢ ص ١٩]

بعدما شاهد هيكل القداسة والعظمة ـ أمير المؤمنين ـ يُقاد إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش[٢] ويُدفع ويُساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون ، ويُقال له : بايع . فيقول : إن أنا لم أفعل فمه ؟ فيقال : إذن والله الذي لا إلٰه إلاّ هو نضرب عنقك فيقول : إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله[٣] .

بعدما رأى صنو المصطفى عليّاً لاذ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصيح ويبكي ويقول : يا بن أُمّ ! إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[٤] .

بعد نداء أبي عبيدة الجرّاح لعليّ عليه السلام يوم سيق إلى البيعة : يابن عمّ إنَّك حديث السنِّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور ولا أرى أبا بكر إلاَّ أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً واستطلالاً ، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر فإنَّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليقٌ وحقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك[٥] .

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم : لا نبايع إلاَّ

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٦ ، الإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ج ١ ص ٢٢٥ .
(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٥ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧ .
(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨ و ١٩ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٦ .
(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ .
(٥) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .

عليّاً . وبعد صياح بدريِّهم : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، وقول عمر له : إذ كان ذلك فمت إن استطعت[(١)] .

بعد قول أبي بكر للأنصار : نحن الأُمراء وأنتم الوزراء ، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشقِّ الابلمة ـ يعني الخوصة ـ[(٢)] .

مدَّت لها الأوس كفّاً كي تناولها ... فمدَّت الخزرج الأيدي تباريها
وظنَّ كلُّ فريق أنّ صاحبه ... أولى بها وأتى الشحناء آتيها[(٣)]

بعد قول أُمّ مسطح بن أثاثة واقفةً عند قبر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهي تنادي : يا رسول الله !

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثةٌ[(٤)] ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب[(٥)]

هذه كلّها كانت تهدِّد السواد ، وتروِّع عامَّة الناس وما كان لأحد في إصلاح القوم مطمع ، ولا لأيّ من الأُمَّة بعدما شاهد الحال يوم ذاك حسبان حرمة ولا كرامة لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيّار المتدفِّق .

---

(١) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر وفي باب رجم الحبلى ج ١٠ ص ٤٥ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ وج ٣ ص ١٢٩ ، البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، التمهيد للباقلاني ص ١٩٧ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٦٧ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ١٤٦ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤١ ، ٤٥ .

(٢) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨١ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٤ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ ، ج ٣ ص ١٢٩ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٨ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥٢ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٨٦ ، نهاية ابن الأثير ج ١ ص ١٣ فيه : كقد الابلمة . تاج العروس ج ٨ ص ٢٠٥ .

(٣) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم شاعر النيل .

(٤) الهنبثة : الأمر الشديد والإختلاط في القول .

(٥) طبقات ابن سعد ص ٨٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧ ، وج ١ ص ١٣٢ ، وقد يعزى البيتان مع أبيات أُخرى إلى الصديقة فاطمة سلام الله عليها .

وكانت هناك أُمَّةٌ تراها سكارى - وما هي بسكارى - من حراجة الموقف تسارّها هواجسها بالتربّص إلى حين ، حتّى تضع الغائلة أوزارها ، ويتّضح مآل أمر دبّر بليل ، ويتبيَّن الرشد من الغيِّ ، وهواجس تجعل جماعة كالنزيعة تجهش وتحنُّ وتقرع سنَّ الأسف ، وكم حنون لا يجديه حنينه .

وما عساني أن قول في تلك الخلافة ؟ بعدما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلتة كفلتة الجاهليَّة وقى الله شرَّها[١] .

بعدما حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة[٢] .

بعد قوله يوم السقيفة : من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغرّة أن يقتلا[٣] .

بعد قوله لابن عباس : لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر[٤] .

بعد قوله : إنّا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه ، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها .

بعد قول ابن عبّاس له في جوابه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره ، أفتستصغره أنت وصاحبك ؟[٥] .

بعد قول عمر لابن عبّاس : يابن عبّاس ! ما أظنُّ صاحبك إلاَّ مظلوماً . وقول

---

(١) التمهيد للباقلاني ص ١٩٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٩ ، الغدير لنا ج ٥ ص ٤٤٦ .

(٢) التمهيد ص ١٩٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، الصواعق لابن حجر ص ٢١ .

(٣) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٤٤ باب رجم الحبلى من الزنا ؛ مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ ؛ سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٨ ، نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٥ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ وج ٢ ص ٢٠ ، الغدير كتابنا هذا ج ١ ص ٤٤٧ .

(٥) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٤٤٧ ، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩١ .

ابن عبّاس له : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر .
[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٨]

بعد قول أبي السبطين أمير المؤمنين : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم ، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، فيقول عمر : لست متروكاً حتى تبايع . فيقول عليٌّ : احلب يا عمر ! حلباً لك شطره[1] .

بعد قوله عليه السلام : ألله ألله يا معشر المهاجرين ! ألا تخرجوا سلطان محمَّد في العرب من داره ، وقعر بيته إلى دوركم ، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقّه ، فوالله يا معشر المهاجرين فنحن أحقُّ الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحقُّ بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، العالم بسنن الله ، المتطلّع لأمر الرعيَّة ، الدافع عنهم الأُمور السيّئة ، القاسم بينهم بالسويَّة ، والله إنَّه لفينا ، فلا تتَّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقِّ بعدا[2] .

بعد قوله عليه السلام : لَمّامضى ـ المصطفى ـ لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يُلقى في روعي ، ولا يخطر على بالي أنَّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمَّد عن أهل بيته ، ولا أنَّهم مُنَحّوه عنّي من بعده ، فما راعني إلاَّ انثيال الناس على أبي بكر ، وإجفالهم إليه ليبايعوه ، فأمسكت يدي ، ورأيت أنِّي أحقُّ بمقام محمَّد في الناس ممَّن تولّى الأمر من بعده[3] .

بعدما خرج عليٌّ كرَّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابَّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أنَّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول عليٌّ كرَّم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه ، وأخرج أُنازع سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلاَّ ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[4] .

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .
(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .
(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ .
(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣١ ، ج ٢ ص ٥ .

بعد قوله عليه السلام : أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، وإنّه ليعلم أنَّ محلّي منها محلُّ القطب من الرَّحى ، ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين أنْ أصول بيدٍ جذَّاء ، أو أصبر على طخيةٍ عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربَّه ، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهبا ، حتّى مضى الأوَّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده .

«ثمَّ تمثَّل بقول الأعشى» :

شتَّان ما يومي على كورها ويوم حيَّان أخي جابر

فيا عجباً يسقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها ، فصيَّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسُّها ، ويكثر العثار فيها والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن اشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحَّم ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلوُّن واعتراض ، فصبرت على طول المدَّة ، وشدَّة المحنة حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم فيا لله وللشورىٰ ، متى اعترض الريب فيَّ مع الأوَّل منهم حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر ، لكنّي أسففت إذ اسفّوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغا رجلٌ منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته . الحديث .

كلمتنا حول هذه الخطبة :

هذه الخطبة تسمّى بالشقشقيّة وقد كثر الكلام حولها فأثبتها مَهرَة الفنِّ من الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين الثابتة التي لا مغمز فيها ، فلا يُسمع إذن قول الجاهل بأنَّها من كلام الشريف الرضي ، وقد رواها غير واحد في القرون الأُولىٰ قبل أن تنعقد للرضي نطفته ، كما جاءت باسناد معاصريه والمتأخرين عنه من غير طريقه وإليك أُمَّة من أُولئك :

١ ـ الحافظ يحيى بن عبد الحميد الحماني المتوفّى سنة ٢٢٨ كما في طريق الجلودي في العلل والمعاني .

٢ ـ أبو جعفر دعبل الخزاعي المتوفّى سنة ٢٤٦ رواها بإسناده عن ابن عبّاس كما في أمالي شيخ الطائفة ص ٢٣٧ ، ورواها عنه أخوه أبو الحسن علي .

٣ ـ أبو جعفر أحمد بن محمّد البرقي المتوفّى سنة ٢٧٤ / ٨٠ كما في علل الشرائع .

٤ ـ أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة المتوفّى سنة ٣٠٣ كما في الفرقة الناجية للشيخ إبراهيم القطيفي ، والبحار للعلاّمة المجلسي ج ٨ ص ١٦١ .

٥ ـ وجدتْ بخطّ قديم عليه كتابة الوزير أبي الحسن عليٍّ بن الفرات المتوفّى سنة ٣١٢ كما في شرح ابن ميثم .

٦ ـ أبو القاسم البلخي أحد مشايخ المعتزلة المتوفّى سنة ٣١٧ كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩ .

٧ ـ أبو أحمد عبد العزيز الجلودي البصري المتوفّى سنة ٣٣٢ كما في معاني الأخبار .

٨ ـ أبو جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي المذكور رواها في كتابه (الإنصاف) كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩ ، وشرح ابن ميثم .

٩ ـ الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ كما في طريق القطب الراوندي في شرح النهج .

١٠ ـ أبو جعفر ابن بابويه القمي المتوفّى سنة ٣٨١ في كتابيه : علل الشرائع ومعاني الأخبار .

١١ ـ أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفّى سنة ٣٨٢ . حكى عنه شيخنا الصدوق شرح الخطبة في معاني الأخبار والعلل .

لفت نظر :

عدَّه السيّد العلاّمة الشهرستاني في (ما هو نهج البلاغة) ص٢٢ ممّن روى الشقشقيّة فأرّخ وفاته بسنة ٣٩٥ ، وذكره في ص ٢٣ فقال : من أبناء القرن الثالث . لا يتمّ هذا ولا يصحّ ذلك ، وقد خفي عليه أنَّ الحسن بن عبد الله العسكري راوي الشقشقيّة هو أبو أحمد صاحب كتاب الزواجر وقد توفّي سنة ٣٨٢ وولد سنة ٢٩٣ ، وحسبه أبا هلال الحسن بن عبد الله العسكري صاحب كتاب «الأوائل» تلميذ أبي أحمد العسكري والتاريخ الذي ذكره تاريخ فراغه من كتابه الأوائل لا تاريخ وفاته . توجد ترجمة كلا الحسنين العسكريين في معجم الأُدباء ج ٨ ص ٢٣٣ - ٢٦٨ ، وبغية الوعاة ص ٢٢١ .

١٢ - أبو عبد الله المفيد المتوفّى سنة ٤١٢ ، استاذ الشريف الرضي رواها في كتابه (الإرشاد) ص ١٣٥ .

١٣ - القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفّى سنة ٤١٥ : ذكر في كتابه «المغني» تأويل بعض جمل الخطبة ومنع دلالتها على الطعن في خلافة مَن تقدّم على أمير المؤمنين من دون أيّ إيعاز إلى الغمز في إسنادها .

١٤ الحافظ أبو بكر ابن مردويه المتوفّى سنة ٤١٦ ، كما في طريق الراوندي في شرح النهج .

١٥ - الوزير أبو سعيد الآبي المتوفّى سنة ٤٢٢ في كتابه (نثر الدرر ونزهة الأديب) .

١٦ - الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الأكبر توفّي سنة ٤٣٦ ذكر جملة منها في الشافي ص ٢٠٣ فقال : مشهورٌ : وذكر صدرها في ص ٢٠٤ فقال : معروفٌ .

١٧ - شيخ الطائفة الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٠ رواها في أماليه ص ٣٢٧ عن السيّد أبي الفتح هلال بن محمّد بن جعفر الحفّار المترجم في مستدرك العلاّمة النوري ج ٣ ص ٥٠٩ من طريق الخزاعيّين . وفي تلخيص الشافي .

١٨ ـ أبو الفضل الميداني المتوفّى سنة ٥١٨ في مجمع الأمثال ص ٣٨٣ قال : ولأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خطبةٌ تعرف بالشقشقيَّة لأنَّ ابن عبّاس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه : يا أمير المؤمنين ! لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت . فقال : هيهات يا ابن عبّاس ! تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرّت .

١٩ ـ أبو محمّد عبد الله بن أحمد البغدادي الشهير بابن الخشاب المتوفّى سنة ٥٦٧ قرأها عليه أبو الخير مصدَّق الواسطي النحوي ، وسيوافيك بُعيد هذا كلامه فيها .

٢٠ ـ أبو الحسن قطب الدين الراوندي المتوفّى سنة ٥٧٣ رواها في شرح نهج البلاغة من طريق الحافظين : ابن مردويه والطبراني وقال : أقول : وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدَّة ، أحدهما : أنَّها مضمنة كتاب «الإنصاف» لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي . الثاني : وجدتها بنسخة عليها خطّ الوزير أبي الحسن علي بن محمّد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة ، والذي يغلب على ظنّي أنَّ تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدَّة .

٢١ ـ أبو منصور الطبرسي أحد مشايخ ابن شهرآشوب المتوفّى سنة ٥٨٨ في كتابه «الإحتجاج» ص ٩٥ فقال : روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عبّاس .

٢٢ ـ أبو الخير مصدّق بن شبيب الصلحي النحوي المتوفّى سنة ٦٠٥ قرأها على أبي محمّد ابن الخشّاب وقال : لمّا قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمّد ابن الخشّاب ووصلت إلى قول ابن عبّاس : ما أسفت على شيء قطُّ كأسفي على هذا الكلام . قال : لو كنت حاضراً لقلت لابن عبّاس : وهل ترك ابن عمّك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة ؟ فإنّه ما ترك لا الأوّلين ولا الآخرين . قال مصدّق : وكانت فيه دعابة فقلت له : يا سيِّدي ! فلعلّها منحولةٌ إليه . فقال : لا والله إنِّي أعرف أنَّها من كلامه كما أعرف أنَّك مصدّق . قال فقلت : إنَّ النّاس

ينسبونها إلى الشريف الرضي . فقال : لا والله ، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب ؟ فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه ثمَّ قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتاب صنّف قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط مَن هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أو أحمد والد الرضي .

[راجع شرح ابن ميثم . وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩]

٢٣ ـ مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٠٦ ، أوعز إليها في كلمة «شقشق» في النهاية ج ٢ ص ٢٩٤ فقال : ومنه حديث عليّ في خطبة له : تلك شقشقةٌ هدرت ثمّ قرَّت .

٢٤ ـ أبو المظفر سبط ابن الجوزي المتوفّى سنة ٦٥٤ في تذكرته ص ٧٣ من طريق شيخه أبي القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عبّاس فقال : تُعرف بالشقشقيَّة ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخلَّ بالبعض وقد أتيت بها مستوفاة . ثمَّ ذكرها مع اختلاف ألفاظها .

٢٥ ـ عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة ٦٥٥ قال في شرح النهج ج ١ ص ٦٩ قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديّين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة . ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإماميَّة وهو الكتاب المشهور بكتاب «الإنصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالىٰ ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالىٰ موجوداً .

٢٦ ـ كمال الدين ابن ميثم البحراني المتوفّى سنة ٦٧٩ ، حكاها عن نسخة قديمة عليها خطُّ الوزير علي بن الفرات المتوفّى سنة ٣١٢ ، وعن كتاب «الإنصاف» لابن قبة ، وذكر كلمة ابن الخشّاب المذكورة وقراءة أبي الخير إيّاها عليه .

٢٧ ـ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري المتوفّى سنة

٧١١ قال في مادّة (شقشق) من كتابه (لسان العرب) ج ١٢ ص ٥٣ : وفي حديث علي رضوان الله عليه في خطبة له : تلك شقشقةٌ هدرت ثمَّ قرَّت .

٢٨ ـ مجد الدين الفيروز آبادي المتوفّى سنة ١٧/٨١٦ ، أوعز إليها في القاموس ج ٣ ص ٢٥١ قال : والخطبة الشقشقية العلويَّة لقوله لابن عبّاس لمّا قال له : لو اطرَدت مقالتك من حيث أفضيت : يابن عبّاس ! هيهات تلك شقشقةٌ هدرت ثمَّ قرَّت .

ثمَّ ما عساني أن أقول بعدما يُعربد شاعر النيل[١] اليوم ، ويؤَجج النيران الخامدة ويُجدِّد تلكم الجنايات المنسيَّة (لاها الله لا تُنسى مع الأبد) ويعدّها ثناء على السلف ، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلكم المعرّات ، ويتبهَّج ويتبجَّح بقوله في القصيدة (العمريَّة) تحت عنوان : عمر وعليّ :

وقولةٍ لعليٍّ قالها عمر	أكرم بسامعها أعظم بملقيها
: حرَّقت دارك لا أبقي عليك بها	إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوهُ بها	أمام فارس عدنانٍ وحاميها

ماذا أقول بعدما تحتفل الأُمَّة المصريَّة في حفلة جامعة في أوائل سنة ١٩١٨ بإنشاد هذه القصيدة العمريَّة التي تتضمَّن ما ذكر من الأبيات ؟ وتنشرها الجرائد في أرجاء العالم ، ويأتي رجال مصر نظراء أحمد أمين . وأحمد الزين . وإبراهيم الأبياري[٢] وعلي جارم . وعلي أمين[٣] وخليل مطران[٤] ومصطفى الدمياطي بك[٥] وغيرهم[٦] ويعتنون بنشر ديوانٍ هذا شعره ، وبتقدير شاعر هذا شعوره ،

---

(١) محمد حافظ إبراهيم المتوفّى سنة ١٩٣٣ م ١٣٥١ هـ .

(٢) ضبط وصحح وشرح هؤلاء الثلاث الديوان طبعة سنة ١٩٣٧ م بدار الكتب في جزءين والأبيات المذكورة توجد فيها ج ١ ص ٨٢ .

(٣) هما ومعهما ثالث التزموا تصحيح الديوان في طبعة أُخرى .

(٤) له مقدمة لديوان الحافظ في طبعة مكتبة الهلال سنة ١٩٣٥ م ١٣٥٣ هـ والأبيات فيها ص ١٨٤ غير أن الشطر الثاني من البيت الثاني محرف : إن لم تبالغ وبنت المصطفى فيها .

(٥) شارح القصيدة العمرية طبع بمطبعة السعادة في مصر في ٩٠ صفحة . توجد الأبيات فيه مشروحة ص ٣٨ .

(٦) في عدة طبعات أُخرى .

ويخدشون العواطف في هذه الأزمة ، في هذا اليوم العصبصب ، ويعكّرون بهذه النعرات الطائفيّة صفو السّلام والوئام في جامعة الإسلام ، ويشتّتون بها شمل المسلمين ، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً .

وتراهم يجدّدون طبع ديوان الشاعر وقصيدته العمريّة خاصّة مرّة بعد أُخرى ويعلّق عليها شارحها الدمياطي قوله في البيت الثاني : المراد أنَّ عليّاً لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار .

وقال في ص ٣٩ من الشرح : وفي رواية لابن جرير الطبري قال : حدّثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال : أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال : والله لأحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه . فإن كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق . والظاهر أنَّ حافظاً رحمه الله عوّل على هذه الرواية . ا هـ .

وتراهم بالغوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنَّه جاء للأُمَّة بعلم جمّ ، أو رأي صالح جديد ، أو أتى لعمر بفضيلة رابية تسرُّ بها الأُمَّة ونبيُّها المقدَّس ، فبشرى بل بشريان للنبيّ الأعظم بأنَّ بضعته الصدِّيقة لم تكن لها أيّ حرمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول ، ولم يكن سكناها في دار طهَّر الله أهلها يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم . فزهٍ زهٍ بانتخاب هذا شأنه ، وبخٍ وبخٍ ببيعة تمَّت بذلك الإرهاب ، وقضت بتلك الوصمات .

لا تهمّنا هذه كلّها وإنَّما يهمّنا الساعة «بعد أن درسنا تاريخ حياة الخليفة الأوّل فوجدناه لدة غيره من الناس العاديِّين في نفسيّاته قبل إسلامه وبعده ، وإنَّما سنّمه عرش الخلافة الانتخاب فحسب» البحث في موضوعين ألا وهما : فضائله المأثورة . وملكاته النفسيَّة .

١ ـ فضائله المأثورة

هل صحّ عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيه حديث فضلة ؟ وهل صحيحٌ ما رووه

فيه من الثناء الكثير الحافل ؟ نحن هٰهنا نقف موقف المستشفّ للحقيقة ، ولا ننبس في القضاء ببنت شفة ، غير ما ننقله عن أئمّة فنّ الحديث المميِّزين بين صحيحه وسقيمه ، ثمّ نردفه بالإعتبار الذي يساعده .

قال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه «سفر السعادة المطبوع» : خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شيءٌ صحيحٌ ، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث شيءٌ . ثمّ عدَّ أبواباً إلى أن قال :

باب فضائل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه . أشهر المشهورات من الموضوعات أنّ الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة . وحديث : ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلّا وصبَّه في صدر أبي بكر . وحديث : كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتاق الجنّة قبّل شيبة أبي بكر . وحديث : أنا وأبو بكر كفرسي رهان . وحديث : إنّ الله لمّا اختار الأرواح اختار روح أبي بكر . وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل اهـ .

وعدَّ العجلوني في كتابه كشف الخفا ص ٤١٩ ـ ٤٢٤ مائة باب من أبواب الفقه وغيره فقال : لم يصحّ فيه حديثٌ . أو : ليس فيه حديثٌ صحيح . وما يقاربهما وقال في ص ٤١٩ : فضائل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث أن الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة . إلى آخر عبارة الفيروز آبادي المذكورة .

وذكر السيوطي في «اللآلي المصنوعة» ج ١ ص ١٨٦ ـ ٣٠٢ ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر «ممّا اتّخذه المؤلِّفون في القرون الأخيرة من المتسالم عليه ، وأرسلوه إرسال المسلّم بلا أيِّ سند أو أيِّ مبالاة» وزيَّفها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الحفّاظ فيها .

كان السيوطي يهملج وراء القوم فبهظه أن لا يستصحّ حتّى حديثاً واحداً من تلكم الثلاثين فقال في ص ٢٩٦ فيما عزي إليه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : «عُرج بي إلى السّماء فما مررت بسماء إلّا وجدت فيها مكتوباً : محمّد رسول الله ، أبو بكر

الصدِّيق من خلفي» بعدما حكم عليه بالوضع لمكان عبد الله بن إبراهيم الغفاري[1] الوضّاع . وكان شيخه عبد الرّحمٰن بن زيد المتّفق على ضعفه ينصّ منه عليهما بذلك ما لفظه :

قلت : الذي أستخير الله فيه الحكم على هذا الحديث بالحسن لا بالوضع ولا بالضعف لكثرة شواهده . ثمّ ذكر شواهد عن طريق لا يصحُّ شيءٌ منها ، وفي كلِّ واحد منها وضّاعٌ أو كذّابٌ ، أو من اتفق على ضعفه ، أو مجهول لا يُعرف يروي عن مِجهول مثله ، وقد غزب عنه أنَّ الإستخارة لا تقلّب الشّر خيراً ، ولا يعيد السقيم صحيحاً . ولا المنكر معروفاً .

وراحت إلى العطار تبغي شبابها فهل يُصلح العطار ما أفسد الدهر؟

والله سبحانه لا يجازف في إسداء الخير ، والشواهد المكذوبة لا تقوي الضعف مع نصِّ الحفّاظ على كلِّ واحد منها بالوضع أو الضعف ، وإليك بيان طرق تلك الشواهد :

١ - طريق الخطيب البغدادي مرَّ في الجزء الخامس ص ٣٦٨ ، ٣٩٣

٢ - طريق البزّار في مسنده وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري الوضّاع ، وشيخه عبد الرّحمٰن بن زيد المتّفق على ضعفه كما في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٧٨ ، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٢٩٦ .

٣ - طريق ابن شاهين في السنّة وهو طريق الخطيب البغدادي وحديثه ، وقد حكم الذهبي وابن حجر ببطلانه كما مرَّ في الجزء الخامس .

٤ - طريق الدارقطني في الافراد قال السيوطي في «اللآلي» ج ١ ص ٢٩٧ بعد ذكره قال الدارقطني : تفرَّد به (محمّد) بن فضيل عن ابن جريج لا أعلم أحداً حدَّث به غير هذين . وأورده المؤلِّف في الواهيات من طريق السري وقال : لا يصحّ . قال ابن حبّان : لا يحلُّ الإحتجاج بالسري بن عاصم .

---

(١) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٦٨ ط ٢ .

قال الأميني : السري بن عاصم راوي الحديث أحد الكذّابين مرَّت ترجمته في الجزء الخامس ص ٢٨٣ ، وللدارقطني طريق آخر وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد أحد الكذّابين[1] وبهذا الطريق ذكره السيوطي في «اللآلي ج ١ ص ٣٠٩» فقال : لا يصحُّ آفته عمر كذّابٌ .

٥ ـ طريق الديلمي في مسند الفردوس فيه بعد رجال مجاهيل عبد المنعم بن بشير أبو الخير الكذّاب الوضّاع الذي له مائتا حديث كذب[2] وعبد الرَّحمٰن بن زيد بن أسلم المجمع على ضعفه كما مرَّ .

٦ ـ طريق الختلي في ديباجه عن نصر بن حريش[3] عن أبي سهل مسلم الخراساني عن عبد الله بن إسماعيل عن الحسن البصري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مكتوب على ساق العرش : لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له ، محمّدٌ رسول الله ، ووزيراه أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق .

قال الدارقطني كما في تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٨٦ : هذا إسنادٌ ضعيفٌ لا يثبت ، أبو سهل ونصر بن حريش ضعيفان . وقال العقيلي كما في لسان الميزان ج ٣ ص ٢٦٠ : عبد الله بن إسماعيل منكر الحديث لا يُتابع على شيء من حديثه . والحديث مع هذا مرسلٌ والحسن البصري لا يروي عن رسول الله ولم يدركه . وللخطيب طريق بهذا اللفظ ليست فيه كلمة (ساق . ووزيراه) وفي اسناده أحمد بن رجاء بن عبيدة قال الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ١٥٨ : مجهولٌ .

٧ ـ طريق ابن عساكر فيه عبد العزيز الكتاني ليَّنه الذهبي كما في لسان الميزان ج ٤ ص ٣٣ ، وفيه الحارث بن زياد المحاربي قال الذهبي وغيره : ضعيفٌ مجهولٌ كما في اللسان ج ٢ ص ١٤٩ ، وفيه من لا يُعرف ولا توجد له ترجمةٌ في المعاجم .

ولابن عساكر طريقٌ آخر بالإسناد عن محمّد بن عبد بن عامر المعروف بوضع

---

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٠١

(٢) راجع الجزء الخامس من الكتاب ص ٢٩٥

(٣) في اللآلي : جريش : والصحيح ما ذكرناه .

الحديث[١] عن عصام بن يوسف ضعَّفه ابن سعد ، وخطَّأه ابن حبّان ، وقال ابن عدي : روى أحاديث لا يُتابع عليها . كما في لسان الميزان ج ٤ ص ١٦٨ .

ويرشدك إلى صحَّة قول الفيروزآبادي والعجلوني ما أوضحناه في الجزء الخامس ص ٣٦١ ـ ٤٠٢ من تفنيد مائة منقبة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مختلفة لأبي بكر ولزبائنه بحكم الأئمَّة والحفّاظ . وكذا ما زيّفناه من خمس وأربعين رواية موضوعة في الخلافة في صفحة ٤٠٣ ـ ٤٣٠ كلٌّ ذلك بقضاء من رجالات الفنِّ نظراء : ابن عدي ، الطبراني ، ابن حبَّان ، النسائي ، الحاكم ، الدارقطني ، العقيلي ، ابن المديني ، أبو عمر ، الجوزقاني ، المحب الطبري ، الخطيب البغدادي ، ابن الجوزي ، أبو زرعة ، ابن عساكر ، الفيروزآبادي ، إسحاق الحنظلي ، ابن كثير ، ابن القيِّم ، الذهبي ، ابن تيميَّة ، ابن أبي الحديد ، ابن حجر الهيثمي ، ابن حجر العسقلاني ، الحافظ المقدسي ، السَّيوطي ، الصغّاني ، الملاّ علي القاري ، العجلوني ، ابن درويش الحوت ، وغيرهم .

ويشهد لبطلان تلكم الروايات الجمَّة في فضائل الخليفة الأوَّل خلوُّ الصحاح الستّ والسنن والمسانيد القديمة عنها ، فلو كان مؤلِّفوها يجدون على شيء منها مسحة من الصحَّة بل لو كانوا واقفين عليها ولو على واحدة منها لما أجمعوا على تركها فيرويها متحرّو الزوايا ، ونبّاشة الدفائن ، فيبرزوها إلى الملأ من تحت غبار الهجر ، أو وراء نسج عناكب النسيان ، فيرشدنا ذلك إلى أنَّ مواليد هذه الروايات متأخِّرٌ تاريخها عن عهد أرباب الصِّحاح وحسبها ذلك مهانةً . كما أنَّ ما في الصِّحاح من النزر اليسير ولائد متأخّرة عن عهدالنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

على أنَّ الخليفة نفسه لو كان على ثقة من صدور شيء من تلكم الأحاديث ولو يسيراًمنها من قائلها صلى الله عليه وآله وسلم لَما كان يرى مثل أبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور أولى منه بالخلافة ، ولما قدّمه على نفسه . ولما ترك الإحتجاج به يوم كانت حاجته إليه مسيسة ، ويوم كان الحوار في أمر الخلافة قائماً على قَدمٍ وساق ، وطفق كلٌّ ذي فضل يُدلي بحججه ، وقد احتدم الجدال حتى كاد أن يكون جلاداً ، واستحرَّ

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣١٧

الحجاج حتّى عاد لجاجاً ، لكن الرجل لم يكن عنده حجّة ولا لزبانيته إلّا أنّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وأنّه أكبر القوم سناً ـ وكان أبوه أكبر منه لا محالة ـ وقد اختارته الجماعة وانعقدت له البيعة بعد هوس وهياج ركوناً إلى أمثال هذه ممّا لا تثبت بها حجّة ، ولا يخضع لها ذو مسكة ، ولا يصلح بها شأن الأُمّة ، ولا يجمع بها شمل ، ولا يتمُّ بها الأمر .

نعم : روي عن أبي بكر أنّه ذكر في الحجاج له أشياء حذفتها الرواة ولم يذكروا منها إلّا أنّه أوّل من أسلم . أو : أوّل من صلّى . عن أبي سعيد الخدري قال : قال أبو بكر : ألست أحقّ النّاس بها ؟ ألست أوّل من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ؟ ألست صاحب كذا؟[١] .

وعن أبي نضرة قال : لمّا أبطأ الناس عن أبي بكر قال : مَن أحقّ بهذا الأمر منّي؟ ألستُ أوّل من صلّى ؟ ألست ؟ ألست ؟ فذكر خصالاً مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم[٢] .

ونحن لا نعرف شيئاً ممّا حذفوه من فضائله المزعومة أو اختلقوا نسبته إليه إذ من الممكن ـ بل المحقق ـ أنّه لم يقل شيئاً ، وإنّما اصطنعوا له هذه الصورة لإيهام أنّه كانت له يوم ذاك فضائل مسلّمة ، لكن نعطف النظرة على المذكور من تلك المناقب وهو كون الخليفة أوّل من أسلم . أو : أوّل من صلّى ، ولم يكن كذلك . والقول به يخالف رأي النبيِّ الأعظم ونصوص الصّحابة ، وقد فصّلنا القول فيه في الجزء الثالث ص٢٧٢ ـ ٢٩٧ وذكرنا مائة نصّ عن النبيِّ الأقدس وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما ، وعن الصحابة الأوّلين والتابعين لهم بإحسان على أنَّ أوّل من أسلم وأوّل من صلّى من ذكر هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام . وأوضحنا هناك أنَّ أبا بكر ليس أوّل من أسلم . أو : صلّى . بل في صحيحة الطبري : أنّه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً . فراجع .

---

(١) أخرجه الترمذي ، والبزار ، وابن حبان ، وأبو نعيم في المعرفة ، وابن منده في غرائب شعبة ، وسعيد بن منصور ، وأبو داود كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٢٥ ، وذكره ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٠٩ ، وابن كثير في تأريخه ج ٣ ص ٢٧ .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط ليدن ج ٣ ص ١٢٩ ، وخيثمة الطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

ولو كانت الصحابة الأوَّلون يعرفون شيئاً من تلكم الموضوعات الجمَّة لما تركوا الإحتجاج به يوم ذاك في إخضاع الناس بدلاً عن إشفاع الدعوة بالإرهاب والترعيد ، ولما يقتصر عمر بن الخطاب يوم السقيفة بقوله : مَن له مثل هذه الثلاث : ثاني اثنين إذ هما في الغار . إذ يقول لصاحبه لا تحزن . إنَّ الله معنا .

وبقوله : إنَّ أولى الناس بأمر نبيٍّ الله ثاني اثنين إذ هما في الغار . وأبو بكر السبّاق المسنُّ .

وبقوله يوم بيعة العامَّة : إنَّ أبا بكر صاحب رسول الله . وثاني اثنين إذ هما في الغار[1] .

وَلما قال سلمان للصحابة : أصبتم ذا السنِّ منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيّكم[2] .

وَلما يكتفي عثمان بن عفّان في الدعوة إلى أبي بكر بقوله : إنَّ أبا بكر الصدّيق أحقّ الناس بها ، إنّه لصدّيق وثاني اثنين وصاحب رسول الله ﷺ[3] .

وَلما فاه المغيرة بن شعبة بمقاله لأبي بكر وعمر : تلقّوا العبّاس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية عليّ ويكون لكم حجّة عند الناس على عليّ إذا مال معكم العبّاس .

ولما دخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة على العبّاس ليلاً ، وَلما قال أبو بكر له : لقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك ، إذ كنت عمّ رسول الله[4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٦ ، تأريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٨٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣١ ، ج ٢ ص ١٧ .

(٣) أخرجه الأطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥ ، تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٢ .

وَلما تمّ الأمر لـه ببيعة اثنين فحسب : عمـر وأبي عبيدة . أو : ببيعـة أربع : همـا مع اسيـد وبشر . أو بخمسـة : هم مـع سـالم مـولى أبي حـذيفـة كمـا يـأتي تفصيله .

ولما تخلّف عن بيعته رؤوس المهـاجرين والأنصـار : عليّ وابناه السبـطان . والعبّاس وبنوه في بني هاشم . وسعد بن عبادة وولده وأُسرته . والحبـاب بن المنذر وتـابعوه . والـزبير وطلحـة . وسلمان . وعمّـار . وأبو ذر . والمقـداد . وخالـد بن سعيـد . وسعد بن أبي وقـاص . وعتبة بن أبي لهب . والبـراء بن عازب . وأُبي بن كعب . وأبو سفيان بن حرب . وغيرهم[1] .

وَلما كان مجال لقول محمّد بن إسحاق : كان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصـار لايشكّون انَّ عليّاً صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . شرح ابن أبي الحديـد ج ٢ ص ٨ .

ولما قال عتبة بن أبي لهب يوم ذاك بملأ من مدّعي الفضائل :

مـا كنت أحسب أنّ الأمـر منصـرف	عـن هـاشم ثـمّ منهم عـن أبي حسن
عن أوَّل النـاس إيمـانـاً وسـابقـةً	وأعـلم النـاس بـالقـرآن والسـنن
وآخـر النـاس عهـداً بـالنبـيِّ ومَن	جبـريـلُ عون لهُ في الغسـل والكفن
مَن فيـه مـا فيهـمُ ؟ لا يمتـرون بِـهِ	وليس في القـوم مـا فيـه مِن الحسن
مـاذا الـذي ردّكم عنـه ؟ فـنعـلمـه	هـا إنَّ بيعتكـم مـن أوّل الـفتـن[2]

وَلما قال قصيّ يوم ذاك :

بني هـاشم لا تـطمعـوا النـاس فيكمُ	ولا سيّـمـا تيـم بـن مـرّة أوعـدي

---

(١) تـأريخ اليعقـوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، الريـاض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، تـأريخ أبي الفـدا ج ١ ص ١٥٦ ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤ ، شرح ابن أبي الحـديد ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، رسائل الجاحظ ص ٢٢ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٤٠ ، تأريخ أبي الفـدا ج ١ ص ١٦٤ ، شرح ابن أبي الحـديد ج ٣ ص ٢٥٩ ، الغـدير ج ٣ ص ٢٨٧ . تعزى هذه الأبيات إلى عدة شعراء راجع المصادر المذكورة .

فمـا الأمـر إلاّ فيـكـمُ وإلـيـكـمُ ... وليـس لهـا إلاّ أبـو حـسـن عـلي
أبـا حسن فـاشـدد بهـا كفَّ حـازمٍ ... فـإنّـك بـالأمـر الـذي يُرتجى ملي
وإنَّ امـرأً يـرمـي قـصـيّـاً وراءه ... عـزيز الحمى والنـاس من غـالب قصي [١]

٢ ـ ملكاته ونفسيّاته

يهمُّنا النظر إلى ملكات الخليفة وما انحنت عليه أضالعه من علوم أو نفسيّات حتّى نعلم أنَّها هل تجعل له صلة بفضيلة ؟ أو تقرّب مبوَّأه من التأهُّل لهاتيك المرويّات ؟ أو تعيِّن له حدّاً يكون التفريط منه إجحافاً به ، وبخساً بحقِّه ، وتحطيماً لمقامه ؟ أو يُعرف الغلوُّ بالإفراط فيه ؟ .

أمّا هو قبل الإسلام فلا نفيض عنه قولاً لأنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله ، فلا التفات إذن إلى ما جاء به عكرمة رضي الله تعالىٰ عنه من قوله : كان أبو بكر رضي الله عنه يُقامر أُبيّ بن خلف وغيره من المشركين وذلك قبل أن يحرم القمار . ذكره الإمام الشعراني في كتابه كشف الغمّة ج ٢ ص ١٥٤ .

وقال الإمام أبو بكر الجصّاص الرازي الحنفي المتوفّى سنة ٣٧٠ في أحكام القرآن ج ١ ص ٣٨٨ : لا خلاف بين أهل العلم في تحريم القمار وأنَّ المخاطرة من القمار ، قال ابن عبّاس : إنَّ المخاطرة قمار وإنَّ أهل الجاهليَّة كانوا يخاطرون على المال والزوجة وقد كان ذلك مباحاً إلى أن ورد تحريمه ، وقد خاطر أبو بكر الصدِّيق المشركين حين نزلت : ﴿**آلم غلبت الروم**﴾ .

كما لا يلتفت إلى ما ذكره أبو بكر الإسكافي في الردِّ على الرسالة العثمانيَّة للجاحظ [٢] من أنَّ أبا بكر كان قبل إسلامه مذكوراً ورئيساً معروفاً ، يجتمع إليه كثيرٌ من أهل مكّة فينشدون الأشعار ، ويتذاكرون الأخبار ، ويشربون الخمر ، وقد سمع دلائل النبوَّة وحجج الرسالة ، وسافر إلى البلدان ، ووصلت إليه الأخبار .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٥ .
(٢) رسائل الجاحظ ص ٣٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٤ .

وأخرج الفاكهي في كتاب مكّة بإسناده عن أبي القموص قال : شرب أبو بكر - الخمر في الجاهليّة[1] فأنشأ يقول :

تحيّي أمّ بكر بالسّلام ... وهل لي بعد قومك من سلام ؟

فبلغ رسول الله ﷺ فقام يجرّ إزاره حتّى دخل فتلقّاه عمر وكان مع أبي بكر فلمّا نظر إلى وجهه محمرّاً قال : نعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ ، والله لا يلج لنا رأساً أبداً ، فكان أوّل من حرّمها على نفسه .

وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٦٦ فقال : هو ممّا تنكره القلوب . فكأنّ الحكيم وجد الحديث دائراً سائراً في الألسن غير أنّه رأى القلوب تنكره .

وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٢٢ فقال : واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال : شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم ورثى قتلى بدر من المشركين .

وحديث أبي القموص هذا أخرجه الطبري في تفسيره ج ٢ ص ٢٠٣ ، وفي طبعة ١٢١١ عن ابن بشار[2] عن عبد الوهّاب[3] عن عوف[4] عن أبي القموص زيد بن علي[5] قال : أنزل الله عزّ وجلّ في الخمر ثلاث مرّات ، فأوّل ما أنزل قال الله : ﴿**يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾[6] قال : فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك حتى شرب رجلان فدخلا في الصّلاة فجعلا يهجران كلاماً لا يدري عوف ما هو فأنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون**﴾[7] فشربها من شربها منهم وجعلوا يتّقونها عند الصّلاة حتى

---

(١) هذه الكلمة دخيلة في الرواية ، وذيل الرواية يكذبها أيضاً وسنوقفك على التاريخ الصحيح .
(٢) الحافظ أبو بكر محمد بن بشار العبدي البصري . من رجال الصحاح الست .
(٣) ابن عبد المجيد البصري . من رجال الصحاح الست .
(٤) ابن أبي جميلة العبدي البصري . من رجال الصحاح الست .
(٥) ثقة كما في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٢٠ .
(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٩ .
(٧) سورة النساء ؛ الآية : ٤٣ .

شربها فيما زعم أبو القموص رجلٌ فجعل ينوح على قتلى بدر :

تحيي بالسّلامة أمّ عمرو ... وهل لك بعد رهطك من سلام ؟
ذريني أصطبح بكراً فإنّي ... رأيت الموت نقّب عن هشام
وودّ بنو المغيرة لو فدوه ... بألف من رجال أو سوام
كأنّي بالطويّ طويّ بدر ... من الشيزى يكلّل بالسنام
كأنّي بالطويّ طويّ بدرٍ ... من الفتيان والحلل الكرام

قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فزعاً يجرّ رداءه من الفزع حتّى انتهى إليه فلمّا عاينه الرجل فرفع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه قال : أعوذ بالله من غضب الله ورسوله والله لا أطعمها أبداً فأنزل الله تحريمها : ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا إنَّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس**﴾[١] . إلى قوله : ﴿**فهل أنتم منتهون**﴾ . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنتهينا . إنتهينا[٢] .

وأخرج البزّار عن أنس بن مالك قال : كنت ساقي القوم تيناً وزبيباً خلطناهما جميعاً وكان في القوم رجلٌ يُقال له : أبو بكر فلمّا شرب قال :

أُحيِّي أمَّ بكر بالسَّلام ... وهل لك بعد قومك من سلام ؟
يحدثنا الرسول بأنَّ سحتاً ... وكيف حياة أصلٍ أو هشام[٣]

فبينا نحن كذلك والقوم يشربون إذ دخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال : ما تصنعون ؟ إنَّ الله تبارك وتعالىٰ قد نزَّل تحريم الخمر . الحديث .

وقال ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ ، والعيني في عمدة القاري ج ٢٠ ص ٨٤ : من المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان[٤] عن أنس . أنَّ أبا بكر وعمر كانا فيهم . وهو منكرٌ مع نظافة

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩١ .
(٢) لا يخفى على القارىء أن الطبري حرّف اسم أبي بكر وجعل مكانه : رجل . وحرّف كلمة «أم بكر» في الشعر وبدّلها بأم عمرو . صوناً للكرامة .
(٣) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥١ .
(٤) وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن سفيان ، وأبو داود ، والحاكم ، =

سنده ، وما أظنُّه إلاَّ غلطاً .

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة شعبة من حديث عائشة قالت : حرَّم أبو بكر الخمر على نفسه فلم يشربها في جاهليَّة ولا إسلام .

ويحتمل ان كان محفوظاً أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ولم يشربا معهم[1] ثمَّ وجدت عند البزّار من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقي القوم وكان في القوم رجلٌ يُقال له : أبو بكر فلمّا شرب قال :

تحيّي بالسّلامة أمّ بكر ....

فدخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال : قد نزل تحريم الخمر . الحديث . وأبو بكر هذا يُقال له : ابن شغوب فظنَّ بعضهم أنَّه أبو بكر الصدِّيق وليس كذلك ولكن قرينة ذكر عمر تدلُّ على عدم الغلط في وصف الصدِّيق فحصَّلنا تسمية عشرة . اهـ .

قال الأميني : ترى ابن حجر يتلعثم في ذكر الحديث ، فلا يدعه حبّه للخليفة أن يقبله ، ولا تُخلّيه صحَّته أن يصفح عنه ، فجاء يستغرب أوّلاً ثمَّ يستنكره مع الحكم بنظافة سنده . ويظنّه غلطاً تارةً ويراه محفوظاً أُخرى ، وبالأخير يأخذه صدق النبأ وصحَّته فيتخلّص منه بالحكم بأنَّ المذكور فيه هو أبو بكر الصدِّيق بقرينة عمر ، فيعدهما من أحد عشر الذين كانوا يشربون الخمر في دار أبي طلحة .

وابن حجر يعلم بأنَّ ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة لا يقاوم هذا النبأ الثابت المرويَّ بالطرق الصحيحة عن رجال الصحاح ، ذكر أبو نعيم حديثه في الحلية ج ٧ ص ١٦٠ من طريق عباد بن زياد الساجي عن ابن عدي عن شعبة عن محمّد بن عبد الرّحمٰن أبي الرجال عن أُمِّه عمرة عن عائشة . وقال : غريبٌ من حديث شعبة لم نكتبه إلاَّ من حديث عباد بن أبي عدي . ا هـ . وفيه :

عباد بن زياد الساجي ، يتهم بالقدر . قال موسى بن هارون : تركت حديثه ،

= والدارقطني ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢١٦ .

(١) هنا ينتهي كلام العيني والبقية كلمة ابن حجر فحسب .

وقال ابن عدي : هو من أهل الكوفة الغالين في التشيع له أحاديث مناكير في الفضائل .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٩٤]

وفيه : شعبة عن محمَّد بن عبد الرّحمٰن أبي الرجال . قال الخطيب : هذا وهمٌ شعبة لم يرو عن أبي الرجال شيئاً ، وكذلك من قال فيه عن شعبة عن محمّد بن عبد الرَّحمٰن عن أُمّه عمرة .

[تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٩٥]

وقال ابن حجر والعيني : وقع عند عبد الرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس : إنَّ القوم كانوا أحد عشر رجلاً[1] .

نادي الخمر هذا كان عام الفتح سنة ثمان من الهجرة بالمدينة المشرّفة في دار أبي طلحة زيد بن سهل وكانت السقاية لأنس كما في صحيح البخاري كتاب التفسير في سورة المائدة في آية الخمر ، وفي صحيح مسلم في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر وقال السيوطي في الدرِّ المنثور ج ٢ ص ٣٢١ : أخرجه عبد بن حميد . وأبو يعلى . وابن المنذر ، وأبو الشيخ . وابن مردويه عن أنس .

وأخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٨١ ، ٢٢٧ ، والطبري في تفسيره ج ٧ ص ٢٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٨٦ ، ٢٩٠ . وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ .

وكان عدَّة الحضور في ذلك النادي كما مرَّت عن معمر وقتادة أحد عشر رجلاً ذكر منهم ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ عشرة أنفس وقال كما مرَّ ص١١٥: فحصَّلنا تسمية عشرة . وهم :

١ - أبو بكر بن أبي قحافة . وكان يوم ذاك ابن ثمان وخمسين سنة .

٢ - عمربن الخطاب . وكان يوم ذاك ابن خمس وأربعين سنة .

٣ - أبو عبيدة الجراح . وكان ابن ثمان وأربعين سنة .

---

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ ، عمدة القاري ج ١٠ ص ٨٤ .

٤ ـ أبو طلحة زيد بن سهل صاحب النادي ، وكان له أربع وأربعون سنة ، قال ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ص ١٩١ : توفي سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

٥ ـ سهيل بن بيضاء . توفي بعد القضيَّة بسنة وهو كبير السنّ .

٦ ـ أُبيّ بن كعب .

٧ ـ أبو دجانة سماك بن خرشة .

٨ ـ أبو أيوب الأنصاري .

٩ ـ أبو بكر بن شغوب .

١٠ ـ أنس بن مالك ساقي القوم . كان يوم ذاك ابن ثمانية عشر عاماً على الأصحِّ وفي صحيحة مسلم في الأشربة في باب تحريم الخمر ، والبيهقي في السنن ج٨ ص ٢٩ عن أنس أنَّه قال : إنِّي لقائمٌ أسقيهم وأنا أصغرهم .

وقد عزب عن ابن حجر حادي عشر القوم وهو : معاذ بن جبل . كما ورد في حديث قتادة عن أنس ، أخرجه ابن جرير في تفسيره ج ٧ ص ٢٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥٢ ، والعيني في عمدة القاري : ج ٨ ص ٥٨٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢١ نقلاً عن ابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه ، والنووي في شرح مسلم هامش إرشاد القسطلاني ج ٨ ص ٢٣٢ .

وكان معاذ يوم ذاك ابن ثلاث وعشرين سنة إذ توفِّي سنة ١٨ وله ٣٣ عاماً كما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة .

وهؤلاء المذكورين من الذين كانوا يشربون الخمر بعد نزول الآيتين فيها بتأويل فيهما كما مرَّ في الجزء السادس ص ٢٩٧ ، إلى أن نزلت آية المائدة : **﴿يا أيّها الذين آمنوا إنَّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان﴾** . إلى قوله تعالىٰ : **﴿فهل أنتم منتهون﴾** . وكان ذلك في عام الفتح فلمّا رأوا غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلموا من الآية الثالثة التحذير والوعيد إنتهوا وقال عمر : انتهينا . إنتهينا .

قال الآلوسي في تفسيره ج ٢ ص ١١٥ : شربها كبار الصحابة رضي الله عنهم بعد نزولها «يعني آية الخمر في البقرة» وقالوا : إنّما نشرب ما ينفعنا ولم يمتنعوا حتى نزلت آية المائدة . اهـ .

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس أنَّه قال : كنّا نشرب الخمر فأُنزلت : ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر**﴾ الآية . فقلنا : نشرب منها ما ينفعنا . فأُنزلت في المائدة : ﴿**إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس**﴾ الآية . فقالوا : اللَّهُمَّ قد انتهينا[١] .

وأخرج عبد بن حميد عن عطاء أنَّه قال : أوّل ما نزل في تحريم الخمر ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر**﴾ الآية فقال بعض الناس : نشربها لمنافعها التي فيها . وقال آخرون لا خير في شيء فيه إثمٌ ثمَّ نزل : ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى**﴾ الآية ، فقال بعض الناس : نشربها ونجلس في بيوتنا . وقال آخرون : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصّلاة مع المسلمين . فنزلت : ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إنَّما الخمر والميسر**﴾ الآية فانتهوا[٢] .

ولتعدُّد آيات الخمر واختلاف السلف فيها وتأويل جمع منهم آيتي البقرة والنساء من تلكم الآيات وقع الخلاف في تاريخ حرمتها على أقوال :

١ ـ الأخذ بما أخرجه الطبراني من طريق معاذ بن جبل من أنّ أوَّل ما نهى عنه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حين بعث شرب الخمر وملاحاة الرجال[٣] فتحريم الخمر كان في أوليات الهجرة إن لم تكن في أوليات البعثة ، ويساعده ما صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أن أعظم الكبائر شرب الخمر[٤] ويبرمه النظر في آيات الخمر فالآية الأُولىٰ منها من سورة البقرة وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة[٥] والآية الثانية في سورة النساء وقد

---

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٢ ، تفسير الشوكاني ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) تفسير الآلوسي ج ٧ ص ١٧ .

(٣) أوائل السيوطي ص ٩٠ .

(٤) الغدير ج ٦ ص ٣٠٥

(٥) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٣٢ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥ ، تفسير الخازن ج ١ ص ١٩ .

نزلت في أوائل الهجرة[١] .

ولعلَّ هذا رأي كلٍّ من رأى حرمة الخمر بآية البقرة ، قالت عائشة : لَمّا نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك[٢] وقد نزلت سورة البقرة بعد زواج عائشة كما مرَّ في الجزء السادس ص ٢٣٦ .

واختار الجصّاص حرمة الخمر بآية البقرة كما أسلفنا كلامه في الجزء السادس صفحة ٣٠١ ، وقال القرطبي في تفسيره ج ٣ ص ٦٠ : قال قومٌ من أهل النظر حرّمت الخمر بهذه الآية يعني التي في سورة البقرة ، وقال الرازي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢٩ : إنَّ هذه الآية «يعني آية البقرة» دالةٌ على تحريم شرب الخمر . وذكر في ص ٢٣١ في وجه دلالتها عليه وجوهاً .

٢ ـ رأى البلاذري أنَّه كان سنة أربع من الهجرة كما في «الإمتاع» للمقريزي ص ١٩٣ ، وذكر ابن إسحاق : أنَّه كان في وقعة بني النضير سنة أربع على الراجح[٣] وقال ابن هشام في سيرته ج ٢ ص ١٩٢ : نزل ببني النضير وذلك في شهر ربيع الأوّل ـ سنة أربع ـ فحاصرهم فيها ستّ ليال ، ونزل تحريم الخمر . وذكره ابن سيّد الناس في عيون الأثر ج ٢ ص ٤٨ .

ويؤيِّد هذا الرأي ما أخرجه ابن مردويه عن جابر أنَّه قال : حرّمت الخمر بعد أُحد[٤] وقد وقعت غزوة أُحد في سنة ثلاث فبعدها تكون سنة أربع تقريباً .

٣ ـ جزم الدمياطي على أنَّ تحريم الخمر كان في سنة الحديبيّة سنة ستّ كما في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٤ : وعمدة القاري ج ١٠ ص ٨٢ .

٤ ـ حرمتها في سنة الفتح عام ثمان من الهجرة يوم الندوة المذكورة المنعقدة في دار أبي طلحة بآية المائدة التي فيها الإرهاب والتحذير ، وبها كفَّ عمر ومن كان معه في تلك الندوة عن الشرب وقال : إنتهينا ، إنتهينا .

---

(١) راجع ما يأتي في الجزء الثامن صفحة ٣٠

(٢) تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٥٨ ، الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٢٤ ، عمدة القاري ج ١٠ ص ٨٢ .

(٤) تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٧١ .

وهذا القول غير مدعوم بحجَّة ، وليس إلَّا لتصحيح شرب أُولئك الرجال من الصحابة وجعله قبل التحريم ، فترى مثل ابن حجر لا يحكم به حكماً باتّاً بل يستظهره من حديث أحمد قال في فتح الباري ج ٨ ص ٢٧٤ : الذي يظهر أنَّ تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان لما روى أحمد من طريق عبد الرّحمٰن بن وعلة قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال : كان لرسول الله ﷺ صديقٌ من ثقيف أو من دوس فلقيه بمكة عام الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان ! أما علمت أنَّ الله حرَّمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : اذهب فبعها ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان ! بماذا أمرته ؟ قال : أمرته أن يبيعها . قال : إنَّ الذي حرَّم شربها حرَّم بيعها . فأمر بها فأُفرغت في البطحاء .

وقصارى ما في هذا الحديث أنَّ تحريم الخمر بلغ الرجل في عام الفتح لا انَّها حُرِّمت فيه ، لأنَّ الرجل كان في منتأى عن مستوى تبليغ الأحكام ، متخبّطاً بين أعراب البوادي ، غير عارف حتى بأُصول المراودة والتحابب ، ويشهد لذلك إهداؤه الخمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنَّها على فرض عدم حرمتها ليست ممَّا يُهدى إلى مثله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكن الرجل كان من دهماء الناس ، وجرى على ما هو المطرد بين الرعرعة والساقة .

الخليفة في الاسلام :

وأمّا هو «أبو بكر» في الإسلام فلم نعهد له نبوغٌ في علم ، أو تقدُّمٌ في جهاد ، أو تبرُّزٌ في الأخلاق ، أو تهالكٌ في العبادة ، أو ثباتٌ على مبدأ .

أمَّا نبوغه في علم التفسير فلم يؤثر عنه في هذا العلم شيء يُحفل به ، فدونك كتب التفسير والحديث فلا تكاد تجد فيها عنه ما يُروي غُلّة صادٍ ، أو يُنجع طلبة طالب . نعم : يروى عنه أنَّه شارك صاحبه - عمر بن الخطاب - في عدم المعرفة لمعنى الأبِّ[١] الذي عرفه كلُّ عربيّ صميم حتى أعراب البادية ، وليس من البد أن يعرفه حتى الساقة من الناس فإنَّه لا يعدوه أن يكون لدة بقيّة الكلمات

(١) في قوله تعالى في سورة عبس ٢٧ - ٣١ : ﴿فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلبا وفاكهة وأبّا﴾ .

العربيَّة التي لا تزال العرب تلهج بها في كلِّ حلّ ومرتحل ، ولا هو الدخيل[١] حتى يُعذر فيه الجاهل به ، ولا من شواذّ الكلم التي قلّما تتعاطاه الجامعة العربيَّة حتى يشذَّ عرفانه عن بعضهم .

وإن تعجب فعجبٌ اعتذار من جنح إليه[٢] بأنّه كان يلتزم الحائطة في تفسير القرآن ، ولذلك تورَّع عن الإفاضة في معنى الأبِّ ، لكن عرف من عرف أنَّ الحائطة إنَّما تجب في بيان مغازي القرآن الكريم وتعيين إرادته ، وتبيين مجمله ، وتأويل متشابهه ، وما يجري مجرى ذلك ممّا يحظر في الدين التسرُّع إليه من دون تثبُّت وتوقيف ، وأما معاني ألفاظه العربيَّة للعريق في لغة الضاد فأيّ حائطة تضرب على يده عن أن يفهمها وهو يعرفها بطبعه وجبلَّته .

وهب أنَّ الرجل لم يحط خبراً بلغة قومه فهلّا تروّى في الذكر الحكيم في ذيل الآية الكريمة من قوله سبحانه : ﴿**متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾ . بياناً للفاكهة والأبّ ؟ ليعلم أنَّه سبحانه وتعالىٰ امتنَّ على الناس بالفاكهة ليأكلوها ، وبالأبّ لترعاه أنعامهم ، فتلك فاكهة ، وهذا العشب .

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال : سُئل أبو بكر عن آيةٍ فقال : أيّ أرض تسعني ؟ أو أيّ سماء تظلّني ؟ إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله ؟ .

وأخرج أبو عبيدة عن ابراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر عن قوله تعالىٰ﴿**وفاكهة وأبّا**﴾ ؟ فقال : أيّ سماء تظلّني ؟ أو أيّ أرض تقلّني ؟ إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ؟ .

وفي لفظ القرطبي : أيّ سماء تظلّني ؟ وأي أرض تقلّني ، وأين أذهب ؟ وكيف أصنع ؟ إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالىٰ .

---

(١) أما ما زعمه ابن حجر في فتح الباري من أن الكلمة من الدخيل ولذلك لم يعرفها الخليفتان فقد مرّ الجواب عنه في الجزء السادس ص ١٢٨

(٢) نظراء القرطبي والسيوطي .

ذكره القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢٩ ، ابن تيميَّة في مقدَّمة أُصول التفسير ص ٣٠ ، الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٢٥٣ ، ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥ وصحّحه في ص ٦ ، ابن القيِّم في أعلام الموقعين ص ٢٩ وصحَّحه ، الخازن في تفسيره ج ٤ ص ٣٧٤ ، النسفي في تفسيره هامش الرازي ج ٨ ص ٣٨٩ ، السيوطي في الدرّ المنثور ج ٦ ص ٣١٧ نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد ، ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ٢٣٠ ، وأوعز إليه ابن جزي الكلبي في تفسيره ج ٤ ص ١٨٠ .

الكلالة :

وتجد الخليفة على شاكلة صنوه في عدم العلم بالكلالة النازلة في آية الصيف آخر سورة النساء : **﴿يستفتونك قل الله يُفتيكم في الكلالة إن امروٌّ هلكَ ليسَ له وَلدٌ وله أُختٌ فلها نصف ما ترك﴾** الآية : ١٢ .

أخرج أئمَّة الحديث بإسناد صحيح رجاله ثقات عن الشعبي قال : سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة ؟ فقال : إنِّي سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأً فمنِّي ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، أراه ما خلا الولد والوالد ، فلمّا استخلف عمر رضي الله عنه قال : إنّي لأستحيي الله أن أردَّ شيئاً قاله أبو بكر .

أخرجه سعد بن منصور ، عبد الرّزاق ، ابن أبي شيبة ، الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٦٥ ، وابن جرير الطبري في تفسيره ج ٦ ص ٣٠ ، ابن المنذر ، البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٣ ، وحكى عنهم السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ٢٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢٦٠ ، والخازن في تفسيره ج ١ ص ٣٦٧ ، وابن القيِّم في أعلام الموقعين ص ٢٩ .

قال الأميني : هذا رأيه الثاني وكان أوَّلاً يرى أنَّ الكلالة من لا ولد له خاصَّة ، وكان يشاركه في رأيه هذا عمر بن الخطاب ثمَّ رجعا عنه إلى ما سمعت[1]

---

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٧٧ .

ثمَّ اختلفا فيها ، قال ابن عبّاس كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب قال : اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت[١] وفي صحيحة البيهقي والحاكم والذهبي وابن كثير[٢] عن ابن عبّاس قال : كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعته يقول : القول ما قلت . قلت : وما قلت ؟ قال: قلت : الكلالة ما لا ولد له .

هذا القول كان من عمر لَمّا طعن بعد قوله لمّا استخلف : إنّي لأستحيي أن أُخالف فيه أبا بكر كما مرَّ . وبعد قوله : أتى عليَّ زمانٌ لا أدري ما الكلالة وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد[٣] وبعد هذه كلّها قال ما قال وهو على ما يقول بصير .

أنا لا أدري أين ولَّت تلك الحائطة التي التزمها الخليفة الأوَّل في معنى الأبِّ لتلك الحدَّة والشدَّة ؟ وأيّ سماء أظلّته ؟ وأيّ أرض أقلته ؟ وأين ذهب ؟ وكيف صنع لمَّا قال في دين الله برأي لا يعرف غيَّه من رشده ، ولا يعلمه أمن الله أم منه ومن الشيطان ؟ وكيف خفيت عليه آية الصيف ؟ وقد رأى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فيها الكفاية في عرفان الكلالة كما مرَّ ج ٦ ص ١٥٧ ، وكيف عزب عنه قوله تعالىٰ : ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ ولِمَ لم يسأل ولم يتعلّم ولم يعبأ بأهل الذكر وهو يعرفه لا محالة ؟ فكأنَّ الأحكام ليست بتوقيفيَّة ، وكأنَّها منوطةٌ بالحظِّ والنصيب ولكلِّ إنسان ما رأى ، ولو صدقت هذه الأحلام فيسع لكلِّ امرىء أن يُفتي برأيه فيما يُسأل عنه من الكتاب والسنَّة ويقول : إنْ كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان .

نعم هذا الإفتاء بالرأي يفتقر إلى جرأة على الله وعلى رسوله ، وتلك لا تتأتى لأيِّ أحد فتخصّ لا محالة بجماعة دون أُخرى ، وكأنَّ هذا هو معنى الإجتهاد عند

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٥ .
(٢) المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٠٤ وصححه ، السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٢٥ ، تلخيص . المستدرك للذهبي واقرّ تصحيح الحاكم ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٥ وذكر تصحيح الحاكم واقرّه .
(٣) السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٤ .

القوم لا استنباط الأحكام من أدلّتها التفصيليّة من الكتاب والسنّة . ومن هنا يرون نظراء عبد الرَّحمٰن بن ملجم قاتل مولانا أمير المؤمنين[١] .

وأبي الغادية قاتل الصحابيِّ العظيم عمّار بن ياسر سلام الله عليه[٢] .

ومعاوية بن أبي سفيان قاتل آلاف من الأبرياء والأزكياء[٣] .

وعمرو بن النابغة ، العاصي ابن العاصي[٤] .

وخالد بن الوليد قاتل مالك ظلماً والزّاني بامرأته[٥] .

وطلحة والزبير[٦] الخارجين على الإمام الحقِّ الثابت إمامته بالنصِّ والإختيار .

ويزيد الخمور والفجور صاحب الطامات والصحائف السوداء[٧] .

مجتهدين في دين الله متأوِّلين في تلكم الآراء الشاذّةعن حكم الإسلام وشرعة الحقِّ ، مأجورين في تلك المظالم العادية . وقال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٥١ : والظنُّ بالصحابة في تلك الحروب أنّهم كانوا فيها متأوّلين وللمجتهد المخطىء أجرٌ ، وإذا ثبت هذا في حقِّ آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولىٰ . اهـ .

مرحباً مرحباً بهذا الدين ، وبخٍ وبخٍ ما أكثر المجتهدين من أُمّة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حتى أصبحت غوغاء الشام ، وطغام الأُمّة ، وحثالة الأعراب ، وأجلاف الأحزاب ، وأبناء الطلقاء مجتهدين متأوّلين .

---

(١) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٣٧٧

(٢) راجع الجزء الأول من الكتاب ص ٣٨٢

(٣) الفصل لابن حزم ج ٤ ص٨٩ ، تاريخ ابن كثيرج ٧ ص ٢٧٩ .

(٤) تاريخ ابن كثيرج ٧ ص ٢٨٣ .

(٥) تأريخ ابن كثيرج ٦ ص ٢٢٣ ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٧ ، وسيأتي تفصيله .

(٦) التمهيد للباقلاني ص ٢٣٢ .

(٧) تاريخ ابن كثيرج ٨ ص ٢٢٣ .

وزهٍ زهٍ بأُولئك المتحلِّين بأبراد الإجتهاد جراثيم الفساد ، قتلة صفوة الأبرار الهاجمين على ناموس الإسلام ، وقدس صاحب الرِّسالة ، الخارجين عن طوع الكتاب والسنَّة ، الفئة الباغية الطاغية ، المدرَّبين بالشرِّ والفساد وبغض العترة الطاهرة تحت راية الطليق ابن الطليق ، اللعين ابن اللعين بلسان النبيِّ الأعظم[1] صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : آفة الدين ثلاثة : فقيهٌ فاجر . وإمامٌ جائر ، ومجتهدٌ جاهل[2] .

وحسب الإسلام عاراً وشناراً أولئك الأعلام أصحاب هذه الآراء المضلّة والأقلام المسمومة التي تنزِّه ساحة المجرمين عن دنس الفجور والنفاق ، وتجعل المحسن والمسيء والمبطل والمحقّ ، والطيِّب والخبيث ، عكمي بعير ، وتضلُّ الأُمّة عن رشدها بأمثال هذه الكلم التافهة ، والدعاوى الفارغة ، والآراء الساقطة ، وتصغِّر في عين المجتمع الديني تلكم الجنايات العظيمة على الله وعلى رسوله وكتابه وسنّته وخليفته وعترته ومواليهم . كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً . فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره .

وأوّل من فتح باب التأويل والإجتهاد ، وقدَّس ساحة المجرمين بذينك ، وحابى رجال الجرائم والمعرّات بهما هو الخليفة الأوَّل ، فقد نزَّه بهذا العذر المفتعل ذيل خالد بن الوليد عن دنس آثامه الخطيرة ، ودرأ عنه الحدَّ بذلك كما سنوقفك على تفصيله إنْ شاء الله تعالى .

هذا انموذجٌ من تقدُّم الخليفة في علم التفسير على قلّة ما روي عنه في ذلك قال الحافظ جلال الدين السيوطي في «الإتقان» ج ٢ ص ٣٢٨ :

إشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة . وابن مسعود . وابن عبّاس . وأُبيّ بن كعب . وزيد بن ثابت . وأبو موسى الأشعري . وعبد الله بن الزبير . أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليُّ بن أبي طالب ، والروايات عن الثلاثة نزرة جدّاً ، وكان السبب في ذلك تقدُّم وفاتهم كما أنَّ هو السبب في قلّة

---

(١) راجع الجزء الثالث من الكتاب ص ٣٠٩ ، ٣١٠

(٢) كنز العمال ج ٥ ص ٢١٢ .

رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلّا آثاراً قليلة جدّاً لا تكاد تجاوز العشرة .

وأمّا عليٌّ فروي عنه الكثير ، وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل : شهدت عليّاً يخطب وهو يقول : سلوني فوالله لاتسألون عن شيء إلّا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال : إنَّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلّاوله ظهرٌ وبطنٌ ، وإنَّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن .

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عيّاش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن عليّ قال : والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم أُنزلت وأين أُنزلت إنَّ ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً . اهـ .

قال الأميني : ما هذا التهافت في كلام السيوطي هذا ؟ ألا مسائل الرجل عن أنَّ الذي لم يجد له هو نفسه وهو ذلك المتتبِّع الضليع عشرة أحاديث في علم التفسير كيف عدَّه ممّن اشتهر بالتفسير من الصحابة ؟ نعم راقه أن لا يفرِّق بينه وبين مولانا أمير المؤمنين وقد روى فيه ما روى ذاهلاً عن قوله تعالىٰ : ﴿**هل يستوي الذين يعلمون والّذين لا يعلمون**﴾ .

تقدّم الخليفة في السنّة :

أمّا تقدّمه في السنَّة فكلّ ما أثبته عنه إمام الحنابلة أحمد في المسند ج ١ ص ٢ ـ ١٤ ثمانون حديثاً ، ويربو المتكرّر منها على العشرين ، فلم يصفُ منها إلّا ما يقرب الستين حديثاً ، وقد التقط ما في مسنده من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث ، وكان يحفظ ألف ألف حديث[١] .

وجمع ابن كثير بعد جهود جبّارة أحاديثه في اثنين وسبعين حديثاً وسمّى

(١) طبقات الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٧ ، ترجمة أحمد في آخر الجزء الأول من مسنده .

مجموعه : مسند الصدِّيق[١] .

واستدرك ما جمعه ابن كثير جلال الدين السيوطي بعد تصعيد وتصويب ومع تضلّع وإحاطة بالحديث ، فأنهى أحاديثه إلى مائة وأربعة ، وذكرها برمَّتها في تاريخ الخلفاء ص ٥٩ ـ ٦٤ .

وقد يروى أنَّ له مائة واثنان وأربعون حديثاً اتَّفق الشيخان على ستَّة أحاديث منها . وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بواحد[٢] .

وفي وسع الباحث المناقشة في غير واحد من تلك الأحاديث سنداً أو متناً ، فإنَّ من جملتها ما ليس بحديث وإنّما هو قول قاله كقوله للحسن السبط سلام الله عليه : بأبي شبيه بالنبيِّ ليس شبيهاً بعليّ .

وقوله : شاور رسول الله في أمر الحرب .

وقوله : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدى جملاً لأبي جهل .

ومنها ما هو محكومٌ عليه بالوضع ، أو يخالف الكتاب والسنَّة ، ويكذِّبه العقل والمنطق والطبيعة مثل قوله :

١ ـ لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر .
٢ ـ وقوله : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .
٣ ـ وقوله : إنَّ الميت ينضح عليه الحميم ببكاء الحيِّ .
٤ ـ وقوله : إنَّما حرُّ جهنَّم على أُمَّتي مثل الحمّام .

أمّا الأوَّل فله عدّة طرق لا يصحُّ شيء منها الطريق الأوَّل لابن عدي وفي إسناده :

١ ـ زكريّا بن يحيى الوكار، أحد الكذّابين الكبار مرَّت ترجمته في سلسلة الكذّابين في الجزء الخامس ص ٢٨٢

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٢ .
(٢) شرح رياض الصالحين للصديقي ج ٢ ص ٢٣ .

٢ - بشر بن بكر . قال الأزدي منكر الحديث ولا يعرف ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٠ .

٣ - أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني . قال أحمد : ضعيفٌ كان عيسى بن يونس لا يرضاه ، وعن أبي داود عن أحمد : أنَّه ليس بشيء . وقال أبو حاتم : سألت ابن معين عنه فضعَّفه . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث طرقه لصوصٌ فأخذوا متاعه فاختلط[1] وقال الجوزقاني : ليس بالقوي . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال أبو سعد : كان كثير الحديث ضعيفاً . وقال الدارقطني : متروكٌ[2] .

الطريق الثاني لابن عدي أيضاً وفي إسناده :

١ - مصعب بن سعيد أبو خيثمة المصيصي . قال ابن عدي : يحدِّث عن الثقات بالمناكير ويصحِّف . وقال : والضعف على رواياته بيّن . وقال ابن حبّان : كان مدلِّساً وقال صالح جزرة : شيخٌ ضريرٌ لا يدري ما يقول . وذكر الذهبي له أحاديث فقال : ما هذه إلاَّ مناكير وبلايا[3] .

٢ - عبد الله بن واقد . قال ابن عدي والجوزقاني والنسائي : متروك الحديث وقال غيرهما : ليس بشيء . وقال الأزدي : عنده مناكير . وقال أحمد : أظنُّه كان يدلِّس . وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث لا يحدّث عنه . وقال البخاري : تركوه منكر الحديث . وقال ابن حبّان : وقع المناكير في حديثه فلا يجوز الإحتجاج بخبره . وقال صالح جزرة : ضعيف مهين . وقال أبو أحمد الحاكم : حديثه ليس بالقائم[4]

٣ - مشرح بن عاهان . قال ابن عدي وابن حبان : لا يحتجُّ به . وقال غيرهما :

---

(١) قال الأميني : لو لم يكن لاختلاط الرجل آية غير حديثه هذا لكفى وحسبه .

(٢) تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٩ .

(٣) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٣ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٤٤ .

(٤) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٦٦ ، ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٨٤ ، لسان الميزان ج ٣ ص ٣٧٤ ، اللآلىء المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢ .

يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها . وقال آخرون : الصواب ترك ما انفرد به[1] .

أورده بهذين الطريقين ابن الجوزي في الموضوعات فقال : هذان حديثان لا يصحّان عن رسول الله ﷺ ، أمّا الأوّل ، فإنّ زكريّا بن يحيى كان من الكذّابين . قال ابن عدي ، كان يضع الحديث . وأمّا الثاني : فقال أحمد ويحيى : عبد الله بن واقد ليس بشيء . وقال النسائي : متروكٌ : وقال ابن حبان : انقلبتُ على مشرح صحائفه فبطل الإحتجاج به . ا هـ .

الطريق الثالث لأبي العبّاس الزوزني في كتاب شجرة العقل بلفظ : لو لم أُبعث لبعثت يا عمر !. وفي إسناده :

١ ـ عبد الله بن واقد . وقد مرَّ في الطريق الثاني .

٢ ـ راشد بن سعد بن الحمصي ، ذكر الحاكم أن الدارقطني ضعَّفه ، وكذا ضعَّفه ابن حزم ، وذكر البخاري أنَّه شهد صفّين مع معاوية[2] فالرجل من الفئة الباغية بنصّ من النبي الأعظم ، وذكره الصغّاني فقال : موضوعٌ . كما في كشف الخفاء ج ٣ ص ١٦٣ .

الطريق الرابع للديلمي عن أبي هريرة بلفظ : لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر . أيَّد الله عمر بملكين يوفِّقانه ويسدِّدانه ، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً .

في إسناده إسحاق بن نجيح الملطي أبو صالح الأزدي . قال أحمد : من أكذب الناس . وقال ابن معين : كذّابٌ عدوّ الله رجل سوء خبيث . كان ببغداد قومٌ يضعون الحديث منهم إسحاق الملطي . وقال ابن أبي مريم عنه : من المعروفين بالكذب ووضع الحديث . وقال علي بن المديني : ليس بشيء وضعَّفه ، روى عجائب . وقال عمر بن علي : كذّابٌ كان يضع الحديث . وقال الجوزقاني : غير ثقة ولا من أوعية الأمانة . وقال : كذّابٌ وضّاعٌ لا يجوز قبول خبره ولا الإحتجاج

---

(١) اللآلىء المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢ ، ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٢٦ .

بحديثه ويجب بيان أمره . وقال الجهضمي والبخاري : منكر الحديث . وقال النسائي : كذّابٌ متروك الحديث . وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامّة ما أتى عن ابن جريج بكلِّ منكر ووضعه عليه ، وهو بيِّن الأمر في الضعفاء ، وهو ممّن يضع الحديث . وقال ابن حبّان : دجّالٌ من الدجاجلة يضع الحديث صراحاً . وقال البرقي : نسب إلى الكذب . وقال أبو سعيد النقّاش : مشهورٌ بوضع الحديث . وقال : وقال ابن طاهر : دجّالٌ كذّابٌ . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على أنّه كان يضع الحديث[1] .

قال الديلمي بعد ذكر الحديث بالطريق المذكور : وتابعه راشد بن سعد عن المقدام بن معدي كرب عن أبي بكر الصدِّيق والله أعلم .

قال الأميني : عرفت في الطريق الثالث ضعف راشد ؛ وإنَّما الصغّاني حكم على حديثه هذا بالوضع ، وأقرّه العجلوني وزيَّفه في كشف الخفاء ج ٢ ص ١٥٤ ، ١٦٣ . وذكره السيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج ١ ص ٣٠٢ غير أنّه عدّه بهذا الطريق الوعر في تاريخ الخلفاء عن أحاديث أبي بكر ، ولا تخفى عليه تراجم هؤلاء الرجال أمثال إسحاق الملطي ، نعم راقه أن يكثر عدد أحاديث الخليفة ولو بمثل هذا وقد حذف الأسانيد منها حتّى لا يقف القارىء على ما فيها من الوضع والاختلاق والله من ورائه حسيب .

أما الحديث الثاني :

فأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٩٠ بإسناده عن عبد الله بن داود الواسطي التمّار عن عبد الرّحمٰن ابن أخي محمّد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب ذات يوم لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما : يا خير الناس بعد رسول الله ! فقال أبو بكر : أما إنّك إن قلت ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .

عقّبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال : قلت عبد الله ضعّفوه ، وعبد

---

(١) مرت المصادر في الجزء الخامس ص ٢٦٨

الرّحمٰن متكلّم فيه ، والحديث شبه موضوع . وقال في ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٢٣ : رواه عبد الله بن داود التمّار وهو هالكٌ ، عن عبد الرّحمٰن بن أخي محمّد المنكدر لا يكاد يُعرف ، ولا يتابع على حديثه ، وقال الترمذي : ليس إسناده بذلك .

قال الأميني : أمّا عبد الله بن داود التمّار فقال البخاري : فيه نظر . وقال أبو حاتم ليس بقويّ ، في حديثه مناكير ، وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بالمتين عندهم ، وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : منكر الحديث جدّاً يروي المناكير عن المشاهير لا يجوز الإحتجاج بروايته . وقال الدارقطني : ضعيفٌ[1] .

وأمّا عبد الرّحمٰن فقال يحيى بن معين : ما أعرف عبد الرّحمٰن فقرأه إبراهيم بن الجنيد الحديث فقال يحيى : ما أعرف عبد الرّحمٰن . وأنكر الحديث ولم يعرفه[2] .

جاء العلاّمة الحريفيش في القرن الثامن وأتى في كتابه الروض الفائق ص ٣٨٨ بحديث مختلق في فضيلة مولانا أمير المؤمنين وأبي بكر وجعل هذه الرواية في فضل أبي بكر عن لسان عليّ عليه السلام قال روى أبو هريرة : إنَّ أبا بكر الصدِّيق وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال عليٌّ لأبي بكر رضي الله عنهما : تقدَّم فكن أوَّل قارع يقرع الباب وألح عليه ، فقال أبو بكر : تقدَّم أنت يا عليٍّ فقال عليٌّ : ما كنت بالذي يتقدَّم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقه : ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدي على رجل أفضلٍ من أبي بكر الصدِّيق . فقال أبو بكر : ما كنت بالذي يتقدَّم على رجل قال في حقِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت خير النساء لخير الرجال . إلى آخره وفيه مناقب ستّ لأبي بكر على لسان عليّ وكذلك لعليّ على لسان أبي بكر لم يذكر السيوطي شيئاً منها في عدِّ أحاديث أبي بكر مع اهتمامه بإكثار عددها وذلك لبداهة الكذب فيه ، وركّة لفظه ، ووضوح الإختلاق في معانيه وألفاظه ، وظهور

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٢) لسان الميزان ج ٣ ص ٤٤٨ .

التهافت بين جمله كما ترى . نعم لكلّ من الوضّاعين في وضع الحديث ذوقٌ ، ولكلٍّ واحد منهم طريقة وسليقة ، وليس أمرهم سلكي .

أمـا الحديث الثالث :

فمن المنكر الواضح وهو لِدة ما سبق عن عمر في الجزء السادس صفحة ١٩٥ من قوله : إن الميِّت يعذَّب ببكاء الحيِّ . وقد أنكرته عليه عائشة ، وهو مخالفٌ للكتاب المجيد حيث يقول :﴿**ولاتزروازرة وزرأخرى**﴾، وأمثالها وقد فصَّلنا القول فيه تفصيلاً في الجزء السابق فراجع ص ١٩٢ - ٢٠٠

ومخالفٌ للعدل فإنَّ تعذيب أيِّ أحد لما اجترعه غيره من سيِّئة - بعد تسليم كون البكاء عليه سيِّئة - يرفضه ناموس العدل الإلٓهي ، وتلفظه العقول السليمة ، ويتوجَّه إلى قائله اللوم من كلِّ ذي مسكة ، تعالىٰ الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً .

أما الحديث الرابع : إنما حرّ جهنم على امّتي مثل الحمّام :

فإنَّه أشبه شيء بمخاريق المعتوهين ، أو من يريد تحطيماً من عظمة أمر المولى سبحانه ، أو إغراءً لبسطاء الأُمَّة على اقتحام الجرائر بحسبان أنَّ حرَّ الجحيم الشديد الذي أوقده المنتقم الجبّار للعصاة عامَّة لا يصيب هذه الأُمَّة وإنَّما هو للأُمم السابقة ومن لم يعتنق الإسلام من الموجودين ، وأنت إذا تأمَّلت في ﴿**نار الله الموقدة التي تطَّلع على الأفئدة**﴾[1] ﴿**التي وقودها الناس والحجارة**﴾[2] ﴿**يوم يُحمى عليها في نار جهنَّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم**﴾[3] ﴿**إذا الجحيم سعِّرت**﴾[4] ﴿**وبُرِّزت الجحيم لمن يرى**﴾[5] ﴿**ترمي بشرر كالقصر كأنَّه جمالةٌ صفر**﴾[6] ﴿**كلّا إنَّها لظى نزَّاعة للشوى**﴾[7] ﴿**يوم يسحبون في النَّار على وجوههم**

---

(١) سورة الهمزة ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٤ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٥ .

(٤) سورة التكوير ؛ الآية : ١٢ .

(٥) سورة النازعات ؛ الآية : ٣٦ .

(٦) سورة المرسلات ؛ الآية : ٣٣ .

(٧) سورة المعارج ؛ الآية : ١٥ .

ذوقوامسَّ سقر﴾[1]**﴿وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لوّاحة للبشر عليها تسعة عشر﴾**[2]**﴿قالوا ما سلككم في سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنّا نخوض مع الخائضين﴾**[3] **﴿إنَّ شجرة الزّقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم﴾**[4] .

أو تأمّلت فيما هدَّد به المولى سبحانه المتثاقلين عن النفر للجهاد في الحرِّ بقوله : **﴿قل نار جهنَّم أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾**[5]ومَن يأكل أموال اليتامى بقوله : **﴿إنَّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا﴾**[6] إلى كثير من أمثال هذه لا ترتاب في أنَّ الأُمم كلها بالنسبة إليها شرعٌ سواء ، بل إنَّ توجيه تلكم الخطابات إلى الأُمّة المرحومة المعنيَّة بالتهذيب وإيقافها عن المعصية بالتهديد أولى من توجيهها إلى الأُمم البائدة التي جرى عليها ما جرى من عاقبة طاعة ، أو مغبَّة عصيان ، فذهبوا رهائن أعمالهم ، وبه يتمُّ اللطف ، وتحسن التربية ، وهو الذي كان يُبكي الصالح ، ويُفجع المتّقين ، ويدرُّ عبرات الأولياء ، ويجعل سيِّدهم أمير المؤمنين يتململ في جنح الليل البهيم تململ السليم قابضاً على لحيته ، يبكي بكاء الحزين وهو يقول : يا ربَّنا ! ـ يتضرَّع إليه ـ ثمَّ يقول للدنيا : إليَّ تغرَّرت ؟ إليَّ تشوّقت ؟ هيهات هيهات ، غرّي غيري قد بتتكِ ثلاثاً ، فعمركِ قصير ، ومجلسكِ حقير ، وخطركِ يسير ، آه آه من قلَّة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق[7] .

ثمَّ أيّ مشابهة بين ذلك اللهب المصطلم وبين الحمَّام الذي لا يكون الحرُّ

---

(١) سورة القمر ؛ الآية : ٤٨ .
(٢) سورة المدثر ؛ الآية : ٢٩ .
(٣) سورة المدثر ؛ الآية : ٤٥ .
(٤) سورة الدخان ؛ الآية : ٤٦ .
(٥) سورة التوبة ؛ الآية : ٨١ .
(٦) سورة النساء ؛ الآية : ١٠ .
(٧) حلية الأولياء ج ١ ص ٨٥ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٣ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٢ ، زهر الآداب للقيرواني ج ١ ص ٣٨ ، تذكرة السبط ص ٢٧٠ ، مطالب السؤول ص ٣٣ ، إتحاف الشبراوي ص ٧ .

فيه إلَّا صحيّاً ، تُزاح به الأوساخ ، وتعرق به الأبدان ، وترفع بـه الأتعاب ، وتـرتاح به الأجسام ؟ وهل يهدّد بمثله عصاة البشر الذي خُلق ظلوماً جهولاً جموحـاً ، البشر الذي هذا عقله ورشده وحديثه ؟ .

غاية جهـد الباحـث :

هذه غاية جهد الباحث عن علم الخليفة بـالسنَّة وهـذه سعة إطّـلاعه عليهـا ، فنحن إذا قسنـا مجموع مـا ورد عن الخليفة من الصحيـح والمـوضـوع في التفسيـر والأحكام والفوائد من المائةوأربعة أحاديث أو المائةواثنين وأربعين حديثاً إلى ما جاء عن النبيِّ الأقـدس من السنَّة الشـريفة لتجـدها كقـطرة من بحر لجي ، لا تقـام بهـا قـائمةٌ لـلإسلام ، ولا تـدعم بها أيّ دعـامة للدين ، ولا تُـروى بها غلّة صـاد ، ولا تنحلُّ بها عقدة أيّة مشكلة . هـذا أبو هريـرة ، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر ، وعبـد الله بن العبّـاس ، وعبـد الله بن عمـرو بن العـاص ، وعبـد الله بن مسعــود ، و و ويروون آلافاً من السنَّة النبويَّـة فقد أخـرج تقيّ بن مخلّد في مسنده من حـديث أبي هريرة فحسب خمسة آلاف وثلاثمائة حـديث وكسراً[١] وأبـو هريـرة لم يصحب النبيَّ إلَّا ثلاث سنين .

وهذا أحمد بن الفرات كتب ألف ألف وخمسمائة ألف حديث ، وانتخب منها ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والفوائد .

[خلاصة التهذيب ص ٩]

وهذا حرمة بن يحيى أبو حفص المصري صاحب الشـافعي يروي عن طـريق ابن وهب فحسب مائة ألف حديث .

[خلاصة التهذيب ص ٦٣]

وهـذا أبو بكـر الباغنـدي يجيب عن ثلاثمـائة ألف مسألة في حـديث رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

[تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠]

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٢٠٥ .

وهذا الحافظ روح بن عبادة القيسي له أكثر من مائة ألف حديث .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٤٢]

وهذا الحافظ مسلم صاحب الصحيح عنده ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ١٥١]

وهذا الحافظ أبو محمّد عبدان الأهوازي يحفظ مائة ألف حديث .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٨٨]

وهذا الحافظ أبو بكر ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٦]

وهذا الحافظ أبو زرعة حفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله أحد ، ويُقال : سبعمائة ألف حديث .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٣٧ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣]

وهذا الحافظ ابن عقدة يجيب في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت عليهم السلام وبني هاشم حدَّث بها عنه الدارقطني .

[تذكرة الحفّاظ ج ٣ ص ٥٦]

وهذا الحافظ أبو العبّاس أحمد بن منصور الشيرازي كتب عن الطبراني ثلاثمائة ألف حديث .

[تذكرة الحفّاظ ج ٣ ص ١٢٢]

وهذا الحافظ أبو داود السجستاني كتب عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة ألف حديث .

[تذكرة الحفّاظ ج ٢ ص ١٥٤]

وهذا عبد الله بن إمام الحنابلة أحمد سمع من أبيه مائة ألف وبضعة أحاديث .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ٢١٤]

وهذا ثعلب البغدادي سمع من القواريري مائة ألف حديث .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ٢١٤]

وهذا أبو داود الطيالسي يملي من حفظه مائة ألف حديث .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢]

وهذا أبو بكر الجعابي يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ويذاكر ستمائة ألف حديث . ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والخطابات قريباً من ذلك .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٦١]

وهذا إمام الحنابلة أحمد عنده أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً .

[راجع آخر الجزء الأوّل من مسنده]

وهذا الحافظ أبو عبد الله الختلي يحدِّث من حفظه بخمسين ألف حديث .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢١٧]

وهذا يحيى بن يمان العجلي يحفظ عن سفيان أربعة آلاف حديث في التفسير فقط .

[تاريخ الطبري ج ١٤ ص ١٢١]

وهذا الحافظ ابن أبي عاصم يملي من ظهر قلبه خمسين ألف حديث بعدما ذهبت كتبه .

[تذكرة الحفّاظ ج ٢ ص ١٩٤]

وهذا الحافظ أبو قلابة عبد الملك حدَّث من حفظه ستِّين ألف حديث .

[طبقات الحفّاظ ج ٢ ص ١٤٣]

وهذا أبو العبّاس السرَّاج كتب لمالك سبعين ألف مسألة .

[تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥١]

وهذا الحافظ ابن راهويه يملي سبعين ألف حديث من حفظه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٤١٣]

وهذا الحافظ إسحاق الحنظلي يحفظ سبعين ألف حديث .

[تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٥٢]

وهذا إسحاق بن بهلول التنوخي يحدِّث من حفظه خمسين ألف حديث .

[تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٦٨]

وهذا محمّد بن عيسى الطبّاع كان يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث .

[تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٩٦]

وهذا الحافظ ابن شاهين يكتب من حفظه بعدما ذهبت كتبه عشرين أو ثلاثين ألف حديث .

[تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٦٨]

وهذا الحافظ يزيد بن هارون يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بأسنادها .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ١٦]

فهلمَّ معي نرى أنَّ إسلاماً هذه سعة نطاق علمه ، وكثرة طقوسه وسننه ، وغزارة فنونه وعلومه ، ونبيّاً هذا حديثه وسنّته ، وهذه ودائعه المصلحة لأُمّته ، وهذا شأن الأعلام أُمناء ودائع العلم والدين ، وهذه سيرة حفظة السنَّة الشريفة ، كيف يجب أن يتحلّى خليفة ذلك النبيِّ الأقدس بأبراد علوم الكتاب والسنَّة ؟ وكيف يحقُّ أن يكون حاملاً بأعباء علوم مستخلفه ومعالمه ، وارثاً مآثره وآثاره ؟ أفهل يُقتصر منه بمائة وأربعة أحاديث؟ أو تقبل الأُمّة المسكينة أو تُجديها هذه الكميَّة اليسيرة من ذلك الحوش الحائش ؟ أو يسدُّ ذلك الفراغ ، ويمثّل تلك العلوم الإسلاميّة الجمَّة مَن هذا شأنه وشعاره ، وهذه سيرته وسنّته ، وهذا علمه وحديثه ؟ أو يُتلقّى بالقبول عذر المدافع عن الخليفة بأنَّ قلّة حديثه لقصر مدَّة خلافته ؟ أيّ صلة بين قصر العمر بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقلّة الرواية ؟ فإنَّ رواة الأحاديث على العهد النبويِّ ما كان حجر عليها ، ولم يكن عقال في ألسن أولئك الصحابة الأوَّلين ، ولا على الأفواه أوكية عن بثِّ العلم من الكتاب والسنَّة طيلة حياة النبيِّ الأقدس ، ولم يكن المكثرون من الرواية قصروا أحاديثهم على ما بعد أيّامه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلَّة حديث الرجل إن هي إلَّا لقلّة تلقّيه ، وقصر حفظه إنّما الإناء ينضح بما فيه والأوعية إذا طفحت فاضت .

ثمَّ أنّى يسوغ للخليفة ؟ أن تُثقله أعباء الخلافة ، وتعييه معضلات المسائل ويتترّس بمثل قوله : أيّ سماء تظلّني . إلخ . أو قوله : سأقول فيها برأيي . أو يخطب بعد أيّام قلائل من خلافته وقد أحرجته المواقف ، ويتطلّب الفوز منها بقول : لوددت أنَّ هذا كفانيه غيري ، ولئن أخذتموني بسنَّة نبيِّكم ﷺ لا أُطيقها ،

إن كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء[١] .

أو بقوله : أما والله ما أنا بخيركم ، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددت أنَّ فيكم من يكفيني ، أفتظنّون أنّي أعمل فيكم بسنّة رسول الله ﷺ ؟ إذن لا أقوم بها إنَّ رسول الله كان يُعصم بالوحي ، وكان معه ملك ، وإنَّ لي شيطاناً يعتريني ، فإذا غضبت فاجتنبوني أنْ لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم ، ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني .

وفي لفظ ابن سعيد : ألا وإنّما أنا بشرٌ ولست بخير من أحد منكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمت فاتّبعوني ، وإن رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم[٢] .

أو بقوله : إنّي وُليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على الحقّ فأعينوني وإن رأيتموني على الباطل فسدّدوني[٣] .

وفي لفظ ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ، ص ٩٨ : قد وُليت أمركم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوّموني .

وهل الخليفة حريٌّ بأن ترعاه أُمّته ورعيّته فتعينه وتسدّده وتقوّمه عند الخطل والزيغ ؟ وكيف لا يؤاخذ الخليفة بالسنّة وهو وارث علم النبيّ وحامل سنّته وقد أكمل الله دينه وأوحى إلى نبيّه ما تحتاج إليه أُمّته . وبلّغ صلى الله عليه وآله وسلم كلّ ما جاء به حتى حقّ له أن ينهى عن الرأي والقياس في دين الله ، أو يقول : ما تركت شيئاً ممّا

---

(١) مسند أحمد ج ١ ص ١٤ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٦ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، الصفوة ج ١ ص ٩٩ ، شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨ . ج ٤ ص ١٦٧ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص١٣٩ ، المجتنى لابن دريد ص ٢٧ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٤ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٣ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠ ، تهذيب الكامل ج ١ ص ٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٨ ، إعجاز القرآن ص ١١٥ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، ١٧٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧ وصححه ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٧ ، ٤٨ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٨ .

أمركم الله به إلّا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً ممّا نهاكم عنه إلّا وقد نهيتكم عنه[١] .

وقد فتح الخليفة لقصر باعه في علوم الكتاب والسنّة باب القول بالرأي بمصراعيه بعدما سدّه النبيُّ الأعظم على أُمّته ، ولم تكن عند الخليفة مندوحة سواه ، قال ابن سعد في الطبقات ، وأبو عمر في كتاب العلم ج ٢ ص ٥١ ، وابن القيِّم في أعلام الموقعين ص ١٩ ، إنَّ أبا بكر نزلت به قضيّة فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً ، ولا في السنّة أثراً ، فاجتهد رأيه ثمَّ قال : هذا رأيي فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأً فمنّي واستغفر الله .

[وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن سعد ص ٧١]

وقال ميمون بن مهران : كان أبو بكر إذ ورد عليه الخصم فإن وجد في الكتاب أو علم من رسول الله ما يقضي بينهم قضى به ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أنَّ رسول الله قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاءً ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الَّذي جعل فينا من يحفظ على نبيِّنا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنّة من رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به[٢] .

هكذا كان شأن الخليفة في القضاء ، وهذا مبلغ علمه ، وهذه سيرته في العمل بالرأي المجرَّد وقد قال عمر بن الخطاب : أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلّتت منهم أن يرووها ، فاشتقّوا الرأي ، أيُّها الناس إنَّ الرأي إن كان من رسول الله مصيباً لأنَّ الله كان يريه ، وإنّما هو منّا الظنُّ والتكلّف[٣] .

ثمَّ ما المسوّغ لمن سدَّ فراغ النبيِّ وأشغل منصّته أن يسأل الناس عن السنّة

---

(١) كتاب العلم لأبي عمر ، وفي مختصره ص ٢٢٢ .

(٢) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٨ ، وأخرجه البغوي كما في الصواعق ص ١٠ .

(٣) كتاب العلم لأبي عمر ج ٢ ص ١٣٤ ، وفي مختصره ص ١٨٥ ، أعلام الموقعين ص ١٩ .

الشريفة ، ويأخذها ممَّن هو خليفة عليه ؟ ولماذا خالف سيرته هذه لمّا سُئل عن الأبِّ والكلالة وترك سؤال الصحابة واستشارتهم فأفتى برأيه ما أفتى ، وقال بحريَّته ما قال .

وفيما اتَّفق لأبي بكر من القضايا غير ما مرَّ مع قلّته غنية وكفاية في عرفان مبلغ علمه وإليك منها :

١ ـ رأي الخليفة في الجدّة :

عن قُبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدَّة إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها أبو بكر : ما لك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنّة رسول الله ﷺ شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس . فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمّد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . الحديث[1] .

فانظر إلى ما عزب عنه علم الخليفة في مسألة تكثر بها البلوى ويطَّرد الحكم فيها ، حتى اضطرَّته الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل المغيرة أزنى ثقيف وأكذب الأُمَّة[2] وكان من تغييره للسنَّة ولعبه بها أنَّه صلّى صلاة العيد يوم عرفة مخافة أن يعزل سنة أربعين[3] وكان ينال من أمير المؤمنين عليه السلام كلَّما رقي صهوة المنبر[4] .

٢ ـ رأي الخليفة في الجدّتين :

عن القاسم بن محمّد أنَّه قال : أتت الجدَّتان إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه فأراد أن يجعل السدس للّتي من قِبَل الأُمِّ فقال له رجلٌ من الأنصار : أما إنَّك

(١) موطأ مالك ج ١ ص ٣٣٥ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٩ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ١٧ ، سنن ابن ماجة ج ٣ ص ١٦٣ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٢٤ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٣٤ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٤ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ١٧٣

(٣) الأغاني ج ١٤ ص ١٤٢ .

(٤) مرّ في الجزء السادس ص ١٧٥ ، ١٧٦

تترك التي لوماتت وهو حيّ كان إيّاها يرث ، فجعل أبو بكر السدس بينهما .

لفظ آخر :

إنَّ جدَّتين أتتا أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أُمّ الأُمّ وأُمّ الأب فأعطى الميراث أُمّ الأُمّ دون أُمّ الأب فقال له عبد الرّحمٰن بن سهيل ـ سهل ـ أخو بني حارثة : يا خليفة رسول الله ! لقد أعطيت التي لو أنّها ماتت لم يرثها . فجعله أبو بكر بينهما يعني السدس .

راجع موطأ مالك ج١ ص ٣٣٥ ، سنن البيهقي ج ١ ص ٢٣٥ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٤ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٠٠ ، الإصابة ج ٢ ص ٤٠٢ وقال : رجاله ثقاتٌ ، كنز العمال ج ٦ ص ٦ نقلاً عن مالك ، وسعيد بن منصور ، وعبد الرزاق ، والدارقطني ، والبيهقي .

قال الأمينيّ : أو لا تعجب عن جهل الرّجل بحكم إرث الجدَّتين ، وسرعة انقلابه عمّا ارتآه أوّلاً بنقد رجل من الأنصار أو أخي بني حارثة ؟ وكان ذلك النقد يستدعي حرمان الجدَّة من قبل الأُمّ لكنَّه شركهما في الميراث واتَّخذته الفقهاء مصدراً لحكمهم ، وأصل الحكم مأخوذٌ من رواية المغيرة المخصوصة بالجدَّة الواحدة فانظر واعتبر .

وأمّا رأي الرجل الأنصاري في الجدَّة الذي زحزح الخليفة عن حكمه فلم يكن أخذاً بالكتاب والسنَّة بل كان مخالفاً لهما وفقاً لقول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا بنوهنَّ أبناء الرِّجال الأباعد

فخصَّ القوم به قول الله تعالىٰ : ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظِّ الأُنثيين**﴾[1] لعقب الأبناء دون من عقبته البنات ، وذهبوا إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل محتجِّين بقول الشاعر .

قال ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٥٥ : قالوا : إذا أعطى الرجل بنيه أو

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١١ .

وقف عليهم فإنَّه يختصُّ بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجّوا بقول الشاعر :

بنـونـا بنـو أَبنـائنا وبنـاتُنـا بنـوهنَّ أبناء الـرِّجـال الأباعد (ا هـ)

وقال البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص ٣٠٠ : هـذا البيت لا يُعرف قـائله مـع شهرتـه في كتب النحاة وغيـرهم . قال العيني : هـذا البيت استشهد بـه النحاة على جواز تقديم الخبـر ، والفرضيّـون على دخول أبنـاء الأبناء في الميـراث ، وانَّ الإنتسـاب إلى الآباء ، والفقهـاء كذلـك في الوصيَّـة ، وأهـل المعـاني والبيـان في التشبيه ، ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله .

وقال : رأيت في شرح الكـرماني في شـواهد شـرح الكافيـة للخبيصي[١] أنَّه قال : هذا البيت قائله أبو فـراس همام الفـرزدق ابن غالب[٢] ثمَّ تـرجمه والله أعلم بحقيقة الحال . اهـ .

سبحانك اللَّهُمَّ ما أجرأهم على هـذا الرأي - السيـاسيِّ - في دين الله لإخراج آل الله عن بنوَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله تعالىٰ : **﴿قـل تعـالوا نـدع أبنائنـا وأبنـاءكم ونسـاءنـا ونسـاءكم ﴾**[٣] فهـو نصٌّ صـريحٌ على أنَّ الحسنين السبطين ابني النبيِّ الأقدس .

وقد سمّى الله سبحانه أسباط نوح ذريَّة له وليست الذريَّة إلاَّ ولد الـرجل كمـا في القاموس ج ٢ ص ٣٤ فقال سبحانـه : **﴿ومن ذريَّته داودوسليمان﴾** - إلى قولـه - **﴿ويحيى وعيسى﴾**[٤] فعدَّ عيسى من ذريَّة نوح وهو ابن بنته مريم .

قال الرازي في تفسيره ج ٢ ص ٤٨٨ : هذه الآية «يعني آية قـل تعالـوا» دالَّةٌ على أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام كـانا ابني رسـول الله ﷺ ، وعد أن يـدعـو أبنـاءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا إبنيه ، وممّا يؤكد هذا قولـه تعالىٰ في سـورة

---

(١) شمس الدين أبو بكر الخبيصي اسمى شرحه بالمرشح .

(٢) نسبه صاحب جامع الشواهد إلى عمر في صفحة ٩١ فقال: هو من أبيات لعمر بن الخطاب. وهذا أقرب إلى ما يشاهد فيه من الإلمام بالسياسة .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

(٤) سورة الأنعام ؛ الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

الأنعام : ﴿ومن ذرّيّته داود وسليمان﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وزكريا ويحيى وعيسى﴾ ، ومعلومٌ أنّ عيسى إنّما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأُمّ لا الأب فثبت أنّ ابن البنت قد يُسمّى إبناً والله أعلم .

وقال القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ١٠٤ : فيها «يعني آية تعالوا» دليلٌ على أنّ أبناء البنات يسمّون أبناء . وقال في ج ٧ ص ٣١ . عُدّ عيسى من ذرّيّة إبراهيم وإنّما هو ابن البنت ، فأولاد فاطمة رضي الله عنها ذرّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وبهذا تمسّك من رأى : أنّ ولد البنات يدخلون في اسم الولد . قال أبو حنيفة والشافعي : من وقف وقفاً على ولده وولد ولده أنّه يدخل فيه ولد ولده وولد بناته ما تناسلوا . وكذلك إذا أوصى لقرابته يدخل فيه ولد البنت ، والقرابة عند أبي حنيفة كلّ ذي رحم محرم . إلى أن قال :

وقال مالك : لا يدخل في ذلك ولد البنات ، وقد تقدّم نحو هذا عن الشافعي ج ٤ ص ١٠٤ ـ والحجّة لهما قوله سبحانه : ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ . فلم يعقل المسلمون[1] من ظاهر الآية إلاّ ولد الصلب وولد الإبن خاصّة . إلى أن قال : وقال ابن القصّار : وحجّة من أدخل البنات في الأقارب قوله عليه السلام للحسن بن علي : إنّ ابني هذا سيّد . ولا نعلم أحداً يمتنع أن يقول في ولد البنات لأنّهم ولد لأبي أُمّهم . والمعنى يقتضي ذلك لأنّ الولد مشتقٌّ من التولّد وهم متولّدون عن أبي أُمّهم لا محالة ، والتولّد من جهة الأُمّ كالتولّد من جهة الأب ، وقد دلّ القرآن على ذلك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ومن ذرّيّته داود وسليمان﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿من الصالحين﴾ . فجعل عيسى من ذرّيّته وهو ابن بنته . اهـ .

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي حرب بن الأسود قال : أرسل الحجّاج إلى يحيى بن يعمر فقال : بلغني أنّك تزعم أنّ الحسن والحسين من ذرّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تجده في كتاب الله ؟ وقد قرأته من أوّله إلى آخره فلم أجده . قال : أليس تقرأ سورة الأنعام : ﴿ومن ذرّيّته داود وسليمان﴾ . حتّى بلغ : ﴿ويحيى

---

(١) هذه فرية على المسلمين وحاشاهم أن يعقلوا من الآية خلاف ظاهرها من دون أي دليل صارف .

وعيسى؟﴾ قال بلىٰ . قال : أليس عيسى من ذريّة إبراهيم وليس له أب ؟ قال : صدقت . فلهذا إذا أوصى الرجل لذريَّته أو وقف على ذريَّته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم . الخ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٥٥ .

فبعد كون ذريَّة الرجل ولده على الإطلاق ودخل فيهم أولاد البنات لا ينبغي التفكيك في الأحكام عندئذ بين الذريّة والأولاد، ولا يسع لأيٍّ أحد أن يرى أبناء البنات أبناء الرِّجال الأباعد خارجين عن ولد الرجل على الحقيقة ، ويصحُّ له مع ذلك عدُّهم من ذريَّته وليست إلَّا ولد الرجل .

ويشهد على لغة القرآن المجيد وأنَّ ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

١ ـ أخبرني جبرائيل : أنَّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يُقتل . وفي لفظ : إنَّ أُمَّتي ستقتل إبني هذا .

[طبقات ابن سعد ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧٧ ، أعلام النبوة للماوردي ص ٨٣ ، ذخائر العقبى ص١٤٨ ، الصواعق ص ١١٥] .

٢ ـ وقوله : إبني هذا يُقتل بأرض من العراق .

[دلائل النبوة لأبي نعيم ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، ذخائر العقبى ص ١٤٦]

٣ ـ وقوله للحسن السبط : ابني هذا سيِّد .

[المستدرك ج ٣ ص ١٧٥ ، أعلام الماوردي ص ٨٣ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٥٥]

٤ ـ وقوله لعلي : أنت أخي وأبو ولدي .

[ذخائر العقبى ص ٦٦]

٥ ـ وقوله : إنَّ جبرائيل أخبرني أنَّ الله عزّ وجلَّ قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً .

[ذخائر العقبى ص ١٥٠]

٦ ـ وقوله : المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدريِّ .

[ذخائر العقبى ص ١٣٦]

٧ ـ هذان إبناي مَن أحبَّهما فقد أحبَّني : «الحسن والحسين» .

[المستدرك ج ٣ ص ١٦٦ ، تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٤ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢١]

٨ ـ وقوله لفاطمة الصدِّيقة : ادعي لي إبنيَّ .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣١٦]

٩ ـ وقوله لأنس : ادع لي إبني .

[تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٠٥]

١٠ ـ وقوله ادعوا إبني . فأتى الحسن بن علي .

[ذخائر العقبى ص ١٢٢]

١١ ـ وقوله : اللَّهُمَّ إنَّ هذا إبني ـ الحسن ـ وأنا أُحبُّه فأَحِبَّه وأحبَّ من يحبُّه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٣]

١٢ ـ وقوله لعليّ : أيّ شيء سمَّيت إبني؟ قال : ما كنت لأسبقك بذلك ، فقال : وما أنا السابق ربِّي فهبط جبرائيل فقال : يا محمَّد إنَّ ربَّك يقرئك السَّلام ويقول لك : عليٌّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبيَّ بعدك ، فسمِّ ابنك هذا باسم ولد هارون .

[ذخائر العقبى ص ١٢٠]

١٣ ـ وقوله : أروني إبني ما سمَّيتموه . قاله لمّا ولد الحسن ، وفي ولادة الحسين ، وكذلك في ولادة محسن بن عليّ .

[المستدرك ج ٣ ص ١٨٠ ، كنز العمال ج ٧ ص ١٠٧ ، ١٠٨ عن الدارقطني ، وأحمد ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن حبان ، والدولابي ، والبيهقي ، والحاكم ، والخطيب] .

١٤ ـ وقوله : اطلبوا إبنيَّ . لمّا ضلَّ الحسن والحسين .

[كنز العمال ج ٧ ص ١٠٨]

١٥ ـ وقوله : إبنيَّ هذين ريحانتيَّ من الدنيا . يعني الحسن والحسين .

[الصواعق ص ١١٤ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٠ . ج ٧ ص ١٠٩]

١٦ - وقوله : إبني إرتحلني .

[أخرجه أحمد . والبغوي . والطبراني . والحاكم . والبيهقي . وسعيد بن منصور . وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٣٦ ، وراجع كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢ ، وج ٧ ص ١٠٩] .

١٧ - وقوله : هاتوا إبنيَّ أُعوِّذهما بما عوَّذ به إبراهيم إبنيه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٩]

١٨ - وقوله لأنس : ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي - يعني الحسن - .

[كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢]

١٩ - وقوله : إبناي هذان : الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة .

[الصواعق لابن حجر ص ١١٤]

٢٠ - وقوله في عليّ : هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي .

[كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤]

٢١ - وقوله : سمَّيت إبنيَّ هذين باسم إبني هارون شبّر وشبير .

[الصواعق ص ١١٥ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢]

٢٢ - وقوله : لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي إسمه كاسمي . فقال سلمان : من أيِّ ولدك يا رسول الله ! قال : من وَلدي هذا . وضرب بيده على الحسين .

[ذخائر العقبى ص ١٣٦]

٢٣ - وقول الحسن السبط سلام الله عليه في خطبة له : أنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبيِّ ، وأنا ابن البشير ،وأنا ابن النذير ، وأنا ابن الداعي الى الله بإذنه والسراج المنير .

[المستدرك ج ٣ ص ١٧٢ ، وذخائر العقبى ص ١٣٨ ، ١٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١١ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٤٦ ، إتحاف الشبراوي ص ٥] .

٢٤ - وقوله لأبي بكر وهو في منبر جدِّه الأقدس : إنزل عن مجلس أبي فقال أبو بكر : صدقت إنَّه مجلس أبيك . وفي لفظ : إنزل عن منبر أبي . فقال أبو

بكر : منبر أبيك لا منبر أبي .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧ ، الصواعق ص ١٠٨ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٤ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٣٢] .

٢٥ ـ وقوله في وصيّته : ادفنوني عند أبي ـ يعني المصطفى ـ .

[إتحاف الشبراوي ص ١١]

٢٦ ـ وقول الحسين السبط عليه‌السلام لعمر : إنـزل عن منبر أبي . فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، مَن أمرك بهذا ؟ .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٢١]

٢٧ ـ وقول ابن عبّاس : هذان ـ الحسن والحسين ـ إبنا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢١٢ ، ٣٢٢]

٢٨ ـ وقول زهير بن قين مخاطباً الحسين عليه‌السلام : قد سمعنا يابن رسول الله مقالتك .

[جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٤٠]

٢٩ ـ وقول الإمام السبط الحسن الزكيِّ كما في الإتحاف للشبراوي ص ٤٩ :

خيرة اللّه من الخلق أبي　　بعد جدّي وأنا ابن الخيرتين
فضّةٌ قد صُيغت من ذهب　　فأنا الفضّة ابن الذهبين

٣٠ ـ وقوله كما في الإتحاف ص ٥٧ :

أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه　　وليس على الحقِّ المبين طخاء
أليس رسول اللّه جدّي ووالدي　　أنا البدر إن خلّ النجوم خفاء

٣١ ـ وقول الفرزدقِ في مدح الإمام السجّاد عليٍّ بن الحسين عليه‌السلام :

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم　　هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم

٣٢ ـ وقول ابن بشر في زيد بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليه‌السلام يمدحه :

إذا نـزل ابن المصـطفى بـطن تـلعـة نفى جـدبهـا واخضـرَّ بـالنبت عـودهـا
وزيدٌ ربـيـع الـنـاس في كـلّ شـتـوةٍ إذا أخـلـفـت أبـراقـهـا ورعـودهـا

٣٣ - وقـول أبي عـاصم ابن حمـزة الأسلمي يمـدح الحسن بـن زيـد بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليه‌السلام كما في زهر الآداب للحصري القيرواني ج ١ ص ٨٠ .

ستـأتي مـدحتي الـحسـن بن زيـد وتـشـهـد لي بـصـفّـيـن الـقـبـور
قبـورٌ لـم تـزل مُـذ غاب عـنـهـا أبـو حـسـنٍ تـعـاديهـا الـدهـور
قـبـورٌ لـو بـأحـمـدَ أو عـليٍّ يـلوذُ مجيـرهـا حـمي الـمـجـيـر
هـمـا أبـواكَ من وضعـا فـضـعـه وأنـت بـرفـع مَـن رفـعـا جـديـر

٣٤ - وقول إبراهيم بن علي بن هرمة لَمّا نصحه الحسن بن زيد المذكـور كما في زهر الآداب ج ١ ص ٨١ .

نهـاني ابن الرسـول عن المـدامِ وأدَّبـنـي بـآداب الـكـرام

٣٥ - وقول أبي تمام الطائي[١] :

فـعـلتـم بـأبـنـاء الـنـبـيِّ ورهـطه أفـاعيـلَ أدنـاهـا الخيـانـة والغـدر

٣٦ - وقول دعبل الخزاعي :

فـكـيـف ومن أنّـى بـطالـب زلـفـة إلى اللّه بعـد الصَّـوم والصَّلوات؟
سـوى حـبِّ أبنـاءِ الـنبيِّ ورهـطه وبغض بني الـزرقـاء والعبـلات

٣٧ - وقـولـه :

ألـم يـحـزنـك أنَّ بـنـي زيـاد أصـابـوا بـالـتـرات بني النبيِّ

٣٨ - وقول الحمّاني :

قـومٌ لمـاء المـعـالي فـي وجـوههـمُ عـنـد التـكـرم تصـويـبٌ وتصـعـيـد

(١) راجع فيما يلي من الأبيات تراجم شعرائها في أجزاء كتابنا هذا .

يـدعـون أحمـد إن عُـدَّ الفخـار أبـاً والـعـود ينـسب فـي أَفنائـه الـعـود

٣٩ ـ وقول التنوخي :

مـن ابـن رسـول الـلّه وابـن وصـيِّـه إلى مـدخـل في عقبـة الـدين نـاصب

٤٠ ـ وقول الزاهي :

بنـو المصـطفى تُفنـون بـالسيف عنـوةً ويسلمني طـيف الـهجـوع فـأهـجـع

٤١ ـ وقـول الناشي :

بـني أحـمـد قـلبي بـكـم يـتـقـطَّعُ بمثـل مصـابي فـيكـمُ ليس يُـسمـع

٤٢ ـ وقول الصاحب بن عباد :

مـا لـعـليٍّ الـعـليِّ أَشـبـاه لا والَّـذي لا إلَـه إلَّا هـو
مَبنـاه مـبنـى الـنبـيّ تـعـرفـه وابـنـاهُ عنـد الـتفـاخـر إبـنـاه

٤٣ ـ وقـولـه :

أيُـجـزُّ رأس ابن الـنبـيِّ وفـي الـورى حـيٌّ أمـام ركـابـه لـم يـقـتـل ؟

٤٤ ـ وقـولـه :

بمحمَّـد ووصيّـه وابـنيهمـا وبعـابدٍ وببـاقـرين وكـاظم

٤٥ ـ وقـولـه :

بمحمَّـد ووصيِّـه وابـنيـهمـا الـطاهـريـن وسيِّـد العبَّـاد

٤٦ ـ وقـول الصوري :

فـلهـذا أبـنـاء أحـمـد أبـنـاء عـليٍّ طـرائـدُ الآفـاق

٤٧ ـ وقول مهيار الديلمي :

بـأيّ حـكـم ٍ بـنـوهُ يـتبـعـونـكـمُ وفخـركم أنَّـكم صحبٌ لـه تَبـع ؟

٤٨ ـ وقـولـه :

فيوم السَّقيفة يابن النبيِّ طرَّق يومك في كربلا

٤٩ - وقول ابن جابر :

جعلوا لأبناء الرَّسول علامةً إنَّ العلامة شأنُ مَن لم يشهر

٥٠ - وقال الشبراوي :

يابن الرَّسول بأُمّك الزهر البتولِ وجدِّك المأمول عند الناس
وغدوت في الأشراف يابن المصطفى كالعقل أو كالرّوح أو كالرّاس

فما المبرِّر عندئذ للخليفة في صفحه عمّا في كتاب الله وسنَّة نبيِّه وتلقّيه بالقبول قول الأنصاريِّ الشاذّ عن الكتاب والسنَّة ؟ وما عذر فقيه أو حافظ اتَّخذ رأي الأنصاري ديناً محتجّاً بقول شاعرٍ لم يُعرف بعدُ ، وبين يديه القرآن والحديث والأدب ؟ .

٣ - رأي الخليفة في قطع يد السارق :

عن صفيَّة بنت أبي عبيد : أنَّ رجلاً سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه مقطوعة يده ورجله فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يقطع رجله ويدع يده يستطيب بها ويتطهّر بها ، وينتفع بها ، فقال عمر : لا والذي نفسي بيده لتقطعنَّ يده الأُخرىٰ . فأمر به أبو بكر رضي الله عنه فقطعت يده .

وعن القاسم بن محمّد : أنَّ أبا بكر رضي الله عنه أراد أن يقطع رِجلاً بعد اليد والرِّجل فقال عمر رضي الله عنه : السنَّة اليد[1] .

إنَّ من موارد الحيرة أنَّ الخليفة لا يعلم حدَّ السارق الذي هو من أهمِّ ما تجب عليه معرفته لحفظ الأمن العامِّ ، وتهدئة الحالة ، وقطع جرثومة الفساد ، ومن المحيِّر أيضاً تسرّعه إلى الحكم قبل ما عزي إليه فيما مرَّ ص ١٣٩ من الرجوع إلى الكتاب والسنَّة ثمَّ الإستعلام من الصحابة ثمَّ المشورة .

ثمَّ إنَّ الذي سدَّده في هذه القضيَّة لِمَ نسي الحكم إبّان خلافته فأراد عين ما أراده

---

(١) سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

صاحبه . راجع الجزء السادس ص ١٦٨

٤ ـ رأي الخليفة في الجد :

عن ابن عبّاس وعثمان وأبي سعيد وابن الزبير قالوا : إنَّ أبا بكر جعل الجدَّ أباً[١] يعنون أنّه كان يحجب الأُخوة بالجدِّ ولم يشرك بينهما كما أنَّ الأب يحجب الأُخوة والأخوات .

قال الأميني : لم يكن رأي الخليفة هذا متّخذاً من الكتاب والسنَّة ، ولم يكن يعمل به أحدٌ من الصحابة طيلة حياته ، وما اتَّفق لجدّ يرث في أيَّامه حتى يؤيّد رأيه ويُقال : إنَّ أحداً من الصحابة لم يخالف أبا بكر في حياته في رأيه هذا كما قاله البخاري والقرطبي[٢] وأوَّل جدّ كان في الإسلام فأراد أن يأخذ المال كلّه مال ابن ابنه دون اخوته هو عمر بن الخطاب فأتاه عليٌّ وزيد فقالا : ليس لك ذلك إنَّما كنت كأحد الأخوين ، وقد فصَّلنا القول فيه في الجزء السادس ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ فأوَّل رجل خالف الخليفة في الجدِّ هو خليفته بعده ، وقد اتَّفق عليّ وعمر وعثمان وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن مسعود على خلاف الخليفة على توريث الأُخوة مع الجدِّ[٣] وهو قول مالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمّد والشافعي وابن أبي ليلى[٤] .

وافتعل القوم للخليفة عذراً بأنّه كان يرى الجدّ أباً لمكان قوله تعالىٰ : ﴿**ملّة أبيكم إبراهيم**﴾ . وقوله : ﴿**يا بني آدم**﴾ بتقرير إطلاق الأب على الجدِّ على الحقيقة . ولا يخفى على أيِّ أحد أنَّ صحَّة هذا الإطلاق لا توجب إتِّحاد الأب والجدِّ في جميع الأحكام ، ألا ترى انَّ صحَّة إطلاق الأُمّ على الجدَّة على الحقيقة وقولهم في

---

(١) صحيح البخاري باب ميراث الجدّ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٢ ، أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩٤ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٤٦ ، تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٢) راجع صحيح البخاري باب ميراث الجدّ ، وتفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

(٣) صحيح البخاري باب ميراث الجدّ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٤ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٠ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩٤ ، تفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

تعريف الجدَّة : إنَّها الأُمّ العليا[1] لا تستدعي الإشتراك في النصيب فيرون مع هذه للجدَّة السدس بالاتِّفاق . وفريضة الأُمّ هي الثلث بالكتاب والسنَّة .

على أنَّ الصحابة الأوَّلين لم يكن عندهم أيّ إيعاز إلى هذا العذر المنحوت ، ولو كانت لرأي الخليفة قيمةٌ وكرامةٌ لأباحه أحدٌ منهم ، وفاهَ به عندما خالف عليٌّ وزيد عمر بن الخطاب ونهياه عن إعمال هذا الرأي .

بل فيما رواه الدارمي عن الحسن من أنَّ الجدَّ قد مضت سنَّته ، وأنَّ أبا بكر جعل الجدَّ أباً ، ولكن الناس تخيّروا[2] إيعازٌ إلى أنَّ السنَّة في الجدِّ ماضيةٌ ثابتةٌ وقد خالفها الخليفة ، وتخيَّر الناس فخالفوه وعملوا بالسنَّة الشريفة .

٥ ـ رأي الخليفة في تولية المفضول :

قال الحلبي في السيرة النبويَّة ج ٣ ص ٣٨٦ : إنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه وهو الحقُّ عند أهل السنَّة لأنَّه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين ، وأعرف بتدبير الأمر ، وما فيه انتظام حال الرعيّة .

أجاب الحلبي بهذا عن تقديم أبي بكر عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجرّاح على نفسه في الخلافة وقوله : بايعوا أيّ الرجلين إنْ شئتم .

وقال الباقلاني في التمهيد ص ١٩٥ عند الجواب عن قول أبي بكر : وليتكم ولست بخيركم : يمكن أن يكون قد اعتقد أنَّ في الأُمَّة أفضل منه إلَّا أنَّ الكلمة عليه أجمع والأُمَّة بنظره أصلح ، لكي يدلّهم على جواز إمامة المفضول عند عارض يمنع من نصب الفاضل ، ولهذا قال للأنصار وغيرهم : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أحدهما : عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح ، وهو يعلم أنَّ أبا عبيدة دونه ودون عثمان وعليّ في الفضل ، غير أنَّه قد رأى أنَّ الكلمة تجتمع عليه ، وتنحسم الفتنة بنظره . وهذا أيضاً ممّا لا جواب لهم عنه .

---

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

(٢) سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٣ .

قال الأميني : الذي نرتئيه في الخلافة أنَّها إمرةٌ إلّهيَّةٌ كالنبوَّة ، وإن كان الرسول خُصَّ بالتشريع والوحي الإلّهي ، وشأن الخليفة التبليغ والبيان ، وتفصيل المجمل . وتفسير المعضل ، وتطبيق الكلمات بمصاديقها ، والقتال دون التأويل[١] كما يُقاتل النبيُّ دون التنزيل ، وإظهار ما لم يتسنَّ للنبيِّ الإشادة به إمّا لتأخّر ظرفه ، أو لعدم تهيؤ النفوس له ، أو لغير ذلك من العلل ؛ فكلٌّ منهما داخلٌ في اللطف الإلّهيِّ الواجب عليه بمعنى تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية ، ولذلك خلقهم واستعبدهم وعلّمهم ما لم يعلموا ، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتّعوا ويلهيهم الأمل . ولكن خلقهم ليعرفوه ، وليمكّنهم من الحصول على مرضاته ، وسهَّل لهم الطريق إلى ذلك ببعث الرسل ، وإنزال الكتب ، وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة ، وبما أنَّ أيّ نبيّ لم يُنط عمره بمنصرم الدنيا ، ولا قُدِّر له البقاء مع الأبد ، وللشرائع ظروفٌ مديدةٌ ، كما أنَّ للشريعة الخاتمة أمدٌ لا منتهى له ، فإذا مات الرسول ولشريعته إحدى المدَّتين وفي كلٍّ منهما نفوسٌ لم تكمل بعدُ ، وأحكامٌ لم تُبلّغ وإن كانت مشرَّعة ، وأُخرى لم تأت ظروفها ، ومواليد قدِّر تأخير تكوينها ، ليس من المعقول بعدُ أن تترك الأُمَّة سُدى والحالة هذه ، والناس كلّهم في شمول ذلك اللطف الواجب عليه سبحانه شرع سواء ، فيجب عليه جلّت عظمته أن يقيِّض لهم مَن يكمل الشريعة ببيانه ، ويزيح شبه الملحدين ببرهانه ، ويجلو ظلم الجهل بعرفانه ، ويدرأ عن الدين عادية أعدائه بسيفه وسنانه ، ويقيم الأمت والعوج بيده ولسانه .

ومهما كان للمولى جلّت منته عناية بعبيده ، وقد ألزم نفسه بإسداء البرِّ إليهم ، وأن لا يولِّيهم إلَّا الخير والسعادة ، فعليه أن يختار لهم مَن ينوء بذلك العبء الثقيل ويمثِّل مخلّفه الرسول في الوظائف كلّها ، فينصّ عليه بلسان ذلك النبيِّ المبعوث ، ولا يجوز أن يخلي سربهم ، ويتركهم سُدى ، ألا ترى أنَّ عبد الله بن

---

(١) وبهذا عرّف النبي صلّى الله عليه وآله مولانا أمير المؤمنين بقوله : إنَّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ ! قال : لا . قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ ! قال : لا . ولكن خاصف النعل ، وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها . أخرجه جمع من الحفّاظ وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي كما يأتي تفصيله .

عمر قال لأبيه : إنَّ النّاس يتحدَّثون انّك غير مستخلف ، ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمَّ جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرط - لرأيت أن قد ضيَّع - ورعية الناس أشدُّ من رعية الإبل والغنم ، ماذا تقول لله عزَّ وجلَّ إذ لقيته ولم تستخلف على عباده[١] ؟ .

وقالت عائشة لابن عمر : يا بنيّ أبلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع أُمَّة محمَّد بلا راع ، إستخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإنِّي أخشى عليهم الفتنة[٢] فترك النّاس مهملين فيه خشيةُ الفتنة عليهم .

وقال عبد الله بن عمر لأبيه : لو استخلفت ؟ قال : من ؟ قال : نجتهد فإنَّك لست لهم بربّ ، تجتهد ، أرأيت لو أنَّك بعثت إلى قيِّم أرضك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض ؟ قال : بلى . قال : أرأيت لو بعثت إلى راعي غنمك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف رجلاً حتى يرجع[٣] ؟ .

وهذا معاوية بن أبي سفيان يتمسَّك بهذا الحكم العقليِّ المسلّم في استخلاف يزيد ويقول : إنِّي أرهب أن أدع أُمَّة محمَّد بعدي كالضأن لا راعي لها[٤] .

ليت شعري هذا الدليل العقليُّ المتسالم عليه لِمَ أهملته الأُمَّة في استخلاف النبيِّ الأعظم واتَّهمته بالصفح عنه ؟ أنا لا أدري .

ولا يجوز أيضاً توكيل الأمر إلى أفراد الأُمَّة ، أو إلى أهل الحلّ والعقد منهم لأنَّ ممّا أوجبه العقل السليم أن يكون الإمام مكتنفاً بشرائط بعضها من النفسيَّات الخفيَّة والملكات التي لا يعلمها إلاَّ العالم بالسرائر[٥] كالعصمة والقداسة الروحيَّة ،

---

(١) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٤٩ عن صحيح مسلم ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٩٠ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٧٤ ، حلية الأولياء ج ١ ص ٤٤ ، فتح الباري ج ١٣ ص ١٧٥ عن مسلم .

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٧٠ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥١ .

(٥) وقد أشبعنا القول في البرهنة على لزوم هذه الملكات الفاضلة في الإمامة في غير هذا المورد .

والنزاهة النفسيَّة لتبعده عن الأهواء والشهوات ، والعلم الذي لا يضلُّ معه في شيء من الأحكام إلى كثير من الأوصاف التي تقوم بها النفس ، ولا يظهر في الخارج منها إلاَّ جزئيّات من المستصعب الحكم باستقرائها على ثبوت كلّياتها ، **﴿وربُّك يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون﴾**[1] . والله يعلم حيث يجعل رسالته .

فالأُمَّة المنكفيء علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلّى بتلك الصفات فالغالب على خيرتها الخطأ ، فإذا كان نبيّ كموسى على نبيِّنا وآله و عليه السلام تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلَّفة سبعين رجلاً . وأنّهم لمّا بلغوا الميقات قالوا : أرنا الله جهرة ؟ فما ظنُّك بأفراد عاديِّين واختيارهم ، وأُناس ماديِّين وانتخابهم ، وما عساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممَّن هو وإيّاهم سواسية كأسنان المشط في الحاجة إلى المسدّد ، وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عائث ، أو يكون إلتياثهم بمشاغب ، أو يكون إنثيالهم وراء من يسرُّ على الأُمَّة حسواً في ارتغاء[2] أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام ، ويأتي بالجرائم ، ويقترف المآثم وهو لا يعلم ، أو يعلم ولا يكترث لأن يقول زوراً ، ويحكم غروراً ، فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا ، ويقعوا في الهلكة وهم لا يشعرون ، كما وقعت أمثال ذلك في البيعة لمعاوية ويزيد وخلفاء الأمويِّين .

فعلى الباريء الرؤوف الذي يكره كلَّ ذلك في خلقه أن لا يجعل لأحد من خلقه الخيرة فيها و **﴿قد خلقه ظلوماً جهولاً﴾**[3] **﴿ألا يعلم مَن خلق وهو اللّطيف الخبير﴾**[4] ، **﴿وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة في الأمر﴾**[5] **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾**[6] .

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦٩ .

(٢) مثل يُضرب لمن يظهر امرًا ويريد غيره ـ تاج العروس ج ١٠ ص ١٥٣ .

(٣) راجع سورة الأحزاب ؛ الآية : ٧٢ .

(٤) سورة الملك ؛ الآية : ١٤ .

(٥) سورة القصص ؛ الآية : ٦٧ .

(٦) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

وقد أخبر به النبيُّ الأعظم من أوّل يومه يوم عرض نفسه على القبائل فبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمَّ أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء[١] .

أنّى تسوغ أن تكون للخلق خيرة في الأمر مع شيوع الغايات والأغراض والدعاوى والميول والشهوات في الناس حول الإنتخاب ، مع اختلاف الأنظار وتضارب الآراء والمعتقدات في تحليل نفسيّات الرجال والشخصيّات البارزة ، مع كثرة الأحزاب والفرق والأقوام والطوائف المتشاكسة ، مع شقاق القوميَّة والطائفيّة والشعوبيّة الذائع الشائع في المسكين ابن آدم من أوّل يومه .

وقد اقترن الإنتخاب من بدءِ بدئه بالتحارش والتلاكم والتكالم والتشازر والتصاخب والتخاصم حتى قُدَّت برودٌ يمانيَّة[٢] ووقع البرَح براحاً[٣] وكم بالإنتخاب هُتكت حرمات ؟ وأُهينت مقدَّسات ، وأُضيعت حقائق ، ودُحض الحقُّ الثابت ، ودُحس الصالح العام ، واختلَّ الوئام ، وأُقلق السَّلام ، وسُفحت دماءٌ زكيَّة ، وتشلشلت اشلاء الإسلام الصحيح ، فجاء يطمع في الأمر مَن لا خلاق له مِن سوقي ،برديّ ،أو مبرطش ألهاه الصفق بالأسواق ، أو بزّاز يحمل بني أبيه على رقاب الناس ، أو حفّار قبور لا يعرف عرضه من طوله ، أو طليق غاشم ، أو خمّار سكّير ، أو مستهتر مشاغب ، من الَّذين اتّخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله نحلاً ، وكتاب الله دغلاً ، ودين الله حولاً .

ومقتضى هذا البيان الضافي أن يكون الخليفة أفضل الخليقة أجمع في أُمّته لأنّه لو كان في وقته من يماثله في الفضيلة أو من ينيف عليه إستلزم تعيينه الترجيح بلا مرجِّح أو التطفيف في كفَّة الرجحان .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢ ، الروض الأنف ج ١ ص ٢٦٤ ، بهجة المحافل لعماد الدين العامري ج ١ ص ١٢٨ ، السيرة الحلبيَّة ج ٢ ص ٣ ، سيرة زيني دحلان ج ١ ص ٣٠٢ هامش الحلبية ، حياة محمد لهيكل ص ١٥٢ .

(٢) مثل يضرب في شدة الخصومة ، أي تخاصموا حتى تشاقوا الثياب الغالية .

(٣) البرح : الشدة والأذى والشر ، والبراح : الصراح البين .

على أنَّ الإمام لو قصر في شيء من تلك الصفات لأمكن حصول حاجته إلى المورد الذي نبا عنه علمه ، أو تضاءَلت عنه بصيرته ، أو ضعفت عنه مُنَّته ، فعندئذ الطامَّة الكبرى من الفتيا المجرَّدة ، والرأي لا عن دليل ، أو الأخذ عمَّن يسدِّده ، وفي الأوَّل العيث والفشل ، وفي الثاني سقوط المكانة ، وقد أُخذ في الإمام مثل النبيِّ أن يكون بحيث يُطاع ، ﴿وما أرسلنا من رسول إلَّا ليُطاع بإذن الله﴾[1] وقرنت طاعة الإمام بطاعة الله ورسوله في قوله تعالىٰ : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسول وأولي الأمر منكم﴾[2] وذلك ليمكنه إقامة الحدود الإلٰهيَّة ، ودحض الأباطيل ، وربما تسرَّبت الشبهة عن جهله إلى نفس الدعوة وحقيقة الدين إن كان عميده الداعي إليه يقصر عن الدفاع عنه وإزاحة الشكوك المتوجّهة إليه .

فكلُّ هذا يستدعي كماله في الصفات الكماليَّة كلّها فيفضل على الأُمَّة جمعاء ، ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3] ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير ، أم هل تستوي الظلمات والنور﴾[4] ﴿أفمن يهدي إلى الحقِّ أحقُّ أن يُتَّبع أمّن لا يهدي إلَّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[5] .

الخلافة عند القوم :

نعم الخلافة التي تقول بها الجماعة لا تستدعي كلَّ ما ذكرنا فإنَّهم يحسبون الخليفة أيَّ مستحوذٍ على الأُمَّة يقطع السارق ، ويقتصُّ القاتل ، ويكلأ الثغور ، ويحفظ الأمن العام إلى ما يشبه هذه ، ولا يخلع بفسق ، ولا ينتقد بفاحشة مبيَّنة ، ولا يُعاب بجهل ، ولا يُؤاخذ بعثرة ، ولا يُشترط فيه أيٌّ من الملكات الكريمة ، وله العتبى في كلِّ ذلك ، وليس عليه من عتب .

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٦٤ .
(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .
(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٩ .
(٤) سورة الرعد ؛ الآية : ١٦ .
(٥) سورة يونس ؛ الآية : ١٣٥ .

كلمة الباقلاني :

قال الباقلاني في التمهيد ص ١٨١ : باب الكلام في صفة الإمام الـذي يلزم العقد له : فإن قال قائل : فخبِّرونا ما صفة الإمام المعقود لـه عندكم ؟ قيـل لهم : يجب أن يكون على أوصاف : منها أن يكون قرشيّاً من الصميم ، ومنها : أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين ، ومنهـا : أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب ، وتدبير الجيوش والسرايا ، وسدِّ الثغـور ، وحمايـة البيضة ، وحفظ الأُمَّـة ، والإنتقـام من ظـالمهـا ، والأخـذ لمـظلومهـا ، ومـا يتعلّق بـه من مصالحها .

ومنهـا : أن يكون ممَّن لا تلحقـه رقّة ولا هـوادة في إقامـة الحدود ولا جـزع لضرب الرقاب والأبشار .

ومنهـا : أن يكـون من أمثلهم في العلم وسـائـر هـذه الأبـواب التي يمكن التفـاضل فيهـا ،إلاَّ أن يمنع عـارضٌ من إقامـة الأفضل فيسـوغ نصب المفضـول ، وليس من صفـاتـه أن يكـون معصـومـاً ، ولا عـالمـاً بـالغيب ، ولا أفـرس الأُمّـة وأشجعهم ، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش .

وقال في صفحة ١٨٥ : فإن قالوا : فهل تحتـاج الأُمَّة إلى علم الإمـام وبيان شيء خُصَّ به دونهم ، وكشف ما ذهب علمه عنهم؟ قيـل لهم : لا ؟ لأنَّه هـو وهُم في علم الشريعة وحكمها سيّان . فإن قالوا : فلماذا يُقام الإمام ؟ قيـل لهم : لأجل مـا ذكرنـاه من قبل من تـدبيـر الجيـوش ، وسـدِّ الثغـور ، وردع الـظالم ، والأخـذ للمـظلوم ، وإقـامـة الحـدود ، وقسم الفيء بين المسلمين والـدفـع بهم في حجِّهم وغزوهم ، فهذا الذي يليه ويُقـام لأجله ، فإن غلط في شيء منـه ، أو عدل بـه عن موضعه كانت الأُمَّة من ورائه لتقويمه والأَخذ له بواجبه .

وقال في ص ١٨٦ : قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحـديث : لا ينخلع الإمـام «بفسقه وظلمـه بغصب الأموال ، وضـرب الأبشار ، وتنـاول النفـوس المحرَّمة ، وتضييع الحقوق ، وتعطيل الحدود» ولا يجب الخروج عليـه ، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعـو إليه من معـاصي الله ، واحتجّوا في

ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبيِّ ﷺ وعن الصَّحابة في وجوب طاعة الأئمّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، وإنّه قال ﷺ : اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع ، ولو لعبد حبشيّ ، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر . وروى أنَّه قال : أطعهم وإن أكلوا مالك ، وضربوا ظهرك ، وأطيعوهم ما أقاموا الصَّلاة . في أخبار كثيرة وردت في هذا الباب وقد ذكرنا ما في هذا الباب في كتاب «إكفار المتأوِّلين» وذكرنا ما روي في معارضتها وقلنا في تأويلها بما يغني الناظر فيه إن شاء الله .

وقال في صفحة ١٨٦ : وليس ممّا يوجب خلع الإمام حدوث فضل في غيره ويصير به أفضل منه ، وإن كان لو حصل مفضولاً عند ابتداء العقد لوجب العدول عنه إلى الفاضل ، لأنَّ تزايد الفضل في غيره ليس بحدث منه في الدين ، ولا في نفسه يوجب خلعه ، ومثل هذا ما حكيناه عن أصحابنا أنَّ حدوث الفسق في الإمام بعد العقد له لا يوجب خلعه ، وإن كان ما لو حدث فيه عند ابتداء العقد لبطل العقد له ووجب العدول .

قال الأميني : وممّا أوعز إليه الباقلاني من الأخبار الكثيرة الدالَّة على وجوب طاعة الأئمّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، ولا ينعزل الإمام بالفسق ما يلي :

١ ـ عن حذيفة بن اليمان قال : قلت يا رسول الله ! إنَّا كنّا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ ؟ قال : نعم . قلت : وهل وراء هذا الشرِّ خيرٌ ؟ قال نعم . قلت : فهل وراء ذلك الخير شرٌّ ؟ قال : نعم . قلت : كيف يكون ؟ قال : يكون بعدي أئمَّة لا يهتدون بهداي ولا يستنُّون بسنَّتي ، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس . قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟قال : تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٧]

٢ ـ عن عوف بن مالك الأشجعي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرار أئمّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا : يا رسول الله !

أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصّلاة ، ألا ومن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا تنزعنَّ يداً من طاعة .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٢ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩]

٣ ـ سأل سلمة بن يزيد الجعفي النبيَّ ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن قامت علينا أُمراء يسألوننا حقّهم ويمنعوننا حقّنا فما تأمرنا ؟ قال : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثمَّ سأله فقال : إسمعوا وأطيعوا فإنّما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٨]

٤ ـ عن المقدام : إنَّ رسول الله ﷺ قال : أطيعوا أُمراءكم ما كان ، فإن أمروكم بما حدَّثتكم به ، فإنّهم يؤجرون عليه وتؤجرون بطاعتكم ، وإن أمروكم بشيء ممّا لم آمركم به فهو عليهم وأنتم منه برءاء ، ذلك بأنّكم إذا لقيتم الله قلتم : رَبَّنا لا ظلم . فيقول : لا ظلم . فيقولون : ربَّنا أرسلتَ إلينا رسلاً فأطعناهم بإذنكَ . واستخلفتَ علينا خلفاء(١) فأطعناهم بإذنكَ . وَأمَّرت علينا أُمراء فأطعناهم . قال : فيقول : صدقتم هو عليهم وأنتم منه برءاء .

[سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩]

٥ ـ عن سويد بن غفلة قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أبا أُميَّة لعلّك أن تخلف بعدي ، فأطع الإمام وإن كان عبداً حبشيّاً ، إن ضربك فاصبر ، وإن أمرك بأمر فاصبر ، وإن حرمك فاصبر ، وإن ظلمك فاصبر ، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل : سمع وطاعة ، دمي دون ديني(٢) .

وأخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ج ٨ ص ٣٦ في ذيل هذه الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاة الأُمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا

---

(١) هذا افتراء على الله ، ان الله قطّ لم يستخلف ولم يأمر على الأُمّة أُولئك الخلفاء والأُمراء وإنما هم خيرة أُمّتهم ، والشكر والعتب عليها مهما صلحوا أو جاروا .

(٢) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩ .

عليهم إلاَّ أن تروا منهم منكراً مُحقّقاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم ، وقولوا بالحقِّ حيثما كنتم ، وأمَّا الخروج عليهم وقتالهم فحرامٌ بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقةً ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنَّة أنّه لا ينعزل السلطان بالفسق ـ إلى أن قال : فلو طرأ على الخليفة فسقٌ قال بعضهم : يجب خلعه إلاَّ أن تترتَّب عليه فتنةٌ وحربٌ ، وقال جماهير أهل السنَّة من الفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين : لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولا يخلع ، ولا يجوز الخروج عليه بذلك ، بل يجب وعظه وتخويفه .

قال الأميني : فما عذر عائشة وطلحة والزبير ومن تبعهم من الناكثين والمارقين في الخروج على مولانا أمير المؤمنين ؟ هبه صلوات الله عليه آوى قتلة عثمان ، وعطّل الحدود «معاذ الله» فأين العمل بهذه الأحاديث التي أخذتها الأُمَّة المسكينة سنَّة ثابتة مشروعة ؟ أنا لا أدري .

كلمة التفتازاني :

وقال التفتازاني في شرح المقاصد ج ٢ ص ٧١ : ولا يشترط أن يكون «الإمام» هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل مَن يُولّى عليهم .

وقال في ص ٢٧٢ : إذا مات الإمام وتصدّى للإمامة مَن يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف وقهر الناس بشوكة انعقدت له الخلافة ، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر إلاَّ أنّه يُعصى فيما فعل ويجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً .

كلمة القاضي الإيجي[1] :

قال في المواقف : الجمهور على أنَّ أهل الإمامة مجتهدٌ في الأُصول والفروع ليقوم بأُمور الدين ، وذو رأي لقوم بأمور الملك ، شجاع ليقوى على الذبِّ عن الحوزة وقيل : لا يشترط هذه الصفات لأنّها لا توجد فيكون اشتراطها عبثاً أو

(١) إمام الشافعية القاضي عبد الرّحمٰن الإيجي المتوفّى سنة ٧٥٦ .

تكليفاً بما لا يُطاق ومستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها .

نعم : يجب أن يكون عدلاً لئلا يجور . عاقلاً ليصلح للتصرفات . بالغاً لقصور عقل الصبيِّ . ذكراً إذ النساء ناقصات عقل ودين . حرّاً لئلاّ يشغله خدمة السيِّد ، ولئلاّ يُحتقر فيعصى ، فهذه الصفات مشروطٌ بالإجماع .

وهٰهنا صفاتٌ في إشتراطها خلافٌ ، **الأولىٰ** : أن يكون قرشيّاً . **الثانية** : أن يكون هاشميّاً ، شرطه الشيعة . **الثالثة** : أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين ، وقد شرطه الإمامية . **الرابعة** : ظهور المعجزة على يده إذ به يعلم صدقه في دعوى الإمامة ، والعصمة وبه قال الغلاة . ويبطل الثلاثة : أنّا ندلّ على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيءُ ممّا ذكر[١] ، **الخامسة** : أن يكون معصوماً اشترطه الإماميَّة والإسماعيليَّة ، ويبطله : أنَّ أبا بكر لا يجب عصمته اتّفاقاً[٢] .

كلمة أبي الثناء[٣] :

قال في مطالع الأنظار ص ٤٧٠ : صفات الأئمَّة هي تسع . **الأولىٰ** : أن يكون الإمام مجتهداً في أُصول الدين وفروعه . **الثانية** : أن يكون ذا رأي وتدبير ، يدير الوقائع ، أمر الحرب والسلم وسائر الأُمور السياسيَّة. **الثالثة** : أن يكون شجاعاً قويَّ القلب لا يجبن عن القيام بالحرب ، ولا يضعف قلبه عن إقامة الحدِّ ولا يتهوّر بإلقاء النفوس في التهلكة . وجمعٌ تساهلوا في الصفات الثلاث وقالوا : إذا لم يكن الإمام متَّصفاً بالصفات الثلاث ينيب من كان موصوفاً بها .

الرابعة : أن يكون الإمام عدلاً لأنَّه متصرِّف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم فلو لم يكن عدلاً لا يؤمن تعدّيه . إلخ .

الخامسة : العقل . **السادسة** : البلوغ . **السابعة** : الذكورة . **الثامنة** : الحريَّة . **التاسعة** : أن يكون قرشيّاً .

---

(١) دليل يضحك الثكلى لأنه لا يعدوه أنْ يكون مصادرة بالمطلوب ، وأُخذ المدّعي دليلاً .

(٢) إقرأ واضحك أو اعطفه على ما قبله .

(٣) شمس الدين بن محمود الأصبهاني المتوفّى سنة ٧٤٩ .

ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيليَّة والاثنا عشريَّة . لنا إمامة أبي بكر[١] والأُمَّة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة ، لا أقول إنَّه غير معصوم .

ما تنعقد به الإمامة :

قال القاضي عضد الإيجي في المواقف : المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة : إنَّها تثبت بالنصِّ من الرَّسول ، ومن الإمام السابق بالإجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحلِّ والعقد خلافاً للشيعة : لنا ثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بالبيعة[٢] .

وقال : إذا ثبت حصول الإمامة بالإختيار والبيعة ، فاعلم أنَّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع[٣] إذ لم يقم عليه دليلٌ من العقل أو السمع بل الواحد والإثنان من أهل الحلِّ والعقد كاف لعلمنا أنَّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر ، وعقد عبد الرَّحمٰن بن عوف لعثمان . ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأُمَّة . هذا ولم ينكر عليهم أحدٌ ، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا .

وقال بعض الأصحاب : يجب كون ذلك بمشهد بيِّنة عادلة كفّاً للخصام في إدّعاء من يزعم عقد الإمامة له سرّاً قبل من عقد له جهراً ، وهذا من المسائل الإجتهاديَّة .

ثمَّ إذا اتَّفق التعدد تفحص عن المتقدم فأُمضي ، ولو أصرَّ الآخر فهو من البغاة ، ولا يجوز العقد لإمامين في صقع متضايق الأقطار ، أمَّا في متّسعها بحيث لا يسع الواحد تدبيره فهو محلُّ الإجتهاد .

انتهى ما في المواقف وقد أقرَّه شرّاحه وهم : السيِّد الشريف الجرجاني ، والمولى حسن چلبي ، والشيخ مسعود الشيرواني راجع شرح المواقف ج ٣ ص ٢٦٥ ـ ٧ .

---

(١) ما أتقنها من برهنة ويا للعجب .

(٢) انظر إلى هذا النول الذي تشابهوا في النسج عليه .

(٣) قال السيد الشريف الجرجاني : يعني من جميع أهل الحلّ والعقد .

كلمة الماوردي :

وقال الماوردي في الأحكام السلطانيَّة ص ٤ : اختلفت العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى فقالت طائفةٌ : لا تنعقد إلَّا بجمهور أهل العقد والحلِّ من كلِّ بلد ليكون الرضاء به عامّاً ، والتسليم لإمامته إجماعاً ، وهذا مذهبٌ مدفوعٌ ببيعة أبي بكر رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعة قدوم غائب عنها .

وقالت طائفة أُخرى : أقلُّ مَن تنعقد به منهم الإمامة خمسةٌ يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة استدلالاً بأمرين : **أحدهما** : أنَّ بيعة أبي بكر رضي الله عنه إنعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمَّ تابعهم الناس فيها ، وهم عمر بن الخطاب . وأبو عبيدة بن الجراح . وأُسيد بن حضير . وبشر بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم . **الثاني** : أنَّ عمر رضي الله عنه جعل الشورى في ستَّة ليعقد لأحدهم برضى الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولّاها أحدهم برضى الإثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصحُّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين .

وقالت طائفةٌ أُخرى : تنعقد بواحد لأنَّ العبّاس قال لعليّ رضي الله عنهما : امدد يدك أُبايعك فيقول الناس : عمُّ رسول الله بايع ابن عمِّه فلا يختلف عليك اثنان . ولأنَّه حُكمٌ وحُكم الواحد نافذٌ . اهـ .

كلمة الجويني :

قال إمام الحرمين الجويني المتوفّى سنة ٤٧٨ في «الإرشاد» ص ٤٢٤ : باب في الإختيار وصفته وذكر ما تنعقد الإمامة به :

إعلموا أنَّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأُمَّة على عقدها ، والدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ، ولم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في

الأقطار ، ولم ينكر عليه منكر ، ولم يحمله على التريُّث حامل ، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة ، لم يثبت عددٌ معدود ، ولا حدٌّ محدود ، فالوجه الحكم بأنَّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد .

ثمّ قال بعض أصحابنا : لا بدّ من جريان العقد بمشهد من الشهود ، فإنَّه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدّعي مدَّع عقداً سرّاً متقدِّماً على الحقِّ المظهر المعلن . وليست الإمامة أحطّ رتبة من النكاح ، وقد شرط فيه الإعلان ، ولا يبلغ القطع ، إذ ليس يشهد له عقل ، ولا يدلُّ عليه قاطعٌ سمعيٌّ ، وسبيله سبيل سائر المجتهدات . اهـ .

وقال الإمام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي ج ١٣ ص ٢٢٩ : لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه .

كلمة القرطبي :

وقال القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢٣٠ : فإن عقدها واحدٌ من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله خلافاً لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلاَّ بجماعة من أهل الحلّ والعقد ، ودليلنا أنّ عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك[١] ولأنّه عقد فوجب ألَّا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود ، قال الإمام أبو المعالي : من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمت ، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر ، قال : وهذا مجمعٌ عليه . اهـ .

قال الأميني : فما المبرِّر عندئذ لتخلّف عبدالله بن عمر. وأُسامة بن زيد . وسعد بن أبي وقاص . وأبي موسى الأشعري . وأبي مسعود الأنصاري . وحسّان بن ثابت . والمغيرة بن شعبة . ومحمّد بن مسلمة وبعض آخر من ولاة

(١) كأنّ بني هاشم كلهم ، والأنصار بأجمعهم إلاّ رجلين ، والزبير وعمار وسلمان ومقداداً وأبا ذر وآخرين كثيرين من المهاجرين المتخلفين عن بيعة أبي بكر المنكرين إيّاها كما فصل في محله لم يكونوا من الصحابة عند القرطبي وإلاّ فلا يجوز للمفسر أن يكذب وهو يعلم أن التاريخ الصحيح سيكشف الستر عن دجله .

عثمان على الصدقات وغيرها عن بيعة مولانا أمير المؤمنين بعد إجماع الأُمَّة عليها ؟ وما عذر تأخُّرهم عن طاعته في حروبه ، وقد عُرفوا بين الصحابة وسمُّوا المعتزلة لاعتزالهم بيعة عليّ[١] ؟ .

رأي الخليفة الثاني

في الخلافة وأقواله فيها :

عن عبد الرّحمٰن بن أبزي قال : قال عمر : هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحدٌ ، ثمَّ في أهل أُحد ما بقي منهم أحدٌ ، وفي كذا وكذا ، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيءٌ [طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٨] وفي كلمة له ذكرها ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٠٥ : إنَّ هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء .

وقال : لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبي عبيدة الجراح . ولو كان سالم حيّاً ما جعلتها شورى[٢] .

وقال لمّا طُعن : إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم : يعني عليّاً . فقال له ابن عمر : ما يمنعك أن تقدِّم عليّاً ؟ قال : أكره أن أحملها حيّاً وميتاً .

[الانساب للبلاذري ج ٥ ص ١٦ ، الإستيعاب لأبي عمر ج ٢ ص ٤١٩]

وقال : لو ولَّيتها عثمان لحمل آل أبي معيط على رقاب الناس ، والله لو فعلت لفعل ، ولو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتّى يجزّوا رأسه . فقالوا : عليٌّ ؟ قال : رجل قُعدد[٣] قالوا : طلحة ؟ قال : ذاك رجلٌ فيه بأو قالوا : الزبير ؟

---

(١) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١١٥ ، تأريخ الطبري ج ٥ ص ١٥٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٠ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٥ ، ١٧١ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٨ ، التمهيد للباقلاني ص ٢٠٤ ، الإستيعاب لأبي عمر ج ٢ ص ٥٦١ ، طرح التثريب ج ١ ص ٤٩ ، أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) القعدد الجبان الخامل . كأنّ الخليفة نسي سوابق مولانا أمير المؤمنين في المغازي والحروب وعزمه الماضي، وبسالته المشهودة إلى غيرها من صفاته الكمالية وتغافل عن أن الذي أقعده =

قال : ليس هناك . قالوا : سعد ؟ قال : صاحب فرس وقوس . فقالوا : عبد الرَّحمٰن بن عوف ؟ قال : ذاك فيه إمساكٌ شديدٌ ، ولا يصلح لهذا الأمر إلَّا معط في غير سرف ، وممسك في غير تقتير .

أخرجه القاضي أبو يوسف الأنصاري المتوفّى سنة ١٨٢ في كتابه «الآثار» نقلاً عن شيخه إمام الحنفيَّة أبي حنيفة .

هذه الكلمات وما يتلوها سلسلة بلاء تشذُّ عن الحقِّ والمنطق غير أنّا نمرُّ بها كراماً .

وعن ابن عبّاس قال : قال عمر : لا أدري ما أصنع بأُمَّة محمَّد ؟ وذلك قبل أن يُطعن ، فقلت : ولِمَ تهتمُّ وأنت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : أصاحبكم ؟ يعني عليّاً قلت : نعم ، هو أهل لها في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقته وبلائه . فقال عمر إنَّ فيه بطالةً وفكاهةً . قلت : فأين أنت عن طلحة ؟ قال : أين الزهو والنخوة ؟ قلت عبد الرَّحمٰن بن عوف ؟ قال : هو رجلٌ صالحٌ على ضعف . قلت : فسعد ؟ قال : ذاك صاحب مقنب وقتال ، لا يقوم بقرية لو حمّل أمرها . قلت : فالزبير ؟ قال : لقيسٌ مؤمن الرضى كافر الغضب شحيح . إنَّ هذا الأمر لا يصلح إلَّا لقويّ في غير عنف ، رفيق في غير ضعف ، جواد في غير سرف . قلت : فأين عن عثمان ؟ قال : لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه .

ذكره البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٦ ، وفي لفظ آخر له ص ١٧ : قيل : طلحة ؟ قال : أنفه في السَّماء وإسته في الماء .

نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم :

قال الأميني : هذا ما جاء به القوم من الخلافة الإسلاميَّة والإمامة العامّة فهي

= عن مناجزته بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله هو خوف الردّة من الناس بوقوع الفتنة لا حذار بارقة عمر وراعدته وشجاعته التي هو سلام الله عليه جدّ عليم بكمّها وكيفها ، نعم : الجوّ الخالي يبعث الإنسان على أن يقول هكذا .

البأو : الكبر والتعظيم فيه .

عندهم ليست إلاَّ رياسة عامَّة لتدبير الجيوش ، وسدِّ الثغور ، وردع الظالم ، والأخذ للمظلوم ، وإقامة الحدود ، وقسم الفيء بين المسلمين ، والدفع بهم في حجِّهم وغزوهم ، ولا يشترط فيها نبوغ في العلم زائد على علم الرعيَّة ، بل هو والأُمَّة في علم الشريعة سيّان ، ويكفي له من العلم ما يكون عند القضاة ، وهؤلاء القضاة بين يديك وأنت جدُّ عليم بعلمهم ويسعك إمعان النظر فيه من كثب ، ولا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه وجوره وفجوره ، ويجب على الأُمَّة طاعته على كلِّ حال برّاً كان أو فاجراً ، ولا يسوغ لأحد مخالفته ولا القيام عليه والتنازع في أمره .

فعلى هذا الأساس كان يزحزح خلفاء الانتخاب الدستوري في القضاء والإفتاء عن حكم الكتاب والسنَّة ولم يكن هناك أيُّ وازع ، ولم يكن يوجد قطُّ أحدٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، خوفاً ممّا افتعلته يد السياسة ؛ وجعلت به على الأفواه أوكية ، من حديث عرفجة مرفوعاً : ستكون هنات ؛ فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأُمَّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان[1] .

ورواية عبد الله مرفوعاً : ستكون بعدي أثرة وأُمور تنكرونها قالوا : يا رسول الله ! كيف تأمر من أدرك منّا ذلك ؟ قال : تؤدّون الحقَّ الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٨]

وعلى هذا الأساس تمكّن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة ويبايعه الناس على البراءة من عليِّ بن أبي طالب .

[البيان والتبيين ج ٢ ص ٨٥]

وعلى هذا الأساس أقرَّ عبد الله بن عمر بيعة يزيد الخمور ، قال نافع : لَمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه ومواليه . وفي رواية سليمان : حشمه وولده وقال : إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : ينصب لكلِّ غادر لواء يوم القيامة . زاد الزهراني : قال : وإنّا قد بايعنا هذا الرَّجل على بيعة الله ورسوله ، وإنِّي لا أعلم غدراً أعظم من أن تبايع رجلاً على بيعة الله ورسوله ثمَّ

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢١ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٣ .

تنصب له القتال ، وإنّي لا أعلم أحداً منكم خلع ولا بايع في هذا الأمر إلَّا كانت الفيصل فيما بيني وبينه .

وفي لفظ : إنَّ عبد الله بن عمر جمع أهل بيته حين انتزى أهل المدينة مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وخلعوا يزيد بن معاوية ، فقال : إنّا بايعنا هذا الرَّجل على بيعة الله ورسوله ، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان ، وإنَّ من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ، ثمَّ ينكث بيعته ، ولا يخلعن أحدُ منكم يزيد ، ولا يشرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صيلماً بيني وبينه[1] .

وعلى هذا الأساس جاء عن حميد بن عبد الرَّحمٰن أنَّهُ قال : دخلت على يسير الأنصاري (الصحابيِّ) حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : إنَّهم يقولون : إنَّ يزيد ليس بخير أمَّة محمَّد ﷺ ، وأنا أقول ذلك ولكن لإن يجمع الله أمر أُمَّة محمّد ﷺ أحبُّ إليَّ من أن يفترق، قال النبيُّ ﷺ : لا يأتيك في الجماعة إلَّا خير[2] .

وعلى هذا الأساس تكلّمت عائشة فيما رواه الأسود بن يزيد قال : قلت لعائشة : ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمَّد في الخلافة ؟ قالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البرَّ والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة[3] .

وعلى هذا الأساس يوجَّه قول مروان بن الحكم ، قال : ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من عليّ ، فقيل له : ما لكم تسبُّونه على المنابر ؟ قال : لأنَّهُ لا يستقيم لنا الأمر إلَّا بذلك[4] .

وعلى هذا الأساس صحَّ قتل معاوية عبد الرَّحمٰن بن خالد لمَّا أراد البيعة

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٦٦ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٩٦ .
(٢) الإستيعاب ج ٢ ص ٦٣٥ ، اسد الغابة ج ٥ ص ١٢٦ .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ج ٦ ص ١٩ .
(٤) الصواعق المحرقة ص ٣٣ .

ليزيد ، أنَّه خطب أهل الشام وقال لهم : يا أهل الشام إنَّـه قد كبـرت سنّي ، وقرب أجلي ، وقـد أردت أن أعقد لـرجل يكـون نظامـاً لكم ، إنَّما أنـا رجلٌ منكم فـرأوا رأيكم فأصفقوا واجتمعوا وقالوا : رضينا عبـد الرَّحمٰن بن خـالد[1] فشقَّ ذلـك على معاوية وأسرَّها في نفسه ، ثمَّ إنَّ عبد الرَّحمٰن مرض فأمر معـاوية طبيبـاً عنده يهـوديّاً وكان عنده مكيناً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فأتاه فسقاه فانخرق بطنـه فمات ، ثمَّ دخل أخوه المهاجربن خالد دمشق مستخفياً هو وغلامٌ لـه فرصـدا ذلك اليهـودي فخرج ليلاً من عند معاوية فهجما عليه ومعه قومٌ هربوا عنه فقتله المهاجر .

ذكره أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٠٨ فقال : وقصَّته هـذه مشهورةٌ عنـد أهل السير والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها ، ذكرها عمر بن شبه في أخبار المدينة وذكرها غيره . اهـ . وذكرها ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٩ .

وعلى هذا الأساس يتمُّ اعتذار شمر بن ذي الجوشن قاتـل الإمام السبط فيمـا رواه أبـو إسحاق ، قـال : كان شمـر بن ذي الجوشن يصلّي معنـا ثمّ يقول : اللَّهُمَّ إنَّك شريفٌ تحبُّ الشرف وإنَّك تعلم أنِّي شريفٌ فاغفر لي . قلت : كيف يغفر الله لـك وقـد أعنت على قتـل ابن رسـول الله ﷺ ؟ قـال : ويحـك فكيف نصنـع ؟ إنَّ أُمـراءنا هؤلاء أُمـرونا بـأمر فلم نخـالفهم ، ولو خالفناهم كنّا شـرّاً من هـذه الحمـر الشقاة[2] .

وفي لفظ : اللَّهُمَّ اغفـر لي فإنِّي كـريم لم تلدني اللئـام . فقلت لـه : إنَّـك لسيِّىء الرأي والفكر تسارع إلى قتل ابن بنت رسـول الله ﷺ وتدعـو بهذا الـدعاء ، فقـال : إليـك عنِّي فلو كنّـا كمـا تقـول أنت وأصحـابـك لكنّـا شـرّاً من الحمـر في الشعاب .

وعلى هـذا الأساس جـرى ما جـرى على أبي بكر الـطائي وأصحـابـه . قـال سليمان بن ربوة : اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر بن

---

(١) صحـابي من فرسـان قريش لـه هدى حسن وفضـل وكرم إلَّا أنـه كان منحـرفـاً عن علي وبني هاشم . اسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٣٣٨ ، ميزان الإعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٤٩ .

أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه فوثب علينا قريب من مائة يضربونا ويسحبونا إلى الوالي فقال لهم أبو بكر الطائي : يا سادة اسمعوا لنا إنَّما قرأنا اليوم فضائل عليّ وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وقد حضرتني أبيات فإن رأيتم أن تسمعوها؟ فقالوا له : هات فأنشأ بديهاً :

حبُّ عليّ كلّه ضربُ ... يرجف من خيفته القلب
ومذهبي حبُّ إمام الهدى ... يزيد والدين هو النُّصب
مَن غير هذا قال فهو امرؤ ... ليس له عقلٌ ولا لبُّ
والناس مَن يغدُ لأهوائهم ... يسلم وإلّا فالقضا نهب

قالوا : فخلّوا عنّا . [تمام المتون للصفدي ص ١٨٨]

وعلى هذا الأساس هتكت حرمات آل الله ، وأُضيعت مقدَّسات العترة الهادية ، وسفكت دماء الأبرياء الأزكياء من شيعة أهل البيت الطاهر ، وشاع وذاع لعن سيِّد العترة نفس النبيِّ الأقدس ، والمطهّر بلسان الله ، على صهوات المنابر ، واتَّخذه خلفاء بين أُميَّة سنَّة متَّبعة في أرجاء العالم الإسلامي ، حتّى وبَّخ معاوية سعد بن أبي وقاص لسكوته عن سبِّ أبي السبطين مولانا أمير المؤمنين[1] حتى تمكّن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفّان من أن قام إلى هشام بن عبد الملك عشيَّة عرفة وهو على المنبر فقال : يا أمير المؤمنين ! إنَّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبُّ فيه لعن أبي تراب[2] .

وقال سعيد بن عبد الله لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! إنَّ أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب فالعنه أنت أيضاً[3] .

وعلى هذا الأساس من معنى الخلافة لا عسف ولا حزازة في رأي الخليفة الأوَّل ومن حذا حذوه من صحَّة اختيار المفضول على الفاضل ، وتقديم المتأخّر على المتقدّم بأعذار مفتعلة ، وأوهام مختلقة ، ومرجّحات واهية ، وسياسة وقتيَّة ،

---

(١) راجع الجزء الثالث ص ٢٥٠
(٢) رسائل الجاحظ ص ٩٢ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ١١٦ .
(٣) تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٤٣٢ .

إذ الأمر الذي لا يشترط في صاحبه شيءٌ من القداسة الروحيَّة ، والملكات الفاضلة ، والخلائق الكريمة ، والنفسيّات الشريفة ، ومعالم ومعارف ، ومدارج ومراتب ، ولا يؤاخذ هو بما فعل ، ولا يخلع بتعطيل الأحكام ، وترك إقامة الحدود ، ولا ينابذ ما دام يقيم في أُمَّته الصّلاة كما سمعت تفصيل ذلك كلّه لا وازع عندئذ من أن يكون أمثال أبي عبيدة الجرّاح حفّار القبور حاملاً لهذا العبء الثقيل ، متحلّياً بأبراد الخلافة ، ولا مانع من تقديم الخليفة الأوّل إيّاه أو صاحبه على نفسه في بدء الأمر ، ولا حاجز من اختيار أيٍّ مستأهل لتنفيذ ما ذكر ص ١٦٠ ممّا يُقام له الإمام ولو بمعونة سماسرته وجلاوزته ومن يُهمُّه أمره ، بل من له الشدَّة والفظاظة والعنف والتهوُّر إلى أمثالها ربما يكون أولى من غيره مهما اقتضته السياسة الوقتيَّة .

واتّبع الأكثرون الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل ، قال القاضي في المواقف : جوَّز الأكثرون إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، إذ لعلّه أصلح للإمامة من الفاضل ، إذا المعتبر في ولاية كلِّ أمر معرفة مصالحه ومفاسده ، وقوَّة القيام بلوازمه ، وربَّ مفضول في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف ، وشرائطها أقوم ، وفصَّل قوم فقالوا : نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلاَّ وجب . وقال الشريف الجرجاني : كما إذا فرض أنَّ العسكر والرعاية لا ينقادون للفاضل بل للمفضول .

[شرح المواقف ج ٣ ص ٢٧٩]

قال الأميني : إنَّا لا نريد بالأفضل إلاَّ الجامع لجميع صفات الكمال التي يمكن اجتماعها في البشر لا الأفضليَّة في صفة دون أُخرىٰ ، فيكون حينئذ الأفقه مثلاً هو الأبصر بشؤون السياسة ، والأعرف بمصالح الأُمور ومفاسدها ، والأثبت في إدارة الصالح العامّ ، والأبسل في مواقف الحروب ، والأقضى في المحاكمات ، والأخشن في ذات الله ، والأرأف بضعفاء الأُمَّة ، والأسمح على محاويج الملأ الديني ، إلى أمثالها من الشرائط والأوصاف ، إذن فلا تصوير لما حسبوه من أنَّ المفضول قد يكون أقدر وأعرف وأقوم . إلخ . وعلى المولى سبحانه أن لا يخلي الوقت عن إنسان هو كما قلناه ، بعد أن أثبتنا أنَّ تقييضه من اللطف الواجب عليه سبحانه ، وهو عديل القرآن الكريم ولا يفترقا حتّى يردا على النبيّ الحوض .

وأمّا مَن لا ينقاد له من الجيش وغيره فهو كمن لا ينقاد لصاحب الرسالة ، لا يزحزَح بذلك صاحب الأمر عمّا قيّضه الله لـه مِن الولايـة الكبرى ، بـل يجب على بقيّة الأمّة إخضاعهم كما أخضعوا أهل الـردّة أو مَن حسبوه منهم ، وأن يفـوّقوا إليـه سهم الجنّ كما فوّقوه إلى سعد بن عبادة أمير الخزرج .

ولم تكن للخليفـة منـدوحـة عن رأيـه في تقـديم المفضـول ، ومـا كـان إلاّ تصحيحاً لخلافة نفسه ، ولتقدُّمه على من قدَّسه المولى سبحانه في كتابـه العزيـز ، ورآه نفس النبيِّ الأقدس وقرن طاعته بطاعته ، وولايته بولايتـه ، وأكمل بـه الدين ، وأتمَّ بـه النعمة ، وأمـر نبيَّه بـالبلاغ وضمن لـه العصمة من النـاس ، وهتف هـاتف الـوحي بولايتـه وأولويَّتـه بالمؤمنين من أنفسهم في محتشـد رهيب بين مائـة ألف أو يزيدون قائلاً : يا ايُّها الناس ! إنَّ الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنـا أولى بهم من أنفسهم مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللَّهُمَّ وال من والاه ، وعاد مَن عاداه .

ولم تكن تخفى لأيٍّ أحـد فضائـل أبي السبطين وملكـاته وروحيَّـاتـه ، وطيب عنصره ، وطهارة محتده ، وقداسـة مولـده ، وعظمـة شأنه ، وبُعـد شأوه في حـزمه وعـزمه وسبقـه في الإسلام ، وتفـانيه في ذات الله ، وأفضليَّتـه في العلم والفضائـل كلّها .

نعم : على رأي الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل وقع الإنتخاب من أوَّل يـومه ، فبـويع أبـو بكر بعقـد رجلين ليس إلاَّ : عمر بن الخـطاب وأبي عبيـدة الحفّار ابن الجراح ، وكان الأمر أمـر نـهـار قضـي ليلاً ، مدبَّراً بين أُولئك الرجـال مؤسّسي الإنتخاب الدستوري ، وما اتَّبعهما يوم ذاك إلاَّ أُسيد بن حضير ، وبشـر بن سعـد ، ثمَّ دَرْدَب النّاس لَمّـا عَضَّه الشفـاف[١] واتّسع الخـرق على الـرّاقـع ، ومـا أُدركت القويمة حتّى أكلتها الهويمة[٢] وأصبح المصلح الهضيم يقـول : دع الرجـل واختياره[٣] وإنّ في الشرِّ خيارا ، ولا يجتنى من الشوك العنب .

(١) مثل يضرب لمن يمتنع مما يراد منه ثم يذل وينقاد .

(٢) أصل المثل : أدرك القويمة لا تأكلها الهويمة . والمـراد : أدرك الـرجـل الجاهـل حتى لا يقع في هلكة .

(٣) مثل يضرب لمن لا يقبل الوعظ .

بويع أبو بكر ودبّ قمله[1] وقسمت الوظائف الدينيَّة من أوّل يومه بين ثلاث : لـه الإمامـة ، وقال عمـر : وإليَّ القضاء . وقـال أبـو عبيـدة : وإليَّ الفيء . وقـال عمر : فلقد كـان يأتي عليَّ الشهـر ما يختصم إليَّ فيـه اثنان[2] ولم يكن هنـاك من يزعم أو يفوه بأفضليَّة أبي بكر وعمر من مولانا أمير المؤمنين ، هذا أبـو بكر ينـادي على صهوات المنابر : وليت ولست بخيركم ، ولي شيطان يعتريني . ويطلب من أمَّته العون له على نفسه وإقامة أمته وعوجه[3] .

وهذا عمر بن الخطاب ونصوصه بين يديـه على أنَّ الأمر كـان لعليّ غير أنَّهم زحزحـوه عنـه لحـداثـة سنّـه والـدمـاء التي عليـه[4] أو لِما قـالـه لمّـا عـزم على الإستخلاف : لله أبوك لـولا دعابـة فيك . كمـا في «الغيث المنسجم للصفدي ج ١ ص ١٦٨» وكان يدعو الله ربَّه أن لا يبقيه لمعضلة ليس فيها أبـو الحسن ، ويرى أنَّ عليّاً لولاه لضـلّ هو[5] ولـولاه لهلك هو ، ولـولاه لافتضح هـو ، وعقمت النساء أن تلدن مثل عليّ . إلى كثير ممّا مرَّ عنه في الجزء السادس في نوادر الأثـر ، ولم يكن قطّ يختلج في هواجس ضميره ولن يختلج «أنَّى يختلج» أنَّه كان يماثل مـولانا عليّـاً في إحدى فضائله ، أو يدانيه في شيءٍ منها ، أو يبعد عنه بقليل .

وبعدما عرفت معنى الخلافة عند القـوم ، ووقفت على رأي سلفهم فيها وفي مقـدَّمهم الخليفـة الأوَّل ، هلمَّ معي إلى التهـافت بين تلكم الكلمـات وبين مـزاعم أُخرى جنح إليها لفيف آخر﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً**﴾ .

قال أحمد بن محمّد الوتـري البغدادي في روضة الناظـرين ص ٢ : إعلم أنَّ جماهير أهـل السنَّة والجمـاعة يعتقـدون أنَّ أفضل النـاس بعد النبيِّ ﷺ أبـو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ رضي الله تعالىٰ عنهم ، وانَّ المتقدّم في الخلافة هو المقدّم في الفضيلة لاستحالة تقديم المفضول على الفـاضل لأنَّهم كـانوا يـراعون الأفضـل

(١) مثل يضرب للإنسان إذا سمن وحسن حاله .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٠

(٣) راجع ما مر في هذا الجزء ص ١٣٨ .

(٤) راجع ما مر في الجزء الأول ص ٤٤٧ ، وفي هذا الجزء ص ٩٦ .

(٥) التمهيد للباقلاني ص ١٩٩ .

فالأفضل ، والدليل عليه : إنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما نصَّ على عمر رضي الله عنه قام إليه طلحة رضي الله عنه فقال له : ما تقول لربِّك وقد وليت علينا فظاً غليظاً قال أبو بكر رضي الله عنه : فركتَ لي عينيك ، ودلكت لي عقبيك ، وجئتني تكفّني عن رأيي ، وتصدُّني عن ديني أقول له إذا سألني : خلّفت عليهم خير أهلك . فدلَّ على أنّهم كانوا يُراعون الأفضل فالأفضل . اهـ .

وأنت ترى أنَّ هذه المزعمة فيها دجلٌ لإغراء البسطاء من الأُمَّة المسكينة وهي تصادم رأي الجمهور ونظريّات علماء الكلام منهم ، وعمل الصحابة ونصوصهم ، وقبل كلِّ شيء رأي الخليفة أبي بكر ، وكأنَّ ما حسبه من الإستحالة قد خفي على الخليفة وعلى من آزره على أمره ، واعتنق إمامته في القرون والأجيال من بعده .

وكأنَّ أفضليَّة الرجل الفظّ الغليظ كانت تخفى على الصحابة ، ولم يكن يعلمها أحدٌ فأعرب عنها أبو بكر ، وكأنَّ التاريخ ونوادر الأثر لم تكن بين يدي (الوتري) حتّى يعرف مقادير الرجال ، ولا يغلو فيهم ، ولا يتحكّم ولا يجازف في القول ولا يسرف في الكلام ويعلم بأنَّ عمر لو كان خير الأُمَّة وتلك سيرته ونوادر أثره فعلى الإسلام السَّلام .

نعم : إنّما هي أهواء وشهوات أخذ كلٌّ بطرف منها ، وفتاوى مجرَّدة هملج وراءَها كلُّ حسب ميوله ، ونحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الإمامين : مَن نصفه نحن ، ومَن يقول به هؤلاء . فراجعه إلى أيّهما يجنح ، وأيّاً منهما يتَّخذه وسيلة بينه وبين ربِّه سبحانه ، وأيُّهما يحقُّ له أنَّ يستحوذ على رقاب المسلمين ونفوسهم ونواميسهم وأحكامهم في دنياهم وأخراهم ؟ إن لم تكن في ميزان نصفته عين . فويلٌ للمطففين .

٦ ـ رأي الخليفة في القدَر :

أخرج اللالكائي في السنَّة عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجلٌ إلى أبي بكر فقال : أرأيت الزنا يُقدَّر ؟ قال : فإنَّ الله قدَّره عليَّ ثمَّ يعذِّبني ؟ قال : نعم ، يابن

اللخناء ! أما والله لو كان عندي إنسانٌ أمرت أن يجأ[١] أنفك[٢] .

قال الأميني : أترى الخليفة عرف معنى القـدَر الصحيح ؟ بمعنى ثبـوت الأمر الجـاري في العلم الأزلي الإلٰهي ، مـع إعـطاء القـدرة على الفعـل والتـرك ، مـع تعريف الخير والشرِّ وتبيان عاقبة الأوَّل ومغبَّة الأخير .

﴿إنّا هدينـاه السبيل إمّـا شاكـراً وإمّا كفـوراً﴾[٣] ﴿إنّا هـديناه النجـدين﴾[٤] ﴿ومن شكر فإنّمـا يشكر لنفسـه ، ومن كفر فـإنَّ ربّي غنيٌّ كريم﴾[٥] ﴿ومن يشكـر فإنّما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإنَّ الله غنيٌّ حميد﴾[٦] .

كلُّ ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الإنسان ، مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمّارة بالسوء ، فمن عاملٍ بالطاعة بحسن اختياره ، ومِن مقتـرفٍ للمعصية بسوء الخيرة .

﴿فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات﴾[٧] ﴿من اهتـدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنَّما يضلُّ عليها﴾[٨] ﴿فمن اهتدى فلنفسـه ومن ضلَّ فـإنَّما يضـلُّ عليها﴾[٩] ﴿من عمـل صالحـاً فلنفسه ومن أسـاء فعليهـا ثمَّ إلى ربِّكم ترجعون﴾[١٠] ﴿فمن أبصـر فلنفسه ومن عمي فعليهـا﴾[١١] ﴿قل إن ضللت فـإنَّما أضـلُّ على نفسي ، وإن اهتـديت فبمـا يـوحي إليَّ ربِّي﴾[١٢] ﴿إن أحسنتم أحسنتم

---

(١) وجأ عنقه : ضربه ، ووجأه : رضّه ودقّه .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٣) سورة الإنسان ؛ الآية : ٣ .

(٤) سورة البلد ؛ الآية : ١٠ .

(٥) سورة النمل ؛ الآية : ٤٠ .

(٦) سورة لقمان ؛ الآية : ١٢ .

(٧) سورة فاطر ؛ الآية : ٣٣ .

(٨) سورة يونس ؛ الآية : ١٠٨ ، وسورة الإسراء ؛ الآية : ١٥ .

(٩) سورة الزمر ؛ الآية : ٤١ .

(١٠) سورة الجاثية ؛ الآية : ١٥ .

(١١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٠٤ .

(١٢) سورة سبأ ؛ الآية : ٥ .

لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾[1] **﴿إنَّ ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾**[2] **﴿ربِّي أعلم مَن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾** .

فالقدر لا يستلزم جبراً وعلم المولى سبحانه بمقادير ما يختاره العباد من النجدين ويأتون به من العمل من خير أو شرّ لا ينافي التكليف ، كما لا أثر له في اختيار المكلَّفين ، ولا يقبح معه العقاب على المعصية ، ولا يسقط معه الثواب على الطاعة .

﴿فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرَّة شراً يره﴾[3] **﴿ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً ، وإن كان مثقال حبَّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾**[4] **﴿اليوم تجزى كلُّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾**[5] **﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفِّيت كلُّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾**[6] .

فهل الخليفة عرف هذا المعنى من القدَر ، فأجاب بما أجاب ؟ لكن السائل لم يفهم ما أراده فانتقده بما انتقد ، غير أنَّه لو كان يريد ذلك لَما جابَه المنتقد بالسباب المقذع والتمنِّي بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فيفيء الرجل إلى الحقِّ .

أو أنَّ الخليفة لم يكن يعرف من القدَر إلا ما ارتفعت به عقيرة جماهير من أشياعه من القول بخلق الأعمال ؟ فيتَّجه إلى ما قاله المنتقد سبَّه الخليفة أو لم يسبَّه .

---

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧ .
(٢) سورة النجم ؛ الآية : ٣٠ .
(٣) سورة القصص ؛ الآية : ٨٥ .
(٤) سورة الزلزلة ؛ الآيتان : ٧ ، ٨ .
(٥) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٤٧ .
(٦) سورة غافر ؛ الآية : ١٧ .
(٧) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٥ .

والذي يؤثر عن إبنته عائشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن نهضتها على مولانا أمير المؤمنين ، وتبرّجها عن خدرها المضروب لها تبرُّج الجاهليَّة الأُولىٰ بعد أن ليمت على ذلك : بأنَّها كانت قدَراً مقدوراً وللقدَر أسباب ، أخرجه الخطيب البغدادي بإسناده في تاريخه ج ١ ص ١٦٠ .

وإن كان يوقفنا موقف السادر ما يؤثر عنها فيما أخرج الخطيب أيضاً في تاريخه ج ٥ ص ١٨٥ عن عروة قال : ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قطّ إلّا بكت حتّى تبلَّ خمارها وتقول : يا ليتني كنت نسياً منسيّاً[1] قال سفيان الثوري : النسي المنسيّ : الحيضة الملقاة .

كأنَّها كانت ترى مسيرها حوباً كبيراً جديراً أن تبكي عليه مدى الدهر ، وتبلّ بدمعها خمارها ، وتتمنّى ما تمنّت ، وهذا ينافي ذلك الإعتذار البارد المأخوذ أصله عن رأي أبيها الخليفة الذي لم يجد مساغاً في دفع ما يتّجه عليه إلّا السباب .

٧ - ترك الخليفة الضحيَّة مخافة أن تستنّ :

قد مرَّ في الجزء السادس ص ٢١٣ من الصحيح الوارد في أنَّ أبا بكر وعمر كانا لا يضحِّيان كراهة أن يقتدى بهما ، فيظنّ فيها الوجوب .

وقد استوفينا حقّ القول هناك فراجع .

٨ - ردّة بني سليم :

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان في بني سليم ردَّة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في الحظائر ثمَّ أحرقها عليهم بالنار فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال : تدع رجلاً يعذِّب بعذاب الله عزَّ وجلَّ . فقال أبو بكر : والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوِّه حتى يكون هو الذي يشيمه ، ثمَّ أمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٠٠]

---

(١) وذكره ابن الأثير في النهاية ج ٤ ص ١٥١ ، وابن منظور في لسان العرب ج ٢٠ ص ١٩٦ ، والزبيدي في تاج العروس ج ١٠ ص ٣٦٧ .

ليس في هذا الجواب مخرجٌ عن إعتراض عمر فقد جاء في الكتاب العزيز قوله تعالىٰ : ﴿**إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم**﴾[1] .

وصحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم النهي عن الإحراق وقوله : لايعذّب بالنار إلّا ربُّ النار . وقوله : إنَّ النار لا يعذّب بها إلّا الله . وقوله : لا يعذّب بالنار إلّا ربّها[2] : وقوله : من بدّل دينه فاقتلوه[3] وقوله : لا يحلُّ دم امرىء مسلم يشهد أن لا إلٰه إلّا الله وانَّ محمّداً رسول الله إلّا بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان فإنّه يرجم ، ورجل يخرج محارباً لله ورسوله فإنّه يُقتل ، أو يُصلب ، أو يُنفى من الأرض ، أو يقتل نفساً فيقتل بها .

[سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، مصابيح السنّة ج ٢ ص ٥٩ ، مشكاة المصابيح ص ٣٠٠]

وأمّا فعل أمير المؤمنين عليه السلام بعبد الله بن سبا وأصحابه فلم يكن إحراقاً ولكن حفر لهم حفائر ، وخرق بعضها إلى بعض ، ثمَّ دخن عليهم حتّى ماتوا كما قال عمّار الدهني : فقال عمرو بن دينار : قال الشاعر :

لترم بي المنايا حيث شاءت ... إذا لم ترم بي في الحفرتينِ
إذا ما أجّجوا حطباً وناراً ... هناك الموت نقداً غير دين[4]

وأمّا قول أبي بكر : لا أُشيم سيفاً . الخ . فهو تحكّم تجاه النصّ النبويّ ، وما كان السيف أنطق من القول ، ومتى شهر الله سبحانه هذا السيف صاحب الدواهي الكبرى والطامات في يومه هذا ، ويومه الآخر المخزي في بني حنيفة ومع

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣٣ .

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٣٢٥ كتاب الجهاد باب : لا يعذّب بعذاب الله ، مسند أحمد ج ٣ ص ٤٩٤ وج ٢ ص ٢٠٧ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، صحيح الترمذي ، سنن البيهقي ج ٩ ص ٧١ ، ٧٢ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٣٦ .

(٣) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٨٣ كتاب استتابة المرتدين ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٥٧ .

(٤) سنن البيهقي ج ٩ ص ٧١ .

مالك بن نويرة وأهله ، ويومه قبلهما مع بني جذيمة الذي تبرّأ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عمله ، إلى غيرها من المخاريق والمخازي التي تغمد بها هذا السيف .

٩ - حرق الخليفة الفجاءة :

قدم على أبي بكر رجلٌ من بني سليم يُقال له : الفجاءة وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف فقال لأبي بكر : إنِّي مسلم وقد أردت جهاد من ارتدَّ من الكفار فاحملني وأعنِّي فحمله أبو بكر على ظهر وأعطاه سلاحاً فخرج يستعرض الناس المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم ومعه رجلٌ من بني الشريد يُقال له : نجبة بن أبي الميثاء فلمّا بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طُريفة بن حاجز : إنَّ عدوَّ الله الفجاءة أتاني يزعم أنَّه مسلمٌ ويسألني أن أُقوِّيه على من ارتدَّ عن الإسلام فحملته وسلّحته ثمَّ انتهى إليَّ من يقين الخبر أنَّ عدوَّ الله قد استعرض الناس المسلم والمرتدَّ يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأتيني به فسار إليه طريفة فلمّا التقى الناس كانت بينهم الرميّا بالنبل فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به فلمّا رأى الفجاءة من المسلمين الجدَّ قال لطريفة : والله ما أنت بأولى بالأمر منِّي أنت أمير لأبي بكر وأنا أمير له، فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح وانطلق إلى أبي بكر فخرج معه فلمّا قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز فقال : أُخرج به إلى هذا البقيع فحرِّقه فيه بالنار . فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً فقذفه فيها . وفي لفظ الطبري : فأوقد له ناراً في مصلّى المدينة على حطب كثير ثمَّ رمي فيها مقموطاً . وفي لفظ ابن كثير : فجمعت يداه إلى قفاه وأُلقي في النار فحرَّقه وهو مقموط[١] .

قال الأميني : القول في هذا كالذي سبقه من عدم جواز الإحراق بالنار والتعذيب بها ، على أنَّ الفجاءة كان متظاهراً بالإسلام وتلقّاه الخليفة بالقبول يوم أعطاه ظهراً وسلّحه ، وإن كان فاسقاً بالجوارح على ما انتهى إلى الخليفة من يقين

---

(١) تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٣٤ ، تأريخ ابن كثير ج ٦ ص ٣١٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٦ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٢٢ .

الخبر ، ولم يكن سيف الله مشهوراً هٰهنا حتى يتورَّع عن إغماده ، ولا يُدَّعى مثله لطريفة حتى يكون معذّراً في مخالفة النصّ الشريف ، ولعلَّ لذلك كلّه ندم أبو بكر نفسه يوم مات عن فعله ذلك كما في الصحيح الآتي إن شاء الله تعالىٰ . فإلى الملتقى .

والعجب كلّ العجب من دفاع القاضي عضد الإيجي عن الخليفة بقوله في المواقف : إنَّ أبا بكر مجتهدٌ ، إذ ما من مسألة في الغالب إلَّا وله فيها قولٌ مشهورٌ عند أهل العلم ، وإحراق الفجاءة لاجتهاده وعدم قبول توبته لأنَّه زنديقٌ ولا تقبل توبة الزنديق في الأصحِّ .

وجاء بعده القوشجي مدافعاً عن الخليفة بقوله في شرح التجريد ص ٤٨٢ : إحراقه فجاءة بالنار من غلطة في اجتهاده فكم مثله للمجتهدين ؟ .

إقرأ واضحك أو إبك زهٍ زهٍ بالإجتهاد تجاه نصِّ الكتاب والسنَّة ، ومرحباً لمجتهد يخالف دين الله .

١٠ ـ رأي الخليفة في قصّة مالك :

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتّى قدمها فلم يجد بها أحداً وكان مالك بن نويرة قد فرَّقهم ونهاهم عن الإجتماع وقال : يا بني يربوع إنّا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح ، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فإيّاكم ومناوأة قوم صنع لهم فتفرَّقوا وأُدخلوا في هذا الأمر ، فتفرَّقوا على ذلك ، ولمّا قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكلِّ من لم يُجب ، وإن امتنع أن يقتلوه ، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤَذنوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذّن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلَّا الغارة ثمَّ تقتلوا كلّ قتلة ، الحرق فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلَّا الغارة ، ولا كلمة ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من عاصم وعبيد وعرين وجعفر فاختلفت السيرة فيهم ، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنَّهم قد أذَّنوا وأَقاموا وصلّوا ، فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا

في ليلة باردة لا يقوم لها شيءٌ وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : ادفئوا أسراكم . وكانت في لغة كنانة القتل فظنَّ القوم أنّه أراد القتل ولم يُرد إلاّ الدفء فقتلوهم ، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ، وتزوّج خالد أُمّ تميم امرأة مالك ، فقال أبو قتادة : هذا عملك ؟ فزبره خالد فغضب ومضى . وفي تاريخ أبي الفدا : كان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين فكلّما خالداً في أمره فكره كلامهما . فقال مالك : يا خالد إبعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا . فقال خالد : لا أقالني الله إن أقلتك وتقدَّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه .

فقال عمر لأبي بكر : إنَّ سيف خالد فيه رَهَق وأكثر عليه في ذلك فقال : يا عمر ! تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

وفي لفظ الطبري وغيره : إنَّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصّلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا ، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنّوا الغارة فاقتلوا وحرِّقوا ، وكان ممَّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعيّ ، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ، وكان يحدِّث أنَّهم لمّا غشّوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح ، قال : فقلنا : إنّا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون ؟ فضعوا السلاح . قال : فوضعوها ثمَّ صلّينا وصلّوا ، وكان خالد يعتذر في قتله : إنّه قال وهو يراجعه : ما أخال صاحبكم إلاَّ وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أو ما تعدّه لك صاحباً . ثمَّ قدَّمه فضرب عنقه وعنق أصحابه .

فلمّا بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال : عدوّ الله عدا على امرىء مسلم فقتله ثمَّ نزا على امرأته ، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباءٌ له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له قد غرز في

عمامته أسهماً فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطَّها ثمَّ قال : أرئاء ؟ قتلت امرأ مسلماً ثمَّ نزوت على امرأته ، والله لأرجمنّك بأحجارك ولا يكلّمه خالد بن الوليد ولا يظنُّ إلاَّ أنَّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتّى دخل على أبي بكر فلمّا أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك . قال : فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر ، وعمر جالسٌ في المسجد فقال خالد : هلمّ إليَّ يابن أُمّ شملة ؟ قال فعرف عمر أنَّ أبا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلّمه ودخل بيته .

وقال سويد : كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وإنَّ أهل العسكر اثفوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلاَّ وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكاً فإنَّ القدر نضجت وما نزج رأسه من كثرة شعره ، وقى الشعر البشَر حرَّها أن يبلغ منه ذلك .

وقال ابن شهاب : إنَّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس ، فلمّا قتل أمر خالد برأسه فنصب اثفية لِقِدر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه .

وقال عروة : قدم أخو مالك متمِّم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم فكتب له بردِّ السبي ، وألحَّ عليه عمر في خالد أن يعزله ، وقال : إنَّ في سيفه رهقاً . فقال : لا يا عمر ! لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

وروى ثابت في الدلائل : إنَّ خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته : قتلتيني . يعني سأُقتل من أجلكِ[1] ،

وقال الزمخشري وابن الأثير وأبو الفدا والزبيدي : إنَّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن وليد : أقتلتني . أي عرَّضتني بحسنِ وجهكِ للقتل لوجوب الدفع عنكِ ، والمحاماة عليك ، وكانت جميلة حسناء تزوَّجها خالد بعد قتله فأنكر ذلك عبد الله بن عمر . وقيل فيه :

---

(١) تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٤١ ، تأريخ ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٩ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ ، تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٠٥ ، ١١٢ ، خزانة الأدب ج ١ ص ٢٣٧ ، تأريخ ابن كثير ج ٦ ص٣٢١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣٣ ، الإصابة ج ١ ص ٤١٤ وج ٣ ص ٣٥٧ .

أفي الحق أنّا لم تجف دماؤنا وهذا عروساً باليمامة خالدُ ؟[1]

وفي تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٥ : أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك فالتفت إلى زوجته وقال لخالد : هذه التي قتلتني . وكانت في غاية الجمال ، فقال خالد : بل قتلك رجوعك عن الإسلام . فقال مالك : أنا مسلم . فقال خالد : يا ضرار ! اضرب عنقه فضرب عنقه وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي :

ألا قل لحيّ أوطؤا بالسنابكِ تطاول هذا الليل من بَعد مالك

قضى خالدٌ بغياً عليه بعرسه وكان له فيها هوىً قبل ذلك

فأمضى هواه خالدٌ غير عاطفٍ عنان الهوى عنها ولا متمالك

وأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكاً في الهوالك

فلمّا بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر : إنَّ خالداً قد زنى فاجلده . قال أبو بكر : لا ، لأنّه تأوّل فأخطأ قال : فإنّه قتل مسلماً فاقتله . قال : لا ، إنّه تأوّل فأخطأ . ثمَّ قال : يا عمر ! ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله عليهم ، ورثى مالكاً أخوه متمّم بقصائد عديدة . وهذا التفصيل ذكره أبو الفدا أيضاً في تاريخه ج ١ ص ١٥٨ .

وفي تاريخ الخميس ج٢ ص ٢٣٣ : اشتدَّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر : إرجم خالداً فإنّه قد استحلَّ ذلك ، فقال أبو بكر : والله لا أفعل ، إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأ وفي شرح المواقف : فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً ، فقال أبو بكر : لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار . وقال عمر لخالد : لئن وليتُ الأمر لأقيدنَّك به .

وفي تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١١٢ : قال عمر : إنّي ما عتبت على خالد إلّا في تقدُّمه وما كان يصنع في المال . وكان خالد إذا صار إليه شيء قسّمه في

---

(١) الفائق ج ٢ ص ١٥٤ ، النهاية ج ٣ ص ٢٥٧ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٨ ، تاج العروس ج ٨ ص ٧٥ .

أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه ، وكان فيه تقدّم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لا يراها أبو بكر ، وأقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته ، وصالح أهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن مرارة ، فكره ذلك أبو بكر ، وعرض الدية على متمّم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد .

نظـرة في القضيـة :

قال الأميني : يحقُّ على الباحث أن يمعن النظرة في القضيَّة من ناحيتين .
الأُولىٰ : ما ارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تُنزَّه عنها ساحة كلِّ معتنق بالإسلام ، وتضادُّ نداء القرآن الكريم والسنَّة الشريفة ، ويتبرَّأ منها وممَّن اقترفها مَن آمن بالله ورسوله واليوم الآخر . **﴿أيحسب الإِنسان أن يترك سُدى﴾** ؟[1] **﴿أيحسب ان لن يقدر عليه أحد﴾** ؟[2] **﴿أم حسب الذين يعملون السيِّئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾** ؟[3] .

بأيِّ كتاب أم بأيَّة سنَّة ساغ للرجل سفك تلكم الدماء الزكيَّة من الذين آمنوا بالله ورسوله واتَّبعوا سبيل الحقِّ وصدَّقوا بالحسنىٰ ، وأذَّنوا وأقاموا وصلّوا وقد علت عقيرتهم : بأنّا مسلمون ، فما بال السلاح معكم ؟ **﴿لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبُّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنَّهم بمفازةٍ من العذابِ ولهم عذابٌ أليم﴾**[4] .

ما عذر الرَّجل في قتل مثل مالك الذي عاشر النبيَّ الأعظم ، وأحسن صحبته ، واستعمله صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات قومه ، وقد عُدَّ من أشراف الجاهليَّة والإسلام ، ومن أرداف الملوك . **﴿ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ،**

---

(١) سورة القيامة ؛ الآية : ٣ .
(٢) سورة البلد ؛ الآية : ٥ .
(٣) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٤ .
(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٨٨ .

فكأنَّما قتـل الناس جميعـاً﴾[1] . **﴿ومن يقتل مؤمنـاً متعمِّداً فجـزاءه جهنَّـم خالـداً فيها﴾**[2] .

ومـاذا أحلَّ للرجـل شنَّ الغارة على أهـل أُولئـك المقتـولين وذويهم الأبـريـاء وإيـذائهم وسبيهم بغير مـا اكتسبوا إثمـاً ، أو اقترفـوا سيِّئة ، أو ظهـر منهم فساد في المـلأ الدينيِّ ؟ **﴿الَّـذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيـر ما اكتسبـوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾**[3] .

مـا هذه القسـوة والعنف والفظاظة والتزحـزح عن طقوس الإسـلام ، وتعذيب رؤوس أُمَّة مسلمة ، وجعلها أثفيةً للقـدر وإحراقها بالنار ؟ فويـلٌ للقاسيـة قلوبهم ، فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم أليم .

مـا خالـد ومـا خـطره بعـدمـا اتَّخـذ إلَهـه هـواه ، وسـوَّلتـه نفسـه ، وأضلّتـه شهوته ،وأسكره شبقه ؟ فهتك حرمات الله ، وشوَّه سمعة الإسلام المقـدَّس ، ونزى على زوجة مالك قتيل غيِّه في ليلته[4] إنَّه كان فاحشةً ومقتـاً وساء سبيـلاً ، ولم يكن قتل الرجل إلَّا لذلك السفاح ، وكان أمراً مشهـوداً وسرّاً غيـر مستسرّ ، وكـان يعلمه نفس مالك ويخبـر زوجته بـذلك قبـل وقوع الـواقعة بقـوله لـهـا : أقتـلتـني . فقتـل الرجل مظلوماً غيرةً ومحامـاةً على نامـوسه . وفي المتـواتر : من قتـل دون أهله فهو شهيد[5] وفي الصحيحة من قتل دون مظلمته فهو شهيدٌ[6] .

والعذر المفتعل من منع مالـك الزكـاة لا يُبرِّىء خـالداً من تلكم الجنـايات ، أيصدَّق جحد الرجل فرض الزكـاة ومكابـرته عليهـا وهو مؤمنٌ بـالله وكتابـه ورسولـه ومصدِّقٌ بما جاء به نبيُّه الأقدس ، يقيم الصّلاة ويأتي بـالفرائض بـأذانها وإقـامتها ، وينادي بأعلى صوته : نحن المسلمون ، وقد استعمله النبيُّ الأعظم على الصدقات ردحاً من الزمن ؟ لاها الله .

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٩٣ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٨ .

(٤) الصواعق ص ٢١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٥) مسند أحمد ج ١ ص ١٩١ ، نص على تواتره المنـاوي في الفيض القدير ج ٦ ص ١٩٥ .

(٦) أخرجه النسائي والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير ، وصححه السيـوطي راجع فيـض القدير ج ٦ ص ١٩٥ .

أيوجب الردَّة مجرَّد إمتناع الرجل المسلم الموحِّد المؤمن بالله وكتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة ؟ أو يُحكم عليه بالقتل عندئذ ؟ وقد صحَّ عن المشرِّع الأعظم قوله : لا يحلُّ دم رجل يشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وانِّي رسول الله إلاَّ بإحدى ثلاثة : النفس بالنفس ، والثيِّب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة[١] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يحلُّ دم امرىء مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس[٢] .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلاَّ الله ، فإذا قالوها منعوا منِّي دماءَهم وأموالهم ، وحسابهم على الله[٣] .

وعهد أبو بكر نفسه لسلمان بقوله : من صلّى الصلوات الخمس فإنَّه يصبح في ذمَّة الله ويمسي في ذمَّة الله تعالى فلا تقتلنَّ أحداً من أهل ذمَّة الله فتخفر الله في ذمَّته فيكبّك الله في النار على وجهك[٤] .

أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أُولئك الكفرة الفجرة الذين حقَّ على النبيِّ الطاهر شنُّ الغارة عليهم ؟ ويحكم عليهم بالسبي والقتل الذريع وغارة ما يملكون ، والنزو على تلكم الحرائر المأسورات ؟ .

وأما ما مرَّ من الإعتذار بأنَّ خالداً قال : ادفئوا أسراكم وأراد الدفء وكانت

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٦٣ كتاب المحاربين . باب : قول الله تعالىٰ إنَّ النفس بالنفس ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧ ، الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ١٠ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١١٠ ، مصباح السنة ج ٢ ص ٥٠ ، مشكاة المصابيح ص ٢٩١ .

(٢) الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ٩ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١١٠ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩ .

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠ ، الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ١٧ ، ١٨ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٥٧ ، خصائص النسائي ص ٧ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩ ، ١٩٦ .

(٤) أخرجه أحمد في الزهد كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٠ .

في لغة كنانـة : القتل ، فقتلوهم فخـرج خالـد وقد فـرغوا منهم . فـلا يفوه بـه إلاَّ معتوهٌ استـأسر هواه عقله ، وسفه في مقاله ، لِماذا قتل ضرار مالكـاً بتلك الكلمة وهـو لـم يكن من كنانة ولا من أهل لغتها ؟ بـل هو أسـديٌّ من بني ثعلبة ، ولم يكن أميـره يتكلّم قبل ذلك اليوم بلغة كنانة .

وإن صحَّت المـزعمة فلمـاذا غضب أبو قتـادة الأنصاري على خـالد وخـالفه وتركه يوم ذاك وهو ينظر إليه من كثب ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب ؟ .

ولماذا اعتذر خالد بـأنَّ مالكـاً قال : مـا أخال صـاحبكم إلاَّ قال كـذا وكذا ؟ وهذا اعترافٌ منه بأنَّه قتله غير أنَّه نحت على الرجل مقالاً ، وهو من التعريض الذي لا يجوِّز القتل «بعد تسليم صدوره منه» عند الأُمَّة الإسلاميَّة جمعاء ، والحـدود تُدرأ بالشبهات .

ولماذا رآه عمر عدوّاً لله ، وقذَفه بالقتـل والزنـا ؟ وإن لم يفتل ذلـك ذؤابة[1] أبي بكر .

ولمـاذا هتكه عمـر في ملأ من الصحـابة بقـوله إيّـاه : قتلتَ امـرأً مسلمـاً ثمَّ نزوت على امرأته ، والله لأرجمنَّك بأحجارك ؟ .

ولماذا رأى عمر رَهَقاً في سيف خالد وهو لم يقتل مالكاً وصحبه وإنَّما قتلتهم لغة كنانة ؟ .

ولماذا سكت خالد عن جوابه ؟ وما أخرسه إلاَّ عمله ، إنَّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .

ولماذا صدَّق أبو بكر عمر بن الخطاب في مقاله ووقيعته على خالـد وما أنكـر عليه غير أنَّه رآه متأوِّلاً تارةً ، ونَحَت له فضيلةً أُخرىٰ ؟ .

ولمـاذا أمر خـالد بـالـرؤوس فنصبت أثفيـةً للقـدور ، وزاد وصمـة على لغـة كنانة ؟ .

---

(١) مثل يضرب يُقال : فتل ذؤابة فلان . أي أزاله عن رأيه .

ولماذا نزى على امرأة مالك ، وسبى أهله ، وفرّق جمعه ، وشتّت شمله ، وأباد قومه ، ونهب ماله ؟ أكلُّ هذه معرّة لغة كنانة ؟ .

ولماذا ذكر المؤرّخون انّ مالكاً قُتل دون أهله محاماة عليها ؟ .

ولماذا أثبت المترجمون ذلك القتل الذريع على خالد دون لغة كنانة ، وقالوا في ترجمة ضُرار وعبد بن الأزور : إنّه هو الذي أمره خالد بقتل مالك بن نويرة[١] وقالوا في ترجمة مالك : إنّه قتله خالد . أو : قتله ضرارٌ صبراً بأمر خالد ؟[٢] هذه أسئلة توقف المعتذر موقف السَدِر ، ولم يحر جواباً .

ما شأن أبناء السلف وقد غرَّرت بهم سكرة الشبق ، وغالتهم داعية الهوى ، وجاؤوا لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمّة وأُولئك هم المعتدون ؟ فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامّات رغبةً في نكاح أُمّ تميم .

وهذا يقتل سيِّد العترة أمير المؤمنين شهوةً في زواج قطام .

وآخر[٣] شنَّ الغارة على حيّ من بني أسد فأخذ امرأة جميلة فوطئها بهبة من أصحابه ، ثمَّ ذكر ذلك لخالد فقال : قد طيَّبتها لك «كأنَّ تلكم الجنود كانت مجنَّدة لوطي النساء وفضِّ ناموس الحرائر» فكتب إليّ عمر فأجاب برضخه بالحجارة[٤] .

وهذا يزيد بن معاوية يدسُّ إلى زوجة ريحانة رسول الله الحسن السبط الزكيِّ السمَّ النقيع لتقتله ويتزوجها[٥] أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي .

ووراء هؤلاء المعتدين قومٌ ينزِّه ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والإجتهاد ـ وليتهما لم يكونا ـ وتخطئة لغة كنانة ، والله يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنَّ الله يحبُّ المقسطين .

---

(١) الإستيعاب ج ١ ص ٣٣٨ ، اسد الغابة ج ٣ ص ٣٩ ، خزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٩ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣٥٧ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٦٢ .

(٣) هو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في النزو على الحرائر .

(٤) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣١ ، خزانة الأدب ج ٢ ص ٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٢٦ .

الناحيـة الثـانيـة :

الثانية من الناحيتين التي يهمُّنا أن نولّي شطرها وجه البحث تسليط الخليفة أوّلاً أمثال خالد وضرار بن الأزور شارب الخمور وصاحب الفجور[١] . على الأنفس والدماء ، على الأعراض ونواميس الإسلام ، وعهده إلى جيوشه في حرق أهل الردَّة وقد عرفت النهي عنه في السنَّة الشريفة ص ١٧٩ . وصفحه ثانياً عن تلكم الطامّات والجنايات الفاحشة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، فما سمعت أُذن الدنيا منه حولها ركزاً ، وما حُكيت عنه في الإنكار عليها ذامة ، وما رأى أحدٌ منه حَوَلا .

لِمَ لم يؤاخذ الخليفة خالداً بقتل مالك وصحبه المسلمين الأبرياء ، وقد ثبت عنده كما يلوح ذلك عن دفاعه عنه ومحاماته عليه ؟ .

لِمَ لم يقتصّ منه قصاص القاتل ؟ ولم يُقم عليه جلدة الزاني ؟ ولم يضربه حدَّ المفتري ؟ ولم يعزِّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي أُولئك المسلمين ؟ .

لِمَ لم ير عزل خالد وقد كره ما فعله ، وعرض الدية على متمِّم بن نويرة أخي مالك ؟ وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك كما في الإصابة ج ١ ص ٤١٥ ؟ .

دَع هذه كلّها ولا أقلَّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوبيخ الرجل وعتابه على تلكم الجرائم ، وأقلّ الإنكار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرَّة .

ما للخليفة يتلعثم ويتلعذم في الدفاع عن خالد وجناياته ؟ فيرى تارةً أنَّه تأوّل وأخطأ ، ويعتذر أُخرى بأنَّه سيفٌ من سيوف الله ، وينهى عمر بن الخطاب عن الوقيعة فيه ، ويأمره بالكفِّ عنه وصرف اللسان عن مغايطته ، ويغضب على أبي قتادة لإنكاره على خالد كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٧ .

ونحن نقتصر في البحث عن هذا الجانب على توجيه القارىء إليه ، ولم نذهب به قُصاه ، ولم نبتغ فيه مداه ، إذ لم نر أحداً تخفى عليه حزازة أيّ من العذرين ، هلاّ يعلم متشرِّعٌ في الإسلام انَّ تلكم الطامّات والجرائم الخطيرة لا

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٠ ، خزانة الأدب ج ٢ ص ٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .

يتطرَّق إليها التأوّل والإجتهاد ؟ ولا يسوغ لكلِّ فاعل تارك أن يتترَّس بأمثالها في معرّاته ، ويتدرَّع بها في أحنائه ، ولا تُدرأ بها الحدود ، ولا تطلّ بها الدماء ، ولا تحلُّ بها حرمات الحرائر ، ولا يرفض بها حكم الله في الأنفس والأعراض والأموال ، ولم يصخ الحاكم لمدَّعيها كما ادَّعى قدامة بن مظعون في شربه الخمر بأنَّه تأوَّل واجتهد فأقام عمر عليه الحدَّ وجلده ولم يقبل منه العذر . كما في سنن البيهقي ج ٨ ص ٣١٦ وغيره .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن محارب بن دثّار : إنَّ ناساً من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم شربوا الخمر بالشام وقالوا : شربنا لقول الله : ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا**﴾ الآية . فأقام عمر عليهم الحدَّ[1] .

وجلد أبو عبيدة أبا جندل العاصي بن سهيل وقد شرب الخمر متأوِّلاً لقوله تعالىٰ : ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طعموا**﴾ . الآية . كما في الروض الأنف للسهيلي ج ٢ ص ٢٣١ .

وهل يرتاب أحدُ في أنَّ سيفاً سَلّه المولى سبحانه لا يكون فيه قطُّ رهقٌ ولا شغب ، ولا تُسفك به دماءٌ محرَّمة ، ولا تُهتك به حرمات الله ، ولا يُرهف لنيل الشهوات ، ولا يُنضى للشبق ، ولا يُفتك به ناموس الإسلام ، ولا يحمله إلاَّ يد أُناس طيِّبين ، ورجال نزهين عن الخنابة والعيث والفساد ؟ .

فما خالد وما خطره حتّى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الرابية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه ، وهو عدوُّ الله بنصّ من الخليفة الثاني كما مرَّ في ص ١٨٢ ؟ أليست هذه كلّها تحكماً وسرفاً في الكلام ، وزوراً في القول ، واتّخاذ الفضائل في دين الله مهزأة ومجهلة ؟ .

كيف يسعنا أن نعدَّ خالداً سيفاً من سيوف الله سلّه على أعدائه ؟ وقد ورد في ترجمته وهي بين أيدينا : أنَّه كان جبّاراً فاتكاً ، لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه ؟ ولقد وقع منه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع بني جذيمة

---

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢١ .

بالغميصا أعظم ممّا وقع منه في حق مالك بن نويرة وعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن غضب عليه مدّة وأعرض عنه ، وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل بالبطاح[1] .

إن كان عفو النبيِّ الأعظم عن الرجل بعد ما غضب عليه وأخذه بذنبه ، وأعرض عنه ردحاً من الزمن أطمعه حتّى فعل ما فعل ، فانظر ماذا يصنع صفح الخليفة عنه من دون أيِّ غضب عليه وإعراض عنه ؟ وما الذي يؤثر دفاعه عنه من الجرأة والجسارة ، في نفس الرجل ونفوس مشاكليه من أُناس العيث والفساد ، وشعب الشغب والفتن ؟

أنّى لنا أن نرى خالداً سيفاً سلّه الله على أعدائه وفي صفحة التاريخ كتاب أبي بكر إليه وفيه قوله : لعمري يا ابن أُمّ خالد ! انَّك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعدُ[2] كتبه إليه لمّا قال خالد لمجاعة : زوِّجني ابنتك فقال له مجاعة : مهلاً إنَّك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك قال : أيُّها الرجل زوِّجني فزوَّجه فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه الكتاب فلمّا نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأُعيسر . يعني عمر بن الخطاب .

وليست هذه بأوّل قارورة كسرت في الإسلام بيد خالد ، وقد صدرت منه لِدة هذه الفحشاء المنكرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبرّأ صلى الله عليه وآله وسلم من صنيعه . قال ابن إسحاق : بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزَّ وجلَّ ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممَّن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تُهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة بن عامر فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإنَّ الناس قد أسلموا .

قال : حدَّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لمّا أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجلٌ منّا يُقال له جحدم[3] : ويلكم يا بني جذيمة إنّه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٧ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥٤ ، تاريخ الخميس ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) في الإصابة جحدم . في ج ١ ص ٢٢٧ ، وجذيم بن الحارث في ج ١ ص ٢١٨ ، والصحيح هو الأول .

خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلاَّ الإسار ، وما بعد الإسار إلاَّ ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً قال : فأخذه رجالٌ من قومه فقالوا : يا جحدم ! أتريد أن تسفك دماءَنا إنَّ الناس قد أسلموا ، ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس ؟ فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ، فلمّا وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِّفوا ، ثمَّ عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلمّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السَّماء ثمَّ قال : اللَّهُمَّ إنِّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد . قال أبو عمر في الإستعياب ج ١ ص ١٥٣ : هذا من صحيح الأثر .

قال ابن هشام : حدَّث بعض أهل العلم عن ابراهيم بن جعفر المحمودي قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت كأنِّي لقمتُ لقمة من حَيس[1] فالتذذت طعمها فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها فأدخل عليٌّ يده فنزعه . فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه : يا رسول الله ! هذه سريَّة من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحبّ ويكون في بعضها اعتراض فتبعث عليّاً فيسهِّله .

قال ابن إسحاق : ثمَّ دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : يا عليّ ! اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهليَّة تحت قدميك . فخرج عليٌّ حتّى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أُصيب لهم من الأموال حتى إنَّه ليدى لهم ميلغة[2] الكلب إذا لم يبق شيءٌ من دمٍ ولا مال إلاَّ وداه ، بقيت معه بقيَّة من المال . فقال لهم عليٌّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم (بقيَّة من) دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنِّي أعطيكم هذه البقيَّة من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ ممّا لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ، ثمَّ رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . قال : ثمَّ قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه

---

(١) الحيس : بفتح فسكون أن يخلط السمن والتمر والاقط فيؤكل . والاقط : ما يعقد من اللبن ويجفف .

(٢) الميلغة : خشبة تحفر ليلغ فيها الكلب .

حتى انَّه ليرى ما تحت منكبيه يقول : اللَّهُمَّ إنِّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن وليد . ثلاث مرّات .

وقد كان بين خالد وبين عبد الرَّحمٰن بن عوف كلامٌ في ذلك فقال له عبد الرَّحمٰن بن عوف : عملت بأمر الجاهليَّة في الإسلام[1] وفي الإصابة : أنكر عليه عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد تُعدُّ هذه الفضيحة أيضاً من جنايات لغة كنانة كما في الإصابة ج ٢ ص ٨١ .

فهذا الرَّهق والسرف في سيف خالد على عهد أبي بكر من بقايا تلك النزعات الجاهليَّة ، وهذه سيرته من أوَّل يومه ، فأنَّى لنا أن نعدَّه سيفاً من سيوف الله وقد تبرَّأ منه نبيُّ الإسلام الأعظم غير مرَّة ، مستقبل القبلة شاهراً يديه وأبو بكر ينظر إليه من كَثَب .

١١ - ثلاثة وثلاثة وثلاثة :

عن عبد الرَّحمٰن بن عوف قال : إنَّه دخل على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في مرضه الذي توفِّي فيه فأصابه مهتمّاً ، فقال له عبدالرّحمٰن : أصبحت والحمد لله بارئاً فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتراه؟ قال : نعم . قال : إنِّي ولَّيت أمركم خيركم في نفسي فكلُّكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه ، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولمّا تقبل وهي مقبلة حتى تتَّخذوا ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألموا الإضطجاع على الصوف الأذري كما يألم أحدكم أن ينام على حسك ، والله لإن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خيرٌ من أن يخوض في غمرة الدنيا ، وأنتم أوَّل ضالّ بالناس غداً فتصدّونهم عن الطريق يميناً وشمالاً ، يا هادي الطريق إنَّما هو الفجر أو البحر . فقلت له : خفِّض عليك رحمك الله ، فإنَّ هذا يهيضك في أمرك ، إنَّما الناس في أمرك بين رجلين : إمّا رجلٌ رأى ما رأيت فهو معك . وإمّا رجلٌ خالفك فهو مشيرٌ عليك وصاحبك كما تحبّ ، ولا نعلمك أردت إلّا خيراً ، ولم

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٣ - ٥٧ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٦٥٩ ، صحيح البخاري شطراً منه في كتاب المغازي باب بعث خالد إلى بني جذيمة ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٥ ، اسد الغابة ج ٣ ص ١٠٢ ، الإصابة ج ١ ص ٣١٨ ، ج ٢ ص ٨١ .

تزل صالحاً مصلحاً ، وإنّك لا تأسى على شيء من الدنيا . قال أبو بكر رضي الله عنه : أجل انّي لا آسي على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي تركتهنّ . وثلاثة تركتهنّ وددت أنّي فعلتهنّ . وثلاث وددت أنّي سألت عنهنّ رسول الله ﷺ .

فأمّا الثلاث اللاّتي وددت أنّي تركتهنّ : فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب . ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنّي كنت قتلته سريحاً ، أو خلّيته نجيحاً . ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً .

وأما اللاّتي تركتهنّ فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه ، فإنّه تخيّل إليّ أنّه لا يرى شرّاً إلّا أعان عليه . ووددت أنّي حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الرّدة كنت أقمت بذي القصّة فإن ظفر المسلمون ظفروا ، وإن هُزموا كنت بصدد لقاء أو مدد ، ووددت أنّي إذا وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فكنت قد بسطت يدي كلتيهما في سبيل الله . ومدَّ يديه .

ووددت انّي كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر ؟ فلا ينازعه أحد ، ووددت انّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ؟ ووددت انّي كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمّة فإنَّ في نفسي منهما شيئاً .

أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٣١ ، والطبري في تاريخه ج ٤ ص ٥٢ ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٨ ، والمسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ ، وابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٤ .

والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقاتٌ أربعة منهم من رجال الصِّحاح الستِّ .

قال الأميني : إنَّ في هذا الحديث أُموراً تسعة ، ثلاثة منها فات الخليفة فقهها يوم عمل بها ، وقد بسطنا القول في إحراق الفجاءة منها .

وأمّا تمنّي قذف الأمر في عنق أحد الرجلين فإنّه ينمّ عن أنَّ الخليفة انكشف له في أُخريات أيّامه أنَّ ما ناء به من الأمر لم يكن على القانون الشرعيِّ في الخلافة والوصيَّة ، لأنَّ المخلّف والموصي يجب أن يكون هو المعيِّن لمن ينهض بأمره من بعده ، وهو الذي تنبَّه له الخليفة الثاني بعد ردحٍ من الزمن فقال : كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهليَّة وقى الله شرَّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[١] .

ولا أدري أنَّ ما تنبّها له هل هو قصورٌ في المختار «بالفتح» أو فيه «بالكسر» أو فيهما معاً ؟ أو في كون الإختيار موجباً لتعيين الخليفة ؟ وأيّاً ما أراد فلنا فيه المخرج وهؤلاء زمر الأنبياء والرسل لم يعدهم التنصيص بالخليفة من بعدهم ، وما انتخبت أُممهم خلفاء لهم .

وهل هنالك ذو حجىً يزعم أنَّ وصاية الفقيد المبيحة للتصرُّف فيما تركه من بعده موكولةٌ إلى أُناس أجانب لا يعرفون ما يرتئيه في شؤونه ، بعداء عن مغازيه وما يروقه في ماله وأهله ، والفقيد عاقلٌ رشيدٌ يعرف الصالح من غيره ، ويعلم بنوايا مَن يلتاث به ، ومَن يحدوه الجشع ، وترقل به النهمة ، ويستفزُّه الطمع ، أفتراه والحالة هذه يترك الوصيَّة ؟ فيدع ما تركه أُكلة للآكل ؟ ومطمعاً للناهب ؟ لا .

لا يفعل ذلك وهو يريد خيراً بآله وصلاحاً في ماله ، وعلى ذلك جرت سنَّة المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا الحاضر ، وأقرَّته الشريعة الإسلاميَّة ، وشرّعت للوصايا أحكاماً ، وجاء في الصحيحين[٢] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال : ما حقَّ امرىء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلاَّ ووصيَّته مكتوبةٌ عنده ، كذا في لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم : يبيت ثلاث ليال ، قال ابن عمر : ما مرَّت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلاَّ وعندي وصيّتي . قال النووي في رياض الصالحين ص ١٥٦ : متَّفقٌ عليه .

وصّى الإلٰه وأوصت رسله فلذا	كان التأسّي بهم من أفضل العمل
لولا الوصيَّة كان الخلق في عمَه	وبالوصيَّة دام الملك في الدُّول

---

(١) راجع الجزء الخامس ص ٤٤٦ وهذا الجزء ص ٩٦

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢ كتاب الوصية ،وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٠ .

فاعمل عليها ولا تهمل طريقتها ... إنَّ الوصيَّة حكم اللّه في الأزل
ذكرت قوماً بما أوصى الإله به ... وليس إحداث أمر في الوصيَّة لي[١]

فإذا كانت الوصية ثابتة في حطام زائل ، فما بالها تنفى في خلافة راشدة ، وشريعة خالدة ، متكفِّلة بصلاح النفوس والنواميس والأموال والأحكام والأخلاق والصالح العام والسَّلام والوئام ؟ ومن المسلّم قصور الفهم البشريّ العاديّ عن غايات تلكم الشؤون فلا منتدح والحالة هذه عن أن يعيِّن الرسول الأمين عن ربِّه خليفته من بعده ليقتصَّ أثره في أُمَّته .

وقد مرَّ في صفحة ١٥٤ رأي عائشة وعبد الله بن عمر ومعاوية وحديث الناس بأنَّ راعي إبل أو غنم أو قيّم أرض لأيِّ أحد لا يسعهم ترك رعيتهم هملاً ، ورعية الناس أشدّ من رعية الإبل والغنم . فالأُمَّة لماذا صفحت يوم السقيفة عن هذا الحكم المتسالم عليه بينها ؟ ولماذا نبأت عنه الأسماع ؟ وخرست الألسن ؟ وذهلت الأحلام عنه يوم ذاك ، ثمَّ حدَّث به الناس ونبَّأته الأُمَّة ؟ ولماذا ترك النبيُّ ﷺ أُمَّته سُدىً هملاً ؟ وفتح بذلك أبواب الفتن المضلّة المدلهمَّة ؟ واستحقر أُمَّته ورأى رعيتها أهون من رعية الإبل والغنم ؟ حاشا النبيّ الأعظم عن هذه الأوهام ، فإنَّه صلى الله عليه وآله وسلم وصّى واستخلف ونصَّ على خليفته وبلَّغ أُمَّته غير أنَّه عهد إلى وصيِّه من بعده : إنَّ الأُمَّة ستغدر به بعده كما ورد في الصحيح[٢] وقال له أيضاً : أما إنَّك ستلقى بعدي جهداً ، قال (عليٌّ) : في سلامة من ديني ؟ قال : في سلامة من دينك[٣] وقال لعليٍّ : ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها إلاَّ من بعدي[٤] وقال له : يا عليّ انَّك ستبتلى بعدي فلا تقاتلنَّ .

[كنوز الدقائق للمناوي ص ١٨٨]

---

(١) الجزء الأخير من الفتوحات المكية لابن العربي ص ٥٧٥ .

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ ، ١٤٢ ، وصححه هو والذهبي في تلخيصه ، تاريخ الخطيب ج ١١ص٢١٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٢١٩ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ .

(٣) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ وصححه هو وأقره الذهبي .

(٤) أخرجه ابن عساكر ، والمحب الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢١٠ نقلاً عن أحمد في المناقب ، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٢٤٢ ، والخوارزمي في المقتل ج ١ ص ٣٦ .

ثمَّ إنَّ الخليفـة النادم لِمـاذا تمنَّى التسلّل عن الأمر يـوم السقيفة ؟ وقـذفه في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمـر ؟ أكان نـدمه عن حقٍّ وقـع ؟ فالحقُّ لا نـدم فيه . وإن كان عن باطل سبق ؟ فهو يهدم أساس الخلافة الراشدة .

ثمّ الّذي ودَّه من قذفه إلى عنق أحد الرجلين فإنّا لا نعرف وجهاً لتخصيصهما بالقذف وفي الصحابة أعاظم وذوو فضائل لا يبلغ الرجـلان شأو أيٍّ منهم، وهـذان بالنظر إلى ما عرفناه من أحوال الصحـابة إن لم نقـل إنَّهما من سـاقتهم ، فإنّـا نقول بكلِّ صراحة إنَّهما لم يكونا من الأعالي منهم وفيهم من فيهم ، وقبل جميعهم سيِّدنا أميـر المؤمنين عليه السلام صاحب السـوابق والمناقب والصهـروالقرابـة والغناء والعنـاء ، وصـاحب يوم الغـديـر ، والأيـام المشهـودة ، والمـواقف المشهـورة ، نفـس النبيِّ الأعظم بنصٍّ من الكتاب العزيز[١] المطهَّر من كلِّ رجس بآية التطهير[٢] .

فهلّا ودَّ أن يقذفه إليه ؟ فيسير بالأُمَّـة سيراً سُجحـاً ، ويحملهم على المحجَّة البيضاء ، ويأخذ بهم الطريق المستقيم ، ويجدونه هادياً مهـديّاً ، يـدخلهم الجنَّة . كما أخبر بهذه كلّها النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقد مرَّ شطرٌ منهـا في الجزء الأوّل صفحـة ٣١ .

وأمّا كشـف بيت فاطمـة سلام الله عليهـا فإنَّـه لا يروقنـا هُهنا خدش العواطف بتلكم النوائب ، غير أنَّه سبـق منّـا بعض القـول في الجزء الثـالث ص١٣٦ - ١٣٨ وفي هذا الجزء ص ٩٣ ، ١٠٣.

وفذلكة ذلك النبأ العظيم أنَّ الصدِّيقة سلام الله عليها قضت وهي واجدةٌ على من ارتكبه ، وكانت صلوات الله عليها تدعو عليه بعد كلِّ صلاة صلّتها[٣] .

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ القوم ارتكب ما ارتكب من تلكم الفظائع وارتبـك فيها وملأ الأسماعِ هتاف النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي بضعةٌ منّي ، هي قلبي وروحي التي بين جنبيَّ ، فمن آذاها فقد آذاني .

---

(١) بآية المباهلة في سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

(٢) في سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ ، رسائل الجاحظ ص ٣٠١ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢١٥ .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منّي يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منّي فمن أغضبها فقد أغضبني .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منّي يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها[١] .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ مني يسرّني ما يسرّها[٢] .

وبقوله : يا فاطمة إنَّ الله يغضب لغضبكِ ، ويرضى لرضاكِ[٣] .

وبهذا الهتاف تعلم أنَّ ندم الخليفة كان في محلّه ، غير أنَّه ندم ولات حين مَندم ، نَدم وقد قضي الأمر ووقع ما وقع ، نَدم والصدِّيقة الطاهرة مقبورةٌ ومِلء اهابها موجدة .

الثلاثة الوسطى :

وأمّا الثلاثة من هاتيك الأُمور التسعة التي ندم عليها الخليفة على تركها فإنَّها تعرب عن أنَّه ارتكب ما ارتكب فيها لا عن تروٍّ أو بصيرة في الأمر ، أو إستنادٍ إلى حكم شرعيّ ، حتى كشف له الخطأ فيها جمعاء ، وقد وقعت فيها عظائم ، وأعقبتها طامّات ، وخليفة المسلمين يجب أن لا يرتكب ما يستتبعها ، ولا يفعل ما يوجب الندم في مغبَّته ، وقصَّة الأشعث بن قيس تعرب عن أنَّ ندم الخليفة كان في محلّه ، فإنَّ الرجل بعد ما ارتدَّ وأتى بمعرّات وقاتل المسلمين وأُخذ وأُتي به أسيراً إلى الخليفة فقال : ماذا تراني أصنع بك؟ فإنك قد فعلت ما علمت . قال : تمنُّ عليَّ فتفكّني من الحديد ، وتزوِّجني اختك ، فإنِّي قد راجعت وأسلمت . فقال أبو بكر : قد فعلت فزوَّجه أُمّ فروة ابنة أبي قحافة ، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلاَّ عرقبه ، فصاح الناس : كفر الأشعث . فلمّا فرغ طرح سيفه وقال : إنّي والله ما كفرت ولكن زوَّجني هذا الرجل أُخته ولو كنّا في بلادنا كانت

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٤٠ ، وسنوقفك على تفصيلها في هذا الجزء إن شاء الله .

(٢) الأغاني ج ٨ ص ١٥٦ .

(٣) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٢٧ ، وسنفصل فيه القول إن شاء الله .

وليمة غير هذه ، يا أهل المدينة ! كلوا ، ويا أصحاب الإبل ! تعالوا خذوا شرواها ، فكان ذلك اليوم قد شبِّه بيوم الأضحى وفي ذلك يقول وبرة بن قيس الخزرجي :

لقد أولم الكنديُّ يوم ملاكه ... وليمة حمّال لثقل الجرائم
لقد سلَّ سيفاً كان مُذ كان مغمداً ... لدى الحرب منها في الطلا والجماجم
فأغمده في كلّ بكر وسابحٍ ... وعير وبغل في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكنديِّ يوم لقائه ... ذهبت بأسنى مجد أولاد آدم

وقال الأصبغ بن حرملة الليثي متسخِّطاً لهذه المصاهرة :

أتيت بكنديٍّ قد ارتدَّ وانتهى ... إلى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث إحياء نفسه ... وكان ثواب الكفر تزويجه البِكرا
ولو أنَّه يأبى عليك نكاحها ... وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولو أنَّه رام الزيادة مثلها ... لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر : لقد شنت بعدها ... قريشاً وأخملتَ النباهة والذِّكرا
أما كان في تيم بن مرَّة واحد ... تُزوِّجه ؟ لولا أردت به الفخرا ؟
ولو كنت لمّا أن أتاك قتلته ... لأحرزتها ذكراً وقدَّمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلن فريضة ... عليك فلا جمداً حويت ولا أجرا[١]

الثلاثة الاخر :

إنَّ الثلاثة الأُخر التي تمنّى الخليفة أن يكون استعملها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّها تنبئنا بقصوره في علم الدين ، وانَّه كان نابياً في فقهه ، لا يعرف أحكام المواريث التي يكثر إبتلاء خليفة المسلمين بها طبعاً ، وانَّه كان شاكّاً في أصل الخلافة هل هي بالنصِّ أو الإختيار ؟ وعلى الثاني هل تخصّ المهاجرين فحسب ؟ أو أنَّه يشاركهم فيها الأنصار؟ وعلى أيّ فهو في تسنّمه عرش الخلافة غير متيقّن بالرشد

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٧٦ ، ثمار القلوب للثعالبي ص ٦٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٥١ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠ ، مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٤١ ، الإصابة ج ١ ص ٥١ ، وج ٣ ص ٦٣٠ .

من أمره ، ولا نُحكّم هٰهنا غير ضميرك الحرّ ، وليس في الحقِّ مغضبة .

ثمَّ إنِّي لا أعرف لهذا التمنّي محصَّلاً لأنَّه لو كان سأله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك لما كان يجيبه إلاَّ بمثل قوله : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه . غ ج ١[1] .

وقوله : إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي[2] .

وقوله : إنِّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي[3] .

وقوله : عليٌّ مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بعدي غ ج ٣ ص ٢٤٩ .

وقوله لعليّ : أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّك لست بنبيّ ، إنَّه لا ينبغي أن أذهب إلاَّ وأنت خليفتي . غ ج ٣ ص ٢١٧ .

وقوله : أُوحي إليَّ في علي ثلاث : إنَّه سيد المسلمين . وإمام المتَّقين . وقائد الغرّ المحجلين : مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٨ .

وقوله : إن الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منها أباكِ فبعثه نبيّاً ، ثمَّ اطَّلع الثانية فاختار بعلكِ فأوحى إليَّ فأنكحته واتَّخذته وصيّاً . غ ج ٢ ص ٣٦٩ وج ٣ ص ٤٣ .

وقوله : عليٌّ الصدّيق الأكبر وفاروق هذه الأُمَّة ، يفرق بين الحقِّ والباطل ، ويعسوب المؤمنين ، وهو بابي الذي أُوتى منه ، وهو خليفتي من بعدي . غ ج ٢ ص ٣٦٢ .

وقوله : عليٌّ راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، والكلمة التي ألزمتها المتقين من أحبَّه أحبَّني ومن أبغضه أبغضني . غ ج ٣ ص ١٥٥ .

وقوله : عليٌّ أخي ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي . غ ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ .

---

(١) هذا رمز كتابنا هذا (الغدير) في هذا الجزء وبقية الأجزاء .

(٢) (٣) مرّ الإيعاز إلى حديث الثقلين غير مرّة وسنفصل القول فيه إن شاء الله .

وقوله : عليُ سيِّدٌ مبجَّل ، مؤمل المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وموضع سرِّي وعلمي ، وبابي الذي يؤوى إليه ، وهو الوصيُّ على أهل بيتي ، وعلى الأخيار من أُمَّتي ، وهو أخي في الدنيا والآخرة . غ ج ٣ ص ١٥٣ .

وقوله : عليٌّ أخي ووزيري وخير من أترك بعدي . غ ج ٢ ص ٣٦٤ .

وقوله : عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع علي لن يفترقا حتى يراد عليَّ الحوض . غ ج ٣ ص ٢٢٣ .

وقوله : عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه وعلى لسانه يدور حيثما دار عليٌّ . غ ج ٣ ص ٢٢٤ .

وقوله : عليٌّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض . غ ج ٣ ص ٢٢٧ .

وقوله : عليٌّ منّي وأنا منه ، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي : غ ج ٣ ص ٤٢ ، ٢٦٨ .

وقوله : عليٌّ مولى كلِّ مؤمن بعدي ومؤمنة . غ ج ١ ص ٣٦ ، ٧٦ .

وقوله : عليٌّ أنزله الله منّي بمنزلتي منه . غ ج ١ ص ٤٣ .

وقوله : عليٌّ وليِّي في كلّ مؤمن بعدي . مسند أحمد ج ١ ص ٢٣١ .

وقوله : عليٌّ منّي بمنزلتي من ربِّي . السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩١ .

وقوله : عليٌّ وليّ المؤمنين من بعدي . تاريخ الخطيب ج ٤ ص ٣٣٩ .

وقوله : من كان الله ورسوله وليَّه فعليٌّ وليُّه . غ ج ١ ص ٦٢ .

وقوله : لا يُبلّغ عنّي إلاَّ أنا أو رجل منّي . غ ج ٦ ص ٣٩٥ - ٤١٠ .

وقوله : ما من نبيٍّ إلاَّ وله نظير وعليٌّ نظيري . غ ج ٣ ص ٤٣ .

وقوله : أنا وعليّ حجَّة على أُمّتي يوم القيامة . تاريخ الخطيب ج ٢ ص ٨٨ .

وقوله : من أطاع عليّاً فقد أطاعني ، ومن عصى عليّاً فقد عصاني . مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢١ ، ١٢٨ .

كيف تمنّى الخليفة ما تمنّى مع هذه النصوص ؟ أو كان في الآذان وقرٌ يوم هتف صلى الله عليه وآله وسلم بهاتيك الكلم الجامعة المعربة عن الخلافة بكلٍّ ما يمكن من التعبير ؟ أم أنَّ في القوم من تصامم عنها لأمر دبِّر بليل .

أو لَم يكف الخليفة أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لمَّا عرض نفسه على القبائل وكان معه عليٌّ أمير المؤمنين ومعهما أبو بكر وبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمَّ أظهرك الله على مَن خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء[1] ! .

أفكان يزعم الخليفة ؟ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي أناط الأمر بعده إلى المولى سبحانه ومشيئته كان لو سأله عن ذلك أجابه بالترديد بين اختيار الأُمَّة ولو لم تكتمل فيه شرائط الإجماع والإنتخاب الصحيح كما في البيعة الأُولىٰ ؟ وبين وصيَّة الخليفة واستخلافه كما وقع في أمر الثاني ؟ وبين الشورى مع إرهاب المخالف بالقتل كما كان في منتهى الثلاثة ؟ لكنَّه لو كان يحسب ذلك لما ودَّ أن لو كان سأله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يعلم أيضاً أنَّ الترديد في الجواب على فرضه إغراءٌ للأُمَّة بالفوضى ، وفي ذلك مسرح لكل مدَّعٍ محقّ أو مبطل ، ولاحتجَّ به كلّ ناعبٍ وناعقٍ حتّى تنتهي النوبة إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء أمثال معاوية ويزيد وهلمَّ جرّا .

تحفّظ على كرامة :

حذف أبو عبيد من الحديث ذكر الأمر الأوَّل من الثلاثة الأُول وهو : كشف بيت فاطمة وجعل مكانه قوله : فوددت أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا ـ لخلّة ذكرها ـ فقال : لا أُريد أذكرها . وما حرَّف ماحرَّف إلَّا تحفُّظاً على كرامة الخليفة ، والأسف على أنَّ غيره ما شاركه فيما فعل ، فظهرت خيانته على ودائع التاريخ .

---

(١) مرّت مصادره في هذا الجزء ص ١٥٦.

١٢ - سؤال يهوديّ أبا بكر :

عن أنس بن مالك قال : أقبل يهوديٌّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال : أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيٌّ أو وصيٌّ نبيّ قال أبو بكر : سل عمّا بدا لك . قال اليهودي : أخبرني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله . فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يا يهوديّ ! وهمَّ أبو بكر والمسلمون رضي الله عنهم باليهودي ، فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : ما أنصفتم الرجل . فقال أبو بكر : أما سمعت ما تكلّم به ؟ فقال ابن عبّاس إن كان عندكم جوابه وإلاّ فاذهبوا به إلى عليّ رضي الله عنه يجيبه فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليٍّ بن أبي طالب : اللّهُمَّ اهد قلبه ، وثبّت لسانه ، قال : فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا عليَّ بن أبي طالب فاستأذنوا عليه فقال أبو بكر : يا أبا الحسن ! إنَّ هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة . فقال عليٌّ : ما تقول يا يهودي ؟ قال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبيٌّ أو وصيٌّ نبيّ . فقال له : قل . فردَّ اليهودي المسائل : فقال عليٌّ رضي الله عنه : أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود ! : إنّ العزير ابن الله ، والله لا يعلم أنَّ له ولداً . وأمّا قولك : أخبرني بما ليس عند الله . فليس عنده ظلم للعباد ، وأمّا قولك : أخبرني بما ليس لله فليس له شريك . فقال اليهوديُّ : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنَّ محمّداً رسول الله ، وأنّك وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال أبو بكر والمسلمون لعليّ عليه السلام : يا مفرّج الكرب .

[المجتنى لابن دريد ص ٣٥]

قال الأميني : إقرأ واحكم .

١٣ - وفد النصارى وأسئلتهم :

أخرج الحافظ العاصمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : لمّا قبض النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعت النصارى إلى قيصر ملك الروم فقالوا له : أيّها الملك إنّا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج من بعد عيسىٰ إسمه أحمد وقد رمقنا خروجه وجاءَنا نعته فأشر علينا فإنّا قد رضيناك لديننا ودنيانا قال : فجمع قيصر من نصارى

بلاده مائة رجل وأخذ عليهم المواثيق أن لا يغدروا ولا يخفوا عليه من أُمورهم شيئاً وقال : انطلقوا إلى هذا الوصيِّ الذي من بعد نبيِّهم فسلوه عمّا سئل عنه الأنبياء عليهم السلام وعمّا أتاهم به من قبل ، والدلائل التي عرفت بها الأنبياء ، فإن أخبركم فآمنوا به وبوصيِّه واكتبوا بذلك إليَّ ، وإن لم يخبركم فاعلموا أنَّه رجلٌ مُطاع في قومه ، يأخذ الكلام بمعانيه ،ويردّه على مواليه ، وتعرّفوا خروج هذا النبيِّ . قال : فسار القوم حتّى دخلوا بيت المقدس واجتمعت اليهود إلى رأس جالوت فقالوا له مثل مقالة النصارى بقيصر ، فجمع رأس جالوت من اليهود مائة رجل ، قال سلمان فاغتنمت صحبة القوم فسرنا حتى دخلنا المدينة وذلك يوم عروبة[1] وأبو بكر قاعدٌ في المسجد رضي الله عنه يفتي الناس فدخلت عليه فأخبرته بالذي قدم له النصارى واليهود فأذن لهم بالدخول عليه فدخل عليه رأس جالوت فقال : يا أبا بكر إنّا قومٌ من النصارى واليهود جئناكم لنسألكم عن فضل دينكم فإن كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه وإلاَّ فديننا أفضل الأديان ! قال أبو بكر : سل عمّا تشاء أُجبك إن شاء الله قال : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أبو بكر : أمّا أنا فقد كنت عند الله مؤمناً وكذلك عند نفسي إلى الساعة ولا أدري ما يكون من بعد . فقال اليهودي : فصف لي صفة مكانك في الجنّة ، وصفة مكاني في النار ، لأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني . قال : فأقبل أبو بكر ينظر إلى معاذ مرَّة وإلى ابن مسعود مرَّة ، وأقبل رأس جالوت يقول لأصحابه بلغة أُمَّته : ما كان هذا نبيّاً : قال سلمان : فنظر إليَّ القوم ، قلت لهم : أيّها القوم ! ابعثوا إلى رجل لو ثنيتم له الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم ، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم ، ولأهل الزبور بزبورهم ، ولأهل القرآن بقرآنهم ، ويعرف ظاهر الآية من باطنها ، وباطنها من ظاهرها . قال معاذ : فقمت فدعوت عليَّ بن أبي طالب وأخبرته بالذي قدمت له اليهود والنصارى فأقبل حتّى جلس في مسجد رسول الله ﷺ قال ابن مسعود : وكان علينا ثوب ذلّ : فلمّا جاء عليُّ بن أبي طالب كشفه الله عنّا قال عليٌّ : سلني عمّا تشاء أُخبرك إن شاء الله قال اليهودي : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أمّا أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى

---

(١) يعني يوم الجمعة وكان يسمى قديماً بيوم عروبة ، ويوم العروبة . والأفصح ترك الألف واللام .

الساعة فلا أدري ما يكون بعدُ . وأمّا أنت فقد كنت عند الله وعند نفسي إلى الساعة كافراً ولا أدري ما يكون بعدُ . قال رأس جالوت : فصف لي صفة مكانك في الجنّة وصفة مكاني في النار فأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني قال عليٌّ : يا يهودي ! لم أرَ ثواب الجنّة ولا عذاب النار فأُعرّف ذلك ، ولكن كذلك أعدَّ الله للمؤمنين الجنّة وللكافرين النار ، فإن شككت في شيء من ذلك فقد خالفتَ النبيَّ ﷺ ولست في شيء من الإسلام . قال : صدقت رحمك الله فإنَّ الأنبياء يوقنون على ما جاؤوا به فإن صدقوا آمنوا، وإن خولفوا كفروا . قال : فأخبرني أعرفت الله بمحمَّد أم محمّداً بالله ؟ فقال عليٌّ : يا يهودي ! ما عرفت الله بمحمَّد ولكن عرفت محمّداً بالله لأنَّ محمَّداً محدودٌ مخلوقٌ وعبدٌ من عباد الله اصطفاه الله واختاره لخلقه وألهم الله نبيَّه كما ألهم الملائكة الطاعة ، وعرَّفهم نفسه بلا كيف ولا شبه . قال : صدقت قال : فأخبرني الربَّ في الدنيا أم في الآخرة ؟ فقال عليٌّ : إنَّ «في» وعاءٌ فمتى ما كان بفي كان محدوداً ولكنه يعلم ما في الدنيا والآخرة ، وعرشه في هواء الآخرة وهو محيطٌ بالدنيا ، والآخرة بمنزلة القنديل في وسطه إن خليت يكسر ، وإن أخرجته لم يستقم مكانه هناك فكذلك الدنيا وسط الآخرة . قال : صدقت قال : فأخبرني الربّ يَحمل أو يُحمل ؟ قال عليُّ بن أبي طالب : يَحمل . قال رأس جالوت : فكيف ؟ وإنّا نجد في التوراة مكتوباً ويحمل عرش ربِّك فوقهم يومئذ ثمانية . قال عليٌّ : يا يهوديّ : إنَّ الملائكة تحمل العرش ، والثرى يحمل الهواء ، والثرى موضوع على القدرة وذلك قوله تعالىٰ : ﴿**له ما في السّمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾ . قال اليهوديُّ : صدقت رحمك الله . الحديث .

[زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي]

هلمّ معي إلى الغلو :

هذه جملة ممّا وقفنا عليه من فتاوى أبي بكر وآرائه وهي على قلّتها تدلُّك على مكانته من علم الكتاب ، وعرفان السنَّة ، وفقه الشريعة ، وأحكام الدين ، أو لَيس من المغالاة إذن أن يُقال : عَلِم كلُّ ذي حظّ من العلم أنّ الذي كان عند أبي

بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ منه[١] ؟ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : إنَّ المعروف أنَّ الناس قد جمعوا الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فوجدوا أصوبها وأدلّها على علم صاحبها أُمور أبي بكر ثمَّ عمر ، ولهذا كان ما يوجد من الأُمور التي وجد نصٌّ يخالفها عن عمر أقلّ ممّا وجد عن عليّ ، وأمّا أبو بكر فلا يكاد يوجد نصٌّ يخالفه ؟ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : لم يكن أبو بكر وعمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصّان عليّاً بسؤال ، والمعروف : أنَّ عليّاً أخذ العلم عن أبي بكر[٢] ؟ .

أليس من المغالاة أن يُقال : إنَّ أبا بكر من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق ؟ . قاله ابن حجر في الصواعق ص ١٩ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : إنَّ أبا بكر أعلم الصحابة وأذكاهم ، وكان مع ذلك أعلمهم بالسنَّة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع ، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبيِّ ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول ﷺ من أوّل البعثة إلى الوفاة[٣] .

أليس من المغالاة ؟ ما عزوه إلى النبيِّ الأقدس من قيله صلى الله عليه وآله وسلم ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاَّ صببته في صدر أبي بكر[٤] .

أليس من المغالاة ؟ ما رووه عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّهُ قال : رأيت كأنّي أُعطيت عسّاً مملوّاً لبناً فشربت منه حتّى امتلأت ، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبا بكر . قالوا : يا رسول الله ! هذا علم أعطاكه الله حتّى إذا امتلأت ففضلت فضلة فأعطيتها أبا بكر ، قال ﷺ : قد أصبتم .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٠١]

---

(١) قاله ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ١٣٦ ، راجع ما مرّ في الجزء الثالث ص ١٢٨

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج ٣ ص ١٢٨ . راجع ما أسلفناه في ج ٦ ص ٣٨٥

(٣) تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩ .

(٤) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٨٣ وهذا الجزء ص ١٠٥.

أليس من المغالاة ؟ ما جاء به ابن سعد عن ابن عمر من أنّه سُئل عمّن كان يفتي في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما .

راجع اسد الغابة ج ٣ ص ٢١٦ ، الصواعق ص ١٠ ، ٢٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥ .

قال الأميني : ليتني أدري وقومي ما بال القوم ؟ في نحت هذه الدعاوى الفارغة ، واختلاق هذه الأكاذيب المكردسة ، وزعق بسطاء الأُمّة إلى المزالق والطامّات ، وردعهم عن مهيع الحقّ ، وَجدد الصِّدق في عرفان الرجال ، ومقادير السلف .

أليست هذه الآراء تضادُّ نداء المشرِّع الأقدس وقوله لفاطمة : أما ترضين انّي زوَّجتكِ أوَّل المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً ؟ .

وقوله لها : زوَّجتكِ خير أُمَّتي أعلمهم علماً .

وقوله : إنَّ عليّاً لأوَّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً .

وقوله : أعلم أُمَّتي من بعدي عليّ .

وقوله : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها .

وقوله : عليٌّ وعاء علمي .

وقوله : عليٌّ باب علمي .

وقوله : عليٌّ خازن علمي .

وقوله : عليٌّ عيبة علمي .

وقوله : أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها .

وقوله : أنا دار العلم وعليٌّ بابها .

وقوله : أنا ميزان العلم وعليٌّ كفّتاه .

وقوله : أنا ميزان الحكمة وعليٌّ لسانه .

وقوله : أقضى أُمَّتي عليٌّ .

وقوله : أقضاكم عليّ[١] إلى أمثال هذه من الكثير الطيِّب .

أليست تلكم الآراء المجـرَّدة تخـالف مـا أسلفناه في الجـزء الثـالـث ص ١٢٨ ـ ١٣٤ وفي نـوادر الأثـر في الجـزء السـادس من أقـوال الصحـابـة الأوّلين والتابعين بإحسان في علم عليّ ؟ نظراء عائشة . وعمـر . ومعاويـة . وابن عبّاس . وابن مسعود . وعديّ بن حاتم . وسعيد بن المسيب . وهشـام بن عتبة . وعـطاء . وعبد الله بن حجل .

أنّى يسوغ القول بأعلميَّة أيِّ أحد من الأُمَّة غير عليّ أمير المؤمنين بعد ما مـرَّ في الجـزء الثـالث ص ١٣٣ من إجمـاع أهـل العلم أنَّ عليّاً عليه‌السلام هـو وارث علم النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم دونهم . وما أسلفناه هناك من الصحيح الوارد عن مولانـا أمير المؤمنين من قوله : والله إنِّي لأخوه ووليُّه وابن عمِّه ووارث علمه ، فمن أحقُّ به منّي ؟ .

ثمَّ أيُّ نُجفـة من العلم كـانت آيـة فضلة عسّ شـربهـا الخليفـة من يـد النبيِّ الأعظم إن صحَّت الأحلام ؟ أقوله في الأبّ ؟ أم رأيه في الكلالـة والجدِّ والجـدَّتين والخلافة وغيرها ؟ أبمثل هذه كان هو وصاحبه يفتيان في حياة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ؟ .

وأيُّ صدرٍ هذا لم يك ينضح بشيء من العلم ـ والإناء ينضح بما فيه ـ بعـدما صبَّ فيه رسول الله كلّما صبَّ الله في صدره صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ؟ .

وأنت جـدُّ عليم بـأنَّ الأخـذ بمجـامـع تلكم الصحـاح المـأثـورة عن رسـول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأقوال الصحابة والتابعين في علم أمير المؤمنين عليه‌السلام والجمع بينهـا وبين تلكم الآراء في علم أبي بكر يستلزم القول بأعلميَّته من رسـول الله أيضاً بعـد كونـه وعليّ صلّى الله عليهمـا وآلهما صنـوين في الفضائـل ، بعد كـون عليّ رديف أخيه الأقدس ونفسه في مآثره ، بعد كونه وارث علمه وبـابه وعيبتـه ووعائه وخـازنه ، ولا أحسب كلَّ القوم ولا جلّهم يقـول بذلـك . نعم : مَن لم يتحـاش عن الغلوِّ في أبي حنيفة والقول بأعلميَّته من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في القضاء كمـا مرَّ في الجـزء الخامس ص ٣٤١ لا يكترث للقول بذلك في أبي بكر الأفضل من أبي حنيفة .

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ١٢٨ ، والجزء السادس ص ٨٣/ ١٠٤

هذا هو الغلوُّ الممقوت الَّذي تصكُّ به المسامع لا ما تقول به الشيعة يا أتباع أبناء حزم وتيميَّة وكثير وجوزيَّة ! .

١ - مظاهر علم الخليفة :

وأوَّل مظهر من مظاهر علم الخليفة عند الباقلاني من المتقدِّمين كما في تمهيده ص ١٩١ ، وعند السيِّد أحمد زيني دحلان من المتأخِّرين كما في سيرته هامش الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٧٦ هو إعلامه الناس بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحجاجه عمر بن الخطاب بقول العزيز الحكيم : **﴿وما محمَّد إلَّا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾** الآية[١] .

ما أذهل الرجلين عن أنَّ الأمر لم يعضل على أيِّ امرىء من الصحابة ، وحاشاهم عن أن يكون هذا مبلغ علمهم ، وقد كان حملة القرآن الكريم بأسرهم على علم من موته صلى الله عليه وآله وسلم أخذاً بما أجرى الله بين البشر من الطبيعة المطَّردة : **﴿ثم قضى أجلاً وأجل مسمّى﴾ ﴿وما كان لنفس أن تموت إلَّا بإذن الله كتاباً مؤجَّلاً﴾** ، **﴿ولكلِّ أُمَّة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** . وتمسُّكاً بالقرآن العظيم ، ونصوصه صلى الله عليه وآله وسلم الكثيرة عليه في مواقف لا تحصى ، أحفلها حجَّة الوداع ومن هنا سُمِّيت تلك الحجَّة بحجَّة الوداع .

ولم يكن إنكار عمر موته صلى الله عليه وآله وسلم لجهله بذلك ، وقد قرأ عمرو بن زائدة عليه وعلى الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية المذكورة قبل تلاوة أبي بكر إيّاها وأشفعها بقوله تعالىٰ **﴿إنَّك ميِّتٌ وإنَّهم ميّتون﴾**[٢] فضرب الرجل عنها وعن قارئها صفحاً ، وعمرو بن زائدة صحابيٌّ عظيم استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرَّة في غزواته كما في الإصابة ج ٢ ص ٥٢٣ .

وإنَّما كان إنكاره ذلك وإرهابه الناس لسياسة مدبَّرة ، وذلك صرف فكرة الشعب عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبو بكر وكان غائباً بالسُّنح[٣] خارج

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤ .

(٢) راجع تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٣ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨١ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٧ ، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ط مصر : ٧٨٦ ، تفسير =

المدينة ، وكان الأمر دُبّر بليل .

ألا ترى أنَّ غير واحد من أعلام القوم قد اعتذروا عن إنكار عمر موته صلى الله عليه وآله وسلم بغير الجهل فمنهم من قال : إنَّ ذلك كان لتشوّش البال ، واضطراب الحال ، والذهول عن جليّات الأحوال(١) ومنهم من اعتذر بقوله : خَبَل عمر في وفاة النبيّ ﷺ فجعل يقول : إنَّه والله ما مات ولكنَّه ذهب إلى ربِّه(٢) .

المظهر الثاني : وجاء ابن حجر من علم الخليفة بمظاهر أُخرى واحتجَّ بها على كونه أعلم الصحابة على الإطلاق ، منها : ما أخرجه البخاري في صحيحه في صلح الحديبيَّة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : فأتيت نبيَّ الله ﷺ . فقلت : يا نبيّ الله ألست نبيَّ الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحقّ وعدوُّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلِمَ نعطي الدنيَّة في ديننا إذن ؟ قال : إنِّي رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أو ليس كنتَ تحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنَّك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنَّك آتيه ومطوِّف به . قال : فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت : يا أبا بكر : أليس هذا نبيُّ الله حقّاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الله وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن . فقال : أيّها الرجل ! إنَّه رسول الله ولن يعصي ربّه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنَّه على الحقِّ . فقلت : أليس كان يحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرك أنَّك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنَّك آتيه ومطوِّفٌ به .

قال الأميني : هل في هذه الرواية غير أنَّ أبا بكر كان مؤمناً بنبوَّة رسول الله ، وبطبع الحال إنَّ كلَّ من اعتنق هذا المبدأ يرى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لا يعصي ربّه وهو ناصره وأنَّ كلَّ ميعاد جاء به لا بدَّ وأن يقع في الأجل المضروب له إن كان موقّتاً وإلاّ فهو يقع لا محالة في ظرفه الخاصِّ به ، فلا يخالجه شكٌّ إذا لم يُعجَّل .

= القرطبي ج ٤ ص ٢٢٣ ، عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣٩ .

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ج ٣ ص ٣٣٩ .

هذه غاية ما يوصف به أبو بكر بهـذا الحديث ، وهـو معنى يشترك فيـه جميع المسلمين وليس من خاصَّته ، فأيُّ دلالة فيه على كون أبي بكر أعلم الصحابـة على الإطلاق ؟ ولو كان عمر يسأل أيّ صحابيّ بسؤاله هذا لما سمع إلَّا لِـدة ما أجاب به أبو بكر ومثل ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلـك المسلمون كلّهم إلى منصـرم الدنيا ، فإنَّك لا تجد عند أحدهم ضميراً غير هذا ، وإذا فاتحته بالكلام عن مثله فلا تسمع جواباً غيره ، فهل فاتح عمر به غير أبي بكر أحداً من الصحابة وسمـع جوابـاً غير ما أجاب به ؟ حتى يُستدلَّ به على أعلميَّته على الإطلاق أو على التقييد .

وهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدد بيـان غامض من علومـه لمّا أجـاب عمر حتّى يكون إذا وافقه أبو بكر في الجواب يصبح به أعلم الصحابة على الإطلاق ؟

وابن حجر يعلم ذلك كلّه ولذلك تعمَّد بإسقاط لفظ الرواية وقال في الصواعق ص ١٩ : هو (أبو بكر) من أكابـر المجتهدين بـل هو أعلم الصحـابة على الإطـلاق لـلأدلَّة الـواضحة على ذلـك منها : مـا أخرجـه البخاري وغيـره أنَّ عمـر في صلح الحديبيَّة سأل رسول الله ﷺ عن ذلـك الصلح وقال : عـلامَ نعطي الـدنيّة في ديننـا فـأجابـه النبيُّ ﷺ ثمَّ ذهب إلى أبي بكر فسـأله عمّـا سأل عنـه ﷺ من غير أن يعلم بجواب النبيِّ ﷺ فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء . اهـ .

يوهم ابن حجر أنَّ هناك معضلةٌ كشفها أبو بكر ، أو عويصةٌ من العلوم حلَّهـا ممَّـا يُعدّ الخـوض فيه من الأدلَّـة الواضحـة على أعلميَّة صـاحبه من الصحـابة على الإطلاق فليفعل ابن حجر ما شاء ، فإنَّ نـظّارة التنقيب رقيبةٌ عليـه ، والله من ورائه حسيب .

المظهر الثالث : ومن الأدلَّة الـواضحة عنـد ابن حجر على أنَّ الخليفـة أعلم الصحابة على الإطلاق ما روى في الصواعق ص ١٩ عن عائشة مرسلاً أنَّها قالت : لمّـا توفّي رسـول الله ﷺ : اشرأبَّ النفـاق ، أي رفـع رأسـه ، وارتـدَّت العـرب ، وانحازت الأنصار ، فلو نزل بالجبال الراسيـات ما نـزل بأبي لهـاضها ، أي فتتهـا ، فما اختلفوا في لفظة إلَّا طار أبي بعبئها وفصلها ، قالوا : أين ندفن رسول الله ﷺ ؟ فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مـا

من نبيّ يقبض إلّا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه . واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة .

ثمّ قال : قال بعضهم : وهذا أوّل اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم : ندفنه بمكّة مولده ومنشأه ، وبعضهم بمسجده ، وبعضهم بالبقيع ، وبعضهم ببيت المقدس مدفن الأنبياء ، حتّى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم ، قال ابن زنجويه : وهذه سنّةٌ تفرّد بها الصدّيق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها .

قال الأميني : غاية ما في هذه المرسلة عن عائشة أنّ أبا بكر روى حديثين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شذّت روايتهما عن الحضور في ذينك الموقفين ، فإن يكن بهما أبو بكر أعلم الصحابة على الإطلاق حتّى مَن لم يحضرهما ولو بنحو من التهجّم والرجم بالغيب فكيف بمن روى آلافاً مؤلّفة من الأحاديث شذّت عن أبي بكر روايتها جمعاء أو رواية أكثرها ؟ ومع ذلك لا يُعدُّ أحدٌ منهم أعلمَ الصحابة أو أعلمَ مِن أبي بكر على الأقلّ .

أليس هو صاحب نادرة الأبّ والكلالة والجدّ والجدّتين إلى نوادر أُخرىٰ ؟ أليس هو الآخذ بالسنّة الشريفة من نظراء المغيرة بن شعبة ومحمّد بن مسلمة وعبد الرَّحمٰن بن سهيل إلى أُناس آخرين عاديّين ؟ .

كأنَّ ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولائد حَجَر لا يعقلون شيئاً وهم يسمعون ، ألا يقول الرجل ما الذي فهمه الصحابة من هتاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم هتف بقوله :

١ ـ ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٢ ـ ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٣ ـ ما بين حجرتي إلى منبري روضةٌ من رياض الجنّة . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٤ ـ ما بين المنبر وبيت عائشة روضةٌ من رياض الجنّة . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

٥ ـ من سرَّه أن يصلّي في روضة من رياض الجنة فليصلِّ بين قبري ومنبري ؟ .

وهذه الأحاديث أخرجها باللفظ الأوَّل البخاري[1] وأحمد ، وعبد الرزاق ، وسعيد بن المنصور ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والخطيب ، والبزار ، والطبراني ، والدارقطني ، وأبو نعيم ، وسمويه ، وابن عساكر من طريق جابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وأبي سعيد الخدري .

راجع تاريخ الخطيب ج ١١ ص ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٤ ص ٤١٣ وصحَّح إسناد البزّار وقال : عند البزّار بسند رجاله ثقات ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٤ ، شرح النووي لمسلم هامش الإرشاد ج ٦ ص ١٠٣ ، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ج ٤ ص ٤١٢ ، وحكاه السمهودي في وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ عن الصحيحين ، وصحَّحه من طريق البزّار .

وأخرجها باللفظ الثاني البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأحمد ، والدارقطني ، وأبو يعلي ، والبزّار والنسائي ، وعبد الرزّاق ، والطبراني ، وابن النجّار ، من طريق جابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله المازني ، وأبي بكر .

راجع صحيح البخاري كتاب الصَّلاة : باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وكتاب الحجِّ ، وصحيح مسلم كتاب الحجِّ ، باب : فضل ما بين قبره ﷺ ومنبره ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٣٢٣ ، تمييز الطيب ص ١٣٩ ، فقال : متَّفقٌ عليه ، كنوز الدقائق ص ١٢٩ ، كنز العمّال ج ٦ ص ٢٥٤ ، الجامع الصغير وصحَّحه وقال : حديثٌ متواترٌ كما في الفيض القدير ج ٥ ص ٤٣٣ ، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ج ٤ ص ٤١٢ ، وفاء الوفا ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ وصحَّحه بإسناد أحمد والبزّار .

وأخرجه باللفظ الثالث أحمد ، والشاشي ، وسعيد بن منصور ، والخطيب من طريق جابر وعبد الله المازني كما في تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٣٦٠ ، وكنز العمال

---

(١) حكاه الأنصاري عن نسخة من صحيحه في تحفة الباري المطبوع في ذيل إرشاد الساري ج ٤ ص ٤١٢ .

ج ٦ ص ٢٥٤ ، وشرح النووي لمسلم هامش الإرشاد ج ٦ ص ١٠٣ .

واللفظ الرابع : تجده في الأوسط للطبراني من طريق أبي سعيد الخدري كما في إرشاد الساري ج ٤ ص ٤١٣ ، ووفاء الوفا ج ١ ص ٣٠٣ .

والخامس منها أخرجه الديلمي من طريق عبيد الله بن لبيد كما في كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٤ .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ١٩٣ : قلت : كيف اختلفوا في موضع دفنهَ وقد قال لهم : فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري . وهذا تصريح بأنَّه دفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت عائشة . اهـ .

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد ، وابن منيع ، والحاكم ، والبيهقي ، والطبراني في الأوسط من طريق ابن مسعود كما في الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي ج ٢ ص ٢٧٦ .

أيرى ابن حجر أنَّ الصحابة بعد تلكم الأحاديث كانوا غير عارفين تلك الروضة المقدَّسة التي أنبأهم بها نبيُّهم الأقدس ، وأمرهم بالصَّلاة عليها ؟ أو يراهم انَّهم عرفوا القبر والمنبر وما بينهما من الروضة ، ووقفوا على حدودها من كَثَب أخذاً منه صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ اختلفوا في المدفن الشريف ، فباح به أبو بكر فأصبح بذلك أعلمهم على الإطلاق ؟ .

على أنَّه لو صحَّت رواية الدفن لوجب أن يبوح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن أوصاه بغسله ودفنه[1] لمن ولي غسله وكفنه وإجنانه[2] لمن يعلم أنَّه يباشر دفنه ويلي إجنانه في منتصف الليل من دون حضور غير أهله كما مرَّ في ص ٩٠ لا الذي يغيب عنَ ذلك المشهد ، وغلبت على أجفانه عند ذاك سنة الكرى ، وتعيين المدفن من أهمِّ ما يوصى به عند كلِّ أحد فضلاً عن سيِّد البشر ، وهذا الإعتبار يعاضد ما أخرجه أبو يعلى منْ حديث عائشة أيضاً وإن يعارض حديثها عن أبيها .

---

(١) طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٧٩٨ ، ٨٠١ ، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ص ٧٩٨ .

قالت : اختلفوا في دفنه(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عليٌّ : إنَّ أحبَّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيَّه .

[الخصائص ج ٢ ص ٢٧٨]

ولعلَّ تجاه هذا الحديث أُختلفت رواية الدفن .

ولو كان عند دفن جثمان القداسة حوارٌ كما وصفه ابن حجر لتناقلته الألسن وتداولته السير والمدوَّنات نقلاً عن الصحابة الحضور يوم ذاك الواقفين على الجلبة ، والمستمعين للّغط ، ولَما اختصّت بوصفه صفحات الصواعق أو ما يشاكله من كتب المتأخرين ولا تفرَّدت برواية شيء منها عائشة ، وكيف تفرَّدت بها ؟ وهي التي تقول : ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل[1] .

ثمَّ إنَّ أوَّل مفنِّد لهذه السنَّة المزعوم إطّرادها هو مدفن أوَّل الأنبياء آدم عليه السلام فإنه توفي بمكّة ودفن عند الجبل الذي اهبط منه في الهند ، وقيل بجبل أبي قبيس بمكّة[2] .

وقد اشترى إبراهيم الخليل على نبيِّنا وآله وعليه السّلام مغارة في حبرون[3] من عفرون بن صخر فدفن فيها سارة ثمَّ دفن فيها هو وابنه إسحاق .

وتوفي يعقوب عليه السلام في مصر واستأذن يوسف سلام الله عليه ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكابر مصر فدفنه في المغارة بحبرون[4] .

المظهر الرابع : أمّا رواية الإرث فسرعان ما ناقض ابن حجر فيها نفسه .

---

(١) راجع ما مرّ في ٩٠ .

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ٨٠ ، ٨١ ، العرائس للثعلبي ص ٢٩ ، الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٢ ، تاريخ ابن كثير ج ١ ص ٩٨ .

(٣) في تاريخ الطبري : جيرون . والصحيح : حبرون .

(٤) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٦١ ، ١٦٩ ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٨ ، تاريخ ابن كثير ج ١ ص ١٧٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٠ .

فتراه يحسب هٰهنا في ص ١٩ : أنَّها مختصَّةٌ بأبي بكر ، وهي من الأدلَّة الواضحة على أعلميَّته ، وهو يعتقد في صفحة ٢١ : إنَّه رواها عليٌّ والعبّاس وعثمان وعبد الرّحمٰن بن عوف والزبير وسعد وأُمَّهات المؤمنين وقال : كلّهم كانوا يعلمون أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذلك : وإنَّ أبا بكر إنَّما انفرد باستحضاره أوّلاً ثمَّ استحضره الباقون .

ما هذا التهافت بين كلامي الرَّجل ؟ وما أذهله أخيراً عمّا جاء به أوّلاً ؟ وهل الأعلميَّة مترشّحة من محض الإستحضار أوّلاً ؟ أو السبق إلى الهتاف به ؟ وكلٌّ منهما كما ترى لا يفيد مزيَّة إلاّ في الحفظ دون العلم .

ثمَّ لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله وذويه الذين يدَّعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من آي القرآن الكريم والسنَّة الشريفة ، فلا يكون هناك صخبٌ وحوارٌ تتعقَّبهما محنٌ وإحنٌ ، ولا تموت بضعته الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها[1] ويكون ذلك كلّه مثاراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلّ من الفريقين ، وقد بُعث هو صلى الله عليه وآله وسلم لكسح تلكم المعرّات وعقد الإخاء بين الأُمم والأفراد .

ألم يكن صلى الله عليه وآله وسلم على بصيرة ممّا يحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم إيقاف أهله وذويه على هذا الحكم المختصّ به صلى الله عليه وآله وسلم المخصِّص لشرعة الإرث ؟ حاشاه . وعنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم .

وهل ترى أنَّ دعوى الصدِّيق الأكبر أمير المؤمنين وحليلته الصدِّيقة الكبرى . صلوات الله عليهما وآلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده ممّا تركه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من ماله كانت بعد علمٍ وتصديق منهما بتلك السنَّة المزعومة صفحاً منهما عنها لاقتناء حطام الدنيا ؟ أو كانت عن جهلٍ منهما بما جاء به أبو بكر ؟ نحن نقدِّس ساحتهما [أخذاً بالكتاب والسنَّة] عن علمٍ بسنَّة ثابتة والصفح عنها ، وعن جهلٍ يربكهما في الميزان .

---

(١) سيوافيك في هذا الجزء تفصيل ذلك .

ولِماذا يُصدَّق أبو بكر في دعواه الشاذَّة عن الكتاب والسنَّة ، فيما لا يُعلم إلاَّ من قِبَل ورثته صلى الله عليه وآله وسلم ووصيِّه الذي هتف صلى الله عليه وآله وسلم به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية والمجتمعات[1] ، ولم تكن أُذنٌ واعية لدعوى الصدِّيقة وزوجها الطاهر بكون فدك نحلة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي لا تُعلم إلاَّ من قِبلهما ؟ قال مالك بن جعونة عن أبيه أنَّه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنَّ رسول الله ﷺ جعل لي فدك فأعطني إيّاها ، وشهد لها عليٌّ بن أبي طالب ، فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أُمُّ أيمن : فقال : قد علمت يا بنت رسول الله ! أنَّه لا تجوز إلاَّ رجلين أو رجل وامرأتين وانصرفت .

وفي رواية خالد بن طهمان : إنَّ فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه : أعطني فدك فقد جعلها رسول الله ﷺ لي فسألها البيِّنة فجاءت بأُمِّ أيمن ورباح مولى النبيِّ ﷺ فشهد لها بذلك فقال : إنَّ هذا الأمر لا تجوز فيه إلاَّ شهادة رجل وامرأتين[2] .

ثمَّ مِمَّ كان غضب الصدِّيقة الطاهرة سلام الله عليها ؟ وهي التي جاء فيها عن أبيها الأقدس : انَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها[3] أمِن حكم صَدَع به والدها وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى ؟ وحاشاها . أم لأنَّ ذلك الحكم الباتّ رواه عنه صدِّيق أمين يريد بثَّ حكم الشريعة وتنفيذه وهي مصدِّقة له ؟ نحاشي ساحة البضعة الطاهرة بنصِّ آية التطهير عن هذه الخزاية ، فلم يبق إلاَّ شقٌّ ثالثٌ وهو : أنَّها كانت تتهم الراوي ، أو تعتقد خللاً في الرواية ، وتراه حكماً خلاف الكتاب والسنَّة ، وهذا الذي دعاها إلى أن لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لمَّة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنَّت أنَّة أجهش لها القوم بالبكاء ، وارتجَّ المجلس ، ثمَّ مهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، افتتحت

---

(١) راجع الجزء الثاني صفحة ٣٢٣ .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨ .

(٣) راجع ج ٣ ص ٤٠ وسيأتيك في هذا الجزء .

كلامها بالحمد لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه والصَّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم . ثمَّ قالت ما قالت وفيما قالت : أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، أفحكم الجاهليَّة يبغون ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ يابن أبي قحافة ! أترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّاً ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحَكم الله ، والزعيم محمَّد ، والوعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون . ثمَّ انكفأت إلى قبر أبيها صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالت :

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنَّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموت صادفنا	لمّا قضيت وحالت دونك الكثب[١]

وهذا الذي تركها غضباء على مَن خالفها وتدعو عليه بعد كلِّ صلاة حتى لفظت نفسها الأخيرة صلّى الله عليها كما سيوافيك تفصيله .

وهل هذا الحكم مطّردٌ بين الأنبياء جميعاً ؟ أو أنَّه من خاصَّة نبيِّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟ والأول ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالىٰ : ﴿**وورث سليمان داود**﴾[٢] وقوله سبحانه عن زكريّا : ﴿**فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾[٣] .

ومن المعلوم أنّ حقيقة الميراث إنتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه ، فحمل الآية الكريمة على العلم والنبوَّة كما فعله القوم خلاف الظاهر لأنَّ النبوّة والعلم لا يورثان ، والنبوَّة تابعة للمصلحة العامَّة ، مقدَّرة لأهلها من أوَّل يومها عند بارئها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولا مدخل للنسب فيها كما لا أثر للدعاء والمسألة في اختيار الله تعالىٰ أحداً من عباده نبيّاً ، والعلم موقوفٌ على من يتعرَّض له ويتعلّمه .

على أنَّ زكريّا سلام الله عليه إنّما سأل وليّاً من ولده يحجب مواليه «كما هو

---

(١) بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٩٣ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٨ .

(٢) سورة النمل ؛ الآية : ١٦ .

(٣) سورة مريم ؛ الآية : ٦ .

صريح الآية» من بني عمّه وعصبته من الميراث ، وذلك لا يليق إلاَّ بالمال ، ولا معنى لحجب الموالي عن النبوَّة والعلم .

ثمَّ إنَّ إشتراطه عليه السلام في وليِّه الوارث كونه رضيّاً بقوله : ﴿**واجعله ربِّ رضيّاً**﴾ . لا يليق بالنبوَّة ، إذ العصمة والقداسة في النفسيّات والملكات لا تفارق الأنبياء ، فلا محصل عندئذ لمسألته ذلك . نعم يتمُّ هذا في المال ومَن يرثه فإنَّ وارثه قد يكون رضيّاً وقد لا يكون .

وأمّا كون الحكم من خاصَّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالقول به يستلزم تخصيص عموم آي الإرث مثل قوله تعالىٰ : ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظِّ الأُنثيين**﴾[١]، وقوله سبحانه : ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[٢] ، وقوله العزيز : ﴿**إن ترك خيراً الوصيَّة للوالدين والأقربين بالمَعروف**﴾[٣] ولا يسوغ تخصيص الكتاب إلاَّ بدليل ثابت مقطوع عليه لا بالخبر الواحد الذي لم يصحَّ الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته ما ثبت من سيرة الأنبياء الماضين صلوات الله على نبيِّنا وآله وعليهم .

لا بالخبر الواحد الذي لم يخبت إليه صدّيقة الأُمَّة وصدِّيقها الذي ورث علم نبيّها الأقدس ، وعدَّه المولى سبحانه في الكتاب نفساً لنبيِّه صلّى الله عليهما وآلهما .

لا بالخبر الواحد الذي لم يُنبَّأ عنه قطُّ خبيرٌ من الأُمَّة وفي مقدَّمها العترة الطاهرة وقد اختصَّ الحكم بهم وهم الّذين زُحزحوا به عن حكم الكتاب والسنَّة الشريفة ، وحرموا من وراثة أبيهم الطاهر ، وكان حقّاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم بذلك ، ولا يؤخر بيانه عن وقت حاجتهم ، ولا يكتمه في نفسه عن كلِّ أهله وذويه وصاحبته وأُمَّته إلى آخر نَفَس لفظه .

لا بالخبر الواحد الذي جرَّ على الأُمَّة كلَّ هذه المحن والإحن ، وفتح عليها

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١١ .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٧٥ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٠ .

باب العداء المحتدم بمصراعيه ، وأجّج فيها نيران البغضاء والشحناء في قرونها الخالية ، وشقَّ عصا المسلمين من أوَّل يومهم ، وأقلق من بينهم السَّلام والوئام وتوحيد الكلمة . جزى الله محدِّثه عن الأُمَّة خيراً .

ثمَّ إن كان أبو بكر على ثقة من حديثه فلِمَ ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصدِّيقة سلام الله عليها ، بفدك ؟ غير أنَّ عمر بن الخطاب دخل عليه فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها . فقال : ممّا ذا تنفق على المسلمين ، وقد حاربتك العرب كما ترى ؟ ثمَّ أخذ عمر الكتاب فشقَّه . ذكره سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩١ .

وإن كان صحَّ الخبر وكان الخليفة مصدَّقاً فيما جاء به تلكم الآراء المتضاربة بعد الخليفة ؟ وإليك شطراً منها :

١ ـ لمّا ولي عمر بن الخطاب الخلافة ردَّ فدكاً إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان عليٌّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها . فكان عليٌّ يقول : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلها في حياته لفاطمة . وكان العبّاس يأبى ذلك ويقول : هي ملك رسول الله وأنا وارثه . فكانا يتخاصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أنتما أعرف بشأنكما أمّا أنا فقد سلّمتها إليكما .

راجع صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس ج ٥ ص ٣ ـ ١٠ ، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب : حكم الفيء ، الأموال لأبي عبيد ص ١١ ذكر حديث البخاري وبتره ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٩٩ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٣ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٨ ، تاج العروس ج ٧ ص ١٦٦ ،

لفت نظر : نحن لا نناقش فيما نجده من المخازي في أحاديث الباب كأصل التنازع المزعوم بين ،عليّ والعبّاس ، وما جاء في لفظ مسلم في صحيحه من قول العبّاس لعمر : يا أمير المؤمنين ! اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن .

أهكذا كان العبّاس يقذف سيّد العترة الطاهرة المطهّر بهذا السباب المقذع وبين يديه آية التطهير وغيرها ممّا نزل في عليّ أمير المؤمنين في آي الكتاب العزيز ؟ فما العبّاس وما خطره عندئذ ؟ وبماذا يُحكم عليه أخذاً بقول النبيّ الطاهر : من سبَّ علياً فقد سبَّني ، ومن سبَّني فقد سبَّ الله ، ومن سبَّ الله كبّه الله على منخريه في النار(١) .

لاها الله . نحن نحاشي العبّاس عن هذه النسب المخزية ، ونرى القوم راقهم سبُّ مولانا أمير المؤمنين فنحتوا هذه الأحاديث وجعلوها للنيل منه قنطرة ومعذرة والله يعلم ما تكنُّ صدورهم وما يعلنون . وإلى الله المشتكى .

٢ ـ أَقطع مروان بن الحكم فدكاً في أيّام عثمان بن عفان كما في سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠١ وما كان إلّا بأمر من الخليفة .

٣ ـ لمّا ولي معاوية بن أبي سفيان الأمر أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك ، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ فلم يزالوا يتداولونها حتّى خلصت لمروان بن الحكم أيّام خلافته فوهبها لعبد العزيز إبنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز .

٤ ـ ولمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فقال : إنّ فدكاً كانت ممّا أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فسألته إيّاها فاطمة، فقال : ما كان لك أن تسأليني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ، ثمَّ ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثمّ ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان فلمّا ولي الوليد سألته حصّته منها فوهبها لي ، وسألت سليمان حصّته منها فوهبها لي فاستجمعتها ، وما كان لي من مال أحبُّ إليَّ منها ، فاشهدوا أنّي قد رددتها إلى ما كانت عليه .

٥ ـ فكانت فدك بيد أولاد فاطمة مدَّة ولاية عمر بن عبد العزيز فلمّا ولي

---

(١) مر الإيعاز إليه في الجزء الثاني ص ٣٤٧ وسيوافيك تفصيل مصادره إن شاء الله .

يزيد بن عبد الملك قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم .

٦ ـ ولمّا ولي أبو العباس السفّاح ردّها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أمير المؤمنين .

٧ ـ ثمَّ لمّا ولي أبو جعفر المنصور قبضها من بني الحسن .

٨ ـ ثمَّ ردَّها المهدي بن المنصور على ولدِ فاطمة سلام الله عليها .

٩ ـ ثمَّ قبضها موسى بن المهدي وأخوه من أيدي بني فاطمة فلم تزل في أيديهم حتّى ولي المأمون .

١٠ ـ ردّها المأمون على الفاطميِّين سنة ٢١٠ وكتب بذلك إلى قُثم بن جعفر عامله على المدينة :

أمّا بعد : فإنَّ أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله ﷺ والقرابة به ، أولى مَن استنَّ بسنّته ، ونفَّذ أمره ، وسلّم لمن منحه منحةً ، وتصدَّق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه ـ في العمل بما يقرِّبه إليه ـ رغبته ، وقد كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة بنت رسول الله فدكاً ، وتصدَّق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ ، ولم تزل تدَّعي منه ما هو أولى به من صُدِّق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها ، ويسلّمها إليهم تقرُّباً إلى الله تعالىٰ بإقامة حقِّه وعدله ، وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه ، والكتاب إلى عمّاله ، فلئن كان ينادى في كلِّ موسم بعد أن قبض نبيُّه ﷺ أن يذكر كلَّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك ، فيُقبل قوله ، وتنفَّذ عدته ، انَّ فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدَّق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها .

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره بردِّ فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، وما فيها من الرقيق والغلّات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمَّد بن يحيى بن الحسين بن

زيد بن عليٍّ بن الحسين بن علي بن علي بن أبي طالب ، ومحمَّد بن عبدالله بن الحسن بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إيّاهما القيام بها لأهلها .

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وما ألهمه الله من طاعته ، ووفّقه له من التقرّب إليه وإلى رسول الله ﷺ ، وأعلمه مَنْ قِبَلك ، وعامل محمَّد بن يحيى ومحمَّد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلّاتها إن شاء الله ، والسّلام .

وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ٢١٠ هـ .

١١ ـ ولمّا استخلف المتوكّل على الله أمر بردّها إلى ما كانت عليه قبل المأمون .

راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٩ ـ ٤١ ، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٨ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٣٢٣ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٢٠٠ وله هناك تحريف دعته إليه شنشنة أعرفها من أخزم ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٠٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٤ ، جمهرة رسائل العرب ج ٣ ص ٥١٠ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢١١ .

كلُّ هذه تضادُّ ما جاء به الخليفة من خبره الشاذِّ عن الكتاب والسنّة ، فأنّى لابن حجر ومن لفَّ لفَّه أن يعدَّه من الأدلَّة الواضحة على علمه وهذا شأنه ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ .

التمسك بالأفائك :

والعجب العجاب قول ابن حجر في الصواعق ص ٢٠ : لا يُقال بل عليٌّ أعلم من أبي بكر للخبر الآتي في فضائله : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها . لأنّا نقول : سيأتي انَّ ذلك الحديث مطعونٌ فيه ، وعلى تسليم صحَّته أو حسنه فأبو بكر محرابها . ورواية فمن أراد العلم فليأت الباب لا تقتضي الأعلميَّة فقد يكون غير الأعلم يُقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرُّغ للناس بخلاف الأعلم . على أنَّ تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ،

وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعليّ بابها . فهذه صريحةٌ في أنَّ أبا بكر أعلمهم ، وحينئذ فالأمر بقصد الباب إنَّما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قلته لما هو معلومٌ ضرورة أنَّ كلًّا من الأساس والحيطان والسقف أعلى من الباب . اهـ .

قال الأَميني : إنَّ الطعن في حديث أنا مدينة العلم لم يصدر إلَّا من ابن الجوزي ومن يشاكله مِن رماة القول على عواهنه ، وقد عرفت في الجزء السادس ص ٨٣ - ١٠٤ نصوص العلماء على صحَّة الحديث ، واعتبار قوم حسنه ، وتقرير آخرين ما صدر ممَّن تقدَّمهم إلى ذينك الوجهين وتزييف ما ارتآه ابن الجوزي .

وأمّا ما ذكره من رواية الفردوس فلا يختلف اثنان في ضعفها وضعف ما يقاربها في اللفظ ممّا تدرَّج نحته في الأزمنة المتأخرة تجاه ما يثبته هتاف النبيِّ الأعظم من فضيلة العلم الرابية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وابن حجر نفسه من أُولئك الذين زيَّفوه وحكموا عليه بالضعف كما في كتابه الفتاوى الحديثيّة ص ١٩٧ فقال : حديثٌ ضعيفٌ ، ومعاوية حلقتها فهو ضعيف أيضاً . فأذهله لجاجه في حجاجه عن حكمه ذاك ، ورأى ما حكم عليه بالضعف نصّاً في أعلميَّة أبي بكر .

وقال العجلوني في كشف الخفا ج ١ ص ٢٠٤ : روى الديلمي في «الفردوس» بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ؛ وعليٌّ بابها . وروى أيضاً عن أنس مرفوعاً : أنا مدينة العلم ، وعليٌّ بابها ، ومعاوية حلقتها . قال في المقاصد : وبالجملة فكلّها ضعيفةٌ وألفاظ أكثرها ركيكة .

وقال السيِّد محمّد درويش الحُوت في أسنى المطالب ص ٧٣ : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لا سيَّما مثل ابن حجر الهيثمي ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيِّد من مثله . اهـ .

فلم يبق إذن مجالٌ للمناقشة بالتعبير بالباب لمولانا صلوات الله عليه

وبالأساس والحيطان والسقف والحلقة لغيره ، حسب المسكين ناحت هذه المهزأة مدينةً خارجيّة يرمق إليها ، ويتجوّل بين جدرانها ، ويتفيّأ تحت سقفها ، ويدقّ بابها بالحلقة ، وقد عزب عنه أنّه صلى الله عليه وآله وسلم يريد أنّ السبب الوحيد للإستفادة من علوم النبوّة هو خليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، كما أنّ المدخل الوحيد للمدينة بابها ، فهو معنى كنائيّ جيء به لإفادة ما ذكرناه ، والأساس لافضيلة له غير أنّه يقوم عليه سياج المدينة المشاد للوقاية من الغارات والسرقات ، وأمّا معنويّات المدينة فلا صلة لها بشيء من ذلك ، والإستفادة بالسقف على فرض تصويره في المدن ليس إلّا الإستظلال ودفع عائدة الحرّ والقرّ ولذلك لا يسقف إلّا المحال التي يتصوّر فيها ذلك كالبيوت والحمامات والحوانيت والربط وأمثالها . فقاصد المدينة للإستفادة ممّا فيها من علمٍ أو ثروة أو أيٍّ من أقسام النفع معنويّة وماديّة لا يتوصّل بها إلّا بالدخول من الباب ، فهو أهمُّ ممّا جاء به ابن حجر من الأساس والجدار والسقف . وأمّا الحلقة فيُحتاج إليها لفتح الباب وسدّه والدقّ إذا كان مرتجاً غير أنّ باب علم النبوّة غير موصود ، ولا يزال مفتوحاً على البشر بمصراعيه أبد الدهر .

ثمّ إنّ من الواضح أنّ المراد من التعبير بالباب ليس الولوج والخروج فحسب وإنّما هو الإستفادة والأخذ ، ولا يتمّ هذا إلّا أن يكون عنده كلُّ علم النبوّة الذي أراد صلى الله عليه وآله وسلم سوق الأُمّة إليه ، وَحصر الطريق إلى ذلك بمن عبّر عنه بالباب تأكيداً للحصر ثمّ زاد في التأكيد بقوله : فمن أراد المدينة فليأت الباب .

فعليٌّ أمير المؤمنين هو الباب المبتلى به الناس ، ومَن عنده كلُّ علم النبوّة وكلُّ ما يحتاج إليه البشر من فقه أو عظة أو خلق أو حُكم أو حِكم أو سياسة أو حزم أو عزم ، فهو أعلم الناس لا محالة ، وأمّا زيادة الإيضاح والبيان والتفرُّغ للناس ، فلا يجوز أن تنفكّ عمّن سيق إليه البشر لغاية التفهُّم ، وإزاحة الجهل ، لا لمحض البيان وجودة السرد ، لأنّ وضوح البيان بمجرّده غير واف للغرض ، لارتباك صاحبه عند الجهل بما يقدِّم إليه من المعضلات ، كارتباك الأعلم عند التفهيم إذا أعوزه البيان عن الإفهام ، فمن الواجب أن يجتمعا في إنسان واحد الذي هو مرجع الأُمّة جمعاء ، وهو قضيّة اللطف الواجب عليه سبحانه ، فذلك

الإنسان هو عِدل الكتاب العزيز وهما الثقلان خليفتا النبيِّ الأقدس لا يتفرّقا حتّى يردا عليه الحوض ، ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[١] .

٢ ـ شجاعة الخليفة

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهدٌ يدلُّ على فروسيَّته ، كما أنَّه لم نجد له في مغازي النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة ، أو وقفة تخلّد له الذكر في التاريخ ، أو خطوة قصيرة في ميادين تلك الحروب الدامية تُعرب عن شيء من هذا الجانب الهامّ غير ما كان في واقعة خيبر من فراره عن مناضلة مرحب اليهودي كصاحبه عمر بن الخطاب ، قال عليٌّ وابن عبّاس : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فرجع منهزماً ومن معه ، فلمّا كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يُجبن أصحابَه ويُجبنه أصحابُه .

أخرجه الطبراني والبزّار كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ ورجال إسناد البزّار رجال الصحيح غير محمَّد بن عبد الرَّحمٰن ومحلّه الصِّدق ، وذكر انهزام الرجلين يوم خيبر القاضي عضد الإيجي في المواقف وأقرَّه شرّاحه كما في شرحه ج ٣ ص ٢٧٦ ، وذكره القاضي البيضاوي في طوالع الأنوار كما في المطالع ص ٤٨٣ .

ويُعرب عن فرارهما يوم ذاك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فرّا : لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرّار . وفي لفظ : كرّار غير فرّار . وفي لفظ : والذي كرّم وجه محمَّد لأعطينّها رجلاً لا يفرّ ، وفي لفظ : لأدفعنَّ إلى رجل لن يرجع حتّى يفتح الله له . وفي لفظ : لا يولي الدبر[٢] .

---

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٩١ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٤ ، طبقات ابن سعد ص ٦١٨ ، ٦٣٠ رقم التسلسل ط مصر ، مسند أحمد ج ١ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، خصائص النسائي ص ٤ ـ ٨ ، سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٨٦ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٩ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ٦٢ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١ ، الإمتاع للمقريزي =

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي فيما يعزى إليه من القصيدة العلويّة :

وما أنسَ لا أنس اللّذين تقدّما ... وفرَّهما والفرُّ قد علما حوبُ[1]

وللراية العظمى وقد ذهبا بها ... ملابسُ ذلّ فوقها وجلابيب

يشلُّهما من آل موسى شمردلٌ ... طويل نجاد السيف أجيد يعبوب[2]

يمجُّ مَنوناً سيفه وسِنانه ... ويلهب ناراً غِمده والأنابيبُ

أحضرُ هما أم حضرُ أخرج خاضبٍ ... وذان هما أم ناعم الخدّ مخضوب[3]

عذرتكما إنَّ الحمام لمبغضٌ ... وإنَّ بقاء النفس للنفس محبوب

ليكره طعم الموت والموت طالب ... فكيفَ يلذُّ الموت والموت مطلوب

وممّا ينبئنا عن هذا الجانب حديث كعِّ الخليفة عن ذي الثدية لمّا أمره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقتله وهو في صلاته غير شاك السلاح ، فرأى مخالفة الأمر النبويِّ أهون من قتل الرجل ، فآب إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم معتذراً بما سيوافيك تفصيله إن شاء الله ،

نعم يراه ابن حزم في كتاب «المفاضلة بين الصحابة» ومن لفَّ لفَّه أشجع الصحابة على الإطلاق ونحتوا له حديثاً على أمير المؤمنين أنَّه قال : أخبروني من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت ، قال : أما إني ما بارزت أحداً إلَّا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس ؟ قالوا :لا نعلم : فمن ؟ قال : أبو بكر ، إنّه لمّا كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلّا يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلَّا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس

= ص ٣١٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ١٨٥ - ١٨٧ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٢٧ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٨ . وهناك مصادر كثيرة تأتي في محلها إن شاء الله تعالىٰ .

(١) الحوب : الإثم .

(٢) شمردل مرّ في ص ٦٨ ، يريد من طول النجاد طول القامة . الأجيد : الطويل الجيد وهو العنق . اليعبوب : الفرس الكثير الجري . أطلق على مرحب هذه اللفظة لشدته وسرعة حركته .

(٣) الحضر : العدو . الاخرج : ذكر النعام الذي فيه بياض وسواد . الخاضب : الذي أكل الربيع فاحمرّ طنبوباه أو اصفر . ناعم الخد مخضوب : كناية عن المرأة . يعني : هما رجلان أم امرأتان في ضعفهما ورقّة قلبيهما ؟ ! .

رسول الله لا يهوي إليه أحدٌ إلاّ هوى إليه ، فهو أشجع الناس . الحديث[١] .

ليت القوم لم يحذفوا سند هذه الأثارة المفتعلة وكانوا يروونها بالإسناد حتّى نعرّف الملأ العلمي بالذي اختلقها ، وحسبنا أنَّ الحافظ الهيثمي ذكرها بلا إسناد في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٦١ وضعَّفه وقال : فيه من لم أعرفه .

وتكذِّبها صحيحة ابن إسحاق قال : كان رسول الله ﷺ «يوم بدر» في العريش وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشّح بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرَّة العدوِّ[٢] .

ثمَّ إنَّ حراسة النبيِّ ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر ولا بأبي بكر بل في كلِّ موقف من مواقفه ﷺ كان يتعهد أحدٌ من الصحابة بحراسته ، فكانت الحراسة لسعد بن معاذ ليلة بدر وفي يومه لأبي بكر على ما ذكره الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٥٣ ، ولمحمَّد بن مسلمة يوم أُحد ، وللزبير بن العوّام يوم الخندق ، وللمغيرة بن شعبة يوم الحديبيَّة ، ولأبي أيوب الأنصاري ليلة بنى بصفيّة ببعض طرق خيبر ، ولبلال وسعد بن أبي وقّاص وذكوان بن عبد قيس بوادي القرى ، ولابن أبي مرثد الغنوي ليلة وقعة حنين[٣] .

وكانت هذه السيرة في الحراسة مستمرَّة إلى أن نزل قوله تعالىٰ في حجَّة الوداع ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ . فترك الحرس[٤] فأبو بكر رديف أُولئك الحرسة بعد تسليم ما جاء في حراسته .

ولو صدق النبأ وكانت يوم بدر لأبي بكر تلك الأهميَّة الكبرى لكان هو أولى

---

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ٩٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥ .

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨٣ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٤) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣١٣ ، تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٤٤ ، تفسير ابن جزي الكلبي ج ١ ص ١٧٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٨ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٢٦ عن الترمذي والحاكم والبيهقي وأبي نعيم .

وأحقّ بنزول القرآن فيه يوم ذاك دون عليّ وحمزة وعُبيدة لمّا نزل فيهم ذلك اليوم : ﴿**هذان خصمان إختصموا في ربِّهم**﴾[(١)][(٢)] .

ولو صحّت المزعمة لما خُصَّ عليٌّ وحمزة وعُبيدة بقوله تعالىٰ : ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾[(٣)][(٤)] .

ولَما نزل في عليّ أمير المؤمنين قوله تعالىٰ : ﴿**هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين**﴾[(٥)] . ولَما ورد فيها عن النبيِّ الأعظم ممّا أسلفناه بالجزء الثاني ص ٦٤ - ٦٩ .

ولَما خَصَّ لمولانا عليٍّ قوله : ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾[(٦)] ، كما ذكره القرطبي في تفسيره ج ٣ ص ٢١ وفصَّلنا القول فيه في الجزء الثاني ص ٦٥ - ٦٧

وكان حقّاً على رضوان منادي الله يوم بدر بقوله :

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

أن ينوِّه باسم أبي بكر وبسيفه المشهور على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ هل تنحصر مغازي النبيِّ الأعظم وحروبه الدامية ببدر ؟ وهل العريش كان في بدر فحسب دون سائر الغزوات ؟ وهل سيِّد العريش النبيُّ الأعظم كان يلازم عريشه ولم يحضر قطُّ في ميادين القتال ؟ أو كان ينزل بالمعارك ويستخلف صاحبه على العريش[(٧)] ؟ .

---

(١) سورة الحج ؛ الآية : ١٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٩٨ كتاب التفسير ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠ ، طبقات ابن سعد ص ٥١٨ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٨٦ وصححه هو والذهبي ، تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٢٥ ، ٢٦ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٢ ، تفسير ابن جزي ج ٣ ص ٣٨ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٣ .

(٤) راجع ما مرّ في الجزء الثاني ص ٧٠

(٥) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٢ .

(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

(٧) راجع ما أسلفناه في الجزء الثاني صفحة ٧٨ - ٨٠

ما أعوز النبيَّ الأعظم يوم خيبر مجاهدٌ كرّارٌ غير فرّار لا يولّي الدبر ، وكان معه الخليفة الأشجع ؟ أكان فرّاراً غير كرّار ؟ ومَن المعنيّ في قول المؤرخين من أنَّ النبيَّ ﷺ دفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً[1] ؟ أهذا الرجل وصاحبه نكرتان لا يُعرفان ؟ لاها الله .

وأين كان الأشجع ؟ يوم خرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في موقفه ، فاشتدَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمسى مهموماً[2] .

ولماذا بعث صلى الله عليه وآله وسلم يوم ذاك ـ وكان الأشجع معه ـ سلمة بن الأكوع إلى عليّ ؟ وكان قد تخلّف بالمدينة لرمد عينيه ، وكان لا يبصر موضع قدمه فذهب إليه سلمة وأخذ بيده يقوده[3] ومَلأ المسامع قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأُعطينَّ الراية إلى رجل كرّار غير فرّار .

أكان الأشجع في العريش يوم خيبر؟ لمّا قاتل المصطفى بنفسه يوم ذاك أشدَّ القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر ، وهو على فرس يُقال له : الظرب[4] وفي يده قناة وترس كما في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ .

أكان الأشجع في العريش يوم أُحد يوم بلاء وتمحيص ؟ حتى خلص العدوُّ إلى رسول الله فدُثَّ بالحجارة حتَّى وقع لشقّه فأُصيبت رباعيته ، وشجَّ في وجهه ، وكلمت شفته ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم[5] .

---

(١) الإمتاع للمقريزي ص ٣١٣ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩ .
(٢) الإمتاع للمقريزي ص ٣١٤ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩ .
(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٢ ، سنن البيهقي ج ٩ ص ١٣١ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٦ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٤١ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٢٣ .
(٤) من أشهر خيله صلى الله عليه وآله وسلم وأعرفها ، سُمّي بذلك لكبره أو لسمنه أو لقوّته وصلابته تشبيهاً له بالجبل .
قالوا : أهداه له صلى الله عليه وآله وسلم فروة بن عمرو الجذامي . أو : ربيعة بن أبي البراء . أو : جنادة بن المعلى .
(٥) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧ ، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٤٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ =

أكان الأشجع في العريش ؟ يوم قال فيه عليٌّ : لمّا تخلّى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى ، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا ، فرفع نبيّه ، فما فيَّ خيرٌ من أن أقاتل حتى أُقتل ، فكسرت جفن سيفي ثمّ حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا برسول الله بينهم ، وقد أصابت عليّاً يوم ذاك ست عشرة ضربة كلُّ ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلّا جبريل .

[اسد الغابة ج ٤ ص ٢٠]

أكان الأشجع في العريش يوم وقع رسول الله في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ؟ فأخذ عليُّ بن أبي طالب بيده ﷺ واحتضنه ورفعه طلحة حتّى استوى قائماً[١] .

أكان الأشجع في العريش يوم رُئي رسول الله في ميدان النزال وهو لابسٌ درعين : درعه ذات الفضول ودرعه فضة ، أو يوم حنين وله درعان : درعه ذات الفضول والسعديّة .

[شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٤]

أكان الأشجع في العريش يوم ضُرب وجه النبيِّ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرّها كلها ؟ .

[المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٤]

أكان الأشجع في العريش يوم بايع رسول الله على الموت ثمانية ؟ هم : عليٌّ ، والزبير ، وطلحة ، وأبو دجانة ، والحارث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، ورسول الله يدعوهم في اخراهم .

[الإمتاع للمقريزي ص ١٣٢]

أكان الأشجع في العريش يوم كان عليٌّ يذبُّ عن رسول الله من ناحية ، وأبو

= ص ٢٣ ، ٢٩ ، إمتاع المقريزي ص ١٣٥ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٣٧ .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧ ، الإمتاع للمقريزي ص ١٣٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٢٤ ، عيون الأثر ج ٢ ص ١٢ .

دجانة مالك بن خرشة من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص يذبُّ طائفة ، والحباب بن المنذر يحوش المشركين كما تُحاش الغنم ؟ .

[الإمتاع للمقريزي ص ١٤٣]

أكان الأشجع في العريش يوم حمي الوطيس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت راية الأنصار ؟ وأرسل إلى عليّ أن قدِّم فقدّم عليٌّ وهو يقول : أنا أبو القصم[١] .

أكان الأشجع في العريش يوم انتهى رسول الله إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة فوالله صدقني اليوم ! يوم ملأ عليٌّ درقته ماءً من المهراس فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليشرب منه ، وغسل عن وجهه الدَّم وصبَّ على رأسه ، وأخذت فاطمة (سلام الله عليها) قطعة حصير فأحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم[٢] .

أكان الأشجع في العريش لمّا ملأ الفضاء نداء جبرائيل :

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا عليّ

أكان الأشجع في العريش يوم نظم حسّان بن ثابت .

جبريل نادى معلناً والنقع ليس بمنجلي
والمسلمون قد أحدقوا حول النبيِّ المرسل
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ[٣]

أكان الأشجع في العريش يوم حمراء الأسد ؟ وقد خرج صلى الله عليه وآله وسلم وهو مجروحٌ في وجهه ، مشجوجٌ في جبهته ، ورباعيته قد شظيت ، وشفته السفلى قد كلمت

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٣١ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٩٠ رقم التسلسل ٢٥٢ ، سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٤ ، ٥١ ، الإمتاع ص ١٣٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٣٥ ، عيون الأثر ج ٢ ص ١٥ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٥ ، شرح الزرقاني ج ٢ ص ٥٦ .
(٣) راجع ما مرّ في الجزء الثاني صفحة ٧٨ - ٨٠

في باطنها ، وهو متوهّن منكبه الأيمن من ضربة ابن قميئة ، وركبتاه مجحوشتان .
[طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٥٣]

أكان الأشجع في العريش يوم حُنين ؟ لمّا حمي الوطيس وفرَّ الناس عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبق معه إلاّ أربعة : ثلاثةٌ من بني هاشم ورجلٌ من غيرهم : عليّ ابن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان ، وابن مسعود من جانبه الأيسر ، ولا يقبل أحدٌ من المشركين إلى جهته صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ قتل .
[السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣]

أكان الأشجع في العريش يوم الأحزاب ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينقل مع صحبه من تراب الخندق وقد وارى التراب بياض بطنه ويقول :

لا همَّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينةً علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إنَّ الأولي قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أُبينا

[طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٧٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٩٦]

أكان الأشجع في العريش يوم قال صلى الله عليه وآله وسلم : لضربة عليّ خيرٌ من عبادة الثقلين وفي لفظ : قتل عليّ لعمرو أفضل من عبادة الثقلين . وفي لفظ : لَمبارزة عليّ لعمرو بن ودّ أفضل من أعمال أُمّتي إلى يوم القيامة(١) ؟ .

نعم . للرجل موقفٌ يوم أُحد لمّا طلع يومئذ عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر (وكان من المشركين) فقال : من يبارز وارتجز يقول :

لم يبق إلاَّ شكّة ويعبوب ... وصارم يقتل ضلاّل الشيب

فنهض إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول : أنا ذلك الأشيب ثمَّ ارتجز فقال :

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ ، المواقف للقاضي الإيجي ج ٣ ص ٢٧٦ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨ ، السيرة الحلبيَّة ج ٢ ص ٣٤٩ وهناك كلمة رداً على ابن تيمية في ردّه على هذا الحديث ، هداية المرتاب في فضائل الأصحاب ص ١٤٨ .

لم يبق إلاَّ حسبي وديني   وصارمٌ تقضي به يميني

فقال له عبد الرّحمٰن : لولا أنّك أبي لم أنصرف .

[الإمتاع ص ١٤٤]

حجاج بالعريش :

قال المحاملي : كنت عند أبي الحسن بن عبدون وهو يكتب لبدر ، وعنده جمع فيهم أبو بكر الداودي وأحمد بن خالد المادرائي ـ فذكر قصَّة مناظرته مع الداودي في التفضيل إلى أن قال ـ : فقال الداودي : والله ما نقدر نذكر مقامات عليّ مع هذه العامَّة . قلت : أنا والله أعرفها : مقامه ببدر ، وأُحد ، والخندق ، ويوم حُنين ، ويوم خيبر . قال : فإن عرفتها ينفعني أن تقدّمه على أبي بكر وعمر ، قلت : قد عرفتها ومنه قدَّمت أبا بكر وعمر عليه . قال : مِن أين ؟ قلت : أبو بكر كان مع النبي ﷺ على العريش يوم بدر مقامه مقام الرئيس ، والرئيس ينهزم به الجيش ، وعليٌّ مقامه مقام مبارز ، والمبارز لا ينهزم به الجيش .

ذكره الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٢١ ، وابن الجوزي في المنتظم ج ٦ ص ٣٢٧ ، وأحسب أنَّ مبتدع هذه الباكورة ، ومؤسِّس فكرة العريش والإستدلال بها في التفضيل هو الجاحظ قال في خلاصة كتاب العثمانيَّة ص ١٠ : والحجَّة العظمى للقائلين بتفضيل عليّ قتله الأقران وخوضه الحروب ، وليس له في ذلك كبير فضيلة ، لأنَّ كثرة القتل والمشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل وكان دليلاً على الرياسة والتقدُّم ، لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة ومحمّد بن مسلمة وابن عفراء والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ ! لأنّه لم يقتل إلاَّ رجلاً واحداً ولم يحضر الحرب يوم بدر ولا خالط الصفوف ، وإنَّما كان معتزلاً عنهم في العريش ومعه أبو بكر . وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران ، ويجندل الأبطال ، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز وهو الرئيس ، أو ذو الرأي والمستشار في الحرب ، لأنَّ للرؤساء من الإكتراث والإهتمام وشغل البال والعناية والتفقُّد ما ليس لغيرهم ، ولأنَّ الرئيس هو المخصوص بالمطالبة وعليه مدار الأُمور ، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر ، وباسمه ينهزم

العدوُّ ، ولو لم يكن له إلاّ أنَّ الجيش لو ثبت وفرَّ هو لم يغن ثبوت الجيش كلّه وكانت الدبرة عليه ، ولو ضيع القوم جميعاً وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له ، ولهذا لا يُضاف النصر والهزيمة إلاّ إليه . ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد عليّ ذلك اليوم وقتله أبطال قريش . اهـ .

قال الأميني : نحن لا نبس في الجواب عن هذه الأساطير المشمرجة ببنت شفة ، وإنّما نقتصر فيه بما أجاب به عنها أبو جعفر الإسكافي المعتزلي البغدادي المتوفّى سنة ٢٤٠ قال في الردِّ عليها(١) :

لقد أُعطي أبو عثمان مقولاً وحرم معقولاً ، إن كان يقول هذا على اعتقاد وجدّ ، ولم يذهب به مذهب اللعب واللهو ، أو على طريق التفاصح والتشادق وإظهار القوَّة والسلاطة وذلاقة اللسان وحدَّة الخاطر والقوَّة على جدال الخصوم . ألم يعلم أبو عثمان أنَّ رسول الله ﷺ كان أشجع البشر وأنّه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب ، وبلغت القلوب الحناجر ؟ فمنها يوم أُحد ووقوفه بعدأن فرَّ المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلاّ أربعة : عليٌّ . والزبير . وطلحة . وأبو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت سِية قوسه ، وانقطع وتره ، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر ، فقال : أوتر ما بلغ . قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحقِّ لقد أوترت حتّى بلغ وطويت منه شبراً على سِية القوس ، ثمَّ أخذها فما زال يرميهم حتّى نظرت إلى قوسه قد تحطَّمت ، وبارز أُبيّ بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليه بعضنا ؟ فأبى وتناول الحربة من الحارث بن السمت ثمَّ انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير قالوا : فتطايرنا عنه تطاير الشعارين فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور ، ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلاّ قوله : ﴿**إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أُخراكم**﴾ فكونه ﷺ في أُخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليلٌ على أنَّه ثبت ولم يفرّ . وثبت يوم حُنين في تسعة من أهله ورهطه الأدنين ، وقد فرَّ المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به ، العبّاس آخذٌ بحكمة

---

(١) رسائل الجاحظ ص ٥٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٥ .

بغلته ، وعليٌّ بين يديه مصلتٌ سيفه ، والباقون حول بغلته يُمنةً ويُسرةً ، وقد انهزم المهاجرون والأنصار ، وكلّما فرّوا أقدم هو ﷺ وصمّم مستقدماً يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره ، ثمَّ أخذ كفّاً من البطحاء وحصب المشركين وقال : شاهت الوجوه . والخبر المشهور عن عليّ وهو أشجع البشر : كنّا إذا اشتدَّ البأس وحمي الوطيس إتَّقينا برسول الله ﷺ ولذنا به . فكيف يقول الجاحظ : إنّه ما خاض الحروب ولا خالط الصفوف ؟ وأيّ فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله ﷺ إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ثمَّ أيّ مناسبة بين أبي بكر ورسول الله في هذا المعنى ؟ ليقيسه وينسبه إلى رسول الله صاحب الجيش والدعوة ورئيس الإسلام والملّة ، والملحوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإيماء والإشارة ، وهو الذي أحنق قريشاً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ، ثمَّ وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم ، وحقٌّ لمثله إذا تنحّى عن الحرب واعتزلها أن يتنحّى ويعتزل ، لأنَّ ذلك شأن الملوك والرؤساء إذ كان الجيش منوطاً بهم وببقائهم ، فمتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه ، وإن عطب جيشه بأن يستجدَّ جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه ، وخطّأوا الإسكندر لمّا بارز فور ملك الهند ونسبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم ، فليقل لنا الجاحظ : أيّ مدخل لأبي بكر في هذا المعنى ؟ ومَن الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل ؟ وهل هو إلاّ واحدٌ من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرّحمٰن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ؟ بل كان عثمان أكثر منه صيتاً ، وأشرف منه مركباً ، والعيون إليه طمح ، والعدوُّ عليه أحنق وأكلب . ولو قُتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثِّر قتله في الإسلام ضعفاً ؟ أو يحدث وهناً ؟ أو يخاف على الملّة لو قُتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتُعفى آثارها وتنطمس منارها ؟ ليقول الجاحظ : إنَّ أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحروب وإعتزالها . نعوذ بالله من الخذلان . وقد علم العقلاء كلّهم ممَّن له بالسير معرفة وبالآثار والأخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت ، وحاله عليه الصَّلاة والسّلام فيها كيف كان ، ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب ، وجلوسه في العريش يوم جلس ،

وأنَّ وقوفه ﷺ وقـوف رئاسـةٍ وتدبيـر ، ووقوف ظهـرٍ وسند ، يتعـرَّف أُمور أصحـابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتخلّفه عن التقدُّم في أوائلهم ، لأنَّهم متى علمـوا أنَّه في أُخـراهـم إطمـأنَّت قلوبهم ولم تتعلّق بـأمـره نفـوسهم ، فيشتغلوا بالإهتمام به عن عدوهم ، ولا يكـون لهم فئة يلجـأون إليها وظهـراً يرجعـون إليه ، ويعلمون أنَّه متى كان خلفهم تفقَّد أُمورهم وعلم مواقفهم وآوى كلَّ إنسان مكانه في الحماية والنكـاية وعنـد النازلـة في الكرِّ والحملة ، فكـان وقوفـه حيث وقف أصلح لأمـرهـم ، وأحمى وأحـرس لبيضتهم ، ولأنَّـه المـطلوب من بينهم ، إذ هـو مـدبِّـر أُمورهم ووالي جماعتهم ، ألا تـرون أنَّ موقف صـاحب اللواء موقف شـريف ؟ وأنَّ صلاح الحرب في وقوفه ، وأنَّ فضيلتـه في ترك التقـدُّم في أكثر حـالاته ، فللرئيس حالات : الأُولى : حالة يتخلّف ويقف آخراً ليكون سنداً وقوَّة ورداءً وعُدَّة ، وليتـولّى تدبير الحرب ويعرف مواضع الخلل . والحالة الثانية : يتقـدَّم فيها في وسط الصفِّ ليقوي الضعيف ويُشجِّع الناكس : وحالة ثالثة : وهي إذا اصطدم الفيلقان ، وتكافح السيفـان ، إعتمد مـا يقتضيه الحـال من الـوقـوف حيث يستصلح ، أو من مبـاشـرة الحرب بنفسه فإنَّها آخر المنازل وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد ، وفسالة الجبان المموَّه . فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ﷺ ؟ وأين منزلـة أبي بكـر ليُسـوَّى بين المنـزلتين ، ويناسب بين الحـالتين ؟ ولو كـان أبو بكـر شريكـاً لرسـول الله في الرسالة وممنوحـاً من الله بفضيلة النبوَّة ، وكـانت قريش والعـرب تطلبـه كما تـطلب محمَّداً ﷺ ؟ لكان للجاحظ أن يقول ذلك ، فأمّا وحاله حاله وهو أضعف المسلمين جناناً وأَقلّهم عنـد العرب تِـرةً لم يرمِ قَطّ بسهمٍ ، ولا سـلَّ سيفاً ، ولا أراق دمـاً ، وهو أحد الأتبـاع غير مشهـور ولا معروف ولا طـالب ولا مطلوب ، فكيف يجـوز أن يجعل مَقامه ومنزلته مقام رسول الله ﷺ ومنزلته ؟ ولقد خـرج ابنه عبـد الرَّحمٰن مـع المشركين يوم أُحد فرآه أبو بكر فقام مغيظاً عليه فسلَّ من السيف مقدار إصبع يـروم البروز إليه فقال له رسـول الله ﷺ : يا أبـا بكر ! شِم سيفـك وأمتعنا بنفسـك . ولم يقل له (وأمتعنا بنفسك) إلاَّ لعلمه بأنَّه ليس أهلاً للحرب وملاقاة الرجال وأنَّه لـو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحروب ولقاء الأقـران وقتل أبـطال

الشرك ؟ وهل قامت عمد الإسلام إلاّ على ذلك ؟ وهل ثبت الدين واستقرَّ إلاّ بذلك ؟ أتراه لم يسمع قول الله تعالى : **﴿إنَّ الله يحبُّ الذين يُقاتلون في سبيله صفّاً كأنَّهم بنيانٌ مرصوص﴾** ؟ والمحبَّة من الله تعالىٰ هي إرادة الثواب ، فكلُّ من كان أشد ثبوتاً في هذا الصفِّ وأعظم قتالاً كان أحبَّ إلى الله ، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً ، فعليّ عليه السلام إذاً هو أحبّ المسلمين إلى الله لأنَّه أثبتهم قدماً في الصفِّ المرصوص ، لم يفرّ قطُّ بإجماع الأُمَّة ، ولا بارزه قِرنٌ إلاّ قتله ، أو تراه لم يسمع قول الله تعالى : **﴿وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾** ؟ وقوله : **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾** ثمَّ قال سبحانه : مؤكّداً لهذا البيع والشراء **﴿ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الَّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾** وقال الله تعالىٰ : **﴿ذلك بأنَّهم لا يصيبهم ظَمَأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلاً إلاّ كُتب لهم به عملٌ صالح﴾** فمواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض ، فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنَّة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدَّة نكايته فيهم ممَّن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك مَن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلاّ أنَّه بحيث تناله السهام والنبل أعظم عناءً وأفضل ممَّن وقف حيث لا يناله ذلك ، ولو كان الضعيف والجبان يستحقَّان الرئاسة بقلّة بسط الكفّ وترك الحرب وإنَّ ذلك يشاكل فعل النبيِّ ﷺ ، لكان أوفر الناس حظّاً في الرئاسة وأشدّهم لها استحقاقاً حسّان بن ثابت ، وإن بطل فضل عليّ في الجهاد لأنَّ النبيّ ﷺ كان أقلّهم قتالاً ـ كما زعم الجاحظ ـ ليبطلنَّ على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأنَّ رسول الله ﷺ كان أقلّهم مالاً ، وأنت إذا تأمَّلت أمر العرب وقريش ونظرت السير وقرأت الأخبار عرفت أنها تطلب محمَّداً ﷺ وتقصد قصده وتروم قتله ، فإن أعجزها وفاتها طلبت عليّاً وأرادت قتله ، لأنَّه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدّهم عنه دفعاً ، وإنَّهم متى قصدوا عليّاً فقتلوه أضعفوا أمر محمَّد ﷺ وكسروا شوكته ، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوَّة والشجاعة والنجدة والإقدام

والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر ، وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة فأخرج إليهم الرَّسول نفراً من الأنصار فاستنسبوهم فانتسبوا لهم فقالوا : إرجعوا إلى قومكم ، ثمَّ نادوا : يا محمَّد ! أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال النبيُّ ﷺ لأهله الأدنين : قوموا يا بني هاشم ! فانصروا حقَّكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء ، قم يا عليّ ! قم يا حمزة ! قم يا عبيدة ! ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أُحد لأنَّه اشترك هو وحمزة في قتل أبيهايوم بدر ؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها :

ما كان لِي من عُتبة من صبر	أبي وعمِّي وَشقيق صَدري
أخي الذي كان كضوءِ البَدرِ	بهم كَسرتَ يا عليّ ! ظهري

وذلك لأنَّه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة ، وأمّا عمّها شيبة فإنَّ حمزة تفرَّد بقتله . وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم أُحد : إن قتلت محمَّداً فأنت حرٌّ ، وإن قتلت عليّاً فأنت حرّ ، وإن قتلت حمزة فأنت حرٌّ ، فقال: أمّا محمَّد فسيمنعه أصحابه ، وأما عليٌّ فرجل حذِر كثير الإلتفات في الحرب ، ولكنّي سأقتل حمزة . فقعد له وزرقه بالحربة فقتله .

ولما قلنامن مقاربة حال عليّ في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ ومناسبتها إيّاه ما وجدناه في السيرة والأخبار من إشفاق رسول الله ﷺ وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة ، قال رسول الله ﷺ يوم الخندق وقد برز عليٌّ إلى عمرو ورفع يديه إلى السَّماء بمحضر من أصحابه : اللهُمَّ إنَّك أخذت منّي حمزة يوم أُحد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليومَ عليَّ عليّاً ، ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين . ولذلك ضنَّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً في كلّها يحجمون ويقدم عليٌّ فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله ﷺ : إنَّه عمرو فقال : وأنا عليّ . فأدناه وقبَّله وعمَّمه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودِّع له ، القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه . ثمَّ لم يزل ﷺ رافعاً يده إلى السَّماء مستقبلاً لها بوجهه والمسلمون صموت حوله كأنَّما على رؤوسهم الطير حتّى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أنَّ عليّاً قتل عمراً . فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال

حذيفة بن اليمان : لو قسِّمت فضيلة عليّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم . وقال ابن عبّاس : في قوله تعالى : ﴿**وكفى الله المؤمنين القتال**﴾ : قال : بعليٍّ بن أبي طالب . اهـ .

الغريق يتشبّث بكلّ حشيش :

أعيت القوم شجاعة الخليفة ، وأضلّتهم عن المذاهب ، وجعلتهم في الرونة ، وأركبتهم على الزحلوقة تسفُّ بهم تارةً وتُعليهم أُخرىٰ ، فلم يجدوا مهيعاً يوصلهم إلى ما يرومون من إثباتها له مهما وجدوا غضون التاريخ خاليةً عن كلِّ عين وأثر يسعهم الركون إليه في الحجاج لها ، فتشبَّثوا بالتفلسف فيها فهذا يبني فلسفة العريش ، والآخر ينسج نسج العناكيب ويعدُّ ثباته في موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدم تضعضعه في تلك الهائلة دليلاً على كمال شجاعته ، قال القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ٢٢٢ في سورة آل عمران الآية ١٤٤ عند قوله تعالىٰ : ﴿**وما محمّدٌ إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ، ومَن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً**﴾ : هذه الآية أدلُّ دليل على شجاعة الصديق وجرأته فإنَّ الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبيِّ ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه وقال الناس : لم يمت رسول الله ﷺ منهم عمر ، وخرس عثمان ، واستخفى عليٌّ ، واضطرب الأمر فكشفه الصدِّيق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُنح[1] .

وهذا الإستدلال أقرَّه الحلبي في سيرته ج ٣ ص ٣٥ وقال : لمَّا توفّي رسول الله ﷺ طاشت العقول فمنهم مَن خبَل ، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى ، وكان عمر رضي الله عنه ممَّن خبل ، وكان عثمان رضي الله عنه ممَّن أخرس ، فكان لا يستطيع أن يتكلّم ، وكان عليٌّ رضي الله عنه ممَّن أقعد فلم يستطع أن يتحرَّك ، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمداً ، وكان أثبتهم : أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ـ إلى أن قال ـ : قال

---

(١) بضم أوله وسكون النون وقد تضم : موضع خارج المدينة بينها وبين منزل النبي ميل .

القرطبي : وهذا أدلُّ دليل على كمال شجاعة الصديق . الخ .

قال الأميني : يوهم القرطبي أنَّ في كتاب الله العزيز ما يدلُّ على شجاعة الخليفة وعلمه ، وليس فيما جاء به أكثر من أنَّه استدلَّ بالآية الشريفة يوم ذاك على موت رسول الله ﷺ فأيُّ صلة بها إلى شجاعة الرجل ؟ ! وأيُّ قسمٍ فيها من أنحاء الدلالة الثلاثة فضلاً عن أن تكون أدلَّ دليل ؟ فإن يكن هناك شيءٌ من الدلالة - وأين وأنّى فهو في ثبات جأشه وتمسُّكه بالآية الكريمة لا في الآية نفسها .

ثمَّ كيف خفي على الرجل وعلى من تبعه الفرق بين ملكتي الشجاعة والقسوة؟ وإنَّ هذا النسج الذي هو أوهن من بيت العنكبوت إنَّما نسجته يد السياسة لدفع مشكلات هناك ، فخبَّلوا عمر بن الخطاب «وحاشاه الخبل» تصحيحاً لإنكاره موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنَّه كان من ذلك القلق كما مرَّ في ص ٢١٠ ، وأقعدوا عليّاً لإيهام العذر في تخلّفه عن البيعة ، وأخرسوا عثمان لأنَّه لم ينبس في ذلك الموقف ببنت شفة .

على أنَّ ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من رسول الله ﷺ أيضاً إذ لم يُروَ عن أبي بكر في رزيَّة النبيِّ الأعظم أكثر من أنَّه كشف عن وجه النبيِّ وقبَّله وهو يبكي وقال : طبت حيّاً وميّتاً[1] وقد فعل صلى الله عليه وآله وسلم أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن مظعون فإنَّه صلى الله عليه وآله وسلم إنكبَّ عليه ثلاث مرّات مرَّةً بعد أُخرىٰ وقبَّله باكياً عليه وعيناه تذرفان والدموع تسيل على وجنتيه وله شهيقٌ[2] وشتّان بين عثمان بن مظعون وبين سيِّد البشر روح الخليقة وعلّة العوالم كلّها ، وشتّان بين المصيبتين .

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطاب أشجع من النبيِّ الأقدس لحزنه العظيم في موت زينب وبكائه عليها ، وعمر كان يوم ذاك يضرب النسوة

---

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٨١ ، كتاب المغازي ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٤ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٧٨٥ ، تاريخ الطبري ج ٣٤ ص ١٩٨ .

(٢) سنن البيهقي ج ٣ ص ٤٠٦ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٠٥ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٩٥ ، اسد الغابة ، الغدير ج ٣ ص ٤٦١ ، الإصابة ج ٢ ص ٤٦٤ .

الباكيات عليها بالسوط كما مرَّ في الجزء السادس ص ١٥٩ ط ٢ فضلاً عن عدم تأثُّره بتلك الرزيَّة .

وعلى هذا الميزان يغدو عثمان بن عفّان أشجع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوجده صلى الله عليه وآله وسلم لموت إحدى بنتيه : رقية أو أُم كلثوم زوجة عثمان . وبكائه عليها ، وعثمان غير متأثِّر به ولا بانقطاع صهره من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، غير مشغول بذلك عن مقارفة بعض نسائه في ليلة وفاتها كما في صحيحة أنس[1] .

وقبل هذه كلّها ما ذكره أعلام القوم في موت أبي بكر من طريق ابن عمر من قوله : كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ ما زال جسمه يجري حتّى مات . وقوله : كان سبب موته كمداً لحقه على رسول الله ﷺ ما زال يذيبه حتّى مات . وفي لفظ القرماني : مازال جسمه ينقص حتّى مات .

راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٦٣ ، أسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٤ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٠٠ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٨٠ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٤٩ ، الصواعق ص ٥٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٥ ، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل ج ١ ص ١٩٨ ، نزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٩٧ ، مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٢٥ .

كأنَّ هذا الحديث عزب عن القرطبي والحلبي ، فأخذا بهذا مشفوعاً بكلامهما المذكور في شجاعة أبي بكر يكون هو شاكلة عبد الله بن أنيس في موتهما كمداً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم ينبّأ قطُّ خبير بموت أحدٍ من الصحابة غيرهما بموته صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا دليل على ضعف قلبهما عند حلول المصائب ، فهما أجبن الصحابة على الإطلاق إذا وُزنا بميزان القرطبي وفيها عين .

ووراء هذه المغالاة في شجاعة الخليفة وعدِّه من أشجع الصحابة ما عزاه القوم إلى ابن مسعود من أنَّه قال : أوّل من أظهر الإسلام بسيفه محمّد ﷺ وأبو بكر ،

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٧٤٨ وصححه ، الإصابة ج ٤ ص ٣٠٤ ، ٤٨٩ الغدير ج ٣ ص ٤٤ .

والزبير بن العوام رضي الله عنهم[١] وما يُعزى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنَّه قال : لولا أبو بكر الصدِّيق لذهب الإسلام[٢] .

قال الأميني : لقد كانت على الأبصار غشاوة عن رؤية هذا السيف الذي كان بيد الخليفة ، فلم يُؤثر أنه تقلّده يوماً ، أو سلّه في كريهة ، أو هابه إنسان في معمعة ، حتّى يقرن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان منذ بعث سيفاً لله تعالىٰ مجرَّداً

إنَّ الرسول لنورٌ يستضاء به ... مهنَّدٌ من سيوف اللّه مسلولُ[٣]

أو يقرن بمثل الزبير الذي عرفته وسيفه الحرب الزَّبون فشكرته ، وقد سجَّل التاريخ مواقفه المشهودة ، وسجَّل للخليفة يوم خيبر وأمثاله .

وأنا لا أدري بأيِّ خصلة في الخليفة نيط بقاء الإسلام ، أبشجاعته هذه ؟ أم بعلمه الذي عرفت كميَّته ؟ أم بماذا ؟ «فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر» .

٣ - ثبات الخليفة على المبدأ

عن أبي سعيد الخدري : إنَّ أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنِّي مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجلٌ متخشِّعٌ حسن الهيئة يصلّي . فقال له رسول الله ﷺ : إذهب إليه فاقتله . قال : فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحالة كره أن يقتله فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال النبيُّ ﷺ لعمر : إذهب إليه فاقتله . قال فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآها أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله ! إنِّي رأيته متخشِّعاً فكرهت أن أقتله قال : يا عليّ ! إذهب فاقتله . فذهب عليٌّ فلم يره فرجع فقال : يا رسول الله ! إنِّي لم أره . فقال النبيُّ ﷺ : إنَّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثمَّ لا يعودون فيه حتّى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرُّ البريَّة[٤] .

---

(١) نزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٨٢ .

(٢) نور الأبصار للشبلنجي ص ٥٤ .

(٣) البيت من قصيدة لكعب بن زهير المشهورة ببانت سعاد .

(٤) مسند أحمد ج ٣ ص ١٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٩٨ .

وعن أنس بن مالك قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجلٌ يعجبنا تعبُّده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا : هو هذا . قال : إنَّكم لتخبروني عن رجل إنَّ في وجهه لسفعةٌ من الشيطان فأقبل حتّى وقف عليهم ولم يسلّم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس : ما في القوم أحدُ أفضل منّي أو خير منّي ؟ قال : اللّهُمَّ نعم . ثمَّ دخل يصلّي فقال رسول الله ﷺ : من يقتل الرجل ؟ فقال أبو بكر أنا ، فدخل عليه فوجده يصلّي فقال : سبحان الله ! أقتل رجلًا يصلّي ؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلّين ، فخرج . فقال رسول الله ﷺ : ما فعلت ؟ قال : كرهت أن أقتله وهو يصلّي وأنت قد نهيت عن قتل المصلّين. قال: مَن يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر: أبو بكر أفضل منّي ولم يقتله فخرج فقال له النبيُّ ﷺ مَه؟ قال: وجدتُه واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله . فقال : مَن يقتل الرجل ؟ فقال عليٌّ : أنا . فقال : أنت إن أدركته . فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال له : مَه ؟ قال : وجدته قد خرج . قال : لو قُتل ما اختلف من أُمّتي رجلان كان أوّلهم وآخرهم(١) .

صاحب القصَّة هو ذو الثُديَّة رأس الفتنة يوم النهروان قتله أمير المؤمنين الإمام عليٌّ يوم ذاك كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود ، قال الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٢ : ذو الثُديَّة شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علّمهم الضلال ، وكان النبيُّ ﷺ أمر بقتله وهو في الصّلاة فكعَّ عنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلمَّا قصده عليٌّ رضي الله عنه لم يره ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : أما إنَّك لو قتلته لكان أوَّل فتنة وآخرها ، ولمّا كان يوم النهروان وجده بين القتلى فقال عليٌّ رضي الله عنه :ائتوني بيده المخدجة . فأُتي بها فأمر بنصبها .

قال الأميني : هلم معي نسائل الرّجلين ممَّن أخذا أنَّ الصّلاة تحقن دم

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٧ ، ج ٣ ص ٢٢٧ ، مسند البزار من طريق الأعمش ، وأبو يعلى في مسنده كما في تأريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٩٨ ، الإصابة ج ١ ص ٤٨٤ .

صاحبها ؟ هل أخذاها عن شريعة غاب الصادع بها ، فارتبكا بين قوله؟ أليست هي الشريعة المحمَّديَّة وصاحبها هو الذي أمر بقتل الرجل ؟ وهو ينظر إليه من كَثب ، ويعلم أنَّه يصلي ، وقد أخبرته الصحابة وفيهم الرجلان بخضوعه وخشوعه في صلاته ، وإعجابهم بتعبُّده واجتهاده ، وفي المخبرين أبو بكر نفسه ، غير أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرف بواسع علمه النبويِّ أنَّ كلَّ ذلك عن دهاء وتصنُّع يريد به إغراء الدهماء للحصول على أُمنيَّته الفاسدة التي لم يتمكّن منها إلَّا على عهد الخوارج فأَراد صلى الله عليه وآله وسلم قمع تلك الجرثومة الخبيثة بقتله ، ولقد أراد صلى الله عليه وآله وسلم تعريف الناس بالرجل وإيقافهم على ما انطوت عليه أضالعه فاستحفاه عمّا دار في خَلده حين وقف على القوم وفيهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أن يعلموا أنَّه يجد نفسه خيراً أو أفضل منهم ومنه صلى الله عليه وآله وسلم .

أيّ كافر هذا يجب قتله لاسيّما بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ في وجهه لسفعةً من الشيطان ؟ وأيّ شقيّ هذا يقف على المنتدى وقد ضمّ صدره نبيَّ العظمة ولم يسلّم ؟ وأيّ صفيق يُعرب عن سوء ما هجس في ضميره بكلِّ صراحة ، غير محتشم عن موقفه ، ولا مكترث لمقاله ؟ .

نعم لذلك كلّه أمر صلى الله عليه وآله وسلم بقتله وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحيٌ يوحى ، لكن الشيخين رؤفا به حين وجداه يصلّي تثبُّتاً على المبدأ ، وتحفّظاً على كرامة الصّلاة ومَن أتى بها ، وزاد عمر : إنَّ أبا بكر خيرٌ منّي ولم يقتله . أو لَم يكن النبيُّ الآمر بقتله خيراً منهما ؟ أو لم يكن هو مشرِّع الصّلاة والآتي بحرمتها ؟ أوَ لم يكن مصدَّقاً لدى الصدِّيق وصاحبه في قوله حول الرجل وإعرابه عن نواياه ؟ .

كان خيراً للشيخين أن يتركا هذا التعلّل الواضح فساده ويتعلّلا بما في لفظ أبي نعيم في الحلية من أنَّهما هابا أن يقتلاه ، وبما أسلفناه عن ثمار القلوب للثعالبي من أنَّهما كعّا عن الرجل . أي جبنا وضعفا وتهيّبهما الرجل وإن كان مصلّياً غير شاك السلاح ، فلعلّه يكون معذِّراً لهما عن ترك الإمتثال ، فلا يكلّف الله نفساً إلَّا وسعها ، لكنَّهما يوم عرفا نفسهما كذلك والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لماذا لم يقدما على قتل الرجل ، ففوّتا على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم طلبته وعلى الأُمَّة

السَّلام والأمن ولو بعد لأي من عمر الدهر عند ثورات الخوارج ؟ وأبو بكر هذا هو الَّذي يحسبه ابن حزم والمحبّ الطبري والقرطبي والسيوطي أشجع الناس كما مرَّ ص ٢٢٧ وقد يهابه ظلّ الرجال في مصلاّهم .

وللرجل (ذي الثُديَّة) سابقة سوء عند الشيخين من يوم قسَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غنيمة هوازن قال ذو الثُديَّة للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم : لم أرك عدلت . أو : لم تعدل هذه قسمةٌ ما أُريد بها وجه الله . فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ فقال عمر : يا رسول الله ألا أقتله ؟ قال : لا ، سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قومٌ يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميَّة لا يجاوز إيمانهم تراقيهم . تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٨ ، الإمتاع للمقريزي ص ٤٢٥ .

٤ ـ تهالك الخليفة في العبادة

لم يؤثر عن الخليفة دأْب على العبادة على العهد النبويِّ أو بعده غير أشياء لا تُنجع من أثبتها له إلاَّ بعد تحمّل متطاول ، أو تفلسف في القول لو أجدت الفلسفة على لا شيء .

روى المحبُّ الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ١٣٣ : أنَّ عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها ثمَّ قالت : إلا أنَّه كان في كلِّ ليلة جمعة يتوضَّأ ويصلّي ثمَّ يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه فإذا كان وقت السحر رفع رأسه وتنفَّس الصعداء فيشمُّ في البيت روائح كبدٍ مشويٍّ . فبكى عمر وقال : أنّى لابن الخطاب بكبدٍ مشويّ .

وفي مرآة الجنان ج ١ ص ٦٨ : جاء أنَّ أبا بكر كان إذا تنفَّس يشمُّ منه رائحة الكبد المشويَّة .

وفي عمدة التحقيق للعبدي المالكي ص ١٣٥ : لمّا مات أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار الصدِّيق رضي الله عنه

ويتشبَّه بفعله فكان يتردَّد كلّ قليل إلى عائشة واسماء رضي الله تعالىٰ عنهما ويقول لهما : ما كان يفعل الصدِّيق إذا خلا بيته ليلاً ؟ فيقال له : ما رأينا له كثير صلاة بالليل ولا قيام إنَّما كان إذا جنَّه الليل يقوم عند السحر ويقعد القرفصاء ويضع رأسه على ركبتيه ثمَّ يرفعها الى السماء ويتنفَّس الصعداء ويقول : أخ . فيطلع الدّخان مِن فيه . فيبكي عمر ويقول : كلُّ شيء يقدر عليه عمر إلَّا الدخان . فقال :

وأصل ذلك أن شدَّة خوفه من الله تعالىٰ أوجبت إحتراق قلبه ، فكان جليسه يشمُّ منه رائحة الكبد المشوي ، وسببه انَّ الصدِّيق لم يتحمَّل أسرار النبوَّة الملقاة إليه وفي الحديث : أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه . فالمعرفة التامَّة تكشف عن جلال المعروف وجماله ، وكلاهما أمرٌ عظيم جدّاً تتقطَّع دونه الغايات ولولا أن الله تعالىٰ ثبت من أراد ثباته وقوّاه على ذلك ما استطاع أحدُ الوقوف ذرَّة على كليهما جلالاً وجمالاً ، والغاية في الطرفين قد نالها الصدِّيق رضي الله عنه . فقد ورد : ما صُبَّ في صدري شيءُ إلَّا صببته في صدر أبي بكر . ولو صبَّه جبرائيل عليه السلام في صدر أبي بكر ما أطاقه لعدم مجراه من المماثل ، لكن لما صبَّ في صدر النبيِّ ﷺ وهو من جنس البشريَّة فجرى في قناة مماثلة للصدِّيق ، فبواسطتها أطاق حمله ، ومع ذلك احترق قلبه . الخ .

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأُصول ص ٣١ و ٢٦١ ، عن بكر بن عبد الله المزني قال : لم يفضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنَّما فضلهم بشيء كان في قلبه . وذكر أبو محمَّد الأزدي في شرح مختصر صحيح البخاري ج ٢ ص ٤١ ، ١٠٥ ،وج ٣ ص ٩٨ . وج ٤ ص ٦٣ ، والشعراني في اليواقيت والجواهر ج ٢ ص ٢٢١ . واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ٦٨ ، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٣ : إنَّ في الحديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صومٍ ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره .

قال الأميني : لو صحَّ حديث الكبد المشويَّة لوجب اطّراده في الأنبياء والرُّسل ويقدمهم سيِّد المرسلين محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لأنَّهم أخوف من الله من أبي بكر وخاتم النبيِّين أخوفهم ، ولوجب أن تكون الرائحة فيهم أشدَّ وأنشر ، فإنَّ الخوف فرع الهيبة المسبَّبة عن إحاطة العلم بما هناك من عظمة وقهر وجبروت ومنعة ،

وينبئنا عن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿إنَّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[١] قال ابن عبّاس : يريد إنَّما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزَّتي وسلطاني . وقيل : عظّموه وقدّروا قدره ، واخشَوْه حقَّ خشيته ، ومن ازداد به علماً ازداد به خشية .

[تفسير الخازن ج ٣ ص٥٢٥]

وفي الحديث : أعلمكم بالله أشدُّكم له خشية .

[تفسير ابن جزي ج ٣ ص ١٥٨]

وفي خطبة له صلى الله عليه وآله وسلم : فوالله إنِّي لأعلمهم بالله وأشدُّهم له خشية[٢] .

وفي خطبة أُخرى له صلى الله عليه وآله وسلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً[٣] .

وقال مولانا أمير المؤمنين : أعلمكم أخوفكم .

[غرر الحكم للآمدي ص ٦٢]

وقال مقاتل : أشدُّ الناس خشية لله أعلمهم .

[تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥]

وقال الشعبي ومجاهد: إنَّما العالم من خشي الله[٤] .

وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله تعالىٰ فليس بعالم[٥] .

ومن هنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنِّي أعلمكم بالله وأخشاكم لله[٦] ولذلك تجد أنَّ أزلف الناس إلى السلطان يتهيَّبه أكثر ممَّن دونه في الزُّلفى . فترى الوزير يكبره ويخافه أبلغ ممَّن هو أدنى منه ، والأمر على هذه النسبة في رجال الوظائف ، حتّى

---

(١) سورة فاطر : الآية : ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب المناقب . باب علمه بالله وشدة خشيته ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق . باب لو تعلمون ما أعلم ، مسند أحمد ج ٦ ص ١٦٤ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٢٦ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٤) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٣ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٥) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٣ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٦) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٣٠٢ ، اللمع لأبي نصر ص ٩٦ .

تنتهي إلى أبسطها كالشرطي مثلاً ، ثمَّ إلى سائر أفراد الرعيَّة .

وهلمَّ معي إلى الأولياء والمقرَّبين والمتهالكين في الخشية من الله والمتفانين في العبادة وفي مقدَّمهم سيِّدهم مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان في حلك الظلام يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويتأوَّه ويتفوَّه بما ينمُّ عن غاية الخوف والخشية ، وهو قسيم الجنة والنار بنصّ من الرَّسول الأمين كما مرَّ في الجزء الثالث ص ٣٦١ ، وكان يُغشى عليه عدَّة غشوات في كلِّ ليلة ، ولم يشم أحدٌ منه ولا منهم رائحة الكبد المشويَّة .

ولو اطّرد ما يزعمونه لوجب تكيّف الفضاء من لدن آدم إلى عهد الخليفة بتلك الرائحة المنتشرة من تلكم الأكباد المشويَّة ، ولاَسودَّ وجه الدنيا بذلك الدخان المتصاعد من الأكباد المحترقة .

أيحسب راوي هذه المهزأة أنَّ على كبد المختشي ناراً موقدة يعلوها ضرمٌ ، ويتولَّد منها دخانٌ ؟ فلِمَ لم تُحرق ما في الحشى كلّه ويكون إنضاجها مقصوراً على الكبد فحسب ؟ وهل للكبد حالُ المعذَّبين الَّذين كلّما نضجت جلودهم بُدّلوا جلوداً أُخرىٰ ؟ وإلَّا فالعادة قاضيةٌ بفناء الكبد بذلك الحريق المتواصل .

وإن تعجب فعجب بقاء الإنسان بعد فناء كبده ، ولعلّك إذا أحفيت الراوي السؤال عن هذه لأجابك بأنَّها كلّها معاجز تخصُّ بالخليفة .

وأحسب أنَّ صاحب المزاعم من المتطفِّلين على موائد العربيّة فإنَّ العربيَّ الصميم جِدُّ عليم بكثير الكناية والإستعارة في لغة الضاد فإذا قالوا : إنَّ نار الخوف أحرقت فلاناً لا يريدون لهباً متّقداً يصعد منه الدخان أو تشمُّ منه رائحة شيٍّ الأكباد ، وإنَّما يعنون لهفةً شديدة، وحرقةً معنويَّة تشبَّه بالنيران .

وأمّا ما سرده العبيدي من فلسفة ذلك الحريق في كبد الخليفة فإنَّها من الدعاوى الفارغة وفيها الغلوُّ الفاحش وإن شئت قلت : إنَّما هي أوهام لم تقم لها حجَّة ، وليس من السهل أن يدعمها ببرهنة يمسكها عن التزحزح ، فهي كالريشة في مهبِّ الريح تجاه حِجاج المجادل ، ووجاه سيرة الخليفة نفسه ، وما عزاه إلى الرواية من حديث خرافة : ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلَّا وصببته في صدر أبي

بكر . فهو على تنصيص العلماء على وضعها كما مرَّ في ج ٥ ص ٣٨٣ لا يلزم به الخصم ، ولا يثبت به المدَّعى ، وفيه من سَرَف القول ما لا يخفى على العارف بالرجال وتاريخهم .

٥ ـ تبرُّز الخليفة في الأَخلاق

لم نقف من أخلاقيّات الخليفة على شيء يرفع الإنسان من هذه الناحية عدا ما في صحيح البخاري في كتاب التفسير من طريق ابن أبي مليكة عن عبدالله بن الزبير قال : قد قَدِمَ ركب من بني تميم على النبيِّ ﷺ فقال أبو بكر : أمِّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمِّر الأقرع بن حابس[١] . فقال أبو بكر : ما أردت إلاَّ خلافي ، فقال عمر : ما أردتُ خلافك . فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك : **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله واتَّقوا الله إنَّ الله سميعٌ عليم﴾**[٢] .

وأخرج البخاري من طريق ابن أبي مليكة أيضاً قال : كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبيِّ ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع . وأشار الآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه . فقال أبو بكر لعمر : ما أردتَ إلاَّ خلافي . قال : ما أردتُ خلافك . فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله : **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيِّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**[٣][٤] .

قال الأَميني : ألا تعجب من الرجلين انَّهما طيلة مصاحبتهما هذا النبيِّ المعظَّم ﷺ لم يحدهما التأثّر بأخلاقه الكريمة إلى الحصول على أدب محاضرة

---

(١) الأقرع بن حابس هو ذلك الأعرابي الذي رآه النبي ﷺ وهو يبول في المسجد ، وقد أخرج حديثه البخاري في صحيحه . راجع إرشاد الساري ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١ .

(٣) سورة الحجرات ؛ الآية : ٣ .

(٤) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٢٥ ، الإستيعاب في ترجمة القعقاع ج ٢ ص ٥٣٥ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣٠٠ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٥ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ١٧٢ ، الإصابة ج ١ ص ٥٨ وج ٣ ص ٢٤ .

العظماء والمثول بين أيديهم لاسيَّما هذا العظيم ، العظيم خلقه بنصِّ الذكر الحكيم ، وما عرفا أنَّ الكلام بين يديه لا بدَّ وأن يكون اتخافتاً وهمساً إكباراً لمقامه وإعظاماً لمرتبته . وأن لا يتقدَّم أحدٌ إليه بالكلام إلَّا أن يكون جواباً عن سؤال ، أو ما ينمّ عن امتثال أمر ، أو إخباراً عن مهمَّة ، أو سؤالاً عن حكم لكنّهما تقدَّما بالكلام الخارج عن ذلك كلّه ، وتماريا واحتدم الحوار بينهما ، وارتفعت أصواتهما في ذلك ، وكاد الخيِّران أن يهلكا حتّى جعلا أعمالهما في مظنَّة الإحباط فنزلت الآية الكريمة .

وما أخرجه ابن عساكر عن المقدام أنَّه قال : استبَّ عقيل بن أبي طالب وأبو بكر وكان أبو بكر سبّاباً .وكأنَّ ابن حجر استشعر من هذه الكلمة ما لا يروقه فقال : سبّاباً أو نسّاباً . لكن الرجل أنصف في الترديد وقد جاء بعده السيوطي فحذف كلمة : سبّاباً . وجعلها نسّاباً بلا ترديد[1] والمنقِّب يعلم أنَّ لفظة نسّاباً لا صلة لها بقول استبّا بل المناسب كونه سبّاباً ، وكأنَّ الراوي يريد بذلك انّه فاق عقيلاً بالسبِّ لأنَّه كان مَلَكة له ، وإن كان يسع المحوِّر أن يقول بإرادة كونه نسّاباً أنَّه كان عرافاً بحلقات الأنساب ومواقع الغمز فيها ، فكان إذا استبَّ يطعن مستابَّه في عرضه ونسبه ، لكنه لا يجدي المتمحِّل نفعاً فإنَّه من أشنع مصاديق السبِّ ، وفيه القذف وإشاعة الفحشاء .

ويظهر من لفظ الحديث كما في الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٨٦ أنَّ السباب بين أبي بكر وعقيل كان بمحضر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك في أُخريات أيّامه صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن شواهد كونه سبّاباً (وسباب المسلم فسوق)[2] ما مرَّ في صفحة ١٧٦ من قوله للسائل عن القدَر : يابن اللخناء . وقوله لعمر : ثكلتك أُمّك وعدمتك يابن

---

(١) الصواعق ص ٤٣ ، تاريخ الخلفاء ص ٣٧ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٤١١ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٦١ ، تاريخ الخطيب ج٥ ص ١٤٤ ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣٢٣ : متفق عليه .

الخطاب . لمّا بلّغه طلب الأنصار أن يولّي عليهم رجلاً أقدم سنّاً من أُسامة فأخذ بلحيته فقال : استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أنزعه[1] ؟ .

على أنّه وهم في قوله هذا من ناحيتن : إحداهما أنّ الذي يجب أن لا يعزل من منصوبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الخليفة فحسب لا يتسرَّب إليه الرأي والمقاييس ، كما لا يتطرّقان إلى الأحكام والسنن المشرَّعة ، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم نصبه يوم نصب بأمر من المولى سبحانه رئيساً عالميّاً مدى أمد حياته ، كما أنّه شرَّعها أحكاماً عالميَّة مدى أمد الدهر . بخلاف أُمراء الجنود والولاة والعمّال فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يولّيهم الأمر لمصالح وقتيَّة بعد الفراغ من تأهُّلهم للإمارة والولاية والعمل ، وإذا انقضى ظرف المصلحة أو تبدَّلت بأُخرى أو سلب التأهّل من أحدهم كان يزحزحه من عمل إلى عمل، أو يسقطه عن الوظيفة نهائيّاً ، أو إلى أمد تعود بعده إليه جدارته . وكذلك شأن الخليفة من بعده فانَّه قائم مقامه صلى الله عليه وآله وسلم وله النصب والنزع ، والخفض والرفع ، ولذلك أمَّر أبو بكر نفسه خالد بن سعيد على مشارق الشام في الردَّة ، وكان قد استعمله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على ما بين زمع وزبيد إلى حدِّ نجران أو على صدقات مذحج ومات صلى الله عليه وآله وسلم وهو على عمله .

واستعمل أبو بكر نفسه أيضاً يعلى بن أُميَّة على حلوان ، ثمَّ عمل لعمر على بعض اليمن ، ثمَّ استعمله عثمان على صنعاء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استعمله على الجند وتوفي وهو على عمله .

واستعمل أبو بكر عكرمة على عمّان ثمَّ عزله واستعمل عليها حذيفة بن محصن وكان قد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص على عمان فمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أميرها، واستعمل عكرمة على صدقات هوازن عام وفاته .

واستعمل عمر عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين سنة ١٥ ، وكان قد استعمله النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على الطائف وأقرَّه أبو بكر بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

واستعمل عمر عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري على البصرة ، ثمَّ عزله

(١) التمهيد للباقلاني ص ١٩٣ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٩ . تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، الروض الأنف ج ٢ ص ٣٧٥ .

عثمان وأقرَّه على الكوفة ، ثمَّ عزله عليٌّ عليه السلام عنها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاّه مخاليف اليمن .

وقال أبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٦٦ : أقرَّ عثمان ولاة عمر سنة لأنَّه كان أوصى بذلك ثمَّ عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة ، وولاّها سعد بن أبي وقاص ، ثمَّ عزله وولّى الكوفة الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أُمِّه .

راجع تاريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير ، والإستيعاب ، واسد الغابة ، وتاريخ أبي الفدا ، وتاريخ ابن كثير ، والإصابة ، وغيرها من كتب التاريخ ومعاجم التراجم .

وكم وكم لهؤلاء الولاة المذكورين من نظير ، فليس أُسامة ببدع من هؤلاء ، وإنَّما هو كأحدهم ، له ما لهم وعليه ما عليهم .

فاقتصار الخليفة في الحجاج بنصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُسامة في غير محلّه ، إلاّ أن يقيِّده بأنَّ ما ارتآه صلى الله عليه وآله وسلم من المصلحة يوم ذاك باقيةٌ بعدُ من غير حاجة إلى أيٍّ من القول والفعل اللذين ارتكبهما .

الناحية الثانية : إنَّ طلبة الأنصار هذه متَّخذةٌ عن عمل الخليفة نفسه وصاحبيه حيث قدَّماه يوم السقيفة بكبر سنّه وشيبته كما مرَّ في صفحة ١٠٨، ١٠٩ فلا غضاضة على الأنصار إذن أن يتحرّوا للإمارة عليهم مَن هو أقدم سنّاً من أُسامة تأسياً بالخلافة ، وإذا كان تولية الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم أُسامة للقيادة مانعة عن نزعه فما بالُ منصوبه صلى الله عليه وآله وسلم للخلافة يوم غدير خُمّ بمشهد من مائة ألف أو يزيدون ، وفي مواقف أُخرى متكثِّرة يعزل عن الأمر ؟ ولا منكرٌ يُصاخ إليه ، ولا وازعٌ يُسمع منه ، هب أنَّ قيساً أخذ بلحية عمر يوم ذاك كما أخذ بها أبو بكر يوم أُسامة ، واحتجَّ آخرون لأمير المؤمنين عليه السلام واحتدم الحوار ، لكن : لا رأي لمن لا يُطاع .

نعم : أخرج ابن حبّان في خُلق الخليفة من طريق إسماعيل بن محمّد الكذّاب الوضّاع مرفوعاً عن جبرائيل أنّه قال : أبو بكر لفي السَّماء أشهر منه في الأرض فإنَّ الملائكة لتسمّيه حليم قريش . الخ . وقد أسلفناه في الجزء الخامس ص ٤١٦ وبيَّنا هناك أنَّه كذبٌ موضوعٌ .

ولو كان الخليفة حليم قريش أو كان يرث النبيَّ الأعظم شيئاً من خلقه العظيم لَما توفّيت بضعته الطاهرة سلام الله عليها وهي واجدةٌ عليه من جرّاء ما تلقّت منه من غلظة وعنف في كشف بيتها الذي تمنّى تركه عند وفاته ، ولم يكن يأمر بقتال من فيه[١] إلى هنات وهنات .

أخرج البخاري في باب فرض الخمس ج ٥ ص ٥ عن عائشة : إنَّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إنَّ رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركنا صدقة . فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتّى توفّيت .

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر ج ٦ ص ١٩٦ عن عائشة قالت : إنَّ فاطمة «إلى أن قالت» : فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفِّيت ، وعاشت بعد النبيِّ ﷺ ستّة أشهر فلمّا توفِّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلّى عليها .

ويوجد الحديث في صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٢ ، مسند أحمد ج ١ ص ٦ ، ٩ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٢ ، مشكل الآثار للطحاوي ج ١ ص ٤٨ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، كفاية الطالب ص ٢٢٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٥ وقال في ج ٦ ص ٣٣٣ : لم تزل فاطمة تبغضه مدَّة حياتها ، وذكره بلفظ الصحيحين الدياربكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٣ .

ولأيِّ الأُمور تدفن ليلاً ... بضعة المصطفى ويُعفى ثراها ؟

بلغت من موجدتها أنَّها أوصت بأن تُدفن ليلاً ، وأن لا يدخل عليها أحد ، ولا يصلّي عليها أبو بكر ، فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر ، وصلّى عليها عليٌّ وهو الذي غسَّلها مع أسماء بنت عميس[٢] .

---

(١) راجع صفحة ٩٣ و١٩٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ، رسائل الجاحظ ص ٣٠٠ ، حلية الأولياء ج ٢ ص٤٣ ، مستدرك الحاكم ج٣ ص ١٦٣ ، طرح التثريب ج ١ ص ١٥٠ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٢٥٤ ، الإستيعاب ج ٢

وقال الواقدي كما في السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩٠ : ثبت عندنا أنَّ عليّاً كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلاً وصلّى عليها ومعه العبّاس والفضل ولم يعلموا بها أحداً .

وقال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٣٧٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ٢٠٧ : روى الواقدي من طريق الشعبي قال : صلّى أبو بكر على فاطمة . وهذا فيه ضعفٌ وانقطاع ، وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمّد عن أبيه نحوه ووهّاه الدارقطني وابن عدي ، وقد روى البخاري عن عائشة : أنَّها لمّا توفّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً ، ولم يُؤْذن بها أبا بكر وصلّى عليها .

قال الأميني : حديث مالك عن جعفر بن محمّد أسلفناه في الجزء الخامس صحيفة ٤٢٣ ولفظه : توفيت فاطمة ليلاً فجاء أبو بكر وعمر وجماعةٌ كثيرة فقال أبو بكر لعليّ : تقدَّم فصلِّ . قال : لا والله لا تقدَّمت وأنت خليفة رسول الله ، فتقدَّم أبو بكر فصلّى أربعاً . وقد بيَّنا هنالك أنَّه من موضوعات عبد الله بن محمّد القدامي المصيصي كما عدَّه الذهبي في الميزان ج ٢ ص ٧ من مصائبه .

ومن جرّاء تلك الموجدة مُنعت عن أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها ، فجاءت تدخل فمنعتها أسماء فقالت : لا تدخلي . فشكت إلى أبي بكر وقالت: هذه الخثعميَّة تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ! ما حملك على أن منعتِ أزواج النبيِّ ﷺ أن يدخلن على بيت رسول الله ﷺ ، وقد صنعتِ لها هودج العروس ؟ قالت: هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحدٌ ، وأمرتني أن أصنع لها ذلك .

راجع الإستيعاب ج ٢ ص ٧٧٢ ، ذخائر العقبى ص ٥٣ ، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٤ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ ، كنز العمال ج ٧ ص ١١٤ ، شرح صحيح مسلم للسنوسي ج ٦ ص ٢٨١ ، شرح الآبي لمسلم ج ٦ ص ٢٨٢ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٢١ .

= ص ٧٥١ ، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٨٣ ، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٦ ص ٣٦٢ ، الإصابة ج ٤ ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ .

إعتذار الخليفة إلى الصدّيقة :

هذه المذكورات كلّها وبعضٌ سواها تكذّب ما اختلقته رُماة القول على عواهنه من رواية الشعبي أنَّه قال : جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد اشتدَّ مرضها فاستأذن عليها فقال لها عليٌّ : هذا أبو بكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له ؟ قالت : أو ذَاك أحبّ إليك ؟ قال : نعم . فدخل فاعتذر إليها وكلّمها فرضيت عنه .

وعن الأوزاعي قال : بلغني أنَّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتّى قام على بابها في يوم حارّ ثمَّ قال : لا أبرح مكاني حتى ترضى عنّي بنت رسول الله ﷺ فدخل عليها عليٌّ فأقسم عليها لترضى فرضيت[1] .

ما قيمة هذه الرواية تجاه تلكم الصحاح ؟ ولا يوجد لها أثرٌ في أيِّ أصل من أُصول الحديث ومسانيد الحفّاظ ، وقد بلغت إلى الأوزاعي المتوفّى سنة ١٥٧ وأرسل بها الشعبي المتوفّى سنة ١٠٤/٥/٦/٧/٩/١٠ ولا يُعرف من بلّغها ، ومن أتى بها ، ومَن أوحاها إلى الرجلين . نعم تساعد نصوص الصحاح ما أتى به ابن قتيبة والجاحظ قال الأوّل : إنَّ عمر قال لأبي بكر رضي الله عنهما : انطلق بنا الى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها ، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السّلام فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله ! والله إنَّ قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي ، وإنّكِ لأحبُّ إليَّ من عائشة إبنتي ، ولوددت يوم مات أبوكِ أنّي متُّ ولا أبقى بعده ، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعكِ حقّكِ وميراثكِ من رسول الله ؟ إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به ؟ فقالا : نعم . فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبَّ فاطمة إبنتي فقد أحبّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٩ .

قالا : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ . قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه . فقال أبو بكر : أنا عائذٌ بالله تعالىٰ من سخطه وسخطكِ يا فاطمة ! ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي حتّى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول : والله لأدعونَّ عليك في كلِّ صلاة أُصلّيها . ثمَّ خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم : يبيت كلُّ رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي[1] .

وقال الجاحظ في رسائله ص ٣٠٠ : وقد زعم أُناس أنَّ الدليل على صدق خبرهما «يعنى أبا بكر وعمر» في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما . . ! قد يُقال لهم : لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ، أنَّ ترك المتظلّمين والمحتجّين عليهما والمطالبين لهما دليلٌ على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالتهم ، ولاسيّما وقد طالت المناجاة ، وكثرت المراجعة والملاحاة ، وظهرت الشكيَّة ، واشتدَّت الموجدة ، وقد بلغ ذلك من فاطمة أنها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر . ولقد كانت قالت له حين أتته مطالبة بحقّها ومحتجَّة لرهطها : مَن يرثك يا أبا بكر إذا متَّ ؟ قال : أهلي وولدي قالت : فما بالنا لا نرث النبيَّ ﷺ[2] ؟ فلمّا منعها ميراثها ، وبخسها حقَّها واعتلَّ عليها ، وجلح أمرها ، وعاينت التهضّم ، وأيست في التورُّع ، ووجدت نشوة الضعف وقلّة الناصر ، قالت : والله لأدعونَّ الله عليك . قال : والله لأدعونَّ الله لكِ . قالت والله لا كلَّمتُك أبداً قال: والله لا أهجركِ أبداً . فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها ، أنَّ في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها ؟ وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت ، وتذكيرها ما نسيت ، وصرفها عن الخطأ ، ورفع قدرها عن البذاء ، وأن تقول هجرا ، وتجوِّر عادلاً ، أو تقطع واصلاً ، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأُمور واستوت

---

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١١٤ .

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ١٠ ، والبلاذري في فتوح البلدان ص ٣٨ ، وابن كثير في تأريخه ج ٥ ص ٢٨٩ .

الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم .

فإن قالوا : كيف تظنّ به ظلمها والتعدّي عليها ، وكلّما ازدادت عليه غلظة ازداد لها ليناً ورقّةً . حيث تقول له : والله لا أُكلّمك أبداً . فيقول : والله لا أهجركِ أبداً . ثمّ تقول : والله لأدعونّ الله عليك . فيقول : والله لأدعونّ الله لكِ . ثمّ يتحمّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه وما يجب لها من الرفعة والهيبة ، ثمّ لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرّباً كلام المعظّم لحقها . المكبّر لمقامها ، الصائن لوجهها ، المتحنّن عليها : ما أحدٌ أعزّ عليّ منك فقراً ، ولا أحبُّ إليّ منكِ غنى ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

قيل لهم : ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسّلامة من الجور ، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم ، وذلّة المنتصف ، وحدب الوامق ، ومقت المحقّ . وكيف جعلتم ترك النكير حجّةً قاطعة ودلالةً واضحة ؟ وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ : متعة النساء ومتعة الحجّ ، أنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما[1] فما وجدتم أحداً أنكر قوله ، ولا استشنع مخرج نهيه ، ولا خطّأه في معناه ، ولا تعجّب منه ولا استفهمه .

وكيف تقضون بترك النكير ؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أنّ النبيّ ﷺ قال : الأئمّة من قريش[2] ثمّ قال في شكايته : لو كان سالم حيّاً ما تخالجني فيه الشك[3] حين أظهر الشكّ في استحقاق كلّ واحد من الستّة الذين جعلهم

---

(١) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ٢٥٢

(٢) أخرجه غير واحد من الحفاظ وصححه ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ٨٩ فقال : هذه رواية جاءت مجيء التواتر ، ورواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاوية ، وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ، ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار به يوم السقيفة . هـ .

(٣) أخرجه ابن سعد ، والباقلاني ، وأبو عمر ؛ والحافظ العراقي كما مرّ ص ١٦٦ .

شورى وسالم عبدٌ لامرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه ، ثمَّ لم ينكر ذلك من قوله منكرٌ ، ولا قابل إنسانٌ بيّن قوله ولا تعجّب منه ، وإنَّما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله ، فأمّا ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهي والقتل والإستحياء والحبس والإطلاق فليس بحجَّة تشفي ولا دلالة تضيء . إنتهت كلمة الجاحظ .

نظرة في كلمة قارصة :

لا يسعنا أن نفوه في الدفاع عن الخليفة بما قال ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٩ من أنَّ فاطمة حصل لها - وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة - عتبٌ وتغضُّب ، ولم تكلّم الصدِّيق حتّى ماتت . وقال في ص ٢٨٩ : وهي امرأةٌ من بنات آدم تأسف كما يأسفون ، وليست بواجبة العصمة ، مع وجود نصِّ رسول الله ﷺ ومخالفة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما . اهـ .

أنّى لنا السرف والمجازفة في القول بمثل هذا تجاه آية التطهير في كتاب الله العزيز النازلة فيها وفي أبيها وبعلها وبنيها ؟ .

أنَّى لنا بذلك وبين يدينا هتاف النبيِّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة بضعةٌ منِّي فمن أغضبها أغضبني ؟ .

وفي لفظة : فاطمة بضعة منِّي يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منّي يؤذيني ما آذاها ، وينصبني ما أنصبها . في تاج العروس : أي يتعبني ما أتعبها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منِّي يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وفي لفظة : فاطمة بضعةٌ منِّي يسعفني ما يسعفها ، في تاج العروس : أي ينالني ما ينالها ، ويلمّ بي ما يلمّ بها .

وفي لفظة : فاطمة شجنةٌ منِّي يبسطني ما يبسطها ، ويقبضني ما يقبضها .

وفي لفظة : فاطمة مضغةٌ منِّي فمن آذاها فقد آذاني .

وفي لفظة : فاطمة مضغةٌ منِّي يقبضني ما قبضها ، ويبسطني ما بسطها .

وفي لفظة : فاطمة مضغةٌ منِّي يسرُّني ما يسرُّها .

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمَّة الصحاح الستّ وعدَّةٌ أُخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم وإليك جملةٌ ممَّن رواها :

١ ـ ابن أبي مليكة المتوفّى سنة ١١٧ كما في رواية البخاري ومسلم وابن ماجة وابن داود وأحمد والحاكم .

٢ ـ أبو عمر بن دينار المكي المتوفّى سنة ٦/١٢٥ كما في صحيحي البخاري ومسلم .

٣ ـ الليث بن سعد المصري المتوفّى سنة ١٧٥ كما في إسناد ابن ماجة وابن داود وأحمد .

٤ ـ أبو محمَّد ابن عيينة الكوفي المتوفّى سنة ١٩٨ كما في الصحيحين .

٥ ـ أبو النضر هاشم البغدادي المتوفّى سنة ٧/٢٠٥ كما في مسند أحمد .

٦ ـ أحمد بن يونس اليربوعي المتوفّى سنة ٢٢٧ كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود .

٧ ـ الحافظ أبو الوليد الطيالسي المتوفّى سنة ٢٢٧ كما في صحيح البخاري .

٨ ـ أبو المعمَّر الهذلي المتوفّى سنة ٣٣٦ كما في صحيح مسلم .

٩ ـ قتيبة بن سعيد الثقفي المتوفّى سنة ٢٤٠ روى عنه مسلم وأبو داود .

١٠ ـ عيسى بن حمَّاد المصري المتوفّى سنة ٩/٢٤٨ روى عنه ابن ماجة .

١١ ـ إمام الحنابلة أحمد المتوفَّى سنة ٢٤١ في مسنده ج ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٨ .

١٢ ـ الحافظ البخاري أبو عبد الله المتوفَّى سنة ٢٥٦ في صحيحه في المناقب ج ٥ ص ٢٧٤ .

١٣ ـ الحافظ مسلم القشيري المتوفَّى سنة ٢٦١ في صحيحه في الفضائل ج ٢ ص ٢٦١ .

١٤ ـ الحافظ أبو عبد الله ابن ماجة المتوفّى سنة ٢٧٢ في سننه ج ١ ص ٢١٦ .

١٥ ـ الحافظ أبو داود السجستاني المتوفَّى سنة ٢٧٥ في سننه ج ١ ص ٣٢٤ .

١٦ ـ الحافظ أبو عيسى الترمذي المتوفَّى سنة ٢٧٥ في جامعه ج ٢ ص ٣١٩ .

١٧ ـ الحكيم أبو عبد الله الترمذي المحدِّث المتوفَّى سنة ٢٨٥ في نوادر الأُصول ص ٣٠٨ .

١٨ ـ الحافظ أبو عبد الرّحمٰن النسائي المتوفّى سنة ٣٠٣ في خصائصه ص ٣٥ .

١٩ ـ أبو الفرج الأصبهاني المتوفَّى سنة ٣٠٣ في الأغاني ج ٨ ص ١٥٦ .

٢٠ ـ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المتوفَّى سنة ٤٠٥ في المستدرك ج ٣ ص ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

٢١ ـ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفَّى سنة ٤٣٠ في حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠ .

٢٢ ـ الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفَّى سنة ٤٥٨ في السنن الكبرى ج ٧ ص ٣٠٧ .

٢٣ ـ أبو زكريا الخطيب التبريزي المتوفَّى سنة ٥٠٢ في مشكاة المصابيح ص ٥٦٠ .

٢٤ ـ الحافظ أبو القاسم البغوي المتوفَّى سنة ١٦/٥١٠ في مصابيح السنَّة ج ٢ ص ٢٧٨ .

٢٥ ـ القاضي أبو الفضل عياض المتوفَّى سنة ٥٤٤ في الشفاء ج ٢ ص ١٩ .

٢٦ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفَّى سنة ٥٦٨ في مقتله ج ١ ص ٥٣ .

٢٧ ـ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفَّى سنة ٥٧١ في تاريخه ج ١ ص ٢٩٨ .

٢٨ ـ أبو القاسم السهيلي المتوفَّى سنة ٥٨١ في الروض الأنف ج ٢ ص ١٩٦ .

وقال : إنَّ أبا لبابة رفاعة بن عبد المنذر ربط نفسه في توبة وإنّ فاطمة أرادت حلّه حين نزلت توبته فقال : قد أقسمت ألّا يحلّني إلاَّ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إنَّ فاطمة مضغة منّي . فصلّى الله عليه وعلى فاطمة ، فهذا حديثٌ يدلُّ على أنَّ من سبَّها فقد كفر ، ومن صلّى عليها فقد صلّى على أبيها ﷺ .

٢٩ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة ٥٨٦ في شرح النهج ج ٢ ص ٤٥٨ .

٣٠ ـ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ في صفة الصفوة ج ٢ ص ٥ .

٣١ ـ الحافظ أبو الحسن بن الأثير الجزري المتوفَّى سنة ٦٣٠ في اسد الغابة ص ٥٢١ .

٣٢ ـ أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفَّى سنة ٦٥٢ في مطالب السؤول ج ٦ ص ٧ .

٣٣ ـ سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفَّى سنة ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧٥ .

٣٤ ـ الحافظ الكنجي الشافعي المتوفَّى سنة ٦٥٨ في الكفاية ص ٢٢٠ .

٣٥ - الحافظ محبّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في ذخائر العقبى ص ٣٧ .

٣٦ - الحافظ أبو محمّد الأزدي الأندلسي المتوفّى سنة ٦٩٩ في شرح المختصر من صحيح البخاري ج ٣ ص ٩١ .

٣٧ - الحافظ الذهبي الشافعي المتوفّى سنة ٧٤٧ في تلخيص المستدرك .

٣٨ - القاضي الإيجي المتوفّى سنة ٧٥٦ في المواقف كما في شرحه ج ٣ ص ٢٦٨ .

٣٩ - جمال الدين محمّد الزرندي الحنفي المتوفّى في بضع و ٧٥٠ في درر السمطين .

٤٠ - أبو السعادات اليافعي المتوفّى سنة ٧٦٨ في مرآة الجنان ج ١ ص ٦١ .

٤١ - الحافظ زين الدين العراقي المتوفّى سنة ٨٠٦ في طرح التثريب ج ١ ص ١٥٠ .

٤٢ - الحافظ نور الدين الهيثمي المتوفّى سنة ٨٠٧ في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣ .

٤٣ - الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ في تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤١ .

٤٤ - الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ في الجامع الصغير والكبير .

٤٥ - الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣ في المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٥٧ .

٤٦ - القاضي الدياربكري المالكي المتوفّى سنة ٨٢/٩٦٦ في الخميس ج ١ ص ٤٦٤ .

٤٧ ـ ابن حجر الهيتمي المتوفَّى سنة ٩٧٤ في الصواعق ص ١١٢ ، ١١٤ .

٤٨ ـ صفيُّ الدين الخزرجي المتوفَّى سنة .... في الخلاصة ص ٤٣٥ .

٤٩ ـ زين الدين المناوي المتوفَّى سنة ١٠٣١/٥ في كنوز الدقائق ص ٩٦ .

وقال في شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٢١ : استدلّ به السهيلي على أنَّ مَن سبَّها كفر لأنَّه يغضبه ، وأنَّها أفضل من الشيخين قال الشريف السمهودي : ومعلومٌ أنَّ أولادها بضعةٌ منها فيكونون بواسطتها بضعة منه ، ومن ثمَّ لمّا رأت أُمّ الفضل في النوم أنَّ بضعة منه وضعت في حجرها أوَّلها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها ، فولدت الحسن فوضع في حجرها ، فكلُّ مَن يشاهد الآن من ذرّيتها بضعة من تلك البضعة ، وإن تعدَّدت الوسائط ، ومن تأمَّل ذلك إنبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنَّب بغضهم على أيِّ حال كانوا عليه .

قال ابن حجر : وفيه تحريم أذى مَن يتأذّى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بتأذّيه ، فكلُّ من وقع منه في حقِّ فاطمة شيء فتأذَّت به فالنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يتأذّى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم مِن إدخال الأذى عليها من قِبَل ولدها ، ولهذا عرف بالإستقرار معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشدُّ .

٥٠ ـ الشيخ أحمد المغربي المالكي المتوفَّى سنة ١٠٤١ في فتح المتعال ص ٣٨٥ . قال في قصيدة كبيرة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

فما كسبطي رسول الله من أحد	ولا يضاهيهما في الفخر مفتخر
وهل كفاطمة الزهراء أُمّهما	بنت النبيِّ المصطفى بشر ؟
فإنَّها بضعةٌ منه وما أحدٌ	كبضعة المصطفى إن حقَّق النظر

٥١ ـ الشيخ أحمد باكثير المكي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٧ في وسيلة المآل .

٥٢ ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ في شرح المواهب ج ٣ ص ٢٠٥ فقال : استدلَّ به السهيلي على أنَّ من سبَّها كفر . وتوجيهه أنَّها تغضب ممَّن سبَّها وقد سوّى بين غضبها وغضبه ومن أغضبه كفر .

٥٣ - الزبيدي الحنفي المتوفَّى سنة ١٢٠٥ في تاج العروس ج ٥ ص٢٢٧ وج ٦ ص ١٣٩ .

٥٤ - القندوزي الحنفي المتوفَّى سنة ١٢٩٣ في ينابيع المودَّة ص ١٧١ .

٥٥ - الحمزاوي المالكي المتوفَّى سنة ١٣٠٣ في النور الساري هامش البخاري ج ٥ ص ٢٧٤ .

٥٦ - الشيخ مصطفى الدمشقي المتوفَّى سنة .... في مرقاة الوصول ص ١٠٩ .

٥٧ - السيّد حميد الدين الآلوسي المتوفَّى سنة ١٣٢٤ في نشر اللآلي ص ١٨١ .

٥٨ - السيِّد محمود القراغولي البغدادي الحنفي في جوهرة الكلام ص ١٠٥ .

٥٩ - عمر رضا كحالة في أعلام النساء ج ٤ ص ١٢٤ .

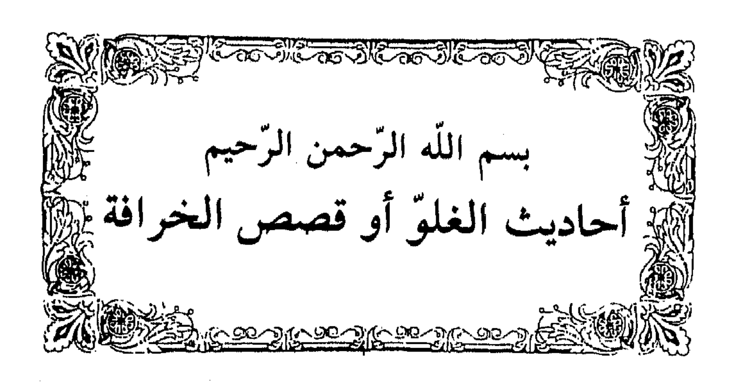
ثمَّ أنَّى لنا القول بمقال ابن كثير وملء الأسماع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيَّ فمن آذاها فقد آذاني[1] . وقوله : إنَّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها . أو : إنَّ الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ قاله لفاطمة ؟ !! .

راجع معجم الطبراني ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وصححه ، مسند ابن النجار ، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٥٢ ، تذكرة السبط ص ١٧٥ ، كفاية الطالب للكنجي ص ٢١٩ ، ذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٣٩ ، ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٧٢ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٣ ، كنز العمال ج ٧ ص ١١١ ، أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ١٨٥ ، كنوز الدقائق للمناوي ص ٣٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٢ ، الإسعاف ص ١٧١ ، ينابيع المودّة ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، الشرف المؤبّد ص ٥٩ .

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٤٠ .

هذه مطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصدِّيقة سلام الله عليها حتّى المباحات شأن أبيها الأقدس كما فهمه القسطلاني والحمزاوي في شرح البخاري ، وذلك يكشف عن أنَّها صلوات الله عليها لا ترضى إلاَّ لما فيه مرضاة المولى سبحانه ، ولا تغضب إلاَّ على ما يغضبه ، حتّى انَّها لو رضيت أو غضبت على أمر مباح فإنَّ هناك جهةٌ شرعيّةٌ تدخله في الراجحات ، أو تجعله من المكروهات ، فلن تجد منها في أيّ من الرضا والغضب وجهةٌ نفسيَّةٌ أو صبغةٌ شهويَّةٌ ، وذلك معنى العصمة التي نفاها المتحذلق ـ ابن كثير ـ بعد أن تصامم أو تعامى عن دلالة آية التطهير النازلة فيها وفي أبيها وبعلها وبنيها : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً﴾** .



هذه أبحاث مجملة تمثّل لنا نفسيّات الخليفة ، وملكاته الفاضلة ، نقتصر بها في هذه العجالة وإن لم تزحفنا ولم يتأتَّ بها القصوى ، غير أنَّ فيها بلغةً في إيقاف الباحث على حدِّ الخليفة ، ومقياساً يُعرف به القالي له من الغالي فيه ، والمقتصد فيه من القاسط عليه ، ويمتاز به سَرَف القول في امتداحه عن جزاف الإمتداح عليه ، فيهمُّنا عندئذ ذكرُ نزر يسير ممّا سرده القوم من فضائله التي فيها من الغلوِّ الفاحش ما لا يخفى على أيِّ أحد ثمَّ نشفعه بما جاء في غيره حتى يُعرف أهل الغلوّ في الفضائل .

١ - الشمس على العجلة :

ذكر الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه «عمدة التحقيق في بشائر آل الصدِّيق»(١) نقلاً عن كتاب «العقائق» والصفوري في «نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤» نقلاً عن «عيون المجالس» قالوا :

روي أنَّ النبيَّ ﷺ قال يوماً لعائشة رضي الله عنها : إنَّ الله تعالىٰ لمّا خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرَّة وجعلها على عجلة ، وخلق للعجلة ثمانمائة وستِّين عروة ، وجعل في كلِّ عروة سلسلة من الياقوت

(١) ص ١٨٤ هامش روض الرياحين لليافعي المطبوع بمصر سنة ١٣١٥ .

الأحمر ، وأمر ستّين ألفاً من الملائكة المقرّبين أن يجرّوها بتلك السلاسل مع قوّتهم التي اختصّهم الله بها ، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبّة الخضراء ، وتجلو جمالها على أهل الغبراء ، وفي كلّ يوم تقف على خطّ الإستواء فوق الكعبة لأنّها مركز الأرض وتقول : يا ملائكة ربّي إنّي لأستحي من الله عزّ وجلّ إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها ، والملائكة تجرّ الشمس لتعبر على الكعبة بكلّ قوّتها فلا تقبل منهم وتعجزالملائكة عنها ، فالله تعالى يوحي إلى الملائكة وحي إلهام فينادون : أيها الشمس بحرمة الرّجل الذي إسمه منقوش على وجهك المنير إلاّ رجعت إلى ما كنت فيه من السير . فإذا سمعت ذلك تحرّكت بقدرة المالك ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ! من هو الرّجل الذي إسمه منقوشٌ عليها ؟ قال : هو أبو بكر الصدّيق يا عائشة ! قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنّه يخلق الهواء ، ويخلق على الهواء هذه السّماء ، ويخلق بحراً من الماء ، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا ، وإنّ الشمس تتمرّد على الملائكة إذا وصلت إلى الإستواء ، وإنّ الله تعالىٰ قدّر أن يخلق في آخر الزمان نبيّاً مفضّلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشة ! على رغم الأعداء ، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره أعني أبا بكر صدّيق المصطفى ، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس ، وعادت إلى سيرها ، بقدرة المولى ، وكذلك إذا مرّ العاصي من أُمّتي على نار جهنّم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم ، فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش إسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة ، ولغيره طالبة .

قال الأميني : إنّ ممّا يغمرني في الحيرة أنّ هذه العجلة ، لِم لم يكشف عنها علماء الهيئة قديماً وحديثاً ، مع توفّر أدوات الكشف ومحصّلاته لأهل الهيئة الجديدة خاصّة ؟ وأنّهم لِماذا استقرّت آراؤهم بعد تقدُّم العلم واستفحال أمره وكثرة اكتشافاته على دوران الأرض على الشمس ؟ .

وتُعلمنا الرّواية عن أنّ البخار لم يَكن مستخدماً عند إنشاء تلك العجلة فيمدّها الله سبحانه به حتى لا يشعر بإرادة مريد ، ولا حياء من يستحي ، فيمضي بالعجلة ويوصلها في أسرع وقت إلى حيث شيءَ لَها قدماً ، ولكنّ العجب أنّ الله

سبحانه : لِم لَم يستبدل بالبخار عن الملائكة بعد اكتشافه فيطلق صراح أُولئك الآلاف المؤلَّفة المقيَّدة بسلاسل بلاء العجلة ، ويعتقهم عن مكابدة تمرُّد الشمس في كلِّ يوم ؟ .

وهناك مسألة لا أدري من المجيب عنها وهي : إنَّ إرادة الله سبحانه الفائقة على كلِّ قوَّة جامحة وهي تمسك السَّماء بغير عمد ترونها ، وتسير الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كلَّ شيء ، لِمَ لم تقم مقام أُولئك المسخَّرين لجرِّ الشمس حتّى لا يوقفها تمرُّد ، ولا تحتاج إلى عرى وسلاسل ، او الأقسام بمن كتب إسمه عليها ؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه في تسيير الشمس إلى هذه الأدوات من العجلة والعرى والسلاسل ، وخلق أُولئك الجمِّ الغفير من الملائكة واستخدامهم بالجرِّ الثقيل ، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يكون يقول له : كن ، فيكون ؟ .

ثمَّ إنَّ الشمس هلاّ كانت تعلم أنَّ إرادة الله سبحانه ماضيةٌ عليها بجريها إلى الغاية المقصودة ؟ فما هذا التوقُّف والتمرُّد ؟ والله تعالىٰ أعلم بعظمة الكعبة وشرفها منها وقد جعلها في خطَّة سيرها . أنّى للشمس أن تجهل بها ؟ وهي الشاعرة بخطِّ الإستواء ، ومحاذاة الكعبة ووصولها إلى تلك النقطة المقدَّسة ، وهي العارفة بمقامات الصدِّيق ، وانَّ إسمة منقوشٌ عليها ، وانَّ من واجبها أن تنقاد ولا تجمح على من أقسم به عليها .

وعن عويصات لا تنحلُّ : تجديد الشمس تمرُّدها كلَّ يوم ، **﴿والشمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾**(١) **﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون﴾**(٢) .

وأعوص من ذلك : إنشاد الملائكة إيّاها في كلِّ نهار بتلك الأُنشودة الضخمة ووحي الله إليهم بها طيلة عمر الدنيا .

---

(١) سورة يسٓ ؛ الآية : ٣٨ .

(٢) سورة يسٓ ؛ الآية : ٤٠ .

هكذا تشوِّه رواةُ السوء سمعة السنّة الشريفة ، وهي مقدَّسةٌ عن هذه الأوهام الخرافيّة وإنَّ هذه كلّها من جرّاء الغلوّ الممقوت في الفضائل ، ولو كان مختلق هذه المرسلة المقطوعة عن الإسناد يعلم ما ذكرناه من الفضائح المترتبة على افتعالها لَما اقتحم هذا الإقتحام المزري .

٢ ـ التوسّل بلحية أبي بكر :

ذكر اليافعي في روض الرياحين[1] عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنَّه قال : بينما نحن جلوسٌ بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلّم فرددنا عليه السّلام وأجلسناهُ بين يدي النبيِّ ﷺ فقال : من يقضيني حاجة في حبِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما حاجتك يا شيخ ؟ فقال : إنَّ لي أهلاً ولم يكن عندي ما نقتات به ، وأُريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به في حبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال فنهض أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وقال : نعم أنا أُعطيك ما يقوم بك في حبِّ رسول الله ﷺ . ثمَّ قال : هل من حاجة أُخرى ؟ فقال : نعم إنَّ لي ابنة أُريد من يتزوَّج بها في حياتي حبّاً في محمَّد ﷺ . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا أتزوَّج بها في حياتك حبّاً في رسول الله ﷺ ، هل من حاجة أُخرىٰ ؟ فقال : نعم أُريد أن أضع يدي في شيبة أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالىٰ عنه حبّاً في محمَّد ﷺ . فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الأعمى وقال : أمسك لحيتي في حبِّ محمَّد ﷺ . قال : فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وقال : يا ربِّ أسألك بحرمة شيبة أبي بكر إلا رددت عليَّ بصري . قال : فردَّ الله عليه بصره لوقته ، فنزل جبرائيل عليه السلام على النبيِّ ﷺ وقال : يا محمَّد ! السّلام يقرئك السّلام ، ويخصُّك بالتحيَّة والإكرام ، ويقول لك : وعزَّته وجلاله لو أقسم عليَّ كل أعمى بحرمَة شيبة أبي بكر الصدِّيق لرددت عليه بصره ،

---

(١) طبع بمصر في المطبعة السعيدية هامش العرائس للثعلبي توجد الرواية في ص ٤٤٣ ينقل عنه القسطلاني في المواهب ، وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٥٧ : مؤلف حسن ، وطبع لليافعي كتاب آخر مستقلاً في مصر سنة ١٣١٥ باسم روض الرياحين أيضاً ، وهو تأليفه الآخر غير المطبوع في حاشية العرائس .

ومـا تركت على وجـه الأرض أعمى ، وهذا كلّه ببـركتك وعلوّ قـدرك وشأنـك عنـد ربِّك .

قـال الأميني : ﴿**إنَّهـا لا تعمـى الأبصـار ولـكن تـعمـى القـلوب التـي في الصـدور**﴾ . حقّاً إنَّ هـذا الضريـر قد عمي قلبـه قبل بصـره ، فلم يعقل أنَّ القسم بشيبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أولىٰ من شيبة أبي بكر ، فهي مقـدَّمة قـداسةً وشـرفاً وزلفـةً عند الله سبحانه ، وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم أكبر من أبي بكر سنّاً وأكثر شيبـة ، فما أَعمـى الرجـل عنها إن كان يريد مقسماً به يبرّ الله سبحانـه به قسمـه ؟ أو أنَّه كـان له في شيبـة أبي بكر غاية لم نعرفهـا ؟ ثمَّ أين عن هذه الشيبـة عميان أهـل السنَّة ، ومـا أغفلهم عن الوحي المنزل فيها ؟ فيقسمون على الله بها فيكشف عن أبصارهم ، وما بال الحفّاظ وأئمَّة الحديث أرجأوا نشر هـذه الروايـة إلى القرن الثـامن في عهد اليـافعي ؟ هل بخلوا على عميـان الأُمَّة بمثـل هذا النجـاح الباهـر وفي الوحي المـزعوم قـوله سبحـانه : وعزَّتـي وجـلالي لـو أقسـم عليَّ كل أعمى . الـخ ؟ أو أنّهم وجـدوا مـولـد هـذا الحديث بعد عصورهم فلم يشيدوا بذكره ؟ أو رأوا فيـه غلـواً فاحشـاً بتقديم لحيـة أبي بكر على شيبة رسـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فطووا عن روايتـه كشحاً ؟ أو عقلوا فيـه مهزأة بالله ووحيه وأمينه ونبيِّه فضربوا عنه صفحاً ؟ .

وللقـوم حول شيبـة أبي بكـر روايـات منهـا مـا أسلفنـاه في الجـزء الخـامس ص ٤١٧ من أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا اشتاق إلى الجنَّة قبّـل شيبة أبي بكـر . ومرَّ هنـالك أنَّهـا من أشهر المشهـورات من الموضـوعات ، ومن المفتـريـات المعلوم بـطلانهـا ببديهة العقل كما قاله الفيروزآبـادي والعجلوني .

ومنهـا مـا ذكـره العجلوني في كشف الخفـا ج ١ ص ٢٣٣ من أنَّ لإبـراهيم الخليل وأبي بكر الصدِّيق شيبةٌ في الجنَّة .

ثمَّ قـال فـي المقاصـد نقلاً عن شيخـه ابن حجر : لم يصـحَّ أنَّ للخليل في الجنَّة لحية ولا للصدِّيق ، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث المشهورة ولا الأجـزاء المنثورة . ثمَّ قـال : وعلى تقديـر ثبوت وروده فيـظهر لي أنَّ الحكمـة في ذلك : أمّا في حقِّ الخليل فلكونه منزَّلاً منزلة الـوالد للمسلمين لأنَّـه الذي سمّاهم

بالمسلمين وأُمروا باتِّباع ملّته ، وأمّا في حقِّ الصدِّيق فلأنَّه كالوالد الثّاني للمسلمين ، إذ هو الفاتح لهم باب الدخول على الإسلام .

قال الأميني : إنَّ الذي سمّى الأُمَّة المرحومة بالمسلمين هو الله سبحانه كما في قوله تعالىٰ : **﴿جاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم . هو سمّاكم المسلمين من قبلُ وفي هذا﴾**(١) .

وإن أمكنت التسمية من إبراهيم من قبلُ فإنّها غير ممكنة منه في هذا وهو القرآن الكريم ، وإنّما وقع ذكر ملّة إبراهيم في البين إمتناناً منه سبحانه على الأُمَّة بجعل الإسلام شريعة سهلة لا حرج فيها ترغيباً في الدخول فيه . فالقول بأنَّ إبراهيم سمّاهم مسلمين لا يتمُّ مع قوله تعالىٰ : **﴿وفي هذا﴾** يعني في القرآن ، قال القرطبي : هذا القول مخالفٌ لقول عظماء الأُمَّة . وقال القرطبي : هذا لا وجه له لأنَّه من المعلوم أنَّ إبراهيم لم يسمّ هذه الأُمَّة في القرآن المسلمين .

وقال ابن عبّاس : الله سمّاكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدِّمة وفي الذِّكر . وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وابن مبارك .

وتدلُّ على تعيّن هذا القول قراءة أُبيّ بن كعب : الله سمّاكم المسلمين . كما في تفسير البيضاوي ج ٢ ص ١١٢ ، وكشّاف الزمخشري ج ٢ ص ٢٨٦ ، وتفسير الرازي ج ٦ ص ٢١٠ ، وتفسير ابن الجزي الكلبي ج ٣ ص ٤٧ .

واستقربه الرازي في تفسيره فقال : لأنّه تعالىٰ قال : **﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾** . فبيَّن أنَّه سمّاهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلّا بالله .

واستصوبه ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٢٣٦ وقال : لأنَّه تعالى قال : **﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حَرج﴾** . ثمَّ حثّهم وأغراهم على ما جاء به الرَّسول صلوات الله عليه بأنّه ملّة أبيهم الخليل ، ثمَّ ذكر منّته تعالىٰ على هذه الأُمّة بما نوَّه به من ذكرها والثناء عليه في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يُتلى

---

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٧٨ .

على الأحبار والرهبان فقال: ﴿هو سمّاكم المسلمين من قبلُ﴾ . أي من قبل هذا القرآن . وفي هذا .

وبهذا تعرف قيمة ما حسبه المتفلسف من أنَّ تنزيل إبراهيم منزلة الأب للمسلمين لمحض التسمية فإنَّه ممّا لا يُقام له وزنٌ وإلَّا لوجب اتّخاذ من سمّى أحداً باسمٍ (أباً) تنزيليّاً ومن المعلوم بطلانه، وإنّما سمّاه الله أباً للمسلمين لأنّه عليه‌السلام أب الرسول الأمين وإنَّ قريشاً من ذريّته وهو صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أبو الأمّة وأُمّته في حكم أولاده وأزواجه أُمّهاتهم كما ورد عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من قوله: إنّما أنا لكم كالوالد . أو: مثل الوالد[1] .

أنا لا أدري ما هي الخاصّة في الأب التنزيليّ لأُمّة خاصّة أن تكون له لحية في الجنّة دون الأب الحقيقيّ للأمم جمعاء، وهو أبو البشر آدم عليه‌السلام ، ولا لحية له ؟ مع ما ورد عن كعب الأحبار أنّه قال: ليس أحدٌ في الجنة له لحية إلَّا آدم ، له لحية سوداء إلى سرَّته . ذكره ابن كثير في تاريخه ج ١ ص ٩٧ .

وإن كانت الحكمة في لحية إبراهيم الخليل وأبي بكر ما زعمه العجلوني من الأُبوَّة فما الحكمة في لحية موسى بن عمران ؟ وقد جاء في الحديث: ليس أحدٌ يدخل الجنَّة إلَّا جرد مرد إلَّا موسى بن عمران فإنَّ لحيته إلى سرَّته .
[السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٤٢٥]

ثم إنَّ للأُمَّة المسلمة أباً تنزيليّاً روحيّاً هو أحقُّ بالأُبوَّة من الخليل عليه‌السلام وهو نبيّها الأقدس محمَّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كما مرّ حديثه، وبه حياتها الحقيقيَّة، وهو الذي يدعوهم لما يحييهم، ومنه كيانها المستقرُّ، وعزُّها الخالد، فهو أولى باللحية من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر .

والعجب كلّ العجب في عدِّ أبي بكر أباً ثانياً للأُمَّة لأنّه فتح لها باب الدخول إلى الإسلام، وإنَّ الذي فتح باب الإسلام بمصراعيه لدخول الأُمم فيه، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، هو رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بدعوته الكريمة،

---

(١) تفسير الخازن ج ٣ ص ٣١٤ ، تفسير النسفي هامش الخازن ج ٣ ص ٣١٤ .

وبراهينه الصادقة ، ومعاجزه المعلومة ، ونواميسه المقدَّسة ، وخلائقه الرضيَّة ، ومغازيه الدامية ، فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنَّة .

على أنَّ الأُمَّة قطُّ لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الإسلام ، ولم يدر أيّ أحد أنَّه متى فتحه ، وأين فتحه ، ولماذا فتحه ، وأيّ باب هو . نعم لا تخفى على الأُمَّة جمعاء أنَّه غلّق باباً عليها وحرمها من خير أهله وعلمه ورشده وهداه ، ألا : وهو باب مدينة علم النبيِّ مولانا أمير المؤمنين بالنصِّ المتواتر ، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله ، وإليه يتوجَّه الأولياء ، فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه ، وزهرت معالمه ، وتبلّغت حكمه ، وعمل بأحكامه ، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، منهم أُمَّةٌ مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون ، لكّنه عليه السلام مُنع عن حقِّه فجهلت العباد ، وأجدبت البلاد ، وصوّحت المرابع ، وظهر الفساد في البرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ، وإلى الله المشتكى .

وإن أراد القائل من فتح الباب بدءَ الفتوح في أيام الخليفة ؟ فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللحية منه ، لأنَّ عمدة الفتوح وقعت في أيّامه .

نعم : إن يكن هناكَ من يحقُّ أن يُعدَّ للأُمَّة أباً ثانياً تنزيلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي به كان تمام الدعوة والنجاح في المغازي ، وهو نفس النبيِّ القدسيَّة وخليفته المنصوص عليه ، ولذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : حق عليٍّ على هذه الأُمَّة كحقِّ الوالد على الولد ، ومن طريق عمّار وأبي أيّوب الأنصاري قوله : حقُّ عليّ على كلِّ مسلم حقُّ الوالد على ولده[1] .

٣ ـ شهادة أبي بكر وجبرائيل :

ذكر النسفي أنَّ رجلاً مات بالمدينة فأراد النبيُّ ﷺ أن يصلّي عليه فنزل جبرائيل وقال : يا محمّد لا تصلِّ عليه . فامتنع فجاء أبو بكر فقال : يا نبيَّ الله صلِّ

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٢ نقلاً عن الحاكمي ، كنوز الدقائق ص ٦٤ نقلاً عن الديلمي ، مناقب الخوارزمي ص ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحموي ، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٢ .

عليه فما علمتُ منه إلاَّ خيراً . فنزل جبرائيل وقال : يا محمَّد صلِّ عليه ، فإنَّ شهادة أبي بكر مقدّمة على شهادتي .

[مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٢٥ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

قال الأميني : هلمّ معي نناقش راوي هذه السفسطة الحساب بعد أن لم نقف لها على إسناد نناقش رجاله ، ونسائله عن أنَّ ما أدّاه جبرائيل من الشهادة أكان من عند نفسه ؟ ولم يكن لأمين الله على وحيه أن يأتي رسوله بشيء من قِبَل نفسه فحابى أبا بكر بتقديم شهادته أم كان وحياً من المولى سبحانه ؟ ـ وهو المطَّرد في كلِّ هبوط له إلى الرسول الأمين ـ فأبطل ذلك الوحي المبين مجازفةً لمحض أنَّ أبا بكر شهد بضدِّ ما جاء به ؟ وأيّاً ما كان فإنَّ إخباره كان لا محالة عن عدم تأهّل الرجل في الواقع للصَّلاة عليه في صورة نهي مفيد للتحريم ، ومؤدّاه أنَّ الله سبحانه يبغض أنْ ترفع إليه صلاةٌ على مثله من نبيِّه المحبوب ، فهل يكون قول أبي بكر بتأهّله المستنبط من ظاهر الحال الذي يخطىء ويصيب، ولا شكَّ أنَّهمخطىء في هذا المورد بالخصوص لنزول الوحي بخلافه ، فهل يكون قولُ هذا شأنه مبطلاً للوحي المبين ؟ تبصّر واحكم .

٤ ـ خاتم النبيّ وسجلّه :

روي أنَّ النبيَّ ﷺ دفع خاتمه إلى أبي بكر وقال : اكتب عليه : لا إلٰه إلاَّ الله ، فدفعه أبو بكر إلى النقّاش وقال : اكتب عليه : لا إلٰه إلاَّ الله ، محمّد رسول الله . فكتب عليه ، فلمّا جاء به أبو بكر إلى النبيِّ ﷺ وجد عليه لا إلٰه إلاَّ الله محمّد ، رسول الله ، أبو بكر الصدِّيق . فقال : ما هذه الزيادة يا أبا بكر ؟ فقال : ما رضيت أن أُفرِّق اسمك عن اسم الله ، وأمّا الباقي فما قلته فنزل جبرائيل وقال : إنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يقول : إنِّي كتبت اسم أبي بكر لأنَّه ما رضي أن يفرِّق اسمك عن اسمي ، فأنا ما رضيت أن أُفرِّق إسمه عن اسمك . نزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٨٥ نقلاً عن تفسير الرازي ، مصباح الظلام للجرداني ص ٢٥ .

قال الأميني : المتسالم عليه بين المحدِّثين أنَّ نقش خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كان «محمّد رسول الله» بلا أيِّ زيادة ففي الصِّحاح عن أنس أنَّه ﷺ صنع خاتماً من ورق ونقش فيه : محمَّد رسول الله . وقال : فلا ينقش أحدٌ على نقشه .

صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٩ . صحيح مسلم ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٢٤ ، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، سنن النسائي ج ٨ ص ١٧٣ .

وفي رواية البخاري والترمذي عن أنس قال : كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمَّد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر.

[صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٩ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٢٥]

وروى ابن سعد في طبقاته من مرسل ابن سيرين أنَّ نقشه كان : بسم الله محمَّدٌ رسول الله . وقال ابن حجر : ولم يتابع على هذه الزيادة . ذكره عنه الزرقاني في شرح المواهب ج ٥ ص ٣٩ .

وأخرج أبو الشيخ في الأخلاق النبويَّة من رواية عرعرة بن البرند عن أنس قال : كان مكتوباً على فصِّ خاتم رسول الله ﷺ : لا إلٓه إلّا الله ، محمَّدٌ رسول الله . قال ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٧٠ : عرعرة ضعّفه ابن المديني وزيادته هذه شاذَّة . وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٥ ص ٣٩ : كان نقش الخاتم النبويِّ كما في الصحيحين وغيرهما . محمَّدٌ رسول الله . فلا عبرة بهذه الرِّواية كرواية أنَّه كان فيه كلمتا الشهادة معاً ؛ ورواية ابن سعد عن أبي العالية أنَّ نقشه : صدق الله . ثمَّ ألحق الخلفاء : محمَّدٌ رسول الله .

فما قيمة ما جاء به من النقش صوّاغ القرون المتأخِّرة ، وصاغته يد الإفك والغلوِّ بعد لأْيٍ من وفاة النبيِّ الأعظم وانقطاع الوحي عنه ، ولا يوجد في تآليف الأوَّلين منه عين ولا أثر ؟ وأنت ترى السلف حاكمين في حديث زيادة كلمة الإخلاص والبسملة بالشذوذ وأنَّه لا عبرة به ولا يُتابع عليه ، ولا يبحث أيُّ متضلع في الفنِّ عن هذه الزيادة المختلقة التي لا صلة لها بالموضوع ، وليست هي إلّا إستهزاء بالله ونبيِّه ووحيه وأمين وحيه .

ثمَّ قد صحَّ عند القوم أنَّ ذلك الخاتم المنقوش الخاصّ بالنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم «وكان

يتختم به ويختم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن له خاتم غيره ولم يحتمل التعدُّد قطُّ أحدٌ في رفع اختلاف أحاديث النقش» كان عند أبي بكر في يمينه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعده في يد عمر ، وبعده عند عثمان في يمينه وسقط سنة ثلاثين من يده أو : من يد غيره ، في بئر أريس[1] واتَّخذ له خاتماً آخر[2] وفي رواية ابن سعد عن الأنصاري كما في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٧٠ وسنن النسائي ج ٨ ص ١٧٩ : إنَّه كان في يد عثمان ستّ سنين من عمله . فلو كانت تلكم الأسطورة صحيحة وكان إسم الخليفة منقوشاً في خاتم كان يلبسه النبيُّ الأقدس طيلة حياته وتنظر إليه الصحابة من كثَب وترى بريقه في خنصره كما في صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ كان حقاً على الخليفة والخاتم بيده أن يحتجَّ بها يوم تسنَّم عرش الخلافة ، وكان هناك حوارٌ وصخبٌ ، لكنه لم يحتج لأنَّ ذلك الخاتم ما كان مصوغاً بعدُ ولا منقوشاً ، ولم يُعط من المغيّب أنَّه يُستنحت له ذلك بعد قرون متطاولة . وكان حقّاً على الصحابة الملتاثين به أن يحتجّوا بذلك النقش المصنوع في عالم الملكوت ، فإنَّ الإحتجاج به أولى من الإحتجاج بكبر السنِّ وأمثاله ، لكنَّهم تركوا الحِجاج لأنَّ هذا المولود لم يكن يولد بعدُ ، وإنَّما ولدته أُمُّ الغلوِّ في الفضائل في آخر الدهر .

ولا يتأتّى لأحد عرفان سرٍّ ما جاء به جبرائيل الخيالي من القران بين اسم النبيِّ الأعظم وبين اسم أبي بكر في ذلك النقش المصوغ في عالم الغيب ، أكان أبو بكر نفس النبيِّ الأعظم بنصِّ القرآن الكريم ، أم كان قرينه في العصمة والقداسة في الذكر الحكيم ؟ أم نزلت فيه آية التبليغ مع ذلك الإرهاب ؟ أم أكمل الله به الدين ، وأتمَّ به النعمة كما بدأ بالنبيِّ الطاهر ؟ أم كان رديف النبيِّ الأقدس في الإسلام والدعوة إلى الله من أوَّل يومه ؟ أم كان وصيَّه وخليفته المنصوص عليه من بدء الدعوة ؟ أم قُرنت طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته كما في صحاح جاءت عنه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أم كان نظيره في أُمَّته بنصٍّ منه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أم ؟ أم ؟ إلى مائة أم . لِماذا

---

(١) هي ميلين من المدينة وهي من أقل الآبار ماء .

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٦ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٢١٤ ، سنن النسائي ج ٨ ص ١٧٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٥٥ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٢٣ ، ٢٦٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ .

ذلك القِران ؟ أنا لا أدري ، ومختلق الرواية أيضاً لا يدري .

٥ ـ عَرض جنّـة أبي بكر :

قـال الصفوري في نـزهـة المجـالس ج ٢ ص ١٨٣ : رأيت في الحـديث أنَّ الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملكٌ : وددت أنَّ الله تعالىٰ أعـطاني قوَّة ألف ملك ، وكسـاني ريش ألف طير ، فـأطير حـول الجنـة حتى أبلغ طـرفهـا ، فأعطاه الله ذلك فطار ألف سنة حتّى ذهبت قوته وتساقط ريشه ، ثمَّ أعطاه الله تعالىٰ قـوَّةً وأجنحة فـطار ألف سنة ثـانية حتّى ذهبت قـوَّته وتسـاقط ريشه ، ثمَّ أعـطاه الله تعالىٰ قوَّةً وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتّى ذهبت قوَّته وتساقط ريشـه ، فوقـع على باب قصر باكياً فأشرفت عليـه حوراء فقـالت : أيُّها الملك مـا لي أراك باكيـاً وليست هذه بدار بكاء وحزن ، وإنَّمـا هي دار فرح وسـرور ؟ فقال : لأنّي عـارضت الله في قدرته . ثمَّ أعلمها بحديثه ، فقالت له : لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طـرت في هذه الثلاثة آلاف سنة ؟ قال : لا . قالت : وعزَّة ربِّي ما طرت أكثر من جـزء واحد من عشرة آلاف جزء ممّا أعدَّه الله تعالىٰ لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه . وذكـره الجرداني في مصباح الظلام ج ٢ ص ٢٥ .

قال الأميني : فمجموع ما أعدَّه الله تعالىٰ لأبي بكر في الجنَّة هو مسير ثلاثين ألف ألف سنة لطائر يطير بقوَّة ألف ملك وريش ألف طير ، جلّت قدرة الباري .

أنـا أكل حسـاب هـذه الروايـة إلى الشبـاب النـابـه العصـري المتخـرِّج من المدارس العالية في أرجاء العـالم . كما أرى النـظرة في رجال سنـدها من وظـائف رجـال الغيب إذ من المستحيل أن يقف عليـه متتبِّـع ، ويعـرفـه حـافظٌ ضليـع ، أو محدِّثٌ بعيد الطِّنء ، أو رجاليّ واسع الخطوة من رجال عالم الشهود .

٦ ـ اللّه يستحيي من أبي بكر :

عن أنس بن مالك قـال : جاءت امـرأةٌ من الأنصار فقـالت : يا رسـول الله ! رأيت في المنـام كـأن النخلة التي في داري وقعت ، وزوجي في السفـر . فقـال : يجب عليكِ الصبر فلن تجتمعي بـه أبداً . فخـرجت المرأة بـاكيةً فـرأت أبا بكـر ،

فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبيِّ ﷺ ، فقال : إذهبي فإنَّك تجتمعين به في هذه الليلة . فدخلت إلى منزلها وهي متفكّرة في قول النبيِّ ﷺ وقول أبي بكر ، فلمّا كان الليل وإذا بزوجها قد أتى ، فذهبت إلى النبيِّ ﷺ وأخبرته بزوجها ، فنظر إليها طويلاً فجاءه جبرائيل وقال : يا محمَّد ! الذي قلتَه هو الحقُّ ، ولكن لمّا قال الصدِّيق إنَّكِ تجتمعين به في هذه الليلة استحيى الله منه أن يجري على لسانه الكذب ، لأنَّه صدّيق فأحياه كرامةً له .

[نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

قال الأميني : ليتنا كنّا نقف على رجال هذا الخيال النبهاء الذين أرادوا كسح معرَّة الكذب عن ساحة الصدِّيق فجرُّوها إلى الساحة النبويَّة ، فكأنَّ الله لم يبال بأن يجري الكذب على لسان نبيِّه الصّادق المصدَّق ، حيث انَّه لم يخبر عن موت الرجل وإنَّما أخبر امرأته بأنَّها لن تجتمع به أبداً بكلمة لن المفيدة لتأبيد النفي المؤكّد بقوله أبداً فظهر خلافه ، لكنَّه استحى من أبي بكر بعد أن رجم بالغيب إفكاً ظاهراً فأرادأن يرحض عنه ذلك بإحياء الرجل وعدم إماتته كرامةً له ، وهل يرحضه ذلك بعد أن وقع الكذب ؟ أنا لا أدري .

وهل كانت كرامة أبي بكر على الله أعظم من كرامة رسوله عليه ؟ حيث لم يرض بظهور الكذب عليه ورضيه على مصطفاه ؛ ولم يكن في انتشاره عنه كسرٌ للإسلام لكن انتشاره عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فتٌّ في عضد الدين .

ثمَّ اعجب من تعليل الرواية بأنَّ أبا بكر كان صدِّيقاً . أوَ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيِّد الصدِّيقين أجمع ؟ وهب أنّ وحي هذه المزعمة خفف عن ساحة النبوَّة شيئاً يمكن أن يفوه به مَن اختلقها بأنّ الأمر كان كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن أحيا الله الرجل للغاية التي ذكرها فلا كذب صلى الله عليه وآله وسلم لكن يدفعه ما قدّمناه من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخبر عن موت الرجل وإنَّما أخبر عن أنَّها لن تجتمع به أبداً وقد وقع خلاف ما أنبأ به . نعم : لعلَّ ما مرَّ من رأي الخليفة من جواز تقديم المفضول على الفاضل ، أو الغلوّ في الفضائل ، يرخِّصان بكلِّ ما ذكر .

٧ ـ كرامة دفن أبي بكر :

أخرج ابن عساكر في تاريخه قال : رُوي أنّ أبا بكر رضي الله عنه لمّا حضرته الوفاة قال لمن حضره : إذا أنامتُّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتّى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبيِّ ﷺ فقفوا بالباب وقولوا : السلام عليك يا رسول الله ! هذا أبو بكر يستأذن . فإن أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فأدخلوني وادفنوني ، وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به ، فلمّا وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر : أُدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإنَّ الحبيب إلى الحبيب مشتاقٌ .

وذكره الرازي في تفسيره ج ٥ ص ٣٧٨ ، والحلبي في السيرة النبويَّة ج ٣ ص ٣٩٤ ، والدياربكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٤ ، والقرماني في أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ٢٠٠ ، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٩٨ .

قال الأميني : أراد رواة هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في موطن القداسة [حجرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم] بعد أن أعيتهم المشكلة وعجزوا عن الجواب ، فإنَّ الحجرة الشريفة إمّا أن تكون باقية على ملكه صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الحقّ المبين . أو أنّها عادت صدقة يؤول أمرها إلى المسلمين أجمع ؟ وعلى الأوّل كان يشترط فيه رضاء أولاد وارثته الوحيدة السبطين الإمامين وأخواتهما ولم يستأذن منهم أحدٌ . وعلى الثاني كان يجب على الخليفة أو على من تولّى الأمر بعده أن يستأذن الجامعة الإسلاميَّة ولم يكن من أيّ منهما شيءٌ من ذلك ، فبقي الدفن هنالك خارجاً عن ناموس الشريعة . وإن قيل : إنَّه دفن بحق ابنته ؟ فأيّ حق لها بعدما جاء به أبوها من قوله : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ؟ على أنّا أسلفنا في الجزء السادس ص ٢٢٩ : أنّه لم يكن لأُمّهات المؤمنين إلاَّ السكنى في حجرهنَّ كالمعتدَّة ولم يكن لهنَّ ترتيب آثار الملك على شيء منها . وقدّمنا هنالك أيضاً أنَّ على فرض الميراث وعلى تقدير الإرث من العقار فإنَّ لعائشة تسع الثمن من حجرتها لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم توفّي عن تسع ، ومساحة المحلِّ لا يسع تسع ثمنها جثمان

إنسان مهما كبرت الحجرة . على أنَّ حقّها كان مشاعاً وليس لها التصرُّف فيه بغير إذن شريكاتها في الميراث .

أراد القوم التقصّي عن هذه المشكلات فكوَّنوا ما يستتبع مشكلةً بعد مشكلة وهي : أنَّ الخليفة هل قال ما قاله بعهد من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أو أنَّه أحاط علماً بالمغيَّب ؟ أمّا الثاني فلا أحسب أحداً يدَّعي له ذلك بعدما أحطنا خُبراً بكلِّ ما قيل في فضائله ، وبعدما أوقفناك على مبلغ علمه في المشهودات ، فأين هو عن الغيوب ؟ .

وأمّا الأوَّل فلو كان ذلك لما كان لترديده بين الدفن في الحجرة إن فتح الباب وسقط القفل ، وبين الذهاب به إلى البقيع إن لم يكن ذلك ، فإنَّ ما أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لا بدَّ أن يكون ، فلا ترديد فيه .

نعم : من المحتمل أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعهد ذلك لنفس أبي بكر وإنّما رواه عنه من لا يثق به الخليفة ولذلك نوَّه بما قال بالترديد ، أو أنَّ الرواية لا صحّة لها ، ولذلك لم تنتشر في الصحاح والمسانيد إلى عهد الحافظ ابن عساكر ، وهي على فرض صحّتها مكرمة عظمى وقعت بمشهد الصحابة ومزدحم المهاجرين والأنصار يوم شيّعوه إلى مقرِّه الأخير ، وكان يجب والحالة هذه أن يتواصل الهتاف بها ، وبذلك الهتاف المسموع من القبر الشريف منذ ذلك العهد إلى منصرم الدهر ، ولم يكن يوم ذاك في الأبصار غشاوة ، ولا في الآذان وقر ، ولا في الألسنة بكم ، لكنه ويا للأسف لم ينبس أحدٌ عنها ببنت شفة ، وما ذلك إلَّا لأنَّ المكرمة لم تقع ، والقفل ما سقط ، والباب ما انفتح ، والهتاف لم يكن ، وأُدخلوا الحبيب إلى الحبيب ، فإنَّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق مهزأة نشأت من الغلوِّ في الفضائل تنبىء عن روح التصوّف في مختلق الرواية . نعم :

ما كلّ من زار الحمى سمع الندا ... مِن أهله أهلاً بذاك الزائر

هذه الكرامة المنحوتة المنحولة ذكرها الرازي ومن بعده مرسلين إيّاها إرسال المسلّم ، محتجّين بها في عداد فضائل أبي بكر ، غير مكترثين لما في إسنادها من العلل أو جاهلين بها ، وإنّما أخرجها ابن عساكر من طريق أبي طاهر موسى بن

محمّد بن عطاء المقدسي عن عبد الجليل المدني عن حبّة العرني فقال : هذا منكرٌ ، وأبو الطاهر كذّابٌ ، وعبد الجليل مجهولٌ . وفي لسان الميزان ج ٣ ص ٣٩١ : خبرٌ باطلٌ . اهـ .

وأبو الطاهر المقدسي كذّبه أبو زرعة وأبو حاتم . وقال النسائي ليس بثقة . وقال ابن حبان : لا تحلُّ الرواية عنه كان يضع الحديث . وقال ابن عدي : كان يسرق الحديث . وقال العقيلي : يحدِّث عن الثقات بالأباطيل والموضوعات ، منكر الحديث وقال منصور بن إسماعيل : كان يضع الحديث على مالك . راجع المصادر المذكورة ج ٥ ص٢٨٣

٨ ـ جبرائيل يسجد مهابةً من أبي بكر :

حدَّث عالم الأُمّة الشيخ يوسف الفيشي المالكي قال : كان جبرائيل إذا قدم أبو بكر على النبيِّ ﷺ وهو يحادثه يقوم إجلالاً للصدِّيق دون غيره ، فسأله النبيُّ ﷺ عن ذلك ؟ فقال جبرائيل : أبو بكر له عليَّ مشيخة في الأزل ، وما ذاك إلاَّ أنَّ الله تعالىٰ لمّا أمر الملائكة بالسجود لآدم حدَّثتني نفسي بما طُرد به إبليس فحين قال الله تعالىٰ : ﴿اسجدوا﴾ . رأيت قبّة عظيمة عليها مكتوبٌ . أبو بكر أبو بكر . مراراً وهو يقول : أُسجد . فسجدت من هيبة أبي بكر فكان ما كان .

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق في هامش روض الرياحين ص ١١١ فقال : وحدَّثني أيضاً شيخنا الأستاذ محمّد زين العابدين البكري بما يقارب ما قاله الفيشي وسمعتها من أغلب مشايخنا بالأزهر .

قال الأميني : عجباً لهؤلاء القوم لم يسلم منهم حتى أمين الله على وحيه ـ جبرائيل ـ المعصوم من الزلل من أوّل يومه فجعلوه في عداد إبليس اللعين الطريد لولا أنَّ أبا بكر تدارك أمره .

عجباً لهذا الملك المزعوم يأتمنه المولى سبحانه ثمَّ يرتاب في أمره ، ولا يُصلح ذلك الشنار القول بأنّه إنّما ائتمنه بعد زلّته تلك ، فإنّه سبحانه لا يأتمن من يمكن في حديث نفسه الكفر ، فلعلَّ تلك الخاطرة دبّت فيه ولم يحصل مَن يسدِّده فتعود هاجسته كفراً صريحاً .

عجباً لهذا الملك المقرَّب تروعه هيبة أبي بكر ولا تأخذه هيبة الإلٓه العظيم فيطيع أبا بكر وهو يهم أن يطيع الله في أمره بالسجدة ، وأيّ سجدة هذه وما قيمتها من مثل جبرائيل وقد وقعت من هيبة أبي بكر لا بصفة القربان إلى المولى سبحانه والزلفى لديه والإمتثال لأمره فكأن هيبة أبي بكر في الملأ الأعلى أعظم وأفخم من هيبة بارئه جلّت عظمته .

ثمَّ أين كانت قبَّة أبي بكر من مستوى عالم الملكوت ؟ ومِن الأحرى أن تضرب هناك قبَّة نبيٍّ العظمة حتى يسدِّد فيها من شارف الزلَّة لا قبَّة إنسان من الممكن أن تكتنفه المآثم ، وتموت بضعة المصطفى وهي واجدةٌ عليه .

ومِن أين علم أبو بكر بهاجسة جبرائيل وحديث نفسه ؟ أو هل كان يعلم الغيب ؟ أو اوحي إليه بواسطة غير أمين الوحي ؟ لك الحكم في هذه كلّها أيُّها القارىء الكريم .

ثمَّ العجب من مشايخ الأزهر الذين أخبتوا إلى هذه الخزاية فأثبتوها في الكتب ولهجوا بها في الأندية ، وخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى فنشروها في الملأ العلمي وشوَّهوا بها صفحة التاريخ وسمعة الإسلام المقدَّس ، نعم : أرادوا نحت فضيلة للخليفة فأعماهم الغلوُّ في الفضائل فنحتوها رذيلةً لجبرائيل الأمين ، كلّ ذلك لأنَّهم افتعلوها من غير بصيرة في الدين ، أو رويَّة شاعرة في المبادىء الإسلاميَّة .

وأحسب أنَّ مَن اختلق هذه الرّواية أراد إثباتها تِجاه ما يروى لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام من تسديده لجبرائيل يوم خاطبه الله سبحانه : مَن أنا ومَن أنت ؟ فتروّى قليلاً وقد أخذته هيبة الجليل سبحانه حتّى أدركته نورانيّة مولانا الإمام عليه السلام ، فعلّمه أن يقول : أنت الجليل وأنا عبدك جبرائيل . وقد نظم ذلك الشاعر المبدع الشيخ صالح التميمي من قصيدة له في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وخمَّسها الشاعر المفلق عبد الباقي افندي العمري كما في ديوانه ص ١٢٦ وفي ديوان صاحب الأصل ص ٤ قالا :

روضةٌ أنت للعقول ودوحُ ... يجتنى من طوباك رشدٌ ونصح
ومتى هبَّ من عبيرك نفحُ ... شمل الرُّوح من نسيمك روح

حين مِن ربِّه أتاه النِّداءُ

طالما للأملاك كنتَ دليلاً ولنا موسهم هديتَ سبيلا

يوم نادى ربُّ السَّما جبرئيلا قائلاً : مَن أنا فروَّى قليلا

وهو لولاك فاته الإهتداء[1]

لك شكلٌ نتيجةٌ للقضايا لك قلبٌ للعالمين مرايا

لك فعلٌ حوى رفيع المزايا لك إسمٌ رآه خير البرايا

مذ تدلى وضمَّه الإسراء

وليست هذه كقصَّة أبي بكر، فليس فيها أنَّ جبرائيل نوى ما نواه إبليس من المروق عن أمره سبحانه ، ولا فيها أنَّ أمير المؤمنين أنبأ عن مغيَّب ، ولا أنّ هيبته غلبت هيبة الله العظيم ، ولا أنَّ جبرائيل سجد من هيبته ، ولا أنَّ له هنالك قبَّةٌ عظيمة مكتوبٌ عليها : علي علي ، ولا أنَّه هتف مخاطباً لجبرائيل بقوله : أُسجد . وروَّعه بذلك ، ليست فيها هذه كلّها لأنَّ الشيعة في المنتأى عن الغلوّ في الفضائل .

٩ ـ قصّة فيها كرامة لأَبي بكر :

أخبر أبو العبّاس ابن عبد الواحد عن الشيخ الصالح عمر بن الزغبي قال : كنت مجاوراً بالمدينة المشرَّفة على مشرِّفها أفضل الصّلاة والسَّلام فخرجت يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإماميَّة في قبَّة العباس وقد اجتمعوا في القبَّة قال : فوقفت أنا على باب القبَّة وقلت : أُريد في محبّة أبي بكر شيئاً . فخرج إليَّ شيخٌ منهم وقال : إجلس حتّى نفرغ ونعطيك ، فجلست حتّى فرغوا ثمَّ خرج ذلك الرجل وأخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأدخلني الدار وأغلق ورائي الباب وسلّط عليَّ عبدين فكتَّفاني وأوجعاني ضرباً ، ثمَّ أمرهما بقطع لساني فقطعاه ، ثمَّ أمرهما فحلّا كتافي ، وقال : أُخرج إلى الذي طلبت في محبّته ليردَّ إليك لسانك . قال : فخرجت من عنده إلى الحجرة الشريفة النبويَّة وأنا أبكي من شدَّة الوجع والألم فقلت في نفسي : يا رسول الله ! قد تعلم ما أُصابني في محبّة أبي بكر فإن كان صاحبك حقّاً ؟ فأُحبُّ أن يرجع إليَّ لساني وبتُّ في الحجرة قلقاً من شدَّة الألم

(١) يعني الإهتداء إلى ذلك الجواب الحسن الجميل .

فأخذتني سنةٌ من النوم فنمت فرأيت في منامي أنَّ لساني قد عاد إلى حاله كما كان فاستيقظت فوجدته في فيَّ صحيحاً كما كان وأنا أتكلّم فقلت : الحمد لله الذي ردَّ عليَّ لساني وازددت محبَّة في أبي بكر رضي الله عنه ، فلمّا كان العام الثاني في يوم عاشوراء اجتمعوا على عادتهم فخرجت إلى باب القبَّة وقلت : أُريد في محبّة أبي بكر ديناراً ، فقام إليَّ شابٌ من الحاضرين وقال لي : إجلس حتّى نفرغ . فجلست فلمّا فرغوا خرج إليَّ ذلك الشابّ وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فأدخلني فيها ووضع بين يديَّ طعاماً، ولمّا فرغنا قام الشابُّ وفتح عليَّ باباً على بيت في الدار وجعل يبكي فقمت لأنظر ما سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً فسألته عن قضيَّته فزاد بكاءً فسكّنته حتّى سكن ، فقلت له : بالله أخبرني عن حالك ، فقال : إن حلفت لي أن لا تخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك ، فحلفت له ، فقال : اعلم أنّه أتانا في عام أوَّل رجلٌ وطلب في محبّة أبي بكر رضي الله عنه شيئاً في قبَّة العبّاس يوم عاشوراء فقام إليه أبي وكان من أكابر الإماميّة والشيعة فقال له : إجلس حتّى نفرغ . فلمّا فرغوا أتى به إلى هذه الدار وسلّط عليه عبدين فضرباه ، وأمر بقطع لسانه فقطع ، وأخرجه فمضى لسبيله ولم نعرف له خبراً ، فلمّا كان الليل ونمنا صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا من شدَّة صرخته فوجدناه قد مسخه الله قرداً ففزعنا منه وأدخلناه هذا البيت وربطناه ، وأظهرنا للناس موته وهو ذا نبكي عليه بكرة وعشيًّا . فقلت له : إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه ؟ قال : لا والله : فقلت : أنا هو والله ، أنا الذي قطع أبوك لساني ، وقصصت عليه القصّة فأكبَّ عليَّ يقبِّل رأسي ويدي ثمَّ أعطاني ثوباً وديناراً وسألني كيف ردَّ الله عليَّ لساني ؟ فأخبرته وانصرفت .

مصباح الظلام للجرداني ص ٢٣ من الطبعة الرابعة المصريَّة المطبوعة بمطبعة الرَّحمانيّة بمصر سنة ١٣٤٧ هـ ، ونزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٩٥ .

قال الأميني : ما أحوج القوم إلى اختلاق هذه الأساطير المشمرجة وهي لا يصدِّقها ايُّ قارٍ وبادٍ مهما يُقرُّها قصّاص في أُذنيه ، ولا يصير بها الأمر إلى قراره مهما حبكت نسقها يد الإفك ، وأبدعت في نسجها مهرة الإفتعال .

أنّى يصدِّق ذو مسكة بأنَّ رجلاً شهيراً يُعدُّ من علية قوم ومن أكابر أُمّة يُمسخُ ويُربط في داره وهو بَعدُ مجهولٌ لا يعرف اسمه ، ولا ينبِّىء عنه خبير ، ويسع لخلفه إخفاء أمره بدعوى موته ، ولم يُسأل أهله عن تجهيزه وتشييعه ودفنه ومقبره وسبب موته ، وتتأتّى لولده الغشية عليها عن أعين الناس وأسماعهم كأنَّ في آذانهم صمماً وفي أبصارهم عمى .

ولِماذا أخذه ابن الجاني ـ الذي لم يُخلق بعدُ لا هو ولا أبوه ـ ضيفه إلى والده وهو لا يعرف الرَّجل ولم يخش من الفضيحة ، ولِماذا أوقفه على أمر أبيه وعواره وقد كان يستخفيه ويُظهر للناس موته ؟ .

وأنّى يُصدَّق بأنَّ رجلاً قُطع لسانه دون مبدئه وحبّه لخليفته قد استخفى قصّته ، وما أشاع بها ، وما صاح وما باح بمظلمته ، وما أبان أمره عند قومه ، وما أفاض عن شأنه بكلمة ، ولا يمَّم قاضياً ولا حاكماً ولا الدوائر الحكوميَّة الصالحة للنظر في مظلمته من عدليَّة أو دائرة شرطة ، وعقيرته مرفوعةٌ من شدَّة الألم ، ولم يزل القوم يتربصون الدوائر على الشيعة، ويختلقون عليهم طامّات كهذه .

وأنّى يُصدَّق أنَّه لمّا خرج مِن دار من جنى عليه وهو مقصوص اللسان وقد ملأ فمه دمه ، ولاذ بالحجرة الشريفة باكياً قلقاً من شدَّة الألم ، ما تنبَّه له أيُّ أحد ، وما عُرفت مع هذه كلّها من أمره قُذَ عملة ، ولا تنبّه لأمره سدنة الحضرة الشريفة ؟ .

وما بال الرَّجل لم يُمط الستر في وقته عن جناية عدوٍّ خليفته ، ولم يُفش سرَّه ، ولم يُعلن كرامة الصدِّيق ، ولم يفضح عدوَّه ، ولم يُعرب عن هذه المكرمة الغالية ، ولم يقرِّط الآذان بسماعها ، وينبس أمره ولم ينبشه ، كأنَّ لسانه بعدُ مقطوعٌ ، وأنَّه لم يجده في فيه صحيحاً ؟ أو رضي بأن يفشفش[1] بعده أعلام قومه ؟ .

وإن تعجب فعجبٌ عود هذا الشحّاذ الجريء إلى سؤاله مرَّة ثانية في سنته

---

(١) فشفش : أفرط في الكذب ، وانتحل ما لغيره .

القابلة بعد أن رأى ما رأى قبل عـام ، ووقـوفـه في ذلك المـوقف الخطر في قبّـة العباس يوم عـاشوراء ، ومضيّـه من دون أيّ تحاش إلى تلك الـدار التي وقعت فيها واقعته الخطرة الهائلة ، ودخوله فيها رابطاً جأشه ، وإلقاءه نفسـه إلى التهلكة ، ولم يكن يعرف شيئاً من قصّة الشيعيّ ومسخه ، ولا من حنـوّ الشابّ وعـطفه ، وقـد قال الله تعالىٰ : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

ولعلّه كان في هذه كلّها على ثقة وطمأنينة من أنّه قطُّ لا يبقى بلا لسان ، وأنّ لسانه مهما قُطع يُردُّ إليه كما كان من بركة الخليفـة ، وهو في حسبـانه هـذا وقدومـه إلى المهالك مجتهدٌ وله أجره وإن أخطأ كاجتهاد سلفه .

وقد أنصف الشيخ الصالح المـدني في اختلاق هـذه القصّة على شيعيٍّ كبيـر لم يـولد بعـدُ ولم تسمّـه أمّـه . وجـاء غيـره بـأسـطورة معتـوه قمـوص الحنجـرة[١] وافتجر[٢] في القول وأفجس[٣] ألا وهو الشيخ عليـا المالكي ، قـال الشيخ إبـراهيم العبيـدي المالكي في عمـدة التحقيق المطبـوع بمصر في هـامش روض الـريـاحين ص ١٢٣ : سمعت خـالي العـالم الشيخ عليـا المـالكي يقـول : إنّ الـرافضيّ إذا أشرف على الموت يقلّب الله صورة وجهه وجه خنزير فلا يموت إلّا إذا مُسخ وجهـه وجه خنزير ، ويكون ذلك علامـة على أنّه مـات على الرفض ، فيستبشـرون بذلـك الروافض ، وإن لم يقلّب وجهه عنـد الموت يحـزنون ويقـولون : إنّـه مات سنّيّـاً . انتهى .

وتخرّق بعض الثقات في تاريخ حلب شاهداً على هـذه المخرقـة فقال : لمّـا مات ابن منير[٤] خرج جماعـة من شبّان حلب يتفـرّجون فقـال بعضهم لبعض : قد سمعنا أنّه لا يمـوت أحدٌ ممّن كـان يسبُّ أبا بكـر وعمر إلّا ويمسخـه الله تعالىٰ في قبره خنزيـراً ولا شكَّ أنّ ابن منيـر كان يسبّهمـا ، فأجمعـوا رأيهم على المضيّ إلى

(١) يُقال فلان قموص الحنجرة : أي كذّاب .

(٢) افتجر في الكلام : أي اختلقه وذكره من غير أن يسمعه من أحد .

(٣) أفجس : افتخر بالباطل .

(٤) أحد شعراء الغدير مرّت ترجمتـه في الجزء الـرابع ص ٣٧٢ ـ ٣٨٢ مـات في دمشق ثم نقل إلى حلب فدفن بها .

قبره ، فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته خنزيراً ووجهه منحرفاً عن جهة القبلة إلى جهة الشمال ، فأخرجوا على قبره ليشاهده الناس ثمَّ بدا لهم أن يحرقوه فأحرقوه بالنار وأعادوه في قبره وردُّوا عليه التراب وانصرفوا .

وذكره العلاّمة الجرداني في مصباح الظلام المؤلَّف سنة ١٣٠١ والمطبوع بمصر سنة ١٣٤٧ وقرَّظه جمعٌ من الأعلام ألا وهم كما في آخر الكتاب : العالم العفيف السيِّد محمود أنسي الشافعي الدمياطي ، والعلاَّمة الشيخ محمّد جودة ، والعلاّمة الأوحد الشيخ محمّد الحمامصي ، وحضرة الفاضل اللبيب الشيخ عطية محمود قطارية ، والعالم العامل الشيخ محمّد القاضي ، وحضرة الشاعر اللبيب محمّد أفندي نجل العلاّمة الشيخ محمّد النشّار .

ليست هذه النفثات إلاَّ كتيت[1] الإحن ، ونغران[2] الشحناء . وإن شئت قلت : إنَّها سكرة الحبّ ، وسرَف المغالاة . قد أعمت الأهواء بصائر أُولئك الرّجال فجاؤوا بهذه المخاريق المخزية ، والأفائك المزخرفة ، وبيَّتوها غير مكترثين لمغبّة صنيعهم ، ولا متحاشين عن معرَّة قيلهم ، وشتّان بينها وبين أدب الدين ، وأدب العلم ، وأدب التأليف ، وأدب العفّة ، وأدب الدعاية والنشر . إنَّهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ، ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيِّتون ما لا يرضى من القول .

كأنَّ هؤلاء يحدِّثون عن أُمّة بائدة لم يُبق لها الملوان مَن يشاهده أحدٌ من الأجيال الحاضرة ، أو لَيست الشيعة هؤلاء الذين هم مبثوثون في أرجاء العالم وأجواء الأُمم ، يشاهدهم كلُّ ذي بصر وبصيرة أحياءً وأمواتاً ؟ فمن ذا الذي شهد أحدهم أنّه انقلب عند موته خنزيراً غير أُولئك الشبّان الموهومين الذين شاهدوا ابن منير في قبره ؟ وهل الشيخ عليا المالكي هو وجد أحداً من الشيعة كما وصفه ؟ أو رُوي له ذلك الإفك فوثق به كما وثق العبيدي ؟ وهل كان يمكنه أن يقف على الموتى جميعاً أو أكثرهم وليس هو بمغسِّل الموتى أو من حفَّاري القبور ولا مِن نبّاشيها ؟ .

---

(١) الكتيت : صوت غليان القدر والنبيذ ونحوهما .

(٢) نغر الرجل عن فلان نغراً ونغراناً : غلا جوفه عليه غضباً .

على أنَّ التشيُّع ليس من ولائد تلكم العصور وإنَّما بدىء به منذ العهد النبويِّ، فهل كان السلف الشيعيُّ من الصحابة والتابعين يموتون كذلك وكان فيهم مَن يعرف بالتشيُّع كأبي ذر وسلمان وعمّار والمقداد وأبي الطفيل؟ فهل يسحب هذا الرجل ذيل مزعمته الى ساحة أُولئك الأعاظم؟ قطعت جهيزة قول كلِّ خطيب(١).

١٠ ـ أبو بكر شيخ يُعرف، والنبيّ شابّ لا يُعرف:

عن أنس بن مالك قال: أقبل النبيُّ ﷺ إلى المدينة، وأبو بكر شيخٌ يُعرف والنبيُّ ﷺ شابٌّ لا يُعرف فيلقى الرجل أبا بكر(٢) فيقول: يا أبا بكر! مَن هذا الذي بين يديك؟ فيقول: يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنَّه يهديه الطريق وإنَّما يعني سبيل الخير.

وفي لفظ: إنَّ أبا بكر كان رديف النبيِّ ﷺ وكان أعرف بذلك الطريق فيراه الرجل يعرفه فيقول: يا أبا بكر! مَن هذا الغلام بين يديك؟ وفي لفظ أحمد: كانوا يقولون: يا أبا بكر! ما هذا الغلام بين يديك؟ فيقول: هذا يهديني السبيل. وفي لفظ: قالوا: يا أبا بكر! مَن هذا الذي تعظِّمه هذا الإعظام؟ قال: هذا يهديني الطريق وهو أعرف به منّي.

وفي رواية: ركب رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ناقته. وفي التمهيد لابن عبد البرّ: أنّه لمّا أُتي براحلة أبي بكر سأل أبو بكر رسول الله ﷺ أن يركب ويردفه فقال رسول الله ﷺ: بل أنت اركب وأُردفك أنا فإنَّ الرجل أَحقُّ بصدر دابّته. فكان إذا قيل له: من هذا وراءك؟ قال هذا يهديني السبيل.

وفي لفظ: لمّا قدم ﷺ المدينة تلقّاه المسلمون فقام أبو بكر للناس، وجلس النبيُّ صامتاً، وأبو بكر شيخٌ والنبيُّ شابٌّ، فطفق مَن جاء مِن الأنصار ممَّن لم يرَ رسول الله ﷺ يجيء أبا بكر فيعرّفه بالنبيِّ ﷺ حتّى أصابت الشمس رسول الله ﷺ

---

(١) مثل يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها.

(٢) في الإنتقال من بني عمرو. كذا قاله القسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٢١٤ وبنو عمرو بن عوف هم من الأنصار النازلين بقباء كان قد نزل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته إلى المدينة كما يأتي تفصيله.

فأقبل أبو بكر حتّى ظلّل عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

صحيح البخاري باب هجرة النبيِّ ج ٦ ص ٥٣ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٩ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٢٢ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٧ ، معارف ابن قتيبة ص ٧٥ ، الرياض النضرة ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٨٦ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٦ ، ٦١ .

قال الأميني : ما أنزل الدهر نبيَّ الإسلام حتّى قيل : إنّه شابٌّ لا يُعرف . كأنّه غلامٌ نكرة اتّخذه شيخٌ انتشر صوته كصيته بين الناس دليلاً في مسيره يرتدفه تارة ويمشّيه بين يديه أُخرى ومهما سُئل عنه يقول : هذا يهديني الطريق وهو أعرف به منّي ، كأنَّ نبيَّ الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن ذلك الذي كان يعرض نفسه على القبائل في كلِّ موسمٍ فعرفوه على بَكرة أبيهم مَن آمن منهم ومَن لم يُؤمن ، خصوصاً الأنصار المدنيُّون منهم وفيهم رجال الأوس والخزرج ، وقد بايعوه عند العقبة الأولى مرّة ، وبايعه منهم مرّة ثانية عند العقبة ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان .

وكأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن ذلك الذي أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة قبله ، وكأنَّ بتلك الهجرة غلقت أبواب ، وخلت دور أُناس من السكنى ، وهاجر أهلها رجالاً ونساءً وكان في مقدّم المهاجرين ما يناهز ستّين رجلاً ، فلم يبق في مكة المعظّمة مَن أسلم معه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ أمير المؤمنين وأبو بكر ، وكأنَّ المدينة ليست بدار بني النجار وهم خؤولة النبيِّ الأقدس .

وكأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن الذي اتّخذ المدينة قاعدة ملكه ، وعاصمة حكومته ، ومعسكر نهضته ، فبثّ فيها رجاله وخاصّته من أهلها ومن المهاجرين فكانوا يرقبون مقدمه الشريف في كلِّ حين حتّى إذا وافوه مقبلاً عليهم استقبلوه بقضِّهم وقضيضهم وفيهم أهل البيعتين ومن تقدّمه من المهاجرين وكلّهم يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم ، وإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مكث في قباء عند بني عمرو بن عوف أيّاماً وليالي حتى أسّس مسجده الشريف فيها ، فعرفه كلُّ مَن في قباء ممّن لم يكن يعرفه قبلُ مِن رجال الأوس والخزرج ، واتّصل به كلُّ من قدمها من المدينة فعرفوه جميعاً ، وقد صلّى الجمعة في قباء وفي بطن الوادي ، وادي رانونا ، وائتمّ به من حضر من المسلمين عامّة .

وبقضاء من الطبيعة أنَّ الناس عند التطلّع إلى رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم كان يومي إليه كلّ عارف ، ويسأل عنه كلّ جاهل ، ويتقدَّم المبايعون إلى التعرُّف به والتزلُّف إليه ، فلا يبقى في المجتمع جاهلٌ به حتّى يسأل أبا بكر عنه في إنتقاله من بني عمرو بقوله : مَن هذا الغلام بين يديك يا أبا بكر ؟ ! .

فكأنّ القادم رجلٌ عاديٌّ ما دوّخ صيته الأقطار، ولم يره بشرٌ من ذلك الجمع الحافل ، ولم يحتفل به ذلك الإحتفال ، ولا احتفى به تلك الحفاوة ، وما صعدت ذوات الخدور على الأجاجير(١) وما هزجت الصبيان والولائد بقولهنَّ :

طلع البدر علينا ... من ثنيَّات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لِلّه داع
أيُّها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

وكأنَّه قدم في صورة منكَّرة بلا أيِّ تقدمة إلى بلد لا يعرفه فيه أحدٌ حتّى خصَّ السؤال عنه بأبي بكر فحسب .

ثمَّ ما هذه التعمية في جواب أبي بكر بقوله : إنَّه يهديني السبيل . يريد سبيل السعادة فيحسب الحاسب أنّه يهديه الطريق ؟ أَلخوف كانت ؟ ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاَّ على العدَّة والعدد والمنعة والعزَّة ، وقد بايعته الأنصار على التفاني دونه . أو كان يخاف أبو بكر قريشاً وهو في حصن الدين المنيع ودرعه الحصينة ؟ أم كانت لغير ذلك ؟ فاسأل عنه خبيراً . والعجب كلّ العجب أنَّ رجلاً هذه سيرته في التقيَّة عن الناس في عاصمة الإسلام بين فرسان المهاجرين والأنصار كيف صحَّ عنه ما جاء عن ابن مسعود وما روي عن مجاهد مرسلاً من قولهم : إنَّ أوَّل من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ، أبو بكر . الخ(٢) .

على أنَّ الحالة كانت تقتضي أن يسأل كلُّ قادم إلى المدينة يوم ذاك عن شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوان نزوله بها لا عن الغلام بين يدي أبي بكر .

---

(١) جمع الاجّار بكسر الأول وتشديد الجيم : السطح .

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٥٨ ، تأريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٤٤٨ .

والعجب أنَّ الجهل برسول الله في مزعمة هذا الراوي كان مستمرّاً بين مستقبليه ، وكلهم نفوسهم نزّاعة إلى عرفانه والتبرّك برؤيته ، حتى ظلّله أبو بكر بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

ومتى كان أبو بكر شيخاً والنبيُّ شاباً وهو صلى الله عليه وآله وسلم أكبر منه بسنتين وعدَّة أشهر كما يأتي تفصيله إن شاء الله ؟ وابن قتيبة أخذ هذا الحديث بظاهره فقال في المعارف ص ٧٥ : هذا الحديث يدلُّ على أنَّ أبا بكر كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بمدَّة طويلة ، والمعروف عند أهل الأخبار ما حكيناه . اهـ . وحكى قبل هذا انَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أكبر سنّاً من أبي بكر .

نعم : عرف شرّاح البخاري من المتأخّرين موضع الغمز فأوَّلوا كون أبي بكر شيخاً بظهور الشيب في لحيته . وكون النبيِّ شابّاً بسواد كريمته ، والعارف بأساليب الكلام يعلم أنَّه تمحّلٌ محض ، وأنَّ المفهوم من تلك كما فهمه ابن قتيبة : كون أبي بكر شيخاً ورسول الله شابّاً لا غير ذلك . وإلاَّ فما معنى قولهم : ما هذا الغلام بين يديك ؟ و : من هذا الغلام بين يديك ؟ ومن المعلوم أنَّ الغلام لا يُطلق على من عمره خمسون سنة تقريباً مهما اسودَّ عارضه .

وعلى صحَّة هذا التأويل أين المؤوّلون من صحيحة ابن عبّاس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ! قد شبت ؟ قال : شيَّبتني هود والواقعة . الحديث . وروى مثله الحفّاظ عن ابن مسعود ، وفي لفظ أبي جحيفة : قالوا : يا رسول الله ! نراك قد شبت ؟ قال : شيَّبتني هود وأخواتها[1] .

فهذه الصحيحة تعرب عن أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بان فيه الشيب على خلاف الطبيعة ، وأسرع فيه حتّى أصبح مسؤولاً عنه وعمّا أثَّره فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فأين منها ذلك التأويل البارد ؟ .

---

(١) أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه ، والحكيم الترمذي في نوادر الاصول ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وابن أبي شيبة ، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٣٤٣ وصححه هو وأقرّه الذهبي ، والقرطبي في تفسيره ج ٧ ص ١ ، وأبو نصر في اللمع ص ٢٨٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٣٥ ، والخازن في تفسيره ج ٢ ص ٣٣٥ .

وربما يُقال في حلِّ مشكلة (يُعرف ولا يُعرف) : إنَّ أبا بكر كان تاجراً عرفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشام ، لكنَّه على فرض تسليم كونه تاجراً ، وعلى تقدير تسليم سفره إلى الشام ودون إثباته خرط القتاد ، مقابلٌ بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً كان يحاول التجارة ، ويستطرق المدينة إلى الشام ، فلو كانت التجارة بمجرَّدها تستدعي معرفة الناس بالتاجر فهو في النبيِّ الأعظم أولى لأنَّ شرفه المكتسب ، وشهرته بالأمانة ، وعظمته في النفوس ، وتحلّيه بالفضائل ، وبروز عصمته وقداسته عند الناس من أوَّل يومه ، وشرفه الطائل في نسبه ، أجلب لتوجّه النفوس إليه ، بخلاف التاجر الذي هو خلوٌ من كلِّ ذلك .

على أنَّ التاجر متى هبط مصراً فعارفوه رجالٌ معدودون ممَّن شاركوه في الحرفة ، أو شارفوه في المعاملة ، وهذا التعارف يخصُّ بأُناس تُعَدُّ بالأنامل لا عامَّة الناس كما حسبوه . وأنَّى هذا من سفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وأبو بكر يوم ذلك يرضع من ثدي أُمِّه ، خرجت به صلى الله عليه وآله وسلم أُمّ أيمن لمّا بلغ ستَّ سنين من عمره إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزور به أخواله ، فنزلت به في دار النابغة رجلٌ من بني عدي بن النجار فأقامت به شهراً . وممّا وقع في تلك السفرة :

قالت أُمُّ أيمن : أتاني رجلان من اليهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا : أخرجي لنا أحمد . فأخرجته ونظرا إليه وقلَّباه مليّاً ثمَّ قال أحدهما لصاحبه : هذا نبيُّ هذه الأُمَّة ، وهذه دار هجرته ، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمرٌ عظيمٌ . قالت أُمُّ أيمن : وعيت ذلك كلّه من كلامهما[1] أبعد هذه كلّها ، وبعد تلكم الإرهاصات للنبوَّة التي ملأت بين الخافقين ، وبعد ذلك الصيت الطائل الذي دوَّخ الأقطار ، وبعد مضيِّ خمسين سنة من عمره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم يزعمون أنَّ رسول الله شابٌّ لا يُعرف وأبو بكر شيخٌ يُعرف ، يُسأل عنه : مَن هذا الغلام بين يديك ؟ .

ولإيضاح هذه الجمل من الحريِّ أن نسرد كيفيَّة هجرته صلى الله عليه وآله وسلم حتى تزيد بصيرة القارىء على موقع الإفك من هذه المجهلة المأثورة في الصِّحاح والمسانيد الصادرة عن الغلوِّ في الفضائل عمياً وصمّاً . فأقول :

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ج ١ ص ٥٠ ؛ صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٠ ؛ تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٩ ؛ بهجة المحافل ج ١ ص ٤٤ .

الانصـار في البيعتين :

كـان رسـول الله ﷺ يعـرض نفسـه على القبـائـل في المـواسم إذا كـان يـدعوهم إلى الله ويخبـرهم انّه نبيٌّ مـرسـلٌ فعـرض نفسـه على كنـدة ، وعلى بني عبـد الله بطن من كلب ، وعلى بني حنيفـة ، وعلى بني عامـر بن صعصعة ، وعلى قوم من بني عبد الأشهل . فلمّا أراد الله عـزَّ وجلَّ إظهـار دينه ، وإعـزاز نبيِّه ﷺ وإنجاز موعده له خرج ﷺ في الموسم الـذي لقي فيه النفـر من الأنصار فعـرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلِّ موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخـزرج أراد الله بهم خيـراً وفيهم : أسعـد بن زرارة أبـو أُمـامـة النجـاري ، وعوف بن الحـرث بن عفراء ، ورافـع بن مـالـك ، وقـطبـة بن عـامـر بن حـديـدة ، وعقبة بن عامر بن نابي ، وجابر بن عبدالله .

فكلّمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله ، وعـرض عليهم الإسلام ، وتـلا عليهم القرآن فأجابوه فيما دعاهم إليه ثمَّ انصرفوا عنه ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدَّقوا .

فلمَّـا قدمـوا المدينـة إلى قـومهم ذكـروا لهم رسـول الله ﷺ ودعـوهم إلى الإسـلام حتّى فشـا فيهم ، فلم تبق دارٌ من دور الأنصـار إلاَّ وفيهـا ذكـرٌ مِن رسـول الله ﷺ حتَّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار إثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة الأُولىٰ فبايعوا رسـول الله ﷺ على بيعة النسـاء وذلك قبـل أن يفترض عليهم الحرب ، وهـم : أبو أُمامة أسعـد بن زرارة ، وعوف بن عفـراء ، ومعاذ بن عفـراء ، ورافع بن مالـك ، وذكوان بن عبـد قيس ، وعبادة بن الصـامت ، ويزيـد بن ثعلبة ، والعبّـاس بن عبادة ، وعقبـة بن عامـر ، وقطبـة بن عامر ، وأبـو الهيثم بن التيهـان ، وعويم بن ساعدة .

قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبـة الأُولىٰ : على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريـه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف .

فلمّـا انصرف القـوم عنـه ﷺ بعث رسـول الله معهم مصعب بن عمير بن

هاشم بن عبد مُناف وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلّمهم الإسلام ، ويفقّههم في الدين ،ويقيم فيهم الجمعة والجماعة ، وكان مصعب يسمّى بالمدينة : المقرىء ، وكان منزله على أسعد بن زرارة أبي أُمامة النجاري ، وكان يصلّي بهم الجمعة فأقام عنده يدعوان الناس إلى الإسلام حتّى لم تبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون .

ثمَّ إنَّ مصعب بن عمير رجع إلى مكّة ، وخرج مَن خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حُجّاج قومهم من أهل الشرك حتّى قدموا مكّة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيّام التشريق . قال كعب : فلمّا فرغنا من الحجِّ وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيِّد ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا ، ثمَّ دعوناه إلى الإسلام فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتّى إذا مضى ثلث الليل خرجنا مع رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب أُمّ عمارة ، وأسماء بنت عمرو أُمّ منيع .

قال : فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثمَّ قال : أُبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فأخذ البراء بن معرور بيده ثمَّ قال : نعم والّذي بعثك بالحقِّ لنمنعنّك عمّا نمنع منه أُزرنا(١) فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر فقال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليّ منكم إثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم إثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وهم :

١ ـ أبو أُمامة أسعد بن زرارة الخزرجي .
٢ ـ سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي .
٣ ـ عبد الله بن رواحة بن امرىء القيس الخزرجي .
٤ ـ رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي .

---

(١) ازرنا : يعني نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالإزار .

٥ ـ البراء بن معرور بن صخر الخزرجي .
٦ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي .
٧ ـ عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي .
٨ ـ سعد بن عبادة بن دُليم الخزرجي .
٩ ـ المنذر بن عمرو بن خنيس الخزرجي .
١٠ ـ اسيد بن حضير بن سماك الأوسي .
١١ ـ سعد بن خيثمة بن الحرث الأوسي .
١٢ ـ رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر الأوسي . وقد يعدُّ بمكانه أبو الهيثم بن التيهان .

فقال رسول الله ﷺ للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريِّين لعسى بن مريم وأنا كفيلٌ على قومي : يعني المسلمين . قالوا : نعم .

قال العبّاس بن عبادة بن نضلة الأنصاري : يا معشر الخزرج ! هل تدرون عَلام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنّكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتّل أَسلمتموه ؟ فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإنّا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنّة . قالوا : أُبسط يدك فبسط يده فبايعوه .

فقال له العبّاس بن عبادة : والله الذي بعثك بالحقِّ إن شئت لنميلنَّ على أهل مِنى غداً بأسيافنا ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : لم نُؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم . فرجعوا إلى مضاجعهم . فلمّا قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشِّرك ، وكان أهل بيعة العقبة الآخرة ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين وهم :

أُسيد بن حُضير النقيب	أبو الهيثم بن التيهان النقيب	سلمة بن سلامة الأشهلي
ظهير بن رافع الخزرجي	أبو بردة بن نيار بن عمرو	نهير بن الهيثم الحارثي

سعد بن خيثمة النقيب   رفاعة بن عبد المنذر النقيب   عبد الله بن جبير بن النعمان
معن بن عدي بن الجلد   عويم بن ساعدة الأوسي   أبو أيّوب خالد الأنصاري
معاذ بن الحارث الأنصاري   أسعد بن زرارة النقيب   سهيل بن عتيك النجاري
أوس بن ثابت الخزرجي   أبو طلحة زيد بن سهل   قيس بن أبي صعصعة النجاري
عمرو بن غزية الخزرجي   سعد بن الربيع النقيب   خارجة بن زيد الخزرجي
عبد الله بن رواحة النقيب   بشير بن سعد الخزرجي   خلّاد بن سويد الخزرجي
عقبة بن عمرو الخزرجي   زياد بن لبيد الخزرجي   فروة بن عمرو الخزرجي
خالد بن قيس الخزرجي   رافع بن مالك النقيب   ذكوان بن عبد قيس الخزرجي
عبادة بن قيس الخزرجي   الحارث بن قيس الخزرجي   البراء بن معرور النقيب
بشر بن البراء الخزرجي   سنان بن صيفي الخزرجي   الطفيل بن النعمان الخزرجي
معقل بن المنذر الخزرجي   يزيد بن المنذر الخزرجي   مسعود بن يزيد الخزرجي
الضحاك بن حارثة الخزرجي   يزيد بن خزام الخزرجي   جبار بن صخر الخزرجي
الطفيل بن مالك الخزرجي   كعب بن مالك الخزرجي   سليم بن عمرو الخزرجي
قطبة بن عامر الخزرجي   يزيد بن عامر الخزرجي   كعب بن عمرو الخزرجي
صيفي بن سواد الخزرجي   ثعلبة بن غنمة السلمي   عمرو بن غنمة السلمي
عبد الله بن أنيس السلمي   خالد بن عمرو السلمي   عبد الله بن عمر النقيب
جابر بن عبد الله السلمي   ثابت بن ثعلبة السلمي   عمير بن الحارث السلمي
خديج بن سلامة بن الفرافر   معاذ بن جبل الخزرجي   أوس بن عباد الخزرجي
عبادة بن الصامت النقيب   غنم بن عوف الخزرجي   العبّاس بن عبادة الخزرجي
أبو عبد الرحمن الخزرجي   عمرو بن الحرث الخزرجي   رفاعة بن عمرو الخزرجي
عقبة بن وهب الجشمي   سعد بن عبادة النقيب   المنذر بن عمرو النقيب
عوف بن الحارث الأنصاري   معوذ بن الحارث الأنصاري   عمارة بن حزم الأنصاري
عباد الله بن زيد مناة الخزرجي .

نبأ الهجرة :

فلمّا عتت قريش على الله عزَّ وجلَّ ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذَّبوا نبيَّه ﷺ ، وعذّبوا ونفوا مَن عَبده ووحَّده وصدَّق نبيَّه واعتصم بدينه أذن الله

عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ في القتال فنزل قوله تعالىٰ : ﴿**أُذن للذين يُقاتلون بأنَّهم ظلموا**﴾ الآية . ثمَّ أنزل الله تعالىٰ : ﴿**وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**﴾ .

فلمّا أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب وتابعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتَّبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين مِن قومه ومَن بمكّة مِن المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها . فخرجوا أرسالاً وأقامَ رسول الله ﷺ بمكّة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فهاجر بنو جحش فغلّقت دورهم هجرة تخفق أبوابها يبابا ، ليس فيها ساكنٌ، خلاء من أهلها ، وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة نسائهم ورجالهم ، ثمَّ تتابع المهاجرون وفيهم :

أبو سلمة بن عبد الأسد   عامر بن ربيعة الكعبي   عبد الله بن جحش   عبد بن جحش أبو أحمد
عكاشة بن محصن   شجاع بن وهب   عقبة بن وهب   عربد بن حُمير
منقذ بن نباتة   سعيد بن رُقيش   محرز بن نضلة   يزيد بن رُقيش
قيس بن خابر   عمرو بن محصِّن   مالك بن عمرو   صفوان بن عمرو
ثقف بن عمرو   ربيعة بن أكثم   الزبير بن عبيدة   تمام بن عبيدة
سخبرة بن عبيدة   محمد بن عبد الله بن جحش   عمر بن الخطاب   عياش بن أبي ربيعة
زيد بن الخطاب   عمرو بن سراقة   عبد الله بن سراقة   خنيس بن حذافة
إياس بن البكير   عاقل بن البكير   عامر بن البكير   خالد بن البكير
طلحة بن عبيد الله   حمزة بن عبد المطلب   صهيب بن سنان   زيد بن حارثة
كنّار بن حصين   عبيدة بن الحارث   الطفيل بن الحارث   الحصين بن الحرث
مسطح بن أثاثة   سويبط بن سعد   طليب بن عمير   خبّاب مولى عتبة
عبد الرحمن بن عوف   الزبير بن عوام   أبو سبرة بن أبي رهم   مصعب بن عمير
أبو حذيفة بن عتبة   سالم مولى أبي حذيفة   عتبة بن غزوان   عثمان بن عفان
أنس مولى رسول الله   أبو كبشة مولى رسول الله .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلّف معه بمكّة أحدٌ من المهاجرين إلاّ من حُبس أو فتن ، إلاّ عليٌّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما حتّى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكّة من بين ظهري قومه ، وما كان يعلم بخروجه ﷺ أحدٌ حين خرج إلاّ عليٌّ بن أبي طالب وأبو بكر الصدِّيق وآل أبي بكر ، أما عليٌّ فإنَّ رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلّف بعدُ بمكّة ، حتى يؤدّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكّة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلاّ وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ .

فلمّا أجمع رسول الله ﷺ الخروج فخرج ومعه أبو بكر ثمَّ عمد إلى غار بثور جبل بأسفل مكّة فدخلاه فأقام فيه رسول الله ﷺ ثلاثاً ومعه صاحبه .

ثمَّ خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكّة ثمَّ مضى بهما على الساحل أسفل من عسفان[١] ، ثمَّ سلك بهما على أسفل أمج[٢] ، ثمَّ استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديداً[٣] ، ثمَّ أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرّار[٤] ، ثمَّ سلك بهما ثنيّة[٥] المرة ، ثمَّ سلك بهما لقفاً[٦] ، ثمَّ استبطن بهما مدلجة مجاج[٧] ثمَّ سلك بهما مَرجح مجاج ثمَّ تبطّن بهما مرجح[٨] من ذي العضوين - الغضوين - ثمَّ بطن ذي كشر[٩] ثمَّ أخذ بهما على الجداجد[١٠]، ثمَّ

---

(١) بضم الأول ثم السكون : محل من مكة على مرحلتين .
(٢) بفتح الهمزة والميم : بلد من أعراض المدينة .
(٣) بضم الأول وفتح الدال : موضع فيه ماء بين مكة والمدينة . بها منازل خزاعة .
(٤) بفتح المعجمة وتشديدالراء : موضع قرب الجحفة .
(٥) ثنية المرة مخفف الراء .
(٦) يُقال : لقف بالتحريك . وبفتح اللام وسكون الفاء . وبكسر اللام وسكون الفاء .
(٧) بفتح الميم وكسره بجيمين وصححه بعض بفتح الميم ثم المعجمة وآخره مهملة .
(٨) بفتح الميم وسكون الراء بعدها معجمة مكسورة وآخره مهملة .
(٩) بفتح الكاف وسكون الشين وآخره مهملة .
(١٠) بالمعجمتين والمهملتين بينهما ألف . من الآبار القديمة .

على الأجرد[١] ، ثمَّ سلك بهما ذا سلم من بطن أعدا مَدلجة تعهن[٢] ، ثمَّ على العبابيد[٣] ، ثمَّ أجاز بهما الفاجة[٤] ، ثمَّ هبط بهما العرْج[٥] فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يُقال له : أوس بن حجر على جمل له يُقال له : ابن الرداء ، إلى المدينة وبعث معه غلاماً يُقال له مسعود بن هُنيدة ، ثمَّ خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنيَّة العائر [٦] عن يمين ركوبه [٧] حتّى هبط بهما بطن رئم [٨] ، ثمَّ قدم بهما قباء [٩] على بني عمرو بن عوف حين اشتدَّ الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

ولمّا دنوا من قباء بعثوا رجلاً من أهل البادية إلى أبي أُمامة وأصحابه من الأنصار فثار المسلمون إلى السلاح واستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار فوافوه وهو مع أبي بكر في ظلِّ نخلة ، ثمَّ قالوا لهما : اركبا آمنين مطاعين . فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء في دار بني عمرو بن عوف فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسَّس مسجده وقد يُقال كما في سنن أبي داود ج ١ ص ٧٤ : إنَّه أقام في قباء أربعة عشر ليلة ، وحكى موسى بن عقبة إثنين وعشرين ليلة ، وقال البخاري : بضع عشرة ليلة ، وبقباء كانت منازل الأوس والخزرج .

---

(١) اسم جبل هناك .

(٢) تعهن بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون : اسم عين ماء سُمّي به على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة ، ويُقال في ضبطه غير هذا .

(٣) ويُقال : العباييب ، ويُقال العثيانة .

(٤) ويُقال : الفاحة بالمهملة . والقاحة . مدينة على ثلاثة مراحل من المدينة .

(٥) بفتح العين وسكون الراء : عقبة بين مكة والمدينة .

(٦) قال محمد محيي الدين المصري في حاشية سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٨ : لم يذكر ياقوت العائر لا بالعين المهملة ولا بالغين المعجمة . أقول : ذكره في العين المهملة ج ٦ ص ١٠٣ وقال : جبل بالمدينة . وفي حديث الهجرة : ثنية العائر عن يمين ركوبه . ويُقال : ثنية الغائر بالغين المعجمة ، اهـ ملخصاً .

(٧) بفتح الراء : ثنية صعبة عند العرج .

(٨) بكسر الراء المهملة موضع على أربعة برد من المدينة . وقيل : ثلاثة برد .

(٩) بضم أوله : قرية على ميلين من المدينة .

ثمَّ أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاّها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء ، فكانت أوَّل جمعة صلاّها بالمدينة .

قال عبد الرّحمٰن بن عويم : حدَّثني رجالٌ من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : لمّا سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكّة وتوكّفنا[١] قُدومه كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهر حرَّتنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله ما نبرح حتّى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلاًّ دخلنا ، وذلك في أيّام حارّة .

فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة وصلَّى الجمعة أتاه عتبان بن مالك وعبّاس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ! أقم عندنا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنها مأمورةٌ ـ يعني ناقته ـ فخلّوا سبيّلها فانطلقت ، حتّى إذا وازنت دار بني بياضة تلقّاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرَّت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ ، فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحرث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلمَّ إلينا إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ . فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتى إذا مرَّت بدار بني عدي بن النجار اعترضها سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عديّ فقالوا : يا رسول الله ! هلمَّ إلى أخوالك إلى العَدَد والعُدَّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنَّها مأمورةٌ. فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مِربد[٢] لغلامين يتيمين

(١) استشعرناه وانتظرناه .
(٢) بكسر الميم وفتح الباء بينهما مهملة ساكنة أصله الموضع الذي يجفف فيه التمر .

من بني النجار : سهل وسهيل ابني عمرو ، فلمّا بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبَتْ فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يثنيها به ، ثمَّ التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أوّل مرَّة فبركت فيه ثمَّ تحلحلت[1] ورزمت[2] ووضعت جرانها[3] فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيّوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه فاتَّخذه مسجداً .

راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١ ـ ١١٤ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٣ ـ ٢٤٩ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠١ ـ ٢٢٤ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٨ ، ٤٤ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٣٨ ـ ٢٠٥ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢١ ـ ١٢٤ ، الإمتاع للمقريزي ص ٣٠ ـ ٤٧ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣ ـ ٦١ .

١١ ـ أبو بكر أسنّ من النبي :

عن يزيد[4] بن الأصم انَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر : أنا أكبر أو أنت؟ قال : لا بل أنت أكبر منِّي وأكرم وخيرٌ منِّي ، وأنا أسنُّ منك .

أخرجه ابن الضحاك ، وذكره أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٢٢٦ ، والمحبّ الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ١٢٧ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٢ نقلاً عن خليفة بن خيّاط ، وأحمد بن حنبل ، وابن عساكر .

قال الأميني : أوَ لا تعجب من أُكذوبة تُعدُّ أُكرومة؟ متى تصحُّ رواية يزيد بن الأصم عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يُدركه ، فإنَّ الرجل توفّي سنة ٤/٣/١٠١ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة فولادته بعد وفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بدهر .

(١) تحلحلت : تحركت . وقد يُقال : تلحلحت . أي لزمت مكانها .

(٢) وعند ابن الأثير : أرزمت . أي رغت ورجعت في رغائها .

(٣) الجران ، ككتاب : قال السهيلي : أي عنقها . وقال غيره : الجران . ما يصيب الأرض من صدرها وباطن حلقها .

(٤) في الرياض : زيد . والصحيح : يزيد .

ثمَّ متى كان أبو بكر أسنُّ من النبيِّ وقد وُلد صلى الله عليه وآله وسلم في عام الفيل ، ووُلد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين . وقال سعيد بن المسيب : استكمل أبو بكر بخلافته سنَّ رسول الله ﷺ فتوفِّي وهو بسنِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ابن ثلاث وستين سنة . راجع :

المعارف لابن قتيبة ص ٧٥ فقال : إتّفقوا على أنَّ عمره ثلاث وستون سنة فكان رسول الله ﷺ أسنُّ من أبي بكر بمقدار سني خلافته . اهـ. صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٨٨ وفيه : أنَّه ﷺ توفّي وهو ابن خمس وستين سنة ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٥ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٥ وج ٤ ص ٤٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٣٥ وقال : لا يختلفون أنَّ سنّه انتهت إلى حين وفاته ثلاثاً وستّين سنة إلَّا ما لا يصح وأنَّه استوفى بخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال في الجزء الثاني ص ٦٢٦ بعد ذكر حديث يزيد الأصم : هذا الخبر لا يعرف إلَّا بهذا الإسناد ، وأحسبه وهماً لأنَّ جمهور أهل العلم بالأخبار والسير والآثار يقولون : إنَّ أبا بكر استوفى بمدَّة خلافته سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، الكامل ج ١ ص ١٨٥ وج ٢ ص ١٧٦ . اسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٣ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٦٥ ، ٦٩ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٠ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٤١ ، ٣٤٤ ، السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٩٦ .

نعم : هذه المساءَلة وقعت بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين سعيد بن يربوع المخزومي كما رواها البغوي وابن مندة[1] وابن يربوع توفّي سنة ٥٤ وله ١٢٠ سنة ، وقيل : وزيادة أربع ، ولمّا كانت شيبة أبي بكر وكبر سنّه هي الحجة الوحيدة على مخالفيه يوم السقيفة فأيَّدها المغالون في فضائله بأمثال هذه المخاريق المفتعلة ، وتحريف التاريخ عن مواضعه ، والله يعلم أنَّهم لكاذبون .

١٢ - إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ :

عن شبابة عن فرات بن السائب قال : قلت لميمون بن مهران : أبو بكر

---

(١) الإصابة ج ٢ ص ٥١ .

الصدِّيق أوّل إيماناً بالنبيِّ ﷺ أم عليّ بن أبي طالب ؟ قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبيِّ ﷺ زمن بحيرا الراهب ، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتّى أنكحها إيّاه ، وذلك كلّه قبل أن يولد عليٌّ بن أبي طالب .

وعن ربيعة بن كعب[1] قال : كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء وذلك أنَّه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصَّها على بحيرا فقال له : من أين أنت ؟ فقال : من مكة . فقال : من أيِّها ؟ قال : من قريش . قال : فأيُّ شيء أنت ؟ قال : تاجر . قال : إن صدَّق الله رؤياك فإنّه يبعث نبيٌّ من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته . فأسرَّ ذلك أبو بكر في نفسه حتّى بعث النبيُّ ﷺ فجاءه فقال : يا محمَّد ما الدليل على ما تدَّعي ؟ قال : الرؤيا التي رأيت بالشام فعانقه وقبَّل بين عينيه وقال : أشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأشهد أنَّك رسول الله .

وقال الإمام النووي : كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً ، أسلم وهو ابن عشرين سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة .

راجع الرياض النضرة ج ١ ص ٥١ ، ٥٤ ، اسد الغابة ج ١ ص ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٣١٩ ، الصواعق المحرقة ص ٤٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٩ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٢ .

قال الأميني : هلمَّ معي ننظر إلى هذه المراسيل هل توجد فيها مسحةٌ من الصدق ؟ أمّا رواية ابن مهران سنداً :

١ ـ فشبابة بن سوار[2] أبو عمرو المدائني قال أحمد : تركته لم أكتب عنه للإرجاء وكان داعية ، وقال ابن خراش : كان أحمد لا يرضاه وهو صدوقٌ في الحديث ، وقال الساجي وابن عبد الله وابن سعد والعجلي وابن عدي : إنَّه كان يقول بالإرجاء .

---

(١) في الخصائص الكبرى عن كعب . وهو الصحيح .
(٢) في ميزان الإعتدال : سواد .

وقبل هذه كلّها يظهر ممّا رواه أبو علي المدائني : أنّه كان يبغض أهل بيت النبيِّ صلوات الله عليهم . وضربه الله بالفالج لدعاء مَن دعا عليه بقوله : اللَّهُمَّ إن كان شبابة يبغض أهل نبيِّك فاضربه الساعة بالفالج . ففلج في يومه ومات .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٠٢]

٢ - فرات بن السائب الجزري . قال البخاري : منكر الحديث وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، منكر الحديث . وقال الدارقطني وغيره : متروكٌ . وقال أحمد بن حنبل : قريبٌ من محمَّد بن زياد الطحان في ميمون يتّهم بما يتَّهم به ذاك . ومحمَّد بن زياد هو اليشكري أحد الكذّابين الوضّاعين كما مرَّ في ج ٥ ص ٣١٥ ، ففرات عند إمام الحنابلة كذّابٌ وضّاعٌ . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث . وقال الساجي : تركوه . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال ابن عدي : له أحاديث غير محفوظة وعن ميمون مناكير .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٢٥ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٣٠]

٣ - ميمون بن مهران حسبه ما مرَّ في رواية فرات عنه ، أَضف إلى ذلك قول العجلي : انَّه كان يحمل على عليّ . كما في تهذيب ابن حجر ج ١٠ ص ٣٩١ . هب أنَّه وثَّقه مَن وثّقه ، فما قيمته وقيمة حديثه بعد تحامله على عليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

ثمَّ قد أتى ميمون في حديثه بأمرين : إسلام أبي بكر زمن بحيرا ، واختلافه في زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة . أما اختلافه بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين خديجة فلم ينبّىء عنه قطٌّ خبير . وليس من الجائز أن يكون الوسيط في قِران رجل عظيم كمحمَّد وامرأة من بيت مجد وسؤدد ورياسة كخديجة ، شابٌّ حدث ابن إثنتين وعشرين سنة وللزوج أعمام أشراف أعاظم كالعبّاس وحمزة وأبي طالب وهو بينهم وفي بيتهم ، وكان عمُّه أبو طالب كما يأتي يحبُّه حبّاً شديداً لا يحبّ أولاده مثله ، وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه ، ويخرجه معه حين يخرج[1] وكان هو الذي كلّم خديجة حتّى وكلت

(١) يأتي تفصيل ذلك في الكلام عن أبي طالب عليه السلام .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتجارتها ، كما في الإمتاع للمقريزي ص ٨ .

والذي جاء في السير والتاريخ في أمر هذا القِران أنَّ خديجة بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورغبت في زواجه لقرابته وأمانته وحسن خُلقه وصدق حديثه ، وعرضت نفسها عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأعمامه فخرج معه عمُّه حمزة وفي لفظ ابن الأثير : خرج معه حمزة وأبو طالب وغيرهما من عمومته . حتّى دخل على خويلد بن أسد ، أو على عمرو بن أسد عمّ خديجة فخطبها إليه فتزوَّجها عليه وآله الصّلاة والسَّلام وخطب أبو طالب عليه السلام خطبة النكاح ، فقال :

الحمدلله الذي جعلنا من ذريَّة إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضيء معد، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسوّاس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ،وجعلنا الحكّام على الناس، ثمَّ إنَّ ابن أخي هذا محمَّد بن عبد الله لا يوزن برجل إلاَّ رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، فإن كان في المال قلّ ؟ فإنَّ المال ظلٌّ زائل ، وأمرٌ حائل ، ومحمَّد مَن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأٌ عظيم ، وخطرٌ جليل . فزوَّجها .

راجع طبقات ابن سعد ج ١ ص ١١٣ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٧ ، أعلام الماوردي ص ١١٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٥ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٤ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٩ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٩ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٤٣٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ١٢٢ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٧٢ ، المواهب اللدنيّة ج ١ ص ٥٠ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٠٠ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ١١٤ .

فأين مزعمة ابن مهران من هذا التاريخ الصحيح المتواتر ؟ :

وأمَّا إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ أمير المؤمنين زمن «بحيرا» الراهب فإنّه مأخوذٌ ممّا أخرجه ابن مندة[1] من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابن

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ الرجال المتوفّى سنة ٣٥٥ .

عبّاس : إنَّ أبا بكر الصدِّيق صحب النبيَّ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبيُّ ابن عشرين وهم يريدون الشام في تجارة حتّى إذا نزل منزلاً فيه سدرة قعد في ظلّها ومضى أبو بكر إلى راهب يُقال له : بُحيرا يسأله عن شيء . الخ .

هذه الرواية ضعَّفها غير واحد من الحفّاظ . قال الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٣ : عبد الغني ضعَّفه ابن يونس . وأقرَّ ضعفه ابن حجر في لسانه ج ٤ ص ٤٥ ، وقال في الإصابة ج ١ ص ١٧٧ : أحد الضعفاء المتروكين .

وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ج١ ص ٨٦ فقال : سندٌ ضعيف وضعَّفه القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٥٠ ، والحلبي في السيرة النبويَّة ج ١ ص ١٣٠ .

وأفظع من هذا رواية أخرجها الحفّاظ من طريق أبي نوح قراد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبي موسى قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش فلمّا أشرفوا على الراهب ـ يعني بحيرا ـ هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم قال : فنزل وهم يحلّون رحالهم ، فجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد النبيِّ ﷺ فقال : هذا سيِّد العالمين ، هذا رسول ربِّ العالمين ، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين ، إلى أن قال :

فبايعوه وأقاموا معه عنده ، فقال الراهب : انشدكم الله أيُّكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى ردَّه ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت .

أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٨٤ فقال : حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلّا من هذا الوجه ، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦١٦ ، وأبو نعيم في الدلائل ج ١ ص ٥٣ ، والبيهقي في الدلائل ، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ١٩٥ ، وابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٢٦٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٢ ص ٢٨٤ ، نقلاً عن الحافظ أبي بكر الخرائطي والحفّاظ المذكورين ، وابن سيِّد الناس في عيون الأثر ج ١ ص ٤٢ ، والقسطلاني في المواهب ج١ ص ٤٩ .

رجـال الـروايـة :

١ ـ أبـو نوح قـراد عبد الـرّحمٰن بن غزوان . قـال عبّاس الـدوري : ليس في الدنيا أحـدٌ يحدِّث بهـذا الحديث غيـر قراد أبي نـوح وقد سمعـه منه أحمـد ويحيى لغرابته وانفراده .

[تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥]

وقال الذهبي في الميزان ج ٢ ص ١١٣ : كان يحفظ ، وقوله مناكير ، وأنكـر ما له حديث عن يونس «وذكر شطراً من الحديث» فقال : وممَّـا يدلُّ على أنَّـه باطـلٌ قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وبلال لم يكن خُلق ، وأبو بكر كان صبيّاً .

وقـال في تلخيص المستدرك تعليقـاً على تصحيحه : قلت : أظنّـه موضـوعاً فبعضه باطلٌ .

وقـال ابن حجـر في التهـذيب ج ٦ ص ٢٤٨ : ذكـره ابن حبّـان في الثقـات وقال : كان يخطىء يتخالج في القلب منه لروايته عن الليث قصَّة المماليـك ، وقال أحمد : هذا «يعني حديث المماليك» باطلٌ ممّا وضع الناس ، وقـال الدارقطـني : قال أبو بكر : أخطأ فيه قراد .

٢ ـ يونس بن أبي إسحاق . ضعَّف أحمد حديثه عن أبيه ، وقال : حديثه عن أبيه مضطربٌ ، وقال أبو حاتم : كان صدوقاً إلَّا أنَّه لا يُحتجُّ بحـديثه ، وقـال أبـو أحمد الحاكم : ربما وهم في روايته .

[تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٣٤]

٣ ـ أبـو اسحاق السبيعي . قـال ابن حبان : مـدلِّس ، وذكره الكـرابيسي في المـدلِّسين ، وقـال معن : أفسـد حـديث أهـل الكـوفـة الأعمش وأبـو إسحـاق للتدليس .

[تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٦٦]

وقال أبو حاتم : صدوقٌ لا يحتج به ، وقال ابن خراش في حديثه لينٌ ، وقـال ابن حزم في المحلّى : ضعَّفه يحيى وأحمد جدّاً ، وقال أحمد : حديثه مضطرب .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٣٩]

٤ ـ أبو بكر بن أبي موسى توفّي سنة ١٠٦ ، ضعّفه ابن سعد ، وقال أحمد : لم يسمع من أبيه .

[تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤١ .]

٥ ـ أبو موسى الأشعري المتوفّى سنة ٤٢ / ٥٠ / ٥١ / ٥٣ وهو ابن ٦٣ سنة بلا خلاف أجده وقد وقعت الواقعة بعد عام الفيل بتسع سنين أو اثني عشر عاماً قبل ولادة أبي موسى الأشعري ١٧ / ٢٢ / ٢٣ / ٢٥ عاماً ، فإن كان أبو موسى هو الشاهد للقصَّة قبل مولده فحبَّذا ؟ وإن كان يرويها عمَّن شاهدها فمن هو ؟ حتّى ننظر في حاله .

هذا شأن الرواية سنداً ، أهذه كلّها تخفى على مثل الترمذي ومَن بعده مِن الحفّاظ فيحكمون فيها بالحسن ؟ أو بالصحَّة كما فعله ابن حجر والحلبي ؟ أنا لا أدري . نعم : الحبُّ يُعمي أو يُصمّ .

وأمّا متن الرواية فهو يكفي في تكذيبها إذ سفر أبي طالب عليه السلام إلى الشام وأخذه معه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان وقد مضى من عمره صلى الله عليه وآله وسلم تسع سنين على ما قاله أبو جعفر الطبري والسهيلي وغيرهما ، أو إثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون[1] وكان أبو بكر يوم ذاك ابن ستّ أو تسع سنين : فإين كان هو ؟ وماذا كان يصنع بالشام ؟ وأيّ اختيار كان له بين شيوخ قريش ؟ ولم تكن تنعقد نطفة بلال يوم ذاك أخذاً بقول من قال : إنَّه توفّي سنة ٢٥ وله بضع وستون سنة[2] أو أنّه ولد في تلكم السنين أخذاً بقول ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ص ١٧٤ من أنَّه مات سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة . كأنَّ أبو بكر وُلد وهو شيخٌ وبلال عتيقه ، وكان معه من أوّل يومه ، وكان من يوم ولد له الحلُّ والعقد .

ثمَّ أيّ بيعة كانت يوم ذاك ؟ وما معنى قول أبي موسى الأشعري : فبايعوه

---

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٠٢ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢ ، ٢٦٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ١١٨ ، إمتاع المقريزي ص ٨ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ ، شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ١٩٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٣ .

وأقاموا معه عنده ؟ وأيُّ إيمان وإسلام على زعم رواة هذه الأفيكة ، وكان قبل البعثة بإحدى وثلاثين سنة ، أو ثمانية وعشرين عاماً ، أو إثنين وعشرين ، أو سبع عشرة سنة على زعم النووي ؟ ولم تكن للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ دعوة ، ولا كلّف أحداً بالإيمان به ، فلا يُقال لمن عرف شيئاً من إرهاصات النبوَّة أنَّه أسلم يوم عرف وإلاَّ لكان «بحيرا» الراهب و«نسطور» وأمثالهما من الرهبان والكهنة أقدم إسلاماً من أبي بكر ، وكم هنالك أُناس عرفوا أمر الرسالة قبلها وبشّروا بها ثمَّ بعد البعثة عاندوا وحسدوا ، فمنهم من مات مشركاً ، ومنهم من أدركته الهداية بعد حين كما يأتي في كعب الأحبار بُعيد هذا ،وكيف أثبت ذلك اليوم إيماناً لأبي بكر وصار بذلك أقدم الناس إسلاماً ولم يُثبت لأبي طالب لا ذاك ولا غيره ؟ وأبو موسى لم يستثن أبا طالب من أُولئك الذين بايعوا يوم ذاك نظراء أبي بكر وبلال الخياليِّ .

قال الحافظ الدمياطي : في هذا الحديث وهمان : الأوَّل : قوله : فبايعوه وأقاموا معه . والثاني : قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً . ولم يكونا معه ، ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر ، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، ولم يملك أبو بكر بلالاً إلاَّ بعد ذلك بأكثر من ثلاثين سنة وكذا ضعَّفه الذهبي(١) .

وقال الزركشي في الإجابة ص ٥٠ : هذا من الأوهام الظاهرة لأنَّ بلالاً إنَّما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أن أسلم بلال وعذَّبه قومه ولمّا خرج النبيُّ ﷺ إلى الشام مع عمِّه أبي طالب كان له من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وأيّام . ولعلَّ بلالاً لم يكن بعد وُلد . اهـ .

وقال ابن كثير في تاريخه ج ٢ ص ٢٨٥ : إنَّ قوله : وبعث أبو بكر معه بلالاً إن كان عمره عليه الصَّلاة والسَّلام إذ ذاك إثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقلَّ من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذلك ؟ ثمَّ أين كان بلال ، كلاهما غريبٌ ، اللّهُمَّ إلاَّ أن يُقال : إنَّ هذا كان ورسول الله ﷺ كبيراً ، إمّا بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأنَّ عمره كان إذ ذاك اثنتي عشرة سنة غير محفوظ فإنَّه إنَّما ذكره مقيَّداً بهذا الواقدي ، وحكى

---

(١) حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٧٥ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٢ .

السهيلي عن بعضهم أنّه كان عمره عليه الصّلاة والسّلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الأميني : إنّ ابن كثير غضّ البصر عمّا في الرواية من خرافة البيعة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً . ثمّ أتى في تصحيح بعث أبي بكر بلالاً بما لا يخفى عليه فساده ، إذ لم يزد سفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام مع أبي طالب عليه السلام على المرّة الواحدة ، وكون عمره صلى الله عليه وآله وسلم إثني عشر عاماً محفوظٌ عند ابن سعد وابن جرير وابن عساكر وابن الجوزي ، ولم ينحصر بالواقدي كما حسبه ، وقد سافر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام مرّة ثانية سنة خمس وعشرين من عام الفيل مع ميسرة غلام السيّدة خديجة سلام الله عليها وليس هناك أيّ ذكر من «بحيرا» وإنّما فيه قضيّة «نسطور» الراهب[١] .

وقال ابن سيّد الناس في عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ مثل مقالة الدمياطي المذكورة وكذلك الحلبي في السيرة النبويّة ج ١ ص ١٢٩ ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ٢١ ، من طريق داود بن الحصين وليس فيه أثرٌ من الوهمين ولا ذكرٌ من أبي بكر .

نظرة في حديث كعب :

وأمّا رواية كعب فإنّي لم أجدها في أصل من أُصول الحديث ، ولم أر لها سنداً قطّ ، وفي ذكر كعب وهو كعب الأحبار من رجال سندها كفاية ، وحسبنا في كعب ما أخرجه البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرّحمٰن أنّه سمع معاوية يحدّث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال : إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب[٢] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، دلائل النبوة لأبي نعيم ج ١ ص ٥٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٤ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٤ ، الإجابة للزركشي ص ٥٠ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٣٩ ، الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٣٦٢ : روى جماعة من أهل السير : أنَّ عليّاً كان يقول في كعب الأحبار : إنَّه الكذّاب وكان كعب منحرفاً عن عليّ عليه السلام .

وأخرج ابن أبي خيثمة بإسناد حسَّنه ابن حجر عن قتادة قال : بلغ حذيفة أنَّ كعباً يقول : إنَّ السَّماء تدور على قطب كالرحى . فقال : كذب كعب إنَّ الله يقول : ﴿**إنَّ الله يمسك السّموات والأرض أن تزولا**﴾[1] .

على أنّ كعباً لو كان يصدّق نفسه فيما أخبره من الإرهاصات والبشائر لما كان يبقى على دين اليهود طيلة حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وما كان يؤخر إسلامه إلى عهد عمر بن الخطاب ، ولما كان يتعلّل عندما سُئل عمّا منعه عن إسلامه في العهد النبويّ بقوله : إنَّ أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة فقال : إعمل بهذا . وختم على سائر كتبه وأخذ عليَّ بحقِّ الوالد على الولد أن لا أفضّ الختم عنها ، فلمّا رأيت ظهور الإسلام قلت : لعلَّ أبي غيَّب عنّي علماً ففتحتها فإذا صفة محمَّد وأُمَّته فجئت الآن مسلماً [2] وكان له يوم توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنان وثمانون عاماً[3] وأثر الكذب لائحُ في جلِّ ما جاء به كعب وحسبه ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٦٠ من حديث ذي قربات الذي حكم الحفّاظ بعدم صحَّته ، وما جاء به السيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٣١ من حديث إخباره عمر وعثمان بأنَّهما مذكوران بالخلافة في التوراة ، وفيها أنَّ عثمان يُقتل مظلوماً ، ومع هذه كلّها لم يُعلم صدور هذه البشارة منه في أيّام إسلامه ولعلّه كان قبله فلا يُقبل قوله ولا يصدّق في حديثه .

على أنَّ الأحلام إن صحَّت وصدقت فلِمَ لم يحدِّث أبو بكر أحداً من الصحابة بما أخبره «بحيرا» من البشارة في نفسه من أنّه يكون وزيراً وخليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يدور حديثه في دور النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم على ألسنتهم ، وتخبت إليه

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

(٣) راجع الإصابة ، اسد الغابة ، تهذيب التهذيب .

أفئدتهم ، وتزهر بمذاكرته أنديتهم ؟ أو أنّه حدّث بها لكن الصحابة ضربوا عنها صفحاً فلم تنه إلى المحدِّثين ، ولا انتهت إلى أحد من أرباب الصحاح والمسانيد حتّى انتهت النوبة إلى الغلاة في الفضائل من المتأخِّرين فأرسلوها إرسال المسلّم تجاه الحقائق الراهنة .

ولو كان أبو بكر أوَّل من أسلم بتلكم التقاريب فأين كان هو إلى منتهى سبع سنين من البعثة التي يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها : لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحدٌ يصلّي غيرنا[1] ؟ .

وفي أوَّليَّة أمير المؤمنين في الإسلام أحاديث صحيحة عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قدّمناها في الجزء الثالث ، وأسلفنا هناك ما يربو على ستّين حديثاً من الصحابة والتابعين في أنَّ عليّاً أوَّل الناس إسلاماً وأوَّل من صلّى وآمن من ذكر . وقد مرَّت هناك صحيحة الطبري أنَّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً ، ولو كان أبو بكر أوَّل من أسلم وقد آمن به صلى الله عليه وآله وسلم قبل ولادة علي عليه السلام فأين كان هو يوم قال العبّاس لعبد الله بن مسعود : ما على وجه الأرض أحدٌ يعبد الله بهذا الدين إلاَّ هؤلاء الثلاثة : محمَّدٌ وعليٌّ وخديجة ؟ .

[تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٣١٨]

فلا يحقُّ آنئذ لأيِّ مُغالٍ في الفضائل أن يدع تلكم الصحاح عن النبيِّ الأعظم ووصيِّه الأقدس والصحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان ، ويأخذ تجاهها برواية كعب ، وإن هو إلاَّ كعب ليس إلاَّ ، ولا يثبت الحقُّ بالكعاب . ليس بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهل الكتاب ، ولا تتَّبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك .

١٣ - أبو بكر أسنّ أصحاب النبيّ :

أخرج ابن سعد والبزّار بسند حسن عن أنس قال : كان أسنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر الصدِّيق وسهيل بن عمرو بن بيضاء .

وأخرجه أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٥٧٦ ، وابن الأثير في اسد الغابة

---

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٧٤ - ٢٧٨

ج ٢ ص ٣٧٠ وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٠ فقال : رواه البزّار وإسناده حسن ، ورواه ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٨٥ . وفيه : سهل ، بدل سهيل وهو أخوه ، أو هو هو ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٣ نقلاً عن ابن سعد والبزّار .

قال الأميني : كنّا نعتقد أنَّ المغالاة يمكن أن تقع في النفسيّات التي لا تدرك بالحواسِّ الظاهرة كالعلم والتقوى وأمثالها ، وأمَّا الغلوُّ في المشهودات فلم يَدَع المنطق له مساغاً فسرعان ما يظهر فيه كذب الغالي ، ويفتضح به المائن حتّى أوقفنا السير على أمثال هذه الأقاويل ، فرأينا الرجل يقول بملء فيه : إنَّ أبا بكر أسنّ أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يجد في معاجم الصحابة كثيرين هم أسنّ منه بكثير وإليك أسماء أُمَّة منهم :

١ ـ أماناة بن قيس بن شيبان الكندي . أسلم وقد عاش دهراً ، ويُقال : انّه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة كما في الإصابة ج ١ ص ٦٣ .

٢ ـ أمد بن أبد الحضرمي . أدرك هاشم بن عبد مُناف وأُميَّة بن عبد شمس ويُقال : إنَّه كان في عهد معاوية له ثلاثمائة سنة .

[صب ج ١ ص ٦٣]

٣ ـ أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي . قُتل مع عليّ كان سيِّد خثعم في الجاهليَّة عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة .

[صب ج ١ ص ٧٣]

٤ ـ أوس بن حارثة الطائي والد خرام صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاش مائتي سنة ، وأكثر هذه المدَّة من أيّام الجاهليَّة .

[صب ج ١ ص ٨٢]

٥ ـ ثور ـ ثوب ـ بن تلدة . أنشد له الكلبي :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجَّة   إلى مائتين كلّما هو ذاهب

قال : ولا أدري ما عاش بعدما أنشد هذا لمعاوية ، وقد يُقال : إنَّه كان له

يوم بدر عشرون ومائة عاماً .

[صب ج ١ ص ٢٠٥]

٦ ـ الجعد بن قيس المرادي . أسلم ، وكان قد بلغ مائة سنة .

[صب ج ١ ص ٢٣٥]

٧ ـ حسّان بن ثابت الأنصاري . عاش في الجاهليّة ستّين وفي الإسلام ستّين عاماً .

[صب ج ١ ص ٣٢٦]

٨ ـ حكيم بن حرام الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولد قبل عام الفيل بثلاثة وعشرين سنة ، وتوفّي وهو ابن عشرين ومائة سنة .

[صب ج ١ ص ٣٤٩]

٩ ـ حمزة بن عبد المطلب عمّ النبيِّ الأعظم ولد قبله صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين أو بأربع .

[صب ج ١ ص ٣٥٣]

١٠ ـ حنيفة بن جبير بن بكر التميمي . أدرك أحفاده النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ولهم صحبة وكانوا يوم ذاك ذا لحى كما في الإصابة ج ١ ص ٣٥٩ :

١١ ـ حويطب بن عبد العزَّى بن أبي قيس العامري المتوفّى سنة ٥٤ له مائة وعشرين عاماً .

[صب ج١ ص ٣٦٤]

١٢ ـ حيدة بن معاوية العامري . مات وهو عمُّ ألف رجل وامرأة وأدرك عبد المطلب بن هاشم جدَّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وكان بالغاً مبلغ الرجال .

[صب ج ١ ص ٣٦٥]

١٣ ـ خنابة بن كعب العبسي . كان له على عهد معاوية بن أبي سفيان مائة وأربعون سنة وله قوله في الإصابة ج ١ ص ٤٦٣ :

حويت من الغايات تسعين حجَّة ... وخمسين حتى قيل : أنت المقزَّع

١٤ ـ خويلد بن مرة الهذلي أبو خراش ، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً .

[صب ج ١ ص ٤٦٥]

١٥ ـ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبو أروى الهاشمي . كان أسنّ من عمه العبّاس الآتي ذكره .

[صب ج١ ص ٥٠٦]

١٦ ـ سعيد بن يربوع القرشي المخزومي المتوفّى سنة ٥٤ وله ١٢٠/٢٤ عاماً .

[صب ج ٢ ص ٥٢]

١٧ ـ سلمة السلمي ، أقبل إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ .

١٨ ـ سلمان أبو عبد الله الفارسي مات سنة ٣٢/٣/٦ روى أبو الشيخ عن العباس بن يزيد أنَّه قال : أهل العلم يقولون : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ، فأمّا مائتان وخمسون فلا يشكّون فيها .

[صب ج ٢ ص ٦٢]

١٩ ـ أبو سفيان القرشي الأموي . كان أسنّ من أبي بكر بإثني عشر عاماً وعدَّة أشهر .

[صب ج ٢ ص ١٧٩]

٢٠ ـ صرمة بن أنس أبو قيس الأوسي . أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ عاش نحواً من مائة وعشرين عاماً وهو القائل كما في الإصابة ج ٢ ص ١٨٣ :

بدا لي أنّي عشت تسعين حجَّة ... وعشراً وما بعدها لي ثمانيا
فلم ألفها لمّا مضت وعددتها ... يحسبها في الدهر إلاّ لياليا

٢١ ـ صرمة بن مالك الأنصاري ، أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخٌ كبيرٌ .

[صب ج ٢ ص ١٨٣]

٢٢ ـ طارق بن المرقع الكناني ، كان في حجَّة الوداع شيخاً كبيراً ج ٢ ص ٢٢١ .

٢٣ ـ الطفيل بن زيد الحارثي ، هو الذي أخبر عمر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهليَّة ، وكان يوم ذلك قد أتت عليه مائة وستون سنة .

[صب ج ٢ ص ٢٢٤]

٢٤ ـ عاصم بن عديّ العجلاني توفّي سنة خمس وأربعين وله مائة وعشرون سنة .

[صب ج ٢ ص ٢٤٦]

٢٥ ـ العبّاس بن عبد المطلب عمُّ النبيِّ الأعظم ، ولد قبل رسول الله بسنتين أو ثلاث .

[صب ج ٢ ص ٢٧١]

٢٦ ـ عبد الله بن الحارث بن أُميَّة ، أدرك الإسلام وهو شيخٌ كبيرٌ .

[صب ج ٢ ص ٢٩١]

٢٧ ـ عدي بن حاتم الطائي ، مات بعد الستِّين وبلغ مائة وثمانين كما قاله أبو حاتم السجستاني ، أو مائة وعشرين كما في قول خليفة .

[صب ج ٢ ص ٤٦٨]

٢٨ ـ عدي بن وداع الدوسي ، من رجال الجاهليَّة أدرك الإسلام فأسلم وغزا وتوفّي وله ثلاثمائة سنة .

[صب ج ٢ ص ٤٧٢]

٢٩ ـ عمرو بن المُسبِّح[1] الطائي ، مات وله مائة وخمسون عاماً . قال ابن قتيبة : لست أدري أقبض قبل وفاة النبيِّ أم بعده .

[صب ج ٣ ص ١٦]

٣٠ ـ فضالة بن زيد العدواني ، سأله معاوية : كم أتت لك يا فضالة ؟ قال : عشرون ومائة سنة .

[صب ج ٣ ص ٢١٤]

---

(١) بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الموحدة كما في الإصابة ج ٣ ص ١٦ ، وفي المعارف لابن قتيبة ص ١٣٦ : المسيح .

٣١ ـ قباث بن أشيم ، سأله عثمان بن عفان : أنت أكبر أم رسول الله ؟ فقال : رسول الله أكبر منّي وأنا أسنُّ منه .

[صب ج ٣ ص ٢٢١]

٣٢ ـ قردة بن نفاثة السلولي ، أدرك الإسلام وهو شيخٌ كبيرٌ وعاش مائة وخمسين سنة وله كما في الإصابة ج ٣ ص ٢٣١ من أبيات :

بان الشباب فلم أحفل به بالا وأقبل الشيب والإسلام إقبالا

٣٣ ـ لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي الجعفري ، توفّي سنة ٤١ وهو ابن مائة وأربعين أو مائة وسبع وخمسين سنة أو مائة وستين سنة .

[صب ج ٣ ص ٣٢٦]

٣٤ ـ اللجاج الغطفاني ، وفد إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن سبعين وعاش مائة وعشرين سنة .

[صب ج ٣ ص ٣٢٨]

٣٥ ـ المستوغر بن ربيعة بن كعب ، كان من فرسان العرب في الجاهليّة عاش إلى أيّام معاوية وكان له ٣٢٠/٣٠ سنة .

[صب ج ٣ ص ٤٩٢]

٣٦ ـ معاوية بن ثور البكائي ، أسلم بيد النبيِّ وهو شيخٌ كبيرٌ .

[صب ج ١ ص ١٥٦]

وفي بعض المعاجم كان ابن مائة سنة .

٣٧ ـ منقذ بن عمرو الأنصاري ، كان قد أتى عليه مائة وثلاثون في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في اسد الغابة .

٣٨ ـ النابغة الجعدي ، عاش في الجاهليّة مائتي سنة ، ومات وهو ابن ٢٢٥/٣٠ عاماً وهو القائل كما في الإصابة ج ٣ ص ٥٣٨ :

ألا زعمت بنو أسد بأنّي أبو ولد كبير السنّ فاني ؟
فمن يك سائلاً عنّي ؟ فإنّي من الفتيان أيّام الختان

أتت مائةٌ لعام ولدت فيه ... وعشر بعد ذاك وحِجّتان
وقد أبقت صروف الدهر منّي ... كما أبقت من السيف اليماني

وقال أبو حاتم : عاش مائتي سنة وهو القائل :

قال : أمامة كم عمرت زمانه ... وذبحت من عنز على الأوثان ؟
ولقد شهدت عكاظ قبل محلّها ... فيها وكنت أُعدّ من فتيان
والمنذر بن محرّق في ملكه ... وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتّى جاء أحمد بالهدى ... وقوارع تُتلى من القرآن
ولبست في الإسلام ثوباً واسعاً ... من سيب لا حرم ولا منّان

٣٩ ـ نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي ابن عمّ النبيِّ الطاهر . كان أسنَّ من أسلم من بني هاشم حتّى من عمَّيه حمزة والعبّاس المذكورين .

[صب ج ٣ ص ٥٧٧]

٤٠ ـ نوفلٍ بن معاوية بن عروة الدئلي ، كان ممَّن عاش في الجاهليَّة ستّين وفي الإسلام ستين سنة .

[صب ج ٣ ص ٥٧٨]

وقبل هؤلاء كلّهم أبو قحافة والد الخليفة فإنَّه كان أكبر سنّاً من الخليفة لا محالة إن لم تُصغِّره المعاجز من إبنه كما صغَّرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلته غلاماً وشابّاً لا يُعرف بين يدي أبي بكر وهو أكبر منه .

راجع في تراجم هؤلاء المذكورين المعارف لابن قتيبة ، معجم الشعراء للمرزباني ، الإستيعاب لأبي عمر ، اسد الغابة لابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ، الإصابة لابن حجر، مرآة الجنان لليافعي ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي . ونحن اقتصرنا منها بذكر الإصابة مرموزاً بـ (صب) روماً للإختصار .

هؤلاء جملةٌ ممَّن وقفنا على أسمائهم ممَّن أربوا على أبي بكر في السنِّ من الصحابة الأوَّلين ، وهب أنّا غضضنا الطرف عن كلِّ ذلك فهلاّ نسائل القوم عن وجه الفضيلة في كبر السنِّ ؟ أوَ ليس في الأُمم والأجيال من طعنوا في السنِّ فبلغوا من

العمر عتيّاً ، وفيهم الحالي بالفضائل والعاطل عنها ، وإذا مُدح أحدهم فإنّما يُمدح بمآثره لا بطول عمره ، ومهما طال عمر الخليفة فإنَّ أكثره انقضى في الجاهليَّة ، بُعث النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وللخليفة ثمان وثلاثون سنة وقد مرَّ في الجزء الثالث ص ٢٧٤ أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم صلّى سبع سنين ولم يصلّ معه غير عليّ أمير المؤمنين . إذن فلأبي بكر عند إسلامه خمسة وأربعون عاماً وتوفّي وهو ابن ثلاث وستّين ، فقد أُشغل في الإسلام ثماني عشرة سنة ، وهذه المدَّة الأخيرة هي التي يمكن أن تزدان بشيء من المناقب ، فهل ازدانت أو لا ؟ .

وفي الغاية أحسب أنَّه ليس للقوم غاية يعتدُّ بها في كبر السنِّ والإهتمام بذلك غير أنَّهم جعلوا الحجر الأساسي للخلافة الراشدة أشياء منها : إنَّ أبا بكر قُدّم على أمير المؤمنين لأنَّه شيخٌ محنَّك لا تِرَةَ لأحد عنده فيُبغض ، وعلى هذا الأساس جعلوه تارة أكبر سنّاً من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرفت حاله في صفحة **٣٠٣** وأُخرى أنَّه كان شيخاً يُعرف والنبيُّ شاباً لا يُعرف ، وأوقفناك على حقيقة الحال في ص ٢٩٠ . وآونة أنَّه أسنّ الصحابة ليحسموا مادَّة النقض بشيوخ في الصحابة كلّهم أكبر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفيهم رؤساء وأعاظم ، وما عرفوا أنَّ المستقبل الكشّاف سيوقف الباحثين على أُناس هم أكبر من الرجل سنّاً ، وأوفر علماً ، وأبلغ حُنكةً ، وأقدم شرفاً ، وأسبق إسلاماً .

١٤ ـ أبو بكر في كفَّة الميزان :

أخرج الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٧٨ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن الهذيل عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن عليِّ بن زيد[1] عن القاسم بن عبد الرّحمٰن عن أبي أُمامة : قال : قال رسول الله ﷺ دخلت الجنّة فسمعت فيها خشفة بين يديَّ . فقلت : ما هذا ؟ قال بلال . فمضيت فإذا أكثر أهل الجنَّة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين ولم أر فيها أحداً أقلّ من الأغنياء والنساء «إلى أن قال» : ثمَّ خرجنا من أحد أبواب الجنَّة الثانية فلمّا كنت عند الباب أُتيت

(١) كذا والصحيح : يزيد .

بكفّة فوضعت فيها ووضعت أُمَّتي في كفَّة فرجحت بها ، ثمَّ أُتي بأبي بكر فوضع في كفّة وجيء بجميع أُمَّتي فوضعوا في كفَّة فرجح أبو بكر ، ثمَّ أُتي بعمر فوضع في كفَّة وجيء بجميع أُمَّتي فوضعوا فرجح عمر ، ثمَّ رُفع الميزان إلى السماء . وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول ص ٢٨٨ .

رجال الرواية :

١ - مطرح بن يزيد الكوفي قال الدوري عن ابن معين : ليس بشيء وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث وقال أبو حاتم : ليس بالقويِّ ضعيف الحديث يروي أحاديث عن ابن زحر عليِّ بن يزيد فلا أدري البلاء منه أو من عليِّ بن يزيد . وقال الآجري عن أبي داود : زعموا أنَّ البليَّة من قِبَل عليِّ بن يزيد : وقال النسائي : ضعيفٌ ليس بشيء وقال ابن عدي : يجانب روايته عن ابن زحر والضعف على حديثه بيّن .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٧١]

٢ - عبيد الله بن زحر الأفريقي ، مجمعٌ على ضعفه كما في الميزان . ضعَّفه أحمد : وقال ابن معين : ليس بشيء كلّ حديثه عندي ضعيفٌ . وقال ابن المديني : منكر الحديث . وقال الحاكم : ليِّن الحديث . وقال ابن عدي : يقع في أحاديثه ما لا يتابع عليه . وقال أبو مسهر : صاحب كل معضلة . وقال الدارقطني : ضعيفٌ ، وقال ابن حبّان : يروي الموضوعات عن الأثبات . فإذا روى عن عليّ بن يزيد أتى بالطامّات وإذا اجتمع في إسناد خبر عبد الله بن زحر وعليّ بن يزيد والقاسم بن عبد الرّحمٰن لم يكن مَتن ذلك الخبر إلاَّ ما عملته أيديهم[1] . قال الأميني : هذه الرواية ممّا اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة فهو ممّا عملته أيديهم .

٣ - علي بن يزيد الألهاني . قال ابن معين : عليُّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمامة ضعاف كلّها ،وقال يعقوب : واهي الحديث كثير المنكرات ، وقال

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٣ .

الجوزجاني : رأيت غير واحد من الأئمة ينكر أحاديثه التي يرويها عنه عبيد الله بن زحر . وقال زرعة : ليس بالقويِّ ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث أحاديثه منكرة . وقال البخاري : منكر الحديث ضعيفٌ . وقال النسائي : ليس بثقة متروك الحديث . وقال الأزدي والدارقطني والبرقي : متروكٌ . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال الساجي : إتّفق أهل العلم على ضعفه . وقال أبو نعيم : منكر الحديث . وقال ابن حجر : متّهمٌ .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٠ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٣ ، ٣٩٦]

٤ ـ القاسم بن عبد الرّحمٰن الشامي . قال أحمد : هذه المناكير التي يرويها عنه جعفر وبشر ومطرح مناكير ممّا يرويها الثقات أنّها من قِبَل القاسم . وقال الأثرم : حملها أحمد على القاسم . وقال : ما أرى هذا إلاّ من قِبَل القاسم . وقال الحرّاني : قال أحمد : ما أرى البلاء إلاّ من القاسم . وقال الغلابي : منكر الحديث . وقال ابن حبّان : يروي عن الصحابة المعضلات .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٤ ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٢٣]

وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٩ فقال : رواه أحمد والطبراني وفيهما : مطرح بن زياد وعليّ بن يزيد الألهاني وكلاهما مجمعٌ على ضعفه .

قال الأميني : هذا شأن الرواية سنداً ورجاله كما ترى ، واستدلَّ الهيثمي على ضعفه بما في متنه راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٩ .

١٥ ـ توسُّل الشمس بأبي بكر :

قال النبيُّ ﷺ : عُرِض عليَّ كلُّ شيء ليلة المعراج حتى الشمس فإنِّي سلّمت عليها وسألتها عن كسوفها فأنطقها الله تعالى وقالت : لقد جعلني الله تعالىٰ على عجلة تجري حيث يريد فأنظر إلى نفسي بعين العجب فنزل بي العجلة فأوقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول : أحد أحد . والآخر يقول : صدق صدق . فأتوسَّل بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف ، فأقول : يا ربِّ من هما ؟ فيقول : الذي يقول : أحد أحد هو حبيبي محمّد ﷺ . والذي يقول : صدق

صدق هو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

[نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

أنا لا أُحكِّم في هذه الرواية إلَّا علماء علم الفلك سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون . وقد تكلَّمنا في صحيفة ٢٦٨ عن العجلة التي حملت الشمس وبحثنا عنها بحثاً ضافياً ، وليت الهيئيِّين درسوا هذه الرواية فأخذوا عنها علماً غزيراً ، وعرفوا أنَّ الكسوف يكون بغمس الشمس في البحر عقوبة على نظرها إلى نفسها بعين العجب وإن إنجلاءها يتمُّ بالتوسُّل، ولعلَّ المستقبل الكشّاف يأتي بمن يُعلِّم الأُمَّة بسرِّ خسوف القمر وتتأتّى به للمجالس نزهة بعد نزهة .

وهنا أسئلةٌ جمَّةٌ :

١ ـ ليس الكسوف يخصُّ بهذه الأُمَّة فحسب ، ولا بأيّام حياة أبي بكر خاصَّة ، فمن ذا الذي كان يقول : صدق صدق . قبل ميلاد أبي بكر ؟ ومن ذا الذي يقولها بعد وفاته ؟ وبمن كانت الشمس تتوسَّل قبل ذلك ؟ وبمن تتوسَّل به بعده ؟ .

٢ ـ أين كان يقول أبو بكر : صدق صدق ؟ أيقولها وهو في محلّه بمرأى من الناس ومسمع فيُسمعها الشمس بالإعجاز ؟ أو كان يحضر على ذلك البحر الذي لم يحدَّد بأيِّ ساحل فيغيب عن الناس وتطوى له المسافة بخرق العادات ؟ فَلِمَ لم يُحدَّث عنه ذلك ولو مرَّة واحدة ؟ أو أنَّه يذهب هو ويدع قالبه المثالي بين الناس فيحسبونه هو هو ؟ أو أنَّه يثبت في مكانه فيرسل قالبه ذلك فتحسبه الشمس أنَّه هو ؟ .

٣ ـ هب أنَّ الشمس تحمل حياةً روحيَّةً فهل تحمل معها نفساً أمَّارة بالسوء بها تعجب بنفسها ؟ أنا لا أدري . وعلى فرض ثبوت النفس الأمّارة فما بالها تدأب على المعصية وهي ترى استمرار العقوبة مع كلِّ عصيان ؟ فهل هي تتوب بعد كلِّ معصية ثمَّ تعود إليها بنسيان العقاب أو غلبة الشهوة ؟ ومن المعلوم أنَّ الكسوف لم ينقطع ليلة المعراج فهو من الكائنات المتجدّدة إلى انقراض العالم فكأنَّ الشمس حينئذ كانت تخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتصميمها على الإستمرار على المعصية منذ كلِّ

كسوف فمتى تتوب هذه العاصية الشاعرة ؟ أنا لا أدري . وفي ذمّة الصفوري صاحب الكتاب الخروج عن عهدة هذه الأسئلة . فهل يخرج ؟ أنا لا أدري ، وهذا أيضاً من الغلوّ في الفضائل والحبّ المعمي والمصمّ .

١٦ ـ كلبةٌ من الجنِّ مأمورة :

عن أنس بن مالك قال : كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجلٌ من أصحابه وساقاه تشخبان دماً فقال النبيُّ ﷺ : ما هذا ؟ قال : يا رسول الله ! مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني . فقال ﷺ : إجلس فجلس بين يدي النبيِّ ﷺ ، فلمّا كان بعد ذلك بساعة إذ أقبل إليه رجلٌ آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً مثل الأوَّل فقال النبيُّ ﷺ : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! إنّي مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني قال : فنهض النبيُّ ﷺ : وقال لأصحابه : هلمّوا بنا إلى هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلُّهم وحمل كلٌّ واحد منهم سيفه فلمّا أتوها وأرادوا أن يضربوها بالسيوف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله ﷺ وقالت بلسان طَلِق ذلِق : لا تقتلني يا رسول الله ! فإنّي مؤمنةٌ بالله ورسوله فقال : ما بالك نهشت هذين الرَّجلين ؟ فقالت : يا رسول الله ! إنّي كلبةٌ من الجنِّ مأمورة أن أنهش مَن سبَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . فقال النبيُّ ﷺ : يا هذين ! أما سمعتما ما تقول الكلبة ؟ قالا : نعم يا رسول الله ! إنّا تائبان إلى الله عزَّ وجلَّ .

[عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٠٥]

قال الأميني : ما أعظم شأن هذه الكلبة وأثبتها في ميدان البسالة حتّى استدعى أمرها أن يتجهّز لحربها النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويحمل عليها أصحابه شاهرين السيوف ؟ فهل هي كلبةٌ أو أسدٌ ضارٍ ؟ أو عفرنى باسل ؟ أو حشدٌ لُهام ؟ وأحسب أنَّ اللذين نهشتها كانا من هيّابة الصحابة فإنَّ شجعانهم ما كانوا يبالون بالضراغم فضلاً عن الكلاب .

وأين كانت هذه الكلبة عمّن كان ينال من أبي بكر غير الرجلين في ذلك العهد وبعد العهد النبويِّ وهلمَّ جرّا ؟ فلم تُشهد لها نهشة ، ولا سمع لها عواء ، فليتهيَّأ صاحب عمدة التحقيق لتحليل هذه المسائل وذلك بعد الغضِّ عن اسناده

الموهوم .

ثمَّ ما أخرس ألسنة أُولئك الصحابة الحضور يوم أطلق الله لسان تلك الكلبة الطلقة الذلقة عن بثِّ هذه الفضيلة الرابية ؟ ومثلها تتوفَّر الدواعي لنقلها ، وما أذهل الحفّاظ وأئمَّة الحديث وأرباب السير عن روايتها ؟ فلا يجدها الباحث في المسانيد والصحاح والفضائل ومعاجم السير وأعلام النبوَّة ودلائلها إلى أن بشَّر بها العبيدي آل الصدِّيق بعد لأي من عمر الدهر وقذف بهذه الأُكذوبة أنس بن مالك .

أهكذا تكون المغالاة في الفضائل ؟ . . . لعلَّها تكون .

نعم للهِ كلابٌ مفترسة وأُسودٌ ضارية سلّطها الله على أعدائه بدعاء نبيِّه الأعظم أو أحد من أولاده الصّادقين صلوات الله عليه وعليهم ، منها : كلبٌ سلّطه الله على لهب بن أبي لهب بدعاء النبيِّ الأقدس كما مرَّ في الجزء الأوَّل ص ٣٠٩ ومنها ، كلب أخذ برأس عتبة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما مرَّ في ج ١ ص ٣٠٩ قال الحلبي في السيرة النبويَّة ج ١ ص ٣١٠ : ووقع مثل ذلك لجعفر الصّادق قيل له : هذا فلان ينشد الناس هجاءكم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل : هل علقت من قوله بشيء ! قال : نعم . قال : فأنشِدْ . فأنشد :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم أرَ مهديّاً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليّاً سفاهة ... وعثمان خيرٌ من عليّ وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال : اللّهُمَّ إن كان كاذباً فسلِّط عليه كلباً من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الأسد . وإنَّما سمِّي الأسد كلباً لأنَّه يشبه الكلب في أنَّه إذا بال رفع رجله .

قال الأميني : الشاعر المفترَس هو الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني أُميَّة بدمشق وقصَّته هذه من المتسالم عليه غير أنَّ في معجم الأدباء كما مرَّ في الجزء الثاني ص ٢٣٢ من كتابنا هذا أنَّ الداعي على الرَّجل هو عبد الله بن جعفر. وأحسبه تصحيف أبي عبد الله جعفر ، فعلى كلّ قد وقع من أهله في محلّه .

١٧ ـ هبة أبي بكر لمحبِّيه :

عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : قال عليٌّ رضي الله عنه : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ وليس معنا ثالثٌ إلَّا الله عزَّ وجلَّ فقال : يا عليّ تريد أن أُعرِّفك بسيِّد كهول أهل الجنَّة وأعظمهم عند الله قدراً ومنزلة يوم القيامة ؟ فقلت : أي وعيشك يا رسول الله ! قال : هذان المقبلان . قال عليٌّ : فالتفتُّ فإذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . ثمَّ رأيت رسول الله ﷺ تبسَّم ثمَّ قطب وجهه حتّى ولجا المسجد فقال أبو بكر : يا رسول الله ! لمّا قربنا من دار أبي حنيفة تبسَّمت لنا ثمَّ قطبت وجهك فلِمَ ذلك يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : لمّا صرتما لجانب دار أبي حنيفة عارضكما إبليس ونظر في وجوهكما ثمَّ رفع يديه إلى السَّماء أسمعه وأراه وأنتما لا تسمعانه ولا تريانه وهو يدعو ويقول : اللَّهُمَّ إنِّي أسألك بحقِّ هذين الرجلين أن لا تعذِّبني بعذاب باغضي هذين الرجلين . قال أبو بكر : ومَن هو الذي يبغضنا يا رسول الله ! وقد آمنّا بك وآزرناك وأقررنا بما جئت به من عند ربِّ العالمين ؟ قال : نعم يا أبا بكر ! قومٌ يظهرون في آخر الزمان يُقال لهم : الرافضة يرفضون الحقَّ ، ويتأوَّلون القرآن على غير صحَّته وقد ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز وهو قوله : ﴿**يحرِّفون الكلم عن مواضعه**﴾[1] فقال : يا رسول الله ! فما جزاء من يبغضنا عند الله ؟ قال يا أبا بكر ! حسبك أنَّ إبليس لعنه الله تعالى يستجير بالله تعالىٰ أن لا يعذِّبه بعذاب باغضيكما . قال : يا رسول الله ! هذا جزاء من قد أبغض فما جزاء من قد أحبَّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تهديا له هديَّة من أعمالكما . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله أُشهد الله وملائكته اني قد وهبت لهم ربع أجري ـ أي عملي ـ منذ آمنت بالله إلى أن نلقاه . فقال عمر رضي الله عنه : وأنا مثل ذلك يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : فضعا خطَّكما بذلك . قال عليٌّ كرَّم الله وجهه : فأخذ أبو بكر زجاجة وقال له رسول الله ﷺ اكتب . فكتب :

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم يقول عبد الله عتيق بن أبي قحافة : إنِّي قد أَشهدت

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٤٦ ، وسورة المائدة ؛ الآية : ١٣ .

الله ورسوله ومن حضر من المسلمين أنّي قد وهبت ربع عملي لمحبّي في دار الدنيا منذ آمنت بالله إلى أن ألقاه ، وبذلك وضعت خطّي .

قال : وأخذ عمر وكتب مثل ذلك فلمّا فرغ القلم من الكتابة هبط الأمين جبرائيل عليه‌السلام وقال : يا رسول الله ! الربُّ يقرئك السّلام ويخصُّك بالتحيَّة والإكرام ويقول لك : هات ما كتبه صاحباك . فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : هذا هو . فأخذه جبرائيل وعرج به إلى السّماء ثمَّ إنَّه عاد إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقال له رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : أين ما أخذت يا جبرائيل منّي ؟ قال : هو عند الله تعالىٰ وقد شهد الله فيه ، وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل وقال الله تعالىٰ : هو عندي حتّى يفي أبو بكر وعمر بما قالا يوم القيامة .

[عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٠٥ ـ ١٠٧]

قال الأميني : أنا لا أحاول إطناباً في تفنيد هذه الرِّواية الشبيهة بأساطير القصّاصين أو الرِّوايات الخياليَّة ، فإنَّ كلَّ فصل منها شاهد صدق على عدم صحَّتها .

أنا لا أخدش في كهولة الشيخين بما مرَّ في الجزء الخامس ص ٣٧٩ من القول المعزوِّ إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : يا عليّ أتحبُّ هذين الشيخين ؟ . ولا بما مرَّ في هذا الجزء ص ٢٧٢ من أنَّ أبا بكر له شيبة في الجنَّة وليست لأحد لحية هناك إلاّ هو وإبراهيم الخليل ولا بما مرَّ ص ٢٧٢ من أنَّ رسول الله كان يقبِّل شيبة أبي بكر ، ولا بما مرَّ في صفحة ٢٩٠ من أنَّ أبا بكر كان يوم هجرة النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى المدينة شيخاً والنبيُّ شابّاً. ولا بما مرَّ في ص ٣٠٣ من أنَّ أبا بكر كان أكبر من النبيِّ . ولا بما مرَّ في ص ٣١٤ من أنَّه كان أسنَّ أصحاب النبيِّ .

ولا أتكلّم في عذاب باغضي أبي بكر وعمر وأنَّه ما الذي أربى به على عذاب مَن تكبَّر وتجبَّر تِجاه المولى سبحانه وعانده وخالف أمره وهو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يغوي عباد الله ويضلّهم عن سبيل الحقِّ ؟ .

ولا أُناقش في أنَّ إبليس كيف كان يصحُّ له أن يتعوَّذ بالله من عذاب باغضيهما ؟ أكان يحبّهما فلماذا هو ؟ او كان يبغضهما كما يبغض كلَّ مؤمن بالله ؟

فالدعاء لماذا ؟ وماذا ينتج له وهو يعلم عذاب مبغضيهما وهو يبغضهما ولا يزال يغري الناس ببغضهما ؟ .

ولا أمدُّ يراعي إلى الزجاجة المكتوبة فيها تلك الهبة الموهومة لئلّا تنكسر فتحرم الأُمَّة المرحومة من تلك البضاعة الغالية .

ولا أُسائل رواة هذه المهزأة عن تلكم الشهادات من الله إلى حملة عرشه إلى أمين وحيه إلى ميكائيل وإسرافيل . لماذا هي كلّها ؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه إلى ذلك الإهتمام البالغ في استحكام ذلك الصكّ ؟ وما الذي أهمَّ ادِّخاره عند الله حتى يفي أبو بكر وعمر بما قالا يوم القيامة ؟ .

ولا أقول لِماذا تركت الأئمَّة وحفّاظ الحديث هذه الفضيلة العظيمة إلى قرن العبيدي المالكي ـ القرن الحادي عشر ـ وفيها بشارةٌ كبيرةٌ لمحبِّ الشيخين وإرشاد للأُمَّة إلى ما فيه نجاتهم ونجاحهم والمثوبة الجزيلة بجزاء ربعي أعمالهما ؟ ولِماذا شحَّ أُولئك الحفظة على الأُمَّة وسمع العبيدي ؟ .

ولكن هلمَّ معي إلى مفاد الآية الكريمة فهي في موضعين من القرآن الكريم :

١ ـ **﴿من الذين هادوا يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا﴾**[1] .

٢ ـ **﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم إثني عشر نقيباً وقال الله : إنِّي معكم لئن أقمتم الصَّلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأُكفِّرنَّ عنكم سيِّئاتكم ولأُدخلنَّكم جنّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواء السبيل * فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به﴾**[2] .

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٤٦ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

ألا تعجب من تحريف الكلم بإسناد ما ناء به اليهود وبنو إسرائيل بنصّ القرآن الحكيم إلى قوم لم يأتوا بعدُ وسيضمنهم الزمان في أُخرياته ؟ حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ذلك ، ولكنّها ورطات القالة ، واهواءٌ وشهوات ، حبّذت الوقيعة في قوم مؤمنين اتّبعوا النبيّ الأمين ، وهُدوا إلى الصِّراط المستقيم ، وهُدوا إلى الطيِّب من القول ، وهُدوا إلى صراط الحميد ، **﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم﴾** .

١٨ - أبو بكر في قاب قوسين :

بلغنا أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة فسمع في حضرة الله تعالىٰ بصوت أبي بكر رضي الله عنه فاطمأنَّ قلبه واستأنس بصوت صاحبه .

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٤ فقال : هذه كرامةٌ للصدِّيق انفرد بها رضي الله تعالىٰ عنه .

قال الأميني : لِماذا تلك الوحشة ؟ ولماذا ذلك الأُنس ؟ وهو صلى الله عليه وآله وسلم في ساحة القدس الربوبيِّ ، وكان لا يأنس إلا بالله ، وكانت نفسه القدسيَّة في كلّ آناته منعطفة إليها فهل هو يستوحش إذا حصل فيها ؟ وهي أزلف مباءة إلى المولى سبحانه لا تقلُّ غيره ، حتّى انَّ جبرائيل الأمين إنكفأ[1] عنها فقال : إن تجاوزت إحترقت بالنار . لمّا جذبه الله تعالىٰ إليها وحفَّته قداسةٌ إلٰهية تركته مستعدّاً لتلقّي الفيض الأقدس ، وهل هناك وحشةٌ لمثله صلى الله عليه وآله وسلم يسكّنها صوت أبي بكر ؟ وهل كانت له صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مقام الفناء لفتةٌ إلى غيره جلّت عظمته حتى يأنس بصوته ؟ لاها الله ، وما كان قلب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يقلُّ غيره سبحانه فهو مستأنسٌ به ومطمئنّ بآلائه ، فلا مدخل فيه لأيِّ أحد يطمئنّ به ، **﴿وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾** ، **﴿ولقد رآه بالأُفق المبين﴾** ، **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ؟ ولقد رآه نزلةً أُخرى عند سدرة المنتهى﴾** ، **﴿ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾** ، ولم تبرح نفسه الكريمة مطمئنّة

---

(١) الكامل ج ٢ ص ٢١ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٣١ .

بارئها حتى خوطب بقوله سبحانه : ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربِّك راضيةً مرضيَّة**﴾ .

هذا مبلغ الرواية من نفس الأمر لكن الغلوّ في الفضائل آثر أن يعدّوها من فضائل الخليفة وإن كانت مقطوعةً عن الإسناد .

١٩ ـ الدين وسمعه وبصره :

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً يُعلّمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم الحواريِّين . قيل له : فأين أنت عن أبي بكر وعمر ؟ قال : إنّه لا غنى بي عنهما إنَّهما من الدين كالسمع والبصر .

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٧٤ فقال : هذا حديث تفرَّد به حفص بن عمر العدني عن مسعر ، وقال الذهبي في تلخيصه : هو واهٍ .

قال الأميني : قال النسائي : حفص بن عمر ليس بثقة ، وقال ابن عدي : عامَّة حديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبَّان : كان ممَّن يُقلّب الأسانيد لا يجوز الإحتجاج به إذا انفرد ، وقال ابن معين : رجل سوء ، ليس بثقة . وقال مالك بن عيسى : ليس بشيء ، وقال العقيلي : يحدِّث بالأباطيل ، وقال أحمد : كان مع حمّاد[1] في تلك البلايا ، وقال أبو داود : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : ضعيفٌ ، ليس بقويّ ، متروكٌ[2] .

هذا على ما فرَّق جمعٌ بينه وبين حفص بن عمر بن دينار الإيلي وأمّا إن كان هو هو فقال ابن عدي : أحاديثه كلّها منكرة المتن والسند وهو إلى الضعف أقرب . وقال أبو حاتم : كان شيخاً كذّاباً ، وقال العقيلي : يحدِّث عن شعبة ومسعر ومالك بن مغول والأئمّة بالبواطل ، وقال الساجي : كان يكذب ، وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث[3] .

---

(١) أحد الكذّابين الوضّاعين .

(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٦٢ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤١٠ .

(٣) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٦٣ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٢٤ .

هذا شأن سند الرواية ؛ وليت شعري أيّ سنَّة أو فريضة كان يعلّمها الرجلان على فرض إرسالها ؟ وبماذا كانا يفتيان في الكلالة وإرث الجدّ والجدّة والتيمم وشكوك الصّلاة إلى مسائل أُخرى عرَّفناك بعضها في الجزء السادس وجملة منها في هذا الجزء ؟ وبماذا كانا يجيبان لو سُئلا عن آيات القرآن وهما يتقاعسان عن معرفة بعض ألفاظها اللغويَّة فكيف بالغوامض والمعضلات ؟ .

ثمَّ بماذا كان غناء الرجلين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وبماذا كانا من الدين كالسمع والبصر ؟ أبصولاتهما في الحروب ؟ أم بأياديهما في الجدوب ؟ أم ببصائرهما في الأُمور ؟ أم بعلمهما الناجع في الكتاب والسنَّة ؟ أم بتوقّف الدعوة عليهما في عاصمة الإسلام ؟ أم بإناطة تنفيذ الأحكام بهما ؟ إقرأ السير ثمَّ استحف الخبر .

وقد مرّ في ج ٥ ص٣٩٣ عن المقدسي : إنَّ أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السمع والبصر من موضوعات الوليد بن الفضل الوضَّاع .

وذكر أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ١٤٦ مرفوعاً لأبي بكر وعمر : هذان منّي بمنزلة السمع والبصر من الرَّأس وقال : إسناده ضعيف أخبرنا أبو عبد الله يعيش بن سعيد قال: أخبرنا أبو بكر بن محمَّد بن معاوية : قال جعفر بن محمَّد الفريابي : قال عبد السّلام بن محمد الحرّاني : قال ابن أبي فديك ، عن المغيرة بن عبد الرَّحمٰن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جدِّه أنَّ النبيَّ . . . ليس له غير هذا الإسناد والمغيرة بن عبد الرَّحمٰن هذا هو الحزامي ضعيفٌ وليس بالمخزومي الفقيه صاحب الرأي (الخ) وقال في ج ١ ص ٣٤٨ : حديث مضطرب الإسناد لا يثبت . وفي الإصابة ج ٢ ص ٢٩٩ : حديث هذان السمع والبصر . في أبي بكر وعمر قال أبو عمر : حديث مضطرب لا يثبت .

أقول في الإسناد المذكور غير واحد من المجاهيل والضعاف ولا ينحصر ضعفه بمكان المغيرة فحسب ، وقال فيه ابن معين : إنَّه ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقويِّ .

[تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٦]

٢٠ ـ أبو بكر ومنزلته عند الله :

عن ابن عبّاس قال : كان أبو بكر مع النبيّ ﷺ في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبيِّ ﷺ فقال له النبيُّ ﷺ : إذهب إلى صدر الغار فاشرب . قال أبو بكر : فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماءً أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ثمَّ عدت إلى النبيِّ ﷺ فقال : شربت ؟ قلت : نعم . قال : ألا أُبشِّرك يا أبا بكر ؟ قلت : بلى يا رسول الله ! قال : إنَّ الله تبارك وتعالىٰ أمر الملك الموكّل بأنهار الجنّة أن اخرق نهراً من جنّة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر فقلت : يا رسول الله ! ولي عند الله هذه المنزلة ؟ فقال النبيُّ ﷺ : نعم وأفضل ، والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً لا يدخل الجنّة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيّاً .

[الرياض النضرة ج ١ ص ٧١ ، مرقاة الوصول ص ١١٤]

قال الأميني : كيف تصحّ هذه الرواية وقد ضرب عنها حفّاظ الحديث وأئمّة التاريخ والسير صفحاً ؟ مع ما فيها من نبأ عظيم وكرامة هامّة وهي بين أيديهم وهم يهتمّون بجمع دلائل النبوّة ومعاجز الرسالة ، فلم تخرّج في أصل ، ولم تذكر في سيرة ، وإنّما ذكرها السيوطي في الخصائص ج ١ ص ١٨٧ فقال : أخرجه ابن عساكر بسند واهٍ .

ولماذا خصّت روايتها بابن عبّاس وقد ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة أو سنتين ولم يسندها إلى أحد ولم يكن في الغار غير النبيِّ ﷺ وصاحبه ؟ فأين روايتهما إيّاها ؟ وأين أُولئك الصحابة عنها ؟ أيحقّ لحكيم أو حافظ أن يرسل مثل هذه الواهية إرسال المسلّم في عدّ الفضائل ؟ .

نعم : للقوم في محبّة أبي بكر وصاحبه روايات تشبه بالقصص الخياليّة نسجتها يد الغلوِّ في الفضائل وإليك منها :

١ ـ عن عبد الله بن عمر مرفوعاً ، لَمّا وُلد أبو بكر في تلك الليلة اطّلع الله على جنّة عدن فقال : وعزّتي وجلالي لا أدخلك إلّا من أحبَّ هذا المولود .

من موضوعات أحمد بن عصمة النيشابوري كما مرّ في ج ٥ ص ٣٦٥

٢ - عن أبي هريرة مرفوعاً : إنَّ في السَّماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبَّ أبا بكر وعمر ، وفي السَّماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر .

من طامّات أبي سعيد الحسن بن علي البصري كما أسلفناه في ج ٥ ص ٣٦٥

٣ - عن أنس : إنَّ يهوديّاً أتى أبا بكر فقال : والذي بعث موسى وكلّمه تكليماً إنِّي لأحبّك فلم يرفع أبو بكر رأسه تهاوناً باليهوديِّ فهبط جبرائيل على النبيِّ ﷺ وقال : يا محمَّد إنَّ العليَّ الأعلىٰ يقرأ عليك السَّلام ويقول لك : قل لليهوديِّ : إنَّ الله قد أحاد عنك النار . الحديث . إقرأ واحكم بعد قراءتك القرآن والتدبّر في الآي النازلة في عذاب الكفّار. من موضوعات أبي سعيد البصري .راجع الجزء الخامس ص ٣٦٦

٤ - عن أنس مرفوعاً : إنَّ الله تعالىٰ في كلّ ليلة جمعة مائة ألف عتيق من النار إلَّا رجلين فإنَّهما يدخلان في أُمَّتي وليسا منهم ، وإنَّ الله لا يعتقهما فيمن عتق منهم مع أهل الكبائر في طبقتهم ، مصفَّدين مع عبدة الأوثان: مبغضي أبي بكر وعمر ، وليس هم داخلين في الإسلام ، وإنَّما هم يهود هذه الأُمَّة . الخ .

من وضع أبي شاكر مولى المتوكِّل كما مرَّ في ج ٥ ص ٣٦٨

٥ - عن عبد الله بن عمر مرفوعاً : إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ . من بلايا السنجري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٧٥

٦ - عن أبي هريرة مرفوعاً قال لعليّ : أتحبُّ هذين الشيخين ؟ قال : نعم يا رسول الله ! قال : أَحِبَّهما تدخل الجنَّة . من صناعة الأشناني كما مرَّ ج ٥ ص٣٧٨

٧ - عن جابر مرفوعاً : لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبّهما منافقٌ .

من موضوعات معلّى الطحان راجع ج ٥ ص ٣٩٢

٨ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً : هذا جبرائيل يخبرني عن الله ما أحبَّ أبا بكر وعمر إلَّا مؤمن تقيّ، ولا أبغضهما إلَّا منافقٌ شقيٌّ .

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٩٤

٩ ـ عن أبي سعيد مرفوعاً ، من أبغض عمر فقد أبغضني . راجع ج ٥ ص ٣٩٧

١٠ ـ عن عليّ مرفوعاً: قد أخذ الله بكم الميثاق في أُمّ الكتاب لا يحبُّكم «يعني أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّاً» إلَّا مؤمن تقيٌّ ، ولا يبغضكم إلَّا منافق شقيٌّ .

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٩٤

١١ ـ عن عليّ مرفوعاً في أبي بكر : من أحبَّني فليحبَّه ، ومن أراد كرامتي فليكرمه مرَّ في الجزء الخامس ص ٤٢٨

١٢ ـ عن أنس مرفوعاً : إنَّ لعرش الرَّحمٰن ثلاثمائة وستِّين قائمة ، كلُّ قائمة كطباق الدنيا ستّين ألف مرَّة ، بين كلِّ قائمتين ستّون ألف صخرة ، كلُّ صخرة مثل الدنيا ستّون ألف مرَّة ، في كلِّ صخرة ستّون ألف عالم ، كلُّ عالم مثل الثقلين ستّون ألف مرَّة . قد ألهمهم الله تعالىٰ الإستغفار لمن يحبّ أبا بكر وعمر ، ويلعنون مبغضهما إلى يوم القيامة[1] .

كأنَّ لعدد ستِّين ألف خاصَّةٌ عند واضع هذه الخرافة فجعل سلسلة الأكوان الخياليَّة على ذلك العدد ، ليست هذه كلّها إلَّا حلقة بلاء جاءت بها رماة القول على عواهنه المغالون في الفضائل تجاه الحقائق الراهنة ، غير أنّا لا نخدش العواطف ببسط القول في متونها ، ونكل القضاء فيها إلى ضمير الباحث النّابه الحرِّ .

---

(١) عمدة التحقيق للعبيدي المالكي ص ١٨٣ نقلاً عن كتاب العقائق .

٢١ ـ النبيُّ مؤيَّدٌ بالشيخين :

عن أبي أروى الدوسي قال كنت جالساً عند النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فاطّلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ الحمد لله الذي أيّدني بكما .

قال الأميني : أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٧٤ من طريق ابن أبي فديك وهو وإنْ وثّقه ابن معين غير أنَّ ابن سعد قال : ليس بحجَّة ، عن :

عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ضعَّفه أحمد وابن معين وأبو حاتم ، وابن عدي ، وقال الفروي : ليس بقويّ ، وقال الجوزجاني : يضعف حديثه وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال الترمذي : متروكٌ ليس بثقة ، وقال ابن حبّان : يخطىء ويخالف وقال أيضاً : منكر الحديث جِدّاً يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، لا يجوز الإحتجاج به إلّا فيما وافق الثقات ، وقال ابن الجارود : ليس حديثه بحجَّة . وتكلّم النسائي على أحمد بن صالح حيث وثّقه . عن :

سهيل بن أبي صالح قال ابن معين : حديثه ليس بحجَّة ، وقال أبو حاتم : حديثه لا يُحتجُّ به ، وقال ابن حبَّان يخطىء ، وقال ابن أبي خيثمة عن يحيى : لم يزل أهل الحديث يتّقون حديثه ، وذكر العقيلي عن يحيى أنَّه قال : هو صويلح وفيه لين . عن :

محمَّد بن إبراهيم بن الحارث المدني وثّقه غير واحد غير أنَّ إمام الحنابلة أحمد قال : في حديثه شيءٌ يروي أحاديث مناكير أو منكرة[1] والحديث ذكره ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٥ وضعّفه .

هذا مجمل القول في رجال سند الرواية ، وأمّا متنه فكما ترى آيةٌ في الغلوِّ .

٢٢ ـ الأشباح الخمسة من ذريّة آدم :

عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أخبرني جبرائيل أنَّ

---

(١) راجع ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٤ وج ١ ص ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٦ ، ٦١ ، وج ٤ ص ٢٦٣ ، ج ٥ وبهذا الطريق أخرجه البزار كما في الصواعق ص ٤٧ .

الله تعالىٰ لمّا خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفّاحةً من الجنّة فأعصرها في حلقه فعصرتها في فمه فخلقك الله من النقطة الأُولى أنت يا محمَّد ، ومن الثانية أبا بكر ، ومن الثالثة عمر ، ومن الرابعة عثمان ، ومن الخامسة عليّ . فقال آدم : من هؤلاء الذين كرَّمتهم ؟ فقال الله تعالىٰ : هؤلاء خمسة أشباح من ذريّتك ، وقال : هؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي . قال : فلمّا عصى آدم ربَّه . قال : ربِّ بحرمة أُولئك الأشباح الخمسة الذين فضّلتهم إلاَّ تبت عليَّ فتاب الله عليه .

ذكره الحافظ محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ٣٠ ، وابن حجر في الصواعق ص ٥٠ نقلاً عن رياض المحبّ الطبري وقال : عهدته عليه .

قال الأميني : ماأبعد المسافة بين من يجوِّز توسّل آدم أوّل الأنبياء إلى الله تعالىٰ بأُناس عاديِّين في سياق توسّله بأفضل الرُّسل وسيِّد الأوصياء عليهما وآلهما السَّلام ، وبين مَن ينكر التوسُّل لأيِّ أحد ، بأيِّ أحد ، ولا يرى لتوسّل آدم بالنبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أيّ قيمة وكرامة ، فيعتقد الأوَّل صحَّة مثل هذه الرواية التي حكم السيوطي بأنَّها كذبٌ موضوعٌ ، وارتضاه ابن حجر في نقله عنه كما في كشف الخفاء ، وإن عدَّه في صواعقه من الفضائل زعماً بأنَّ الدهر لم يأت بعده بمن يناقشه في الحساب ، وصافقهما على التكذيب والوضع العجلوني فقال في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٣٣ : قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي : كذبٌ موضوعٌ .

ومتن الرواية أوضح شاهد على ذلك غير أنَّ المغالاة في الفضائل إختلقتها لمعارضة ما ورد في قوله تعالىٰ : ﴿**فتلقّى آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه**﴾ «سورة البقرة» .

أخرج الديلمي في مسند الفردوس كما في الدر المنثور ج ١ ص ٦٠ بإسناده عن عليّ قال سألت النبيَّ ﷺ عن قول الله : ﴿**فتلقّى آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه**﴾ ؟ فقال : إن الله أهبط آدم بالهند وحواء بجدَّة ـ إلى أنَّ قال ـ حتى بعث الله إليه جبرائيل ، وقال : يا آدم ألم أخلقك بيدي ؟ ألم أنفخ فيك من روحي ؟ ألم

أسجد لك ملائكتي ؟ ألم أزوِّجك حوّاء أمتي ؟ قال : بلى . قال : فما هذا البكاء ؟ قال وما يمنعني من البكاء ؟ وقد أُخرجت من جوار الرَّحمٰن . قال : فعليك بهؤلاء الكلمات فإنَّ الله قابلٌ توبتك ، وغافرٌ ذنبك . قل : اللَّهُمَّ إنِّي أسألك بحقِّ محمَّد وآل محمَّد سبحانك لا إلٰه إلَّا أنت، عملت سوءاً، وظلمت نفسي فاغفر لي إنَّك أنت الغفور الرَّحيم . فهؤلاء الكلمات التي تلقّى آدم .

وأخرج ابن النجار عن ابن عبّاس قال : سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربِّه فتاب عليه ؟ قال : سأل بحقِّ محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلَّا تبت عليَّ . فتاب عليه .

[الدر المنثور ج ١ ص ٦٠]

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب كما في ينابيع المودَّة ص ٢٣٩ .

وروى أبو الفتح محمّد بن علي النطنزي المولود سنة ٤٨٠ في كتابه : الخصائص عن ابن عبّاس أنَّه قال ـ لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال : الحمد لله فقال له ربُّه : يرحمك ربُّك . فلمّا أسجد له الملائكة فقال : يا ربِّ خلقت خلقاً هو أحبّ إليك منِّي ؟ قال : نعم ولولاهم ما خلقتك . قال : يا ربِّ فأرنيهم فأوحى الله إلى ملائكة الحجب : أن ارفعوا الحجب . فلمّا رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش قال : يا ربّ من هؤلاء ؟ قال : يا آدم هذا محمَّد نبيِّي ، وهذا عليٌّ أمير المؤمنين ابن عمِّ نبيِّي ووصيُّه وهذه فاطمة بنت نبيِّي ، وهذان الحسن والحسين إبنا علي وولدا نبيِّي ، ثمَّ قال : يا آدم هم ولدك . ففرح بذلك فلمّا اقترف الخطيئة قال : يا ربّ أسألك بمحمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي . فغفر الله له ، فهذا الذي قال الله تعالىٰ : ﴿**فتلقّى آدم من ربِّه كلمات**﴾ . إنَّ الكلمات التي تلقّاها آدم من ربِّه : اللَّهُمَّ بحقِّ محمَّد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين إلَّا تبت عليَّ . فتاب الله عليه .

وهذا الرجل يُروى له بسند صحيح توسّل عمر ـ أحد الأشباح المزعومة ـ بالعبّاس عمِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في الإستسقاء ، خرج يستسقي به وقد أجدب الناس فقال : اللَّهُمَّ إنّا نستشفع إليك بعمِّ نبيِّك أن تذهب عنّا المحل ، وأن تسقينا

الغيث . فقال العبّاس : اللَّهُمَّ إنَّه لم ينزل بلاء من السَّماء إلَّا بذنب ، ولا يكشف إلَّا بتوبة ، وقد توجَّه بي القوم إليك لمكاني من نبيِّك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعي لا تهمل الضالّة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد ضرع الصغير ، ورقَّ الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرَّ وأخفى ، اللَّهُمَّ فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنَّه لا ييأس من رحمتك إلَّا القوم الكافرون .

فما تمَّ كلامه حتّى أرخت السَّماء مثل الحبال ، فنشأت السحاب ، وهطلت السَّماء ، فطفق الناس بالعبّاس يمسحون أركانه ويقولون : هنيئاً لك ساقي الحرمين . فقال حسّان بن ثابت :

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرَّة العبّاس
عمِّ النبيِّ وصنو والده الذي ... ورث النبيَّ بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرَّة الأجناب بعد الياس

وقال ابن عفيف النصري :

مازال عبّاس بن شيبة غايةً ... للناس عند تنكّر الأيّام
رجلٌ تفتّحت السَّماء لصوته ... لمّا دعا بدعاوة الإسلام
فتحت له أبوابها لمّا دعا ... فيها بجند معلمين كرام
عمُّ النبيِّ فلا كمن هو عمّه ... ولد ولا كالعمِّ في الأقوام
عرفت قريشٌ يوم قام مقامه ... فبه له فضلٌ على الأقوام

وقال شاعر بني هاشم :

رسول اللَّه والشهداء منّا ... وعبّاس الذي بعج الغماما

وقال العبّاس بن عتبة بن أبي لهب :

بعمّي سقى اللَّه الحجاز وأهله ... عشيَّة يستسقي بشيبته عمر
توجَّه بالعباس في الجدب دائماً ... إليه فما إن دام حتى أتى المطر

ومـنّـا رسـول الـلّه فـيـنـا تـراثـه فهـل فـوق هـذا للمفـاخـر مفتخـر[1] ؟

فهلاّ هذا الرجل هو المتوسَّل به في حـديث الأشباح ـ المختلق ـ الـواقع في رديف صاحب الرسالة وسيِّد الوصيِّين صلَّى الله عليهما وآلهما ، وهو ومن معه أكـرم خلق الله جميعاً باعتـراف ممَّن خلقهم وفي خلقه سبحـانه الأنبيـاء وأُولو العـزم من الرُّسل والأوصياء والملائكة والمقرّبون ؟ .

فهلاّ هذا الرجل دعا الله بنفسه ؟ وما محلُّ توسّله بالعبّاس وهو أكـرم عند الله منه ومن أبيه آدم وولده وهلمَّ جرّا ؟ أو أنَّه وجد استثناء في العبّاس فحسب فهو أكرم على الله منه ومن كلٍّ من هو أكرم على الله منه ؟ .

أنا لا أدري ماذا أقول ، ولك الفسحـة والمجال لأن تقـول الحقَّ وما يحـدوك إليـه ضميرك الحرّ وتقـول : كيف يكـونِ المـذكـورون في الحـديث ـ غيـر محمَّـد وصنـوه ـ أكرم على الله من جميـع خلقه وفيهم من ذكـرنـاهم من الأنبيـاء والـرسـل والأوصياء والأولياء والملائكة ؟ وكيف يتوسَّل أبو البشر النبيُّ المعصوم بمثل أبي بكر وصاحبيهِ وهم هم ؟ وسيـرتهم بين يـديـك ، وكيف يكـونـون رديف النبيِّ الأعـظم وصنـوه المعصوم بنصِّ الكتـاب العزيـز ونفسه المـطهّر النـاطق به القـرآن الكريم ؟ وكيف يشاركون معهما في فضيلة الخلقة ، وكـرامة التـوسّل ؟ ولا أحسب أنَّ أحـداً من شيعة القوم يصـافق رواة هذه الأفيكـة على هذه المـزاعم ، ولعلّهم يصافقـونهم ويجعلونها على عهدتهم كما فعل ابن حجر إذ غلوُّهم في الفضائل غير محدود .

وأمَّا الرجل الثاني الذي أربكه التفريط وأسفَّ به إلى هوَّة الجهل فكالقصيمي الـذي أنكر مـا جاء في الصحيـح عن عمر بن الخـطاب رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما اقترف آدم الخطيئة قال : يـا ربِّ أسألـك بحقِّ محمَّـد لمـا

---

(١) صحيـح البخاري كتـاب الصلاة بـاب سؤال الناس الإمـام الإستسقاء ، صحيـح مسلم كتاب الصّلاة ، الأغـاني ج ١٢ ص ٨١ ، أعـلام المـاوردي ص ٧٨ ، تـاريـخ ابن عسـاكـر ج ٧ ص٢٤٥ ـ ٢٤٨ ، مستـدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣٤ ، تـاريـخ ابن كثيـر ج ٧ ص ٩٢ ، مـرآة الجنان ج١ ص ٧٢ ، طرح التثريب ج ١ ص ٦٣ ، فتح الباري ج ٢ ص ٣٩٨ وقال : يستفاد من القصة استحباب الإستسقاء بأهل الخير والصـلاح وأهل بيت النبـوة ، عمدة القـاري ج ٣ ص ٤٣٨ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩ .

غفرت لي فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمَّداً ولم أخلقه ؟ قال : يا ربّ لأنّك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إلـه إلاَّ الله ، محمَّدٌ رسول الله فعلمت أنَّك لم تضف إلى اسمك إلاَّ أحبَّ الخلق اليك . فقال الله : صدقت يا آدم ! إنَّه لأحبُّ الخلق إليَّ ، ادعني بحقِّه قد غفرت لك ، ولولا محمَّد ما خلقتك .

أخرجه البيهقي في دلائل النبوَّة[1] والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦١٥ وصحَّحه ؛ والطبراني في المعجم الصغير ، وأبو نعيم في الدلائل ، وابن عساكر كما في الخصائص ، وأقرَّ صحته السبكي في شفاء السقام ص ١٢٠ ، والقسطلاني في المواهب ج ١ ص ١٦ ، والسمهودي في وفاء الوفا ج ٢ ص ٤١٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ج١ ص٦٢ ، والعزّامي في فرقان القرآن ص ١١٧ ، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى عن عدَّة من الحفّاظ ج ١ ص ٦ .

فقال القصيمي في الصّراع ج ٢ ص ٥٩٣ تبعاً لأثر ابن تيميَّة في الردِّ على هذه المأثرة النبويَّة الصحيحة : والسؤال بحقِّ النبيِّ أو بحقِّ غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العمليَّة الدينيَّة ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة غفران وعفوّ تامّ ، وماذا في قول القائل : أسألك يا الله بحقِّ فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهِّل قائله لأن يكون من المغفور لهم ؟ وإنَّما يغفر للمستغفر .

وقال : وأمّا الألفاظ المجرَّدة فلا وزن لها عند الله ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحطّ به الذنوب والخطايا الثقيلة ، فما في قول القائل : أسألك بحقِّ محمَّد لمّا غفرت لي من الشأن والقيمة ؟ حتَّى يُقال له : وإذ سألتني بحقِّه فقد غفرت لك . وأجهل الناس وأرقُّهم ديناً وتقوىً وفضيلةً وأشدُّهم بعداً عن الله وعن رضاه يقولون ذلك ، ويلهجون به ، وهم على رغمهم لا يجدر بهم الغفران ولا التجاوز والعفو والرضا بل وهم خليقون بالإنتقام والطرد والعذاب الأليم الموجع ، ولن تجديهم هذه المقالة ولا هذا التوسل قليلاً ولا كثيراً ، فنحن لا نشكُّ في أنَّ

---

(١) قال الذهبي في الثناء عليه : عليك به فكله هدى ونور .

آدم ما غفر له ذنبه إلَّا لتوبته ولرجوعه إلى ربِّه ولإقلاعه عن ذنبه ، ولإعتذاره واستغفاره الصادرين عن جميع نفسه وقلبه وعقله ، أمّا السؤال بالحقِّ فلا قيمة ولا وزن له عند الله البتة . اهـ .

نحن لا نقابل هذا المغفَّل المستهتر البذيَّ إلَّا بالسَّلام ، حذا في هذيانه هذا حذو شيخه ابن تيميَّة ، وقد ردَّ عليه جمعٌ من أئمّة الحديث وحفّاظه بكلمات ضافية نقتصر منها بكلام السبكي قال في شفاء السقام ص ١٢١ ، قال ابن تيميَّة : أمّا ما ذكر في قصَّة آدم من توسّله فليس له أصل ، ولا نقله أحدٌ من النبيِّ ﷺ بإسناد يصلح للإعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الإستشهاد . ثمَّ ادَّعى ابن تيميَّة انَّه كذبٌ وأطال الكلام في ذلك جدّاً بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرُّص ، ولو بلغه أنَّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك ، أو لتعرَّض للجواب عنه ، وكأنِّي به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرَّحمٰن بن يزيد راوي الحديث ، ونحن نقول : قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم ، وأيضاً عبد الرَّحمٰن بن يزيد لا يبلغ في الضعف إلى الحديث الذي ادَّعاه ، وكيف يحلُّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردُّه عقلٌ ولا شرع ؟ وقد ورد فيه هذا الحديث ، وأمّا ما ورد من توسّل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسِّرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له : ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبَّر عنه بالتوسُّل أو الإستعانة أو التشفُّع أو التجوُّه . والداعي بالدعاء المذكور ما في معناه متوسّلٌ بالنبيِّ ﷺ لأنَّه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه أو مستغيثٌ به ، والمعنى أنَّه استغاث الله به على ما يقصده . الخ .

وقد أسلفنا الكلام حول الموضوع في الجزء الخامس ص ١٨٤ - ١٩٧ راجع .

٢٣ - أبو بكر خير أهل السَّماوات والأرض :

عن أبي هريرة : إنَّ رسول الله ﷺ قال : أبو بكر وعمر خير أهل السَّماوات والأرض ، وخير الأوَّلين والآخرين ، إلَّا النبيِّين والمرسلين .

ذكره ابن حجر في الصَّواعق ص ٤٥ نقلاً عن الحاكم وابن عدي ، وأخرجه

الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٢٥٣ وسكت عمّا في سنده من العلل «على عادته الجارية في مناقب الشيخين» وفيه : جبرون بن واقد الأفريقي والراوي عنه محمَّد بن داود القنطري ، قال الذهبي في الميزان : جبرون متّهم فإنّه روى بقلّة حياء عن سفيان ، وروى عنه محمَّد بن داود القنطري ، عن أبي هريرة مرفوعاً : أبو بكر وعمر خير الأوَّلين . الحديث تفرَّد به وبالذي قبله وهما موضوعان . وزاد ابن حجر في اللسان ج ٢ ص ٩٤ عن ابن عدي أنَّه قال : لا أعرف له غير هذين الحديثين ولا أعلم من يرويهما عنه غير محمَّد بن داود وهما منكران .

وقال الذهبي في ترجمة محمَّد بن داود : عن جبرون الأفريقي بحديثين باطلين ذكرهما ابن عدي في ترجمة جبرون وقال تفرَّد بهما محمَّد .

وقال ابن حجر في اللسان ج ٥ ص ١٦١ : أحسب الآفة في الحديث من جبرون وقد ساق المؤلّف الحديثين في ترجمته وصرَّح بأنَّهما موضوعان وأشار إلى أنَّ المشتهر بهما جبرون .

قال الأميني : ومن الحريِّ لمثل هذين المبطلين أن يرويا باطلاً كمثل هذا الذي يرتئي مفتعله تفضيل الرّجلين على الملائكة المقرّبين المعصومين من أهل السَّماوات وفيهم سيِّدهم أمين الوحي جبرائيل ، وعلى من ثبتت زلفتهم وقربهم من أولياء الله وأصفيائه وأوصياء الأنبياء ، أنا لا أدري بماذا فضلا عليهم أبعلمهما المتدفِّق؟ وقد عرفت مبلغهما منه ، أم بالعصمة عن الخطايا والذنوب ؟ وأنت لا تقول بها ، أو أنَّ ما حفظه التاريخ من سيرتهما لا يدع أن تقول بها ، لكن عصمة الملائكة ثابتةٌ لا ريب فيها ، وعصمة الأوصياء واجبةٌ بالبرهنة الصحيحة ، وزلفى المقرَّبين كلقمان والخضر وذي القرنين من القضايا التي قياساتها معها ، أم ببأسهما المرهب في ذات الله وعنائهما في سبيل الدين وجهودهما الجبّارة ؟ لا يخفى على أحد حقُّ القول في ذلك كلّه ، ضع يدك هٰهنا على أيِّ فضيلة فإنَّك لا تجد فيهما منها ما يربي بهما على كثير من الصَّحابة والتابعين وهلمَّ جرّا فضلاً عن مَن ذكرناهم ، غير أنَّ الغلوَّ في الفضائل حدى صاحبه إلى أن يقول بذلك ، فدعه يقول فإنَّ الحقائق الثابتة غير قابلة للزوال ، والأُصول الموضوعة لا يركن إليها على كلِّ حال .

٢٤ - ثواب النبيِّ (ص) وأبي بكر :

عن عليٍّ بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي بكر : يا أبا بكر ! إنَّ الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني ، وإنَّ الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة .

أخرجه الخلعي والملاّ كما في الرياض النضرة ج ١ ص ١٢٩ ، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ ص ٥٣ من طريق أحمد بن محمَّد بن عبيد الله أبي الحسن التمّار المقرىء فقال : كان غير ثقة روى أحاديث باطلة ذاكرت أبا القاسم الأزهري حال هذا الشيخ وقلت : أراه ضعيفاً لأنَّ في حديثه مناكير . فقال : نعم هو مثل أبي سعيد العدوي .

قال الأميني : أبو سعيد العدوي هو الحسن بن علي العدوي البصري شيخٌ قليل الحياء كذّابٌ يضع الحديث، أسلفنا ترجمته في سلسلة الكذّابين في الجزء الخامس ص ٢٧٥ ، فقول الأزهري في أبي الحسن التمّار (انّه مثل أبي سعيد) يومي إلى أنّه أيضاً كذّابٌ وضّاعٌ .

وفي الإسناد أبو معاوية الضرير وقد اشتهر عنه الغلوّ غلوّ التشيع ، وقال يعقوب بن شيبة : ثقةٌ ربما يدلِّس «ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٨٢» وفيه أبو البختري عن عليّ قال سلمة بن كهيل : ما كان من حديث أبي البختري فهو حسن ، وما كان عنه فهو ضعيفٌ «ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٤٤» .

هذا شأن سند الرواية وأما متنه فضميرك الحرُّ نعم الحَكَم فيه .

٢٥ - الحبُّ والشكر الواجبان على الأُمَّة :

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ حبُّ أبي بكر وشكره واجب على أُمَّتي .

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ ص ٤٥٣ من طريق عمر بن إبراهيم الكردي وقال : تفرَّد به عمر ، وهو ذاهب الحديث . وذكره الذهبي في ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٤٩ فقال : الحديث منكرٌ جدّاً .

ورواه الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٧٣ من طريق عمر الكردي أيضاً بلفظ : إنَّ أمنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وذات يده أبو بكر الصدِّيق ، فحبُّه وشكره وحفظه واجبٌ على أمَّتي .

قال الأميني : هذه الرِّواية من موضوعات عمر الكردي قال الدارقطني : كذّابٌ خبيثٌ ، وقال الخطيب : غير ثقة يروي مناكير من الأثبات . راجع ما مرَّ في سلسلة الكذّابين في الجزءالخامس ص ٣٠١

والعجب من الخطيب في تاريخه أنّه مع قوله المذكور في ترجمة الكردي ترى عقدةً في لسانه لمّا يذكر الرواية فيسكت عمّا فيها تارةً ولم يتكلّم بذأمة تُعرب عن وضعها ، ويقتصر أُخرىٰ بقوله : تفرَّد بروايته عمروغير عمر أوثق منه . كما قاله في الموضع الثاني ، وليست هذه كلها إلاَّ لإغفال القرّاءعن جليَّة الحال ، والتمويه على الحقائق الراهنة ، فمن جرّائها يأتي الصفوري بعد حين ويذكر الرواية في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٦ مرسِلاً إيّاها إرسال المسلّم .

٢٦ ـ أبو بكر في كفَّة الميزان :

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول ص ١١٢ قال : حدَّثنا رزق الله بن موسى الباجي البصري قال: حدَّثنا مؤمل بن إسماعيل ـ العدوي البصري ـ قال: حدَّثنا حماد بن سلمة قال: حدَّثنا سعيد بن جمهان البصري عن سفينة مولى أمّ سلمة قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الصبح أقبل على أصحابه فقال : أيُّكم رأى الليل رؤيا ؟ قال : فصلّى ذات يوم الصبح ثمَّ أقبل على أصحابه فقال : أيُّكم رأى الليل رؤيا ؟ فقال رجلٌ : أنا يا رسول الله رأيت كأنَّ ميزاناً أُدلي من السَّماء فوضعت في كفَّة الميزان ووُضع أبو بكر في كفَّة أُخرىٰ فرجحت بأبي بكر فرفعت . وتُرك أبو بكر فجيء بعمر فوضع في الكفَّة الأُخرى فوزن بأبي بكر فرجح أبو بكر بعمر ، ورُفع أبو بكر وترك عمر مكانه فجيء بعثمان فوضع في الكفَّة الأُخرى فرجح عمر بعثمان ، ورفع عمر وتُرك عثمان مكانه فجيء بعليّ فوضع في الكفَّة الأُخرى فرجح عثمان بعليّ ورُفع الميزان ، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ثمَّ قال : خلافة نبوَّة ثلاثين عاماً ثمَّ تكون ملكاً .

رجـال إسنـاده :

١ ـ رزق الله البصري المتوفّى سنـة ٢٥٦/٦٠ قال الأنـدلسي : روى أحاديث منكرة وهو صالحٌ لا بأس به .

[تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧٣]

٢ ـ مؤمَّل العدوي البصري المتوفّى سنة ٢٠٦ قال أبو حاتم : صـدوقٌ شديـدٌ في السنَّة كثير الخطأ ، وقال البخاري : منكر الحـديث ، وقال يعقـوب بن سفيان : شيخٌ جليـلٌ سنّيٌ سمعت سليمـان بن حـرب يحسن الثنـاء ـ عليـه ـ كـان مشيختنـا يوصون به إلاَّ أنَّ حديثـه لا يشبه حـديث أصحابـه ، وقد يجب على أهـل العلم أن يقفوا عن حديثه ، فإنَّه يروي المناكير عن ثقات شيوخه ، وهذا أشدُّ فلو كانت هـذه المناكير عن الضعفاء لكنّا نجعل له عـذراً ، وقال السـاجي : صدوقٌ كثيـر الخطأ ، ولـه أوهـامٌ يـطول ذكـرهـا ، وقـال ابن سعـد والـدارقـطني : كثيـر الخـطأ . وقـال المروزي : إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقَّف ويتثبَّت فيـه ، لأنَّه كـان سيّء الحفظ كثير الغلط .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٢٢١ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٨١]

٣ ـ سعيـد بن جمهان البصـري المتوفّى سنـة ١٣٦ . قال أبـو حـاتم : يكتب حديثه ولا يُحتجُّ به ، وقال الساجي : لا يُتابع على حديثه .

[ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٧٧ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٤]

قال الأميني : **﴿ويلٌ للمطفِّفين * الَّذين إذا اكتالوا على النـاس يستوفـون * وإذا كالوهـم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظنُّ أُولئك أنَّهم مبعوثون * لِيـوم عظيم * يوم يقوم الناس لربِّ العالمين﴾** .

هـذه الميزان التي جـاء بها البصـريّون وأُدليت من سمـاء البصرة في منجمهـا عينٌ ، وفي إحـدى كفَّتيها شـولٌ ، وفي لسانهـا عوج . **﴿قـل هـل يستـوي الـذين يعلمـون والذين لا يعلمون﴾** ؟ **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أم هـل تستوي الـظلمات والنور﴾** ؟ .

كيف يوزن في ميزان العـدل والنصفة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو هـو مع ابن أبي

قحافة الذي ليس إلاَّ أبو بكر ، أيّ خلائق كريمة ؟ أيّ نفسيّات طاهرة ؟ أيّ ملكات فاضلة ؟ أيّ حِكم علميّة أو عمليّة ؟ أيّ عوارف ومعارف راقية ؟ أيّ بصيرة نافذة ؟، أيّ أيّ ؟ جعلت في كفَّة جعل فيها أبو بكر . هل هذه الموازنة يقبلها الوجدان والمنطق حتّى يُقال بالرجحان في إحدى كفَّتي الميزان ؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً .

ثمَّ كيف رجح أبو بكر بعمر وإنَّهما كانا عكمي بعير في الفضائل كلّها أيّام حياتهما غير أنَّ فتوحات عمر وأياديه في بسط الإسلام في أرجاء العالم لا تُنسى ، ولم تزل تذكر في صفحات التاريخ ، فله فضيلة الرجحان على أبي بكر إن وزنا بميزان غير معيبة .

وكيف فُصِّل بين النبيِّ الأعظم وبين أمير المؤمنين في الميزان ؟ وهو نفسه بنصِّ القرآن الكريم ، وله العصمة بحكم الكتاب العزيز ، وهو وارث علمه ، وباب حكمته ، وهو عدل القرآن وخليفة نبيِّ الإسلام بقوله ﷺ : إنِّي مخلّفٌ فيكم إثنين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . وأيّ فضيلة رابية لعثمان جعلت في كفَّة الميزان ورجح بها على عليّ رديف رسول الله ﷺ في فضائله . أنا لا أدري .

ثمَّ إن كان التعبير الذي عزوه إلى رسول الله ﷺ حقّاً فهو لا محالة بتقدير من الله تعالىٰ ومشيئة منه رعايةً للنظام الأصلح ، فلماذا تغيّر وجهه ﷺ ممّا قدَّره المولىٰ سبحانه وشاءه وأحبّه ؟ ولم تكن له غاية إلاَّ الحصول على مرضاته والدعوة إليها وإيقاف الأُمَّة عليها أوَ ليس هذا ممّا ينافي عصمته ويضادُّ مقامه الأسمى ؟ لكن الغلوَّ في الفضائل قد يصحِّح أمثال ذلك . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

٢٧ ـ ما أسلم أبو مهاجر ، إلاَّ أبو بكر :

أخرج ابن مندة وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلاَّ أبو بكر .

[تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣]

وروى المحبُّ الطبري في رياضه ج ١ ص ٤٧ عن الواحدي مرسلاً بلا إسناد

عن عليٍّ بن أبي طالب انَّه قال في أبي بكر : أسلم أبـواه جميعاً ولم يجتمـع لأحد من الصحابة المهاجرين من أسلم أبواه غيره .

[وذكره القرطبي في تفسيره ج ١٦ ص ١٩٤]

وأخذ غير واحد من المتأخِّرين كالشبلنجي ونظراؤه هذين الحـديثين فعدّوهمـا من فضائل أبي بكر المتسالم عليها .

قال الأميني : نحن نقدِّس ساحة عليّ وعائشة عن مثل هذا الكـذب الفاحش الذي ينادي التـاريخ بخـلافه ، وتكذّبـه سيـرة الصحابـة المهاجـرين ، وإنَّما الحبُّ الدفين قد أعمى رواة هذه الأفيكة وأصمَّهم عمَّـا في غضون الكتب ، فـأسرفـوا في القول وتغالوا في الفضائل غير مكتـرثين لمغبَّة قيلهم ، أهـذا مبلغهم من العلم ؟ أم يقولون على الله الكذِب وهم يعلمون ؟ .

هاجر بنو مظعون من بني جمح . وبنو جحش بن رئاب حلفاء بني أُميَّة ، وبنو البكيـر من بني سعـد بن ليث حلفـاء بني عـدي بن كعب . بـأهليهم وأمـوالهم ، وغلقت دورهم بمكة هجرةً ليس فيها ساكن كما في سيرة ابن هشـام ج ٢ ص ٧٩ ، ١١٧ ، أكانت نساء تلكم الأُسر الكبيرة أرامـل أو عقائم ؟ أو كـانت أبناؤهـا أيتامـاً من الأبـوين أيامى ؟ أو كـانت آباؤهـا رجالاً بـلا أعقاب . قـاتـل الله الحبَّ كيف يُعمي ويُصمُّ .

وهلمَّ معي نقرأ صحيفة من تراجم المهاجرين هذا عمّار بن ياسر مهاجرٌ عظيمٌ وأبـواه في الرعيـل الأوّل من المعذَّبين في الإسـلام . قـال مسـدَّد كمـا في تهـذيب التهـذيب ج ٧ ص ٤٠٨ : لم يكن في المهاجـرين من أبواه مسلمـان غير عمّـار بن ياسر . فهذا ينفي إسلام والدي أبي بكر ويكذِّب ذلك المختلق .

وهذا عبد الله بن جعفر هاجر أبوه ومعـه عبد الله وأخـواه محمّد وعـون ومعهم أُمّهم أسماء بنت عميس .

وهذاعمرو بن أبان بن سعيد الأمـوي ، من المهاجـرين وأبوه شهـد خيبراً مـع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأُمُّه فاطمة بنت صفوان مسلمة .

وهذا خالد بن أبان الأموي أخو عمرو بن أبان المذكور .

وهذا إبراهيم بن الحارث بن خالد التميمي ، هاجر مع أبيه وأُمّه ريطة بنت الحارث بن جبلة .

وهذا الحاطب بن الحارث الجمحي من المهاجرين، وهاجر معه أبوه وأُمّه فاطمة بنت المجلّل .

وهذا الحطّاب بن الحارث الجمحي ، هاجر مع أبيه وأُمّه وأخيه الحاطب ومعه امرأته فكيهة بنت يسار .

وهذا حكيم بن الحارث الطائفي ، هاجر مع امرأته وبنيه ومعه أبواه وهما مسلمان .

وهذا خزيمة بن جهم بن قيس العبدري ، هاجر مع أبيه وأخيه عمرو ومعهم أمّهما أمّ حرملة بنت عبد الأسود .

وهذا جابر بن سفيان بن معمر الجمحي ، هاجر هو وأبوه وأُمّه حسنة .

وهذا جنادة بن سفيان الجمحي ، هاجر ومعه أُمّه حسنة وأخوه جابر المذكور .

وهذا سلمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، هاجر أبوه وهاجرت بعده أُمّه أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع إبنها سلمة .

وهذا جناب بن الحارثة بن صخر العذري ، هاجر إلى المدينة وأبوه قد أسلم .

وهذا الحارث بن قيس السهمي، هاجر مع بنيه الحارث وبشر ومعمر فهم مهاجرون وأبوهم الحارث قد أسلم وهاجر .

وهذا السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي ، من المهاجرين وأبوه مهاجرٌ عظيمٌ .

وهذا سليط بن سليط بن عمرو العامري . قال عمر : دلّوني على فتى مهاجر هو وأبوه . فدلّوه عليه .

وهذا عبد الرّحمٰن بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عبد الله بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عامر بن غيلان بن سلمة الثقفي ، هاجر إلى رسول الله وأبوه قد أسلم .

وهذا عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . من المهاجرين ووالده صحابيٌّ عظيم .

وهذا عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة مهاجر، وهاجر أبوه وأسلم جدُّه وجدَّته أُمّ الخير على زعم القوم وسيأتي الكلام في إسلامهما .

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب . مهاجر وأبوه قد أسلم وهاجر .

وهذا محمَّد بن عبد الله بن جحش . أحد المهاجرين ومعه أبوه وأُمّه .

وهذا عبد الله بن المطلب بن أزهر . أحد المهاجرين وأبوه مهاجر .

وهذا معمر بن عبد الله بن نضلة . أحد المهاجرين ووالده مهاجر .

وهذا مهاجر بن قنفذ بن عمير القرشي التيمي . من المهاجرين السابقين إلى الإسلام وأبوه له صحبة .

وهذا موسى بن الحرث بن خالد القرشي التيمي . مهاجر ابن مهاجر .

وهذا النعمان بن عدي بن نضلة . مهاجر هو ووالده .

راجع سيرة ابن هشام ص ٢١ ، طبقات ابن سعد ، تاريخ الطبري ، الإستيعاب ، اسد الغابة ، كامل ابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ، عيون الأثر لابن سيِّد الناس ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، السيرة الحلبيَّة .

ولعلَّ الباحث يقف في غضون السير وكتب التاريخ ومعاجم التراجم على كثير من نظراء هؤلاء من المهاجرين الذين أسلم آباؤهم أو آباؤهم وأُمَّهاتهم . فما جاء به المحبُّ الطبري والسيوطي ومَن لفَّ لفَّهما من فضيلة إسلام والد أبي بكر أو والديه دون سائر الصحابة وعزوه إلى مولانا أمير المؤمنين ليس إلَّا مجهلة ومخرقة نشأت من الغلوِّ الفاحش في الفضائل .

إسلام والدي أبي بكر :

هلمَّ معي نحاسب إسلام والدي أبي بكر أحقّاً هما أسلما ؟ فضلاً عن أن يخصَّ بهما الإسلام من بين آباء المهاجرين وأمَّهاتهم، أم لم ينبّىء به خبير؟ بل هو نبأ كنبأ إسلام والدي غيره من المهاجرين يناقش فيه وإنّما ولّده الغلوُّ في الفضائل . أمّا إسلام أبي قحافة فيقال : إنّه أسلم يوم الفتح وقد أتى به إبنه أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يؤثر إتيانه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته غير مرَّة واحدة في تلك السنة يوم ذاك . وها نحن نذكر جميع ما ورد في إتيانه ذاك ، ونجعل تلكم الروايات المرويَّة فيه قسمين : الأوَّل ما لم يذكر فيه إيعاز إلى إسلامه . والثاني ما يوعز فيه إلى إسلامه .

القسم الأوَّل :

١ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٥ عن أبي عبد الله محمَّد بن أحمد القاضي ابن القاضي قال: حدَّثني أبي حدّثنا محمّد بن شجاع حدّثنا الحسين[١] بن زياد عن أبي حنيفة عن يزيد بن أبي خالد عن أنس رضي الله عنه قال : كأنّي أنظر إلى لحية أبي قحافة كأنّه ضرام عرفج من شدَّة حمرته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمةً لأبي بكر .

سكت الحاكم عمّا في سند هذه الرواية ولم يصحّحه على عادته في الكتاب ، وتبعه في ذلك الذهبي في تلخيصه ، كلُّ ذلك تكرمةً لأبي بكر، وإن بخسا الحقَّ والحقيقة ، فيه :

أ ـ محمَّد بن شجاع البغدادي أبوعبد الله ابن الثلجي الفقيه . قال أحمد إمام الحنابلة : مبتدعٌ صاحب هوى . وقال عبد الله بن أحمد : سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيّام وذكر ابن الثلجي فقال هو كافرٌ . قال : فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت ، فقلت : ما أكفره إلّا بشيء سمعه منه . قال : نعم .

وقال زكريا الساجي : فأمّا ابن الثلجي فكان كذّاباً إحتال في إبطال حديث

---

(١) الصحيح : الحسن بن زياد .

رسول الله ﷺ وردّه نصرةً لمذهبه ، وفي المنتظم : نصرةً لأبي حنيفة ورأيه .

وقال ابن عدي ، كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يبليهم بذلك .

وقال الأزدي : كذّابٌ لا تحلُّ الرواية عنه لسوء مذهبه ، وزيغه عن الدين .

وقال الجوزجاني : قال موسى بن القاسم الأشيب : كان كذّاباً خبيثاً[١] وفيه :

٢ ـ الحسن بن اللؤلؤي الكوفي . قال يحيى بن معين : كذّابٌ .

وقال ابن المديني : لا يكتب حديثه .

وقال محمّد بن عبد الله بن نمير : يكذب على ابن جريج .

وقال أبو داود : كذّابٌ غير ثقة .

وقال أبو حاتم : ليس بثقة . وقال الدارقطني : ضعيفٌ متروكٌ .

وقال نضر بن شميل لرجل كتب كُتب الحسن : لقد جلبتَ إلى بلدك شرّاً .

وقال أبو ثور : ما رأيت أكذب من اللؤلؤي ، كان على طرف لسانه : ابن جريج عن عطاء .

وقال أحمد بن سليمان : رأيته يوماً في الصّلاة وغلام أمرد إلى جانبه في الصفِّ فلمّا سجد مدَّ يده إلى خدِّ الغلام فقرصه فقذفته فلا أُحدِّث عنه .

وقال ابن أبي شيبة : كان أبو أُسامة يسمِّيه الخبيث .

وقال يعقوب بن سفيان ، والعقيلي ، والساجي : كذّابٌ .

وقال النسائي : ليس بثقة ولا مأمون[٢] إقرأ واحكم . أتخفى هذه كلّها على مثل الحاكم والذهبي ؟ لاها الله .

٢ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٤ عن أبي العبّاس محمّد بن يعقوب قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق الصغّاني حدّثنا حسين بن محمّد المروزي حدّثنا عبد الله بن عبد الملك الفهري حدّثنا القاسم بن محمّد بن أبي بكر عن أبيه عن أبي

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٧١ ، المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ٥٧ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٢٠ .

(٢) ميزان الإعتدال ج ١ ص ٢٢٨ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٠٨ .

بكر رضي الله عنهم قال : جئت بأبي أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ فقال : هلاّ تركت الشيخ حتّى آتيه ؟ فقلت : بل هو أحقُّ أن يأتيك . قال : إنّا لنحفظه لأيادي إبنه عندنا .

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٠ فقال : رواه البزّار وفيه عبد الله بن عبد الملك الفهري ولم أعرفه . وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : عبد الله منكر الحديث .

وقال الذهبي في الميزان ج ٢ ص ٥٥ ، وابن حجر في لسانه ج ٢ ص ٣١١ : قال ابن حبان : «عبد الله» لا يشبه حديثه حديث الثقات يروي العجائب . وقال العقيلي : منكر الحديث لا يتابع عليه ، وقال أبو زرعة : هو ضعيفٌ يضرب على حديثه . وقال البرقاني : سألت أبا الحسن عنه قلت : ثقة ؟ قال : لا ولا كرامة . إنتهى ما في الميزان ولسانه . وفي السند :

القاسم بن محمَّد عن أبي بكر ، توفّي القاسم بن محمَّد سنة ١٠٨/٩ وهو ابن ٧٢/٧٠ سنة كما في صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ٥٠ وتوفّي والده محمد سنة ٣٨ فتكون ولادة القاسم سنة وفاة أبيه محمَّد ، وإن أخذنا قول ابن سعد من أنَّ القاسم توفّي سنة ١١٢ وهو ابن سبعين سنة فيكون القاسم عند وفاة والده ابن أربع سنين فأنّى له الرواية عن أبيه .

وأمّا رواية محمَّد عن أبيه أبي بكر فلا يصحُّ إذ محمَّد ولد عام حجّة الوداع سنة عشرة من الهجرة وتوفّي والده في جمادى الآخرة عام ثلاثة عشر ، فأين يكون مقيل هذه الرواية من الصحّة ؟ قال الذهبي في تلخيص المستدرك في تعقيب هذه الرواية : القاسم لم يدرك أباه ولا أبوه أبا بكر .

٣ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٤ عن القاضي أبو بكر محمَّد بن عمر بن سالم بن الجعابي الحافظ ألا وحدَّثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرّاني ، بإسناده عن أنس قال : جاء أبو بكر رضي الله عنه يوم فتح مكة بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه .

ليت شعري ما الذي دعا الذهبي إلى تسليم رواية الجعابي هذه وترك الغمز فيها وقد ترجمه في ميزانه ج ٣ ص ١١٣ وقذفه بقوله : إنَّه فاسقٌ رقيق الدين ، وقال الخطيب : كثير الغرائب ، ومذهبه في التشيُّع معروفٌ ، ونسب إليه ابن الجوزي ما هو بريءٌ منه ، وحكي عن الحاكم أنَّه قال : قلت للدارقطني : بلغني انَّ ابن الجعابي تغيَّر بعدنا . فقال : وأيَّ تغيّر . فقلت : هذا فهمه في الحديث . قال : أي والله حدَّث عن الخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثاً بأسانيد ليس له فيها أصلٌ . إلى آخر ما أتى به القوم في ترجمته ، راجع تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٢٦ ، المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٣٨ ، لسان الميزان ج ٥ ص ٣٢٢ .

ثمَّ كيف خفي عليه وعلى الحاكم أنَّ الجعابي وُلد سنة ٢٨٥ وتوفّي سنة ٣٥٥ باتفاق المؤرِّخين فأنّى تصحُّ روايته عن أبي شعيب عبد الله بن الحسن المتوفّى سنة ٢٩٢ ؟ كما أرَّخه الذهبي في ميزان الإعتدال ، هذا أخذاً بما في لفظ الذهبي في تلخيصه من حذف حرف «ألاوَ» من السند وأمّا على ما في لفظ الحاكم من «ألاوَ» فيكون الراوي عن أبي شعيب المتوفّى سنة ٢٠٢ هو نفس الحاكم المولود سنة ٣٢١ .

على أنَّ الذهبي قال في الميزان ج ٢ ص ٣٠ : كان أبو شعيب غير متَّهم لكنه أخذ الدراهم على الحديث ؛ وحكى ابن حجر عن ابن حبّان في لسان الميزان ج ٣ ص ٢٧١ انَّه قال : كان يخطيء ويهم .

٤ - أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٤ عن أبي العبّاس محمَّد بن يعقوب حدّثنا بحر بن نصر حدّثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أنَّ عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا وقف به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غيّروه[1] ولا تقرِّبوه سواداً .

متن هذه الرواية يكذِّبه كلُّ ما ورد في إتيان أبي قحافة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّ في الجميع أنَّ الآتي به هو أبو بكر . ثمَّ مرَّ في حديث أنس أنَّه نظر إلى لحية أبي

---

(١) قال الذهبي في تلخيص المستدرك : غيّروه يعني الشيب .

قحافة كأنّه ضرام عرفج من شدّة حمرتها ، فما معنى ما ورد في هذا الرواية من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غيّروه ولا تقرّبوه سواداً ؟ .

وأمّا سندها ففيه عبد الله بن وهب قال ابن معين : ابن وهب ليس بذاك . وفي ابن جريج كان يستصغر .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٨٦]

وفيه أبو الزبير محمَّد بن مسلم الأسدي المكي ففي الميزان ج ٣ ص ١٢٥ : يردّ ابن حزم من حديث أبي الزبير ما يقول : عن جابر ونحوه ، لأنّه عندهم ممّن يدلّس فإذا قال : سمعت وأخبرنا أُحتجّ به . قال الأميني : هذا الحديث ممّا قال فيه أبو الزبير عن جابر فهو يُردُّ على ما قاله ابن حزم .

وقال أبو زرعة وأبو حاتم : أبو الزبير : لا يُحتجُّ به . وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي واحتجَّ عليه رجلٌ بحديث عن أبي الزبير فغضب وقال : أبو الزبير محتاج إلى دعامة . وعن ورقاء قال : قلت لشعبة : مالك تركت حديث أبي الزبير ؟ قال : رأيته يزن ويسترجح في الميزان . وقال شعبة : قدمت مكّة فسمعت من أبي الزبير فبينا أنا جالسٌ عنده إذ جاءه رجلٌ يوماً فسأله عن مسألة فردَّ عليه فقلت له : يا أبا الزبير ! تفتري على رجل مسلم قال : إنّه أغضبني . قلت : مَن يغضبك تفتري عليه ؟ لا رويت عنك حديثاً أبداً . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٤٠ وحكى تضعيف أيّوب وأحمد وغيرهما إيّاه .

وعن أبي الزبير هذا أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٤٥ عن جابر أنَّه قال : أُتي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح بأبي قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اخضبوا لحيته .

٥ ـ أخرج ابن حجر من طريق محمَّد بن زكريا العلائي[1] عن العبّاس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخٌ قد عمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تركت الشيخ حتّى

---

(١) الصحيح : الغلابي .

آتيه ؟ قال : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدُّ فرحاً بإسلام أبي طالب منّي بإسلام أبي ، ألتمس بذلك قرَّة عينك .

[الإصابة ج ٤ ص ١١٦]

رجال الإسناد :

١ ـ محمَّد بن زكريّا الغلابي البصري . قال الذهبي : ضعيفٌ . وقال ابن حبّان : يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة . وقال ابن مندة : تكلّم فيه . وقال الدارقطني يضع الحديث . وذكر الصولي بإسناده حديثاً فقال : هذا كذبٌ من الغلابي .

[ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٥٨]

٢ ـ العباس بن بكار البصري . قال الدارقطني : كذّابٌ . وقال العقيلي : الغالب على حديثه الوهم والمناكير .

[ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٨]

٣ ـ أبو بكرالهذلي البصري . قال الدوري ليس بشيء وقال أيضاً : ليس بثقة . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال غندر : كان يكذب . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ . وقال أبو حاتم : ليّن الحديث يكتب حديثه ولا يُحتجُّ بحديثه . وقال النسائي : ليس بثقة ولا يُكتب حديثه . وقال ابن الجنيد : متروك الحديث . وقال ابن المديني : ضعيفٌ ليس بشيء ، ضعيفٌ جدّاً ، ضعيفٌ ضعيف . وقال الجوزجاني : يضعف حديثه . وقال الدارقطني : منكر الحديث متروكٌ . وقال يعقوب بن سفيان : ضعيفٌ ليس حديثه بشيء . وقال المروزي : كان أبو عبد الله يضعِّف أمره . وقال ابن عمّار : بصريّ ضعيفٌ . وقال أبو إسحاق : ليس بحجَّة . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقويِّ عندهم . وقال ابن عدي : عامَّة ما يرويه لا يتابع عليه .

وقال الذهبي : ضعَّفه أحمد وغيره . وقال غندر وابن معين : لم يكُن بثقة . وقال يزيد بن زريع : عدلتُ عنه عمداً . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال البخاري : ليس بالحافظ عندهم .

راجع ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٣٤٥ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٦ ، وقال ابن حجر في الإصابة بعد ذكر الحديث : إسنادُ واهٍ .

٦ ـ قال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٧ : أخرج أبو قرة موسى بن طارق عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكّة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا تركت الشيخ حتّى نأتيه ؟ قال أبو بكر : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام أبي طالب لو كان أسلم[1] منّي بأبي .

هذا الحديث كسابقه لا يدلّ على إسلام أبي قحافة وهو نظير قول عمر للعبّاس أنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح منّي بإسلام الخطّاب يعني لو كان أسلم[2] وأمّا رجال إسناده ففيه :

١ ـ موسى بن طارق . قال أبو حاتم : يُكتب حديثه ولا يُحتجُّ به كما قاله الذهبي في الميزان ج ٣ ص ٢١١ . وفيه :

٢ ـ موسى بن عبيدة قال الذهبي : قال أحمد : لا يُكتب حديثه . وقال النسائي وغيره : ضعيفٌ . وقال ابن عدي : الضعف على روايته بيّنٌ . وقال ابن معين ليس بشيء . وقال مرّة : لا يُحتجُّ بحديثه . وقال يحيى بن سعيد : كنا نتّقي حديثه . وقال يعقوب بن شيبة : صدوقٌ ضعيف الحديث جدّاً . ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢١٤ . وفيه :

٣ ـ عبد الله بن دينار . قال العقيلي : روى عنه موسى بن عبيدة ونظراؤه أحاديث مناكير الحمل فيها عليهم .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٢]

---

(١) هذه الجملة أعني (لو كان أسلم) دخيلة من المتأخرين نظراء ابن حجر ولا توجد في الأُصول القديمة راجع الرياض النضرة ج ١ ص ٤٥ .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ١١٧ .

القسم الثاني :

لا يوجد في كتاب الحديث ومعاجم التراجم ما يدلُّ على إسلام أبي قحافة إلَّا ما أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٤٩ من طريق ابن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لمّا وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لإبنة له من أصغر ولده : أي بنيَّة إظهري بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كفَّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه فقال : يا بنيَّة ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً قال : يا بنيَّة ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل ويتقدَّم إليها ثمَّ قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذا دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي فانحطَّت به وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوقٌ لها من ورق فتلقّاها رجل فاقتلعه من عنقها قالت : فلمّا دخل رسول الله ﷺ مكّة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : هلاّ تركت الشيخ في بيته حتّى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبوبكر : يا رسول الله ! هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه قال : فأجلسه بين يديه ثمَّ مسح صدره ثمَّ قال له : أسلم ، فأسلم ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ورأسه كأنَّه ثغامة فقال رسول الله ﷺ : غيّروا هذا من شعره ، ثمَّ قام أبو بكر فأخذ بيد أُخته فقال : أُنشد بالله والإسلام طوق أُختي فلم يجبه أحدٌ ، فقال : يا أُخيَّة : إحتسبي طوقك .

وفي لفظ المحبّ الطبري في الرياض ج ١ ص ٤٥ : إحتسبي طوقك فوالله إنَّ الأمانة في الناس اليوم قليل .

قال الأميني : هذه الرِّواية لا تصحُّ لمكان محمَّد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني نزيل العراق وليست هي إلاَّ من موضوعاته . قال سليمان التميمي : ابن إسحاق كذّابٌ . وقال هشام بن عروة : كذّابٌ .

وقال مالك : دجّالٌ من الدجاجلة .

وقال يحيى القطان : أشهد أنَّ محمد بن إسحاق كذّابٌ .

وقال الجوزجاني : الناس يشتهون حديثه ، وكان يرمى بغير نوع من البدع .

وقال ابن نمير : يحدِّث عن المجهولين أحاديث باطلة .

وقال أيّوب بن إسحاق : سألت أحمد فقلت له : يا أبا عبد الله ! إذا انفرد ابن إسحاق بحديث تقبله ؟ قال : لا والله إنّي رأيته يحدِّث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصِّل كلام ذا من كلام ذا .

وقال أبو داود : سمعت أحمد ذكر محمَّد بن إسحاق فقال : كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الحديث فيضعها في كتبه ، وكان يدلِّس ، وكان لا يبالي عمَّن يحكي عن الكلبي وغيره .

وقال عبد الله بن أحمد : ما رأيت أبي أتقن حديثه قطُّ ، وكان يتتبَّع بالعلوِّ والنزول ، قيل له : يحتجُّ به ؟ قال : لم يكن يحتجُّ به في السنن .

وقال ابن معين : ليس بذاك ، ضعيفٌ ، ليس بقويٍّ .

وقال النسائي : ليس بقويٍّ .

وقال ابن المديني : كذَّبه سليمان التميمي ، ويحيى القطَّان ، ووهيب بن خالد .

وقال الدارقطني : لا يحتجُّ به . وقال : اختلفت الأئمَّة فيه وليس بحجَّة إنَّما يعتبر به .

وقال هشام بن عروة : يحدِّث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر والله إن رآها قطّ .

وقال وهيب : سألت مالكاً عنه فاتَّهمه .

وقال أحمد : هو كثير التدليس جِدّاً[1] .

وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ : من طريق الحديث الرابع المذكور عن عبد الله بن وهب عن عمر بن محمَّد عن زيد بن أسلم رضي الله عنه : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هنَّأ أبا بكر بإسلام أبيه .

---

(١) راجع ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢١ ـ ٢٤ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨ ـ ٤٦ .

وفيه مضافاً إلى ما أسلفناه في الحديث الرابع : انَّ زيد بن أسلم توفِّي سنة ١٣٦ وعُدَّ ممَّن لقي ابن عمر[١] فلا تصحُّ روايته عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد ولد بعده بكثير .

على أنَّ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٧ : ذكر ابن عبد البرّ في مقدِّمة التمهيد ما يدلُّ على أنَّه كان يدلِّس . وقال في موضع آخر : لم يسمع من محمود بن لبيد وحكى عن ابن عيينة أنَّه قال : كان زيد رجلاً صالحاً وكان في حفظه شيءٌ . ونقل عن غيره قوله : لا أعلم به بأساً إلَّا أنَّه يفسِّر برأيه القرآن ويكثر منه ، وفي ميزان الإعتدال ج ١ ص ٣٦١ : إنَّه كان يفسِّر القرآن برأيه .

هذا إسلام أبي قحافة وحديثه وليس إلَّا دعوى مجرَّدةً مدعومةً بالواهيات ، ولا يثبت بها إسلام أيِّ أحد ، ويظهر من نفس رواية أحمد أنَّ إتيانه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [على فرض تسليمه] لم يكن إلَّا لاسترداد ما أخذه المسلمون من إبنته من الطوق ، ولو كان له إسلامٌ ثابتٌ وكان إتيانه للإسلام لكان يعيد زيارته صلى الله عليه وآله وسلم مرَّة بعد أُخرىٰ ، وكان ينتهز الفرص أيام إقامته تلك في مكّة ويستفيد من نمير علمه ، ويأخذ منه معالم دينه ، وكان حقّاً عليه أن يزوره في حجَّة الوداع ، ولو كان له إسلام لكان يروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ولو حديثاً واحداً ، أو كان يروي عن أصحابه ولو عن واحد منهم ، ولو كان قد أسلم لكان تُنقل عنه كلمة في الإسلام ، أو قولٌ في الذبّ عنه ، أو حرفٌ واحدٌ في الدعوة إليه أو كان له في التاريخ ذكرٌ عن أيَّام إسلامه ، ونبأ عن آثار إيمانه بالله وبرسوله ، ولا أقلَّ من روايته هو بحديث إسلامه .

ثمَّ إن صحَّ الخبر ، وقد أكرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : هلّا تركت الشيخ في بيته . الخ . وكان ذلك كما مرَّ تكرمةً لأبي بكر ، فما بال الصحابة تردُّ شفاعة مثل هذا الرَّجل العظيم ؟ الذي عظَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الكلمة القيِّمة التي لم تُؤثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم في أحد من الصحابة حتّى في أعمامه صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم العبّاس الذي يستسقى به الغمام وهم يسمعونها منه صلى الله عليه وآله وسلم ما بالهم يصفحون عن شفاعته في

(١) تاريخ ابن كثير ج ١٠ ص ٦١ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٢٨٤ .

والده بإعادة الطوق إليه وهو شيخٌ كبيرٌ جديد العهد بالإسلام حريٌ بأن يُكرم ؟ وما بال أبي بكر الذي أنفق جلَّ ماله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على زعم القوم يأخذ بيد أُخته ويأتي بها إلى مجتمع الثويلة وينشد الحضور بالله والإسلام ويسألهم ردَّ طوقها إليها ؟ وما الطوق وما قيمته والصحابة لم تقبل فيه شفاعة شيخهم يوم ذاك وخليفتهم في الغد ؟ وكيف يستعظم أبو بكر أمر الطوق ويأمر أُخته بالإحتساب ويرى الأمانة قليلة في الصحابة يوم ذاك مع حضور نبيِّهم فيهم ؟ فما كان محلُّهم من الإمامة بعد يومهم ذاك بثلاث سنين ، وقد ارتحل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من بين ظهرانيهم ؟ وكيف صاروا بعد فقدهم نبيِّهم عدولاً ؟ أنا لا أدري .

إسلام أُمّ أبي بكر :

ليس إسلام أُمِّ الخير أُمّ أبي بكر إلاَّ كإسلام أبيه أبي قحافة ، لا يُدعم بدليل ولا تقوِّمه البرهنة .

أخرج الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الإطرابلسي قال : حدَّثنا عبيد الله بن محمَّد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة ، حدَّثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمَّد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدَّثني أبي عبيد الله ، حدَّثني عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : حدَّثني أبي محمَّد بن عمران عن القاسم بن محمَّد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمّا اجتمع أصحاب النبيِّ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال : يا أبا بكر إنَّا قليلٌ . فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتّى ظهر رسول الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد كلُّ رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أوَّل خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووُطىء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرِّفهما لوجهه ، وأثَّر ذلك حتى مايُعرف أنفه من وجهه ، وجاءت بنو تيم تتعادى فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبا بكر في ثوب حتّى أدخلوه بيته ولا يشكّون في موته ، ورجع بني تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ

عتبة ورجعوا إلى أبي بكر فجعل أبـو قحافـة وبنو تيم يكلّمـون أبا بكـر حتّى أجابهم فتكلّم آخر النهار : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فنالوه بألسنتهم وعذلوه ثمَّ قـاموا وقـالوا لأُمِّ الخير بنت صخر : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إيّاه ، فلمّا خلت به وألحّت جعـل يقول : مـا فعل رسـول الله ﷺ ؟ قالت : والله مـا أعلم بصـاحبـك . قـال : فاذهبي إلى أُمِّ جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه فخرجت حتّى جاءت إلى أُمِّ جميل فقالت : إنَّ أبا بكر يسألـك عن محمَّد بن عبـد الله . قالت : مـا أعرف أبـابكر ولا محمَّـد بن عبـد الله ، وإن تحبّي أن أمضي معـك إلى ابنـك فعلت ؟ قـالت : نعم فمضت معها حتّى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً فدنت منه أُمّ جميل وأعلنت بـالصياح وقالت : إنَّ قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وإنّي لأرجو أن ينتقم الله لك . قال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أُمّك تسمـع . قال : فـلا عين عليك منهـا قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : فأنّى هو؟ قالت : في دار الأرقم قال : فـإنَّ لله عليَّ آليت أن لا أذوق طعـاماً ولا شـراباً أو آتي رسـول الله ﷺ فأمهلتـاه حتّى اذا هـدأت الـرِّجـل وسكن الناس خرجتا به يتّكىءعليهماحتّى دخلتا على النبيِّ ﷺ قـال : فانكبَّ عليـه فقبَّله وانكبَّ عليه المسلمون ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّةً شديدة فقال أبو بكر : بـأبي أنت وأُمّي ليس بي إلاّ ما نال الفاسق من وجهي ، هذه أُمّي برَّة بوالديها وأنت مبارك فـادعها إلى الله وادع الله عـزَّ وجلَّ لهـا عسى أن يستنقذهـا بك من النـار . فدعـاها رسول الله ﷺ فأسلمت(١) .

قال الأميني : تفرَّد بهذا الحديث عبيد الله بن محمَّد العمري ، رماه النسـائي بالكذب ، وحكاه عنه الذهبي وابن حجر(٢) وقال الدارقطني في حديث آخر تفرَّد به العمري أيضاً : ليس بصحيح تفرَّد به العمري وكان ضعيفاً .

وبقيَّـةَ رجال السنـد كلّهم تيميّون فيهم عبـد الله وعبيد الله من أولاد طلحـة بن عبيد الله مجهولان لا يعرفان . وعبيد الله ، ومحمَّد بن عمـران ، من أولاد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ، أو : من أولاد طلحـة بن عبيد الله أيضـاً وهما مجهولان كسابقيهما .

---

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ٤٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٣٠ .
(٢) ميزان الإعتدال ج ٢ ص ١٨٠ ، لسان الميزان ج ٤ ص ١١٢ .

على أنَّ أبا بكر لا يعدُّ من المعذَّبين في الإسلام ، ولو كان له هذا الموقف في ذلك اليوم العصبصب وكانت على النبأ مسحةٌ من الصحَّة لكان يُذكر في صفحة كلِّ تاريخ ، ولم يكن يهمله أيُّ مؤرِّخ ، أمن المعقول أن يحفظ التاريخ في طيّاته تعذيب الموالي ولم يكن في صفحته ذكرٌ عن مثل هذا الموقف لمثل أبي بكر ؟ .

ثمَّ لو لم يكن الحفّاظ عدّوا هذه الرواية من موضوعات عبيد الله العمري وكان عندهم ثقة برجالها ولو بالعلاج ولو بقيل قائل لما أعرضوا عنها في تلكم القرون الخالية كلّها ، وكان يتلقّاها حافظٌ عن حافظ وإمامٌ عن إمامٍ ولم تكن تخصُّ روايتها بالمحبِّ الطبري وابن كثير المتخصِّصين لذكر الموضوعات والأحاديث المفتعلة أو من يحذو حذوهما . وفي نفس الرِّواية ما يكذِّبها من شتّى النواحي :

١ ـ إنَّ عائشة ولدت في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة[١] والقضيَّة على تسليم قبولها قد وقعت في السادسة من البعثة فأين كانت عائشة يوم ذاك ؟ أشاهدت موقف أبيها وهي على ثدي أُمِّها بنت سنة أو سنتين ؟ لماذا لم يُرو ذلك عن أبيها أو عن أُمِّها أو عن أُمِّ جميل ؟ لعلَّ الرواية من ولائد القرون المتأخّرة عنهم ، ولدتها أُمّ الفضائل بعد قضاء الدهر على حياة من خُلقت لأجله .

٢ ـ إنَّ في لفظ الرواية : لمّا اجتمع أصحاب النبيِّ ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً . فعلى هذا لم يكن أبو بكر يوم ذاك مسلماً أخذاً بقول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنا نصلّي وليس معنا أحدٌ يُصلّي غيرنا[٢] وما مرَّت من الصحيحة عن أمير المؤمنين عليه السلام لقد صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الناس بسبع سنين[٣] وما أسلفنا من صحيحة الطبري : أنَّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً[٤] .

٣ ـ في الرواية : ألحَّ أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال : يا أبا بكر !

---

(١) طرح التثريب ج ١ ص ١٤٧ ، الإصابة ج ٤ ص ٣٥٩ .
(٢) راجع الجزء الثالث ص ٢٧٤
(٣) راجع الجزء الثالث ص ٢٧٥
(٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٥ .

إنّا قليلٌ فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتّى ظهر رسول الله ﷺ . الخ . يكذِّبه ما في السير من أنَّ رسول الله ﷺ أظهر الدعوة قبل ذلك اليوم بثلاث سنين .

وروى ابن سعد وابن هشام والطبري وغيرهم : انَّ الله عزَّ وجلَّ أمر نبيَّه محمَّداً ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه فقال له : **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾**(١) وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أُمر بإظهار الدَّعوة إلى الله مستسرّاً مخفياً أمره ﷺ وأنزل عليه : **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إنِّي بريءٌ ممّا تعملون﴾**(٢)(٣) .

فإظهار النبيِّ ﷺ دعوته كان بأمر من المولى سبحانه من دون سبق أيِّ إلحاح من أيِّ أحد عليه من أبي بكر أو غيره سواء كان أسلم أبو بكر يوم ذاك أو لم يسلم .

على أنَّ أبا بكر عُدَّ ممَّن كان يدعو سرّاً بعد ذلك اليوم بعد ظهور الدعوة من المسلمين فأين مقيل إلحاحه على رسول الله في الظهور من الصحَّة يوم ذاك ؟ قال ابن سعد في طبقاته ج ١ ص ١٨٥ : كان أبو بكر يدعو ناحية سرّاً ، وكان سعد بن زيد مثل ذلك ، وكان عثمان مثل ذلك ، وكان عمر يدعو علانية وحمزة بن عبد المطلب ، فإسرار أبي بكر في الدعوة يوم إعلان عمر كان بعد ذلك اليوم ، إذ أسلم عمر بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة . بعد أربعين رجلاً(٤) وقد مرَّ في الرواية أنَّ القضيَّة وقعت والمسلمون ثمان وثلاثون نسمة .

---

(١) سورة الحجر ؛ الآية : ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ؛ الآيات : ٢١٤ - ١٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٣ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٤ ، الكامل ج ٢ ص ٢٣ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٦٢ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٩٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٦ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٩ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٠٩ ، تفسير الشوكاني ج ٣ ص ١٣٩ .

(٤) الإستيعاب هامش الإصابة ج ٢ ص ٤٥٩ ، تأريخ ابن كثير ج ٣ ص ٣١ .

وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٩ حديثين في إسلام أمّ أبي بكر أحدهما عن ابن عبّاس قال : أسلمت أمّ أبي بكر وأمّ عثمان وأمّ طلحة وأمّ الزبير وأمّ عبد الرّحمٰن بن عوف وأمّ عمّار . فقال :

فيه : خازم بن الحسين وهو ضعيفٌ . وقال الذهبي في الميزان ج ١ ص ٣١٥ : قال ابن معين : خازم ليس بشيء . وقال أبو داود : روى مناكير . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه .

والحديث الثاني للهيثمي عن طريق الهيثم بن عدي قال : هلك أبو بكر فورثاه أبواه جميعاً وكانا أسلما . ثمّ قال : إسناده منقطعٌ .

قال الأميني : كأنّ الحافظ الهيثمي يوهم بكلمته الأخيرة انّ علّة الحديث هي انقطاعه فحسب ولم يذكر بقيّة رجاله حتّى تقف عليها نظّارة التنقيب غير أنّ في ذكر الهيثم بن عدي الكذّاب كفاية . قال البخاري : ليس بثقة كان يكذب . وقال أبو داود : كذّابٌ . وقال النسائي وغيره : متروك الحديث . وقالت جارية الهيثم : كان مولاي يقوم عامّة الليل يصلّي فإذا أصبح جلس يكذب ، وقال النسائي أيضاً : منكر الحديث . وذكر حديثاً وعدّه من افتراء الهيثم على هشام بن عروة . وقال أبو حاتم : متروك الحديث وقال أبو زرعة : ليس بشيء . وقال العجلي : كذّابٌ وقد رأيته . وقال الساجي : سكن مكّة وكان يكذب . وقال إمام الحنابلة أحمد : كان صاحب أخبار وتدليس . وقال الحاكم النقاش : حدّث عن الثقات بأحاديث منكرة . وعدّ البيهقي والنقاش والجوزجاني الحديث من الموضوعات لكون الهيثم فيه . وقال أبو نعيم : يوجد في حديثه المناكير[1] .

فإسلام أمّ أبي بكر كإسلام والده أبي قحافة قطّ لا يثبت . والّذي ذكر إسلامهما من المؤرِّخين كابن كثير والدياربكري والحلبي وغيرهم لا يعوّل على قولهم بعدما عرفت الحال في مستند أقوالهم ، فلا قيمة للدعوى المجرّدة والتقوّل بلا دليل .

---

(١) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٢٦٥ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٠٩ ، الغدير ج ٥ ص ٣٣٠

ويُعرب عن جليَّة الحال بقاء أُمِّ الخير «أمّ أبي بكر» في حبالة أبي قحافة في مكّة ، وقد أسلمت هي على قول من يقول بإسلامها في السادسة من البعثة وأسلم أبو قحافة في الثامن من الهجرة سنة الفتح كما سمعت فتخلّلت بين إسلامهما ثلاثة عشر عاماً، فبأيِّ كتاب أم بأيَّة سنَّة بقيت تلك المسلمة أُمُّ مثل أبي بكر تلك السنين المتطاولة في نكاح أبي قحافة الذي لم يسلم بعدُ ؟ وما الذي جمع بينهما ؟ والفراق بينهما كان أوَّل شعارِ الإسلاميَّة . فأين إسلامها ؟ وبماذا يثبت والحال هذه ؟ .

أبو بكر وأبواه في القرآن :

لعبت أيدي الهوى بكتاب الله ، وحرَّفت الكلم عن مواضعها ، وجاء من يؤلِّف في التفسير وقد أعماه الحبُّ وأصمَّه يخبط خبط عشواء ، فتراه كحاطب ليل يروي في كتابه أساطير السلف الأوَّلين من الوضّاعين مرسلاً إيّاها إرسال المسلّم من دون أيِّ تحقيق وتثبُت وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً ، ومع ذلك يرون أنفسهم أئمَّة وقادةً في علم القرآن العزيز . حتّى يرون أنَّ قوله تعالىٰ في الأحقاف ، الآية ١٥ : **﴿ووصَّينا الإنسان بوالديه حسناً ، حملته أُمُّه كرهاً ووضعته كرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ، حتّى إذا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة قال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأصلح لي في ذريَّتي إنِّي تبت إليك وإنِّي من المسلمين﴾** . نزلت في أبي بكر .

ويروون عن عليّ أمير المؤمنين وابن عبّاس أنَّ الآية نزلت في أبي بكر الصدِّيق وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً ، حملته أُمُّه تسعة أشهر وأرضعته إحدى وعشرين شهراً ، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره ، فأوصاه الله بهما ولزم ذلك مَن بعده . فلمّا نُبِّيء رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة صدَّق أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة فلمّا بلغ أربعين سنة قال : ربِّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ ، واستجاب الله له فأسلم والداه وأولاده كلُّهم .

الكشاف ج ٣ ص ٩٩ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، الرياض النضرة ج ١ ص ٤٧ ، مرقاة الوصول ص ١٢١ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ١٣٢ ،

تفسير النسفي هامش الخازن ج ٤ ص ١٣٢ ، تفسير الشوكاني ج ٥ ص ١٨ .

ألا مسائل هؤلاء الأعلام المغفَّلين عن أنَّ كون مدَّة الحمل والفصال ثلاثين شهراً هل يخصّ بأبي بكر فحسب حتى يُخصَّ بالذكر ؟ أم هو مطَّردٌ في خلق الله ، إمّا بكون مدّة الحمل ستة أشهر ومدَّة الإرضاع حولين كاملين ، وإمّا بكون الحمل تسعة أشهر والإرضاع واحداً وعشرين شهراً ؟ وإنَّ الحريَّ بالذكر هو الأوّل لشذوذه عن العادة المطَّردة .

ثمَّ إن كان هذا من خاصَّة أبي بكر وحكايةً لحمله وفصاله فكيف يصحّ لمولانا أمير المؤمنين وابن عبّاس الإستدلال بالآية مع ما في سورة لقمان على كون أقلِّ الحمل ستة أشهر كما مرَّ في الجزء السّادس ص ١٢٠ ـ ١٢٢ فالآية الكريمة لا تبيّن إلاَّ ما هو السائر الدائر بين البشر بأحد الوجهين المذكورين وبهذا يتمُّ الإستدلال . وفيه قال ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ١٥٧ : وهو إستنباطٌ قويّ صحيحٌ ووافقه عليه عثمان وجماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم . وابن كثير مع إكثاره بنقل الموضوعات لم يوعز إلى نزول الآية في أبي بكر لما يرى في نقله من الفضيحة على نفسه .

ثمَّ إنَّ في نصِّ الآية : إنَّ ذلك الإنسان قال ما قاله وقد بلغ أشدّه وبلغ من عمره أربعين عاماً . وأبو بكر لم يكن مسلماً يوم ذاك لا هو ولا أبوه ولا أُمّه ، أمّا هو فقد قدَّمنا أنَّه أسلم بعد سبع من البعثة بنصوص مرَّت في الجزء الثالث ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨

وأمّا أبوه فقد أسلم «إن أسلم» يوم الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان لأبي بكر يومئذ ستّ وخمسون سنة أو أكثر .

وأمّا أُمُّه فقد أسلمت «إن أسلمت» في السنة السادسة من البعثة وأبو بكر يوم ذاك ابن أربع وأربعين سنة أو أكثر منها .

فبماذا أنعم الله عليه وعلى والديه يوم قال : ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ . وكلُّهم غير مسلمين ؟ والجملة دعائيّة بالنسبة إلى إلهام الشكر على ما أنعم الله به على والديه فحسب ، وأمّا بالنسبة إلى كونهم

من المنعم عليهم فخبريَّة تقتضي سبق تلك النعمة على ظرف الدعاء ، فالقول : بأنَّ الله سبحانه استجاب له فأسلم والداه وأولاده كلُّهم ، مهزأةٌ غير مدعومة بشاهد .

على أنَّ أخبار إسلام والديه «بعد تسليمها والغضّ عمّا فيها» تدلُّ على أنَّ إسلام أُمِّه كان بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها بالإسلام . وإسلام أبيه من بركة مسحه صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره ، فأين دعاء أبي بكر ؟ .

وأمّا ما في ذيل الرواية ممّا عزي إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه لم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبي بكر . فحاشا أمير المؤمنين بقول مثل ذلك ، وقد عرّفناك ص ٣٤٨ - ٣٥٠ زرافات من المهاجرين أسلموا هم وآباؤهم وأُمَّهاتهم ويقدِّمهم هو سلام الله عليه وبالأوَّليَّة والأولويَّة .

آية أُخرىٰ في أبي بكر وأبيه :

وردت في قوله تعالىٰ من سورة المجادلة : ٦٢ : **﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليومِ الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الإيمان وايَّدهم بروحٍ منه ، ويدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون .﴾** .

من طريق ابن جريج : إنَّ أبا قحافة سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فصكّه أبو بكر ابنه صكّة فسقط منها على وجهه ، ثمَّ أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : أو فعلته لا تعد إليه فقال : والّذي بعثك بالحق نبيّاً لو كان السيف منّي قريباً لقتلته . فنزلت قوله : **﴿لا تجد قوماً﴾** الآية .

تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٣٠٧ ، تفسير الزمخشري ج ٣ ص ١٧٢ ، مرقاة الوصول حاشية نوادر الأصول ص ١٢١ ، تفسير الآلوسي ج ٢٨ ص ٣٦ .

قال الأميني : أصفق رجال التفسير على أنَّ سورة الأحقاف التي مرَّت فيها الآية الأُولى مكيَّةٌ ، وعلى أنَّ سورة المجادلة مدنيَّةٌ ، وعلى أنَّ هذه الآية نزلت بعد

ردح من الزمن من نزول الأحقاف ، ويظهر من تفسير القرطبي وابن كثير والرازي أنّها نزلت بعد بدر وأُحد فيقع نزولها على هذا في السنة الرابعة من الهجرة تقريباً ، فما وجه الجمع بين الآيتين على تقدير تسليم نزولهما في أبي بكر ، والأولى منهما كما مرَّ نصٌّ على أنَّ أبا قحافة ممَّن أنعم الله عليه يوم كان لأبي بكر أربعون سنة ، ولمّا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة قال : ﴿**ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ**﴾ . وهذه الآية كما ترى نصٌّ في أنَّ أبا قحافة يوم نزولها ـ وكان يوم ذاك لأبي بكر ثلاث وخمسون سنة تقريباً ـ كان ممَّن حادَّ الله ورسوله .

والذي يهوّن الخطب انَّ متن هذه الرواية كالرواية السابقة الواردة في الآية الأُولىٰ يكذِّب نفسها ، إذ الآية كما سمعت نزلت بالمدينة ، وظاهر الرواية وقوع القصَّة بها ، ويوم ذاك كان أبو قحافة بمكّة ، فأين وأنّى اجتمع أبو بكر مع أبيه وصكّه ؟ .

ثمَّ هل يشترط وجوب قتل من سبَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقرب السيف ممَّن سمعه ؟ أو شُرّع هذا الحكم بعد القضيَّة ؟ أو خُصّ أبو قحافة منه بالدليل . سل مَن أعماه الغلوُّ في الفضائل وأصمَّه ، إنَّهم ليقولون منكراً من القول وزُوراً ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

الغاية للقالة

أَحسب أنَّ القوم لم ينسجوا هذا الإفك على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب ، ولا أنَّ لهم مأرباً في آباء المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا ، أو أنَّ لهم غاية في إسلام أبوي أبي بكر ، لكنَّهم زمّروا لِما لم يزل لهم فيه مكاءٌ وتصديةٌ من تكفير سيِّد الأباطح شيخ الأئمَّة أبي طالب والد مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما ، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقيعة في الولد فوجَّهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى . وكان من تهويلهم في تخفيف تلكم الوطأة أن جرّوا ذلك إلى والدي النبيِّ المعظَّم صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليهما حتّى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبيِّ والمرتضى صلّى الله عليهما وآلهما : أمّا تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية فإنَّ النبيَّ في كثرة ما أنعم الله تعالىٰ

عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه ، وعلى هذا جمهور المسلمين[١] إلَّا شرذمةٌ قليلون لا يلتفت إليهم ، فكذلك المرتضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والإفضال لم يرزقه إسلام أبويه[٢] . اهـ .

فلم تفتأ لهم في ذلك جلبة ولغط مكابرين فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالته لصاحب الرسالة ، ودَرْئه عنه كلَّ سوء وعادية ، وهتافه بدينه القويم ، وخضوعه لناموسه الإلهيِّ في قوله وفعله وشعره ونثره ، ودفاعه عنه بكلِّ ما يملكه من حول وطول .

ولولا أبو طالب وابنه	لما مثل الدّين شخصاً وقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى	وهذا بيثرب جسَّ الحماما
تكفَّل عبد مناف بأمر	وأودى فكان عليٌّ تماما
فقل في ثبير مضى بعدما	قضى ما قضاه وأبقى شماما
فَلِلّه ذا فاتحاً للهدى	ولِلّه ذا للمعالي ختاما
وما ضرَّ مجدَ أبي طالب	جهولٌ لغا أو بصيرٌ تعامى
كما لا يضرُّ إياب الصبا	حِ مَن ظنَّ ضوء النهار الظلاما[٣]

وهناك طرقٌ لا يمكن التوسُّل إلى الإذعان بنفسيّات ايِّ أحد إلَّا بها أَلاوهي :

١ - إستنباطها ممَّا يلفظ به من قول .

٢ - أو ممّا ينوء به من عمل .

٣ - أو ممّا يروي عنه آله وذووه ، فإنَّ أهل البيت أدرى بما فيه .

٤ - أو ممّا أسنده إليه مَن لاث به وبخع له .

---

(١) كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى .

(٢) أفك الرجل على جمهور المسلمين ، فإن الإمامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن حذا حذوهم من محققي أهل السنة ذهبوا إلى إسلام والدي النبي الأقدس ، ومن شذّ عنهم فلا يأبه به ولا يلتفت إليه .

(٣) ذكرها ابن أبي الحديد لنفسه في شرحه ج ٣ ص ٣١٧ .

١ ـ أقوال أبي طالب سلام الله عليه :

أمّا أقوال أبي طالب سلام الله عليه فإليك عقوداً عسجديَّة من شعره الرائق مثبتة في السير والتواريخ وكتب الحديث :

أخرج الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦٢٣ بإسناده عن ابن إسحاق قال : قال أبو طالب أبياتاً للنجاشي يحضُّه على حسن جوارهم والدفع عنهم يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين :

ليعلم خيار الناس أنَّ محمَّداً	وزيرٌ لموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به	فكلٌّ بأمر اللَّه يهدي ويعصم
وإنَّكمُ تتلونه في كتابكم	بصدق حديثٍ لا حديث المبرجم
وانَّك ما تأتيك منها عصابةٌ	بفضلك إلاّ أُرجعوا بالتكرُّم

وقال سلام الله عليه من قصيدة :

فبلّغ عن الشحناء أفناء غالب	لويّاً وتيماً عند نصر الكرائم
لأنّا سيوف الله والمجد كلُّه	إذا كان صوت القوم وجي الغمائم
ألم تعلموا أنَّ القطيعة مأثمٌ	وأمر بلاء قاتم غير حازٍ ؟
وأنّ سبيل الرشد يُعلم في غدٍ	وأنَّ نعيم الدهر ليس بدائم
فلا تسفهن أحلامكم في محمَّد	ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
تمنَّيتم أن تقتلوه وإنَّما	أمانيُّكم هذي كأحلام نائم
وإنَّكم واللَّه لا تقتلونه	ولمّا تروا قطف اللحا والغلاصم[1]
ولم تبصروا الأحياء منكم ملاحماً	تحوم عليها الطير بعد ملاحم
وتدعو بأرحام أواصر بيننا	فقد قطّع الأرحام وقع الصوارم
زعمتم بأنا مسلمون محمَّداً	ولمّا نقاذف دونه ونزاحم
من القوم مفضالٌ أبيٌّ على العدى	تمكّن في الفرعين من آل هاشم
أمينٌ حبيبٌ في العباد مسوَّم	بخاتم ربٍّ قاهرٍ في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة	وما جاهلٌ في قومه مثلُ عالم

(١) في رواية : والجماجم . الغلاصم جمع الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

نبيٌّ أتاه الوحي من عند ربِّه ... ومن قال : لا يقرع بها سنّ نادم
تطيف به جرثومةٌ هاشميَّةٌ ... تُذبِّب عنه كل عاتٍ وظالم

ديوان أبي طالب ص ٣٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ :

ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصَّتها قوله :

ألا أبلغا عنّي على ذات بينها ... لويّاً وخصّاً من لويّ بني كعب
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمَّداً ... رسولاً كموسى خُطَّ في أوَّل الكتب ؟
وانَّ عليه في العباد محبَّةً ... ولا حيف فيمن خصَّه اللّه بالحبّ
وأنَّ الذي رقَّشتمُ في كتابكم ... يكون لكم يوماً كراغية السقب[(١)]
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزُّبى[(٢)] ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودَّة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً[(٣)] وربّما ... أمرّ على مَن ذاقه حَلبُ الحرب
فلسنا وبيت اللّه نُسلم أحمداً ... لِعزّاء من عضّ الزمان ولا كرب[(٤)]
ولَمّا تَبِن مِنّا ومِنكم سوالفٌ ... وأيدٍ أترَّت[(٥)] بالمهنّدة الشهب
بمُعترِكٍ ضنكٍ ترى كسر القنا ... به والضباع العرج تعكف كالشرب[(٦)]
كأنَّ مجال الخيل في حجراته ... ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب ؟
ولسنا نملُّ الحرب حتّى تملّنا ... ولا نشتكي ممّا ينوب من النكب
ولكنّنا أهل الحفائظ والنُّهى ... إذا طار أرواح الكماة من الرعب

---

(١) في رواية ابن هشام :

وأن الذي ألصقتم من كتابكم ... لكم كائن نحساً كراغية السقب

رقش : كتب وسطر . الراغية من الرغاء : أصوات الإبل . السقب . ولد الناقة .

(٢) في سيرة ابن هشام : الثرى . بدل الزبى .

(٣) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أُخرى . أشد الحروب .

(٤) العزّاء : السنة الشديدة ، عضّ الزمان : شدته وكلبه .

(٥) تبن : تنفصل . السوالف : صفحات الأعناق . اترت : قطعت .

(٦) ضنك : ضيق . الضباع العرج مرّ ص ٥٨ . الشرب : الجماعة من القوم يشربون . والشطر الثاني في سيرة ابن هشام : به والنسور الطخم يعكفن كالشرب .

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ ، بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٥ ، خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦١ ، الروض الأنف ج ١ ص ٢٢٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٧ ، أسنى المطالب ص ٦ ، ١٣ ، طلبة الطالب ص ١٠ .

ومن شعره قوله :

ألا ما لهمّ آخر الليل معتمِ ... طواني وأخرى النجم لمّا تقحّم
طواني وقد نامت عيونٌ كثيرةٌ ... وسامَر أُخرى قاعدٌ لم يُنوَّم
لأحلام أقوامٍ أرادوا محمّداً ... بظلم ومن لا يتّقي البغي يُظلم
سعوا سفهاً واقتادهم سوء أمرهم ... على خائل من أمرهم غير محكم
رجاة أُمور لم ينالوا نظامها ... وإن نشدوا في كلّ بدوٍ وموسم
يرجُّون منّا خطّة دون نيلها ... ضرابٌ وطعنٌ بالوشيج المقوَّم
يرجُّون أن نسخي بقتل محمّد ... ولم تختضب سمر العوالي من الدَّم
كذبتم وبيت الله حتى تفلّقوا ... جماجم تُلقى بالحطيم وزمزم
وتُقطع أرحامٌ وتنسى حليلةٌ ... حليلاً ويغشى محرمٌ بعد محرم
وينهض قومٌ بالحديد إليكمُ ... يذبّون عن أحسابهم كلّ مجرم
هم الأُسد اسد الزأرتين إذا غدت ... على حنقٍ لم تخش إعلام معلم
فيا لَبني فهرٍ أفيقوا ولم تُقم ... نوائح قتلى تدَّعي بالتسدّم(١)
على ما مضى من بغيكم وعقوقكم ... وغشيانكم في أمرنا كلَّ مأثم
وظلم نبيٍّ جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر أتى من عند ذي العرش قيِّم (٢)
فلا تحسبونا مسلِميه ومثله ... إذا كان في قوم فليس بمسلَم
فهذي معاذيرٌ وتقدمةٌ لكم ... لكيلا تكون الحرب قبل التقدُّم

ديوان أبي طالب ص ٢٩ : شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٢ .

---

(١) التسدّم من السدم : الهمّ مع الندم . الغيظ مع الحزن .

(٢) في رواية شيخ الطائفة : مبرم .

وله قوله مخاطباً للنبيِّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلم :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتّى أُوسَّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر بذاك وقرَّ منك عيونا
ودعوتني وعلمتُ أنّك ناصحي	ولقد دعوتَ وكنتَ ثمَّ أمينا[1]
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمَّدٍ	مِن خير أديان البريَّة دينا

رواها الثعلبي في تفسيره وقال : قد اتَّفق على صحّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل ، وعبد الله بن عبّاس ، والقسم بن محضرة ، وعطاء بن دينار . راجع خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦١ ، تاريخ إبن كثير ج ٣ ص ٤٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٦ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ص ١٢٠ ، فتح الباري ج ٧ ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٦١ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٥ ، ديوان أبي طالب ص ١٢ ، طلبة الطالب ص ٥ ، بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٥ ، السيرة النبويَّة لزيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩١ ، ٢١١ ، وذكر البيت الأخير في أسنى المطالب ص ٦ فقال : عدَّه البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف .

لفت نظر : زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات :

لولا الملامة أوحذاري سبَّة	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

قال السيِّد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ١٤ : فقيل : إنَّ هذا البيت موضوعٌ أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه .

قال الأميني : هب أنَّ البيت الأخير من صُلب ما نظمه أبو طالب عليه السلام فإنَّ أقصى ما فيه أنَّ العار والسبّة اللذين كان أبو طالب عليه السلام يحذرهما خيفة أن يسقط محلّه عند قريش فلا تتسنّى له نصرة الرسول المبعوث صلّى الله عليه وآله وسلم إنّما منعاه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين ، وإعلان الإيمان بما جاء به النبيُّ الأمين ، وهو صريح

---

(١) وفي رواية القسطلاني :

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا

قوله : لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً . أي مظهراً ، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه ، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع ؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيِّناً بينه وبين أبياته الأُولىٰ التي ينصُّ فيها بأنَّ دين محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم من خير أديان البريَّة ديناً ، وأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم صادقٌ في دعوته أمينٌ على أُمَّته .

ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عذَّبته قريش ونالت منه :

أمِن تذكّر دهر غير مأمونِ	أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون
أم مِن تذكّر أقوامٍ ذوي سفهٍ	يغشون بالظلمَ من يدعو إلى الدين ؟ !
ألا ترون أذلَّ اللّه جمعكمُ	إنّا غضبنا لعثمان بن مظعون ؟
ونمنع الضيم من يبغي مضيّمنا	بكلِّ مطَّرد في الكفِّ مسنون
ومرهفات كأنَّ الملح خالطها	يُشفى بها الداء من هام المجانين
حتّى تقرَّ رجالٌ لا حلوم لها	بعد الصعوبة بالأسماع واللين
أو تؤمنوا بكتاب مُنزلٍ عجبٍ	على نبيٍّ كموسى أو كذي النون[1]

ومن شعره يمدح النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

لقد أكرم اللّه النبيَّ محمَّداً	فأكرم خلق اللّه في الناس أحمد
وشقَّ له من إسمه لِيجلّه	فذو العرش محمودٌ وهذا محمَّد

أخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن يزيد ، وأبو نعيم في دلائل النبوَّة ج ١ ص ٦ ، وابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٢٧٥ ، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ ، وابن كثير في تاريخه ج ١ ص ٢٦٦ ، وابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٥ ، والقسطلاني في المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٥١٨ نقلاً عن تاريخ البخاري ، والدياربكري في تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٤ فقال : أنشأ أبو طالب في مدح النبيِّ أبياتاً منها هذا البيت :

وشقَّ له من إسمه ليجلّه ....

وحسّان بن ثابت ضمَّن شعره هذا البيت فقال :

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ .

ألم تر أنَّ اللَّه أرسل عبده ... بآياته واللّه أعلى وأمجد
وشقَّ له من إسمه ليجلّه ... .

والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٥٦ وقال : توارد حسّان معه أو ضمنه شعره وبه جزم في الخميس ، أسنى المطالب ص ١٤ .

ومن شعره المشهور كما قاله ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ :

أنت النبيُّ محمَّدُ ... قرمٌ أغرُّ مسوَّد
لمسوّدين أكارم ... طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها ... عمرو الخضمّ الأوحد
هشم الربيكة في الجفا ... ن وعيش مكّة أنكد
فجرت بذلك سنَّةٌ ... فيها الخبيزة تثرد
ولنا السقاية للحجيـ ... ـج بها يمات العنجد
والمأزمان[1] وما حوت ... عرفاتها والمسجدُ
أنَّى تُضام ولم أمت ... وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكَّة لا يُرى ... فيها نجيعٌ أسود
وبنو أبيك كأنَّهم ... اسد العرين توقّدوا
ولقد عهدتك صادقاً ... في القول لا يتزيَّد
ما زلتَ تنطق بالصوا ... ب وأنت طفلٌ أمرد

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو ساجدٌ وبيده حجر يريد أن يرميه به فلمّا رفع يده لصق الحجر بكفِّه فلم يستطع ما أراد فقال أبو طالب :

أفيقوا بني غالب ! وانتهوا ... عن الغيِّ من بعض ذا المنطق
وإلَّا فإنّي إذن خائفٌ ... بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركمُ عبرةً ... وربِّ المغارب والمشرق
كما نال مَن لان مِن قبلكم ... ثمودُ وعادٌ وماذا بقي

---

(١) المأزمان : موضع بمكّة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين .

غداة أتاهم بها صرصرٌ ... وناقة ذي العرش قد تستقي
فحلَّ عليهم بها سخطه ... من اللّه في ضربة الأزرق
غداة يعضُّ بعرقوبها ... حساماً من الهند ذا رونق
وأعجب مِن ذاك في أمركم ... عجائب في الحجر الملصق
بكفِّ الذي قام من خبثه ... إلى الصّابر الصّادق المتَّقي
فأثبته اللّه في كفِّه ... على رغمه الجائر الأحمق
أُحيمق مخزومكم إذغوى ... لغيِّ الغواة ولم يصدق

ديوان أبي طالب ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٤ : قالوا وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله انه كان يقول : أسلم أبو طالب والله بقوله :

نصرت الرَّسول رسول المليك ... ببيض تلألا كلمع البروق
أذبُّ وأحمي رسول الإله ... حماية حام عليه شفيق
وما إن أدبّ لأعدائه ... دبيب البكار حذار الفنيق[1]
ولكن أزير لهم سامياً ... كما زار ليثٌ بغيل مضيق

وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه ص ٢٤ .

ولسيِّدنا أبي طالب أبياتٌ كتبها إلى النجاشي بعدما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي . يحرّض النجاشي على إكرام جعفر والإعراض عمّا يقوله عمرو ، منها :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرٌ ... وعمرو وأعداء النبيِّ الأقارب
وهل نال إحسان النجاشيِّ جعفراً ... وأصحابه أم عاق عن ذاك شاغب ؟
تعلّم أبيت اللعن أنَّك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يشقى إليك المجانب
ونعلم أنَّ اللّه زادك بسطةً ... وأسباب خير كلها بك لازب

تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٧٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ .

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ : ومن شعره المشهور ايضاً قوله يخاطب محمّداً ، ويسكّن جأشه ، ويأمره بإظهار الدعوة :

---

(١) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته جمع فنق وأفناق .

لا يمنعنّك من حقّ تقوم به ... أيدٍ تصول ولا سلق بأصوات
فإنَّ كفّك كفّي إن مليت بهم ... ودون نفسك نفسي في الملمّات

قال ابن هشام : ولمّا خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحرم مكّة وبمكانه منها ، وتودَّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنَّه غير مسلم رسول الله ﷺ ، ولا تاركه لشيء أبداً ، حتّى يهلك دونه فقال أبو طالب :

خليليَّ ما أُذني لأوّل عاذلٍ ... بصغواء في حقٍّ ولا عند باطل
ولَمّا رأيت القوم لا ودَّ فيهم ... وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدوِّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنَّةً(١) ... يعضّون غيظاً خلفنا بالأنامل
صَبَرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول(٢)

* * *

أعوذ بربِّ الناس من كلِّ طاعنٍ ... علينا بسوء أو مُلحٍّ بباطل
ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبةٍ ... ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثورٍ ومَن أرسى ثبيراً مكانه ... وراقٍ ليرقى في حراء ونازل(٣)
وبالبيت حقّ البيت من بطن مكّة ... وبالله إنَّ الله ليس بغافل
وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

* * *

كذبتم وبيت الله نترك مكّة ... ونضعن إلاّ أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزي محمّداً ... ولمّا نُطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتّى نُصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قومٌ بالحديد إليكمُ ... نهوض الرَّوايا تحت ذات الصلاصل(١)

---

(١) أظنة جمع ظنين : المتهم .

(٢) سمراء سمحة : أردا بها قناة لينة تسمح بالإنعطاف عند هزها. العضب : القاطع . المقاول أراد بها السادات .

(٣) ثور ، وثبير ، وحراء : جبال في مكة .

(٤) الروايا : الإبل التي تحمل الماء ، واحدتها : رواية . الصلاصل جمع الصلصلة : الصوت وذات الصلاصل : المزادات التي فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الإبل .

وحتّى نرى ذا الضِّغن يركب ردعه ... من الطعن فعل الأنكب المتحامل (١)
وإنا لعمر الله إن جدَّ ما أرى ... لنلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكفّي فتىً مثل الشهاب سميدع ... أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
شهوراً وأيّاماً وحولاً مجرَّماً (٢) ... علينا وتأتي حجّةٌ بعد قابل
وما ترك قوم ـ لا أبالك ـ سيِّداً ... يحوط الذّمار غير ذربٍ مُواكل (٣)
وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهُلّاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمةٍ وفواضل

* * *

بميزان قسط لا يخيس شعيرةً ... له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل (٤)
لقد سفُهت أحلام قوم تبدّلوا ... بني حلَفٍ قيضاً بنا والغياطل (٥)
ونحن الصميم من ذُؤابة هاشمٍ ... وآلِ قُصيّ في الخطوب الأوائل
وسهمٌ ومخزومٌ تمالوا وألّبوا ... علينا العدى من كل طملٍ وخامل (٦)
فعبد مناف أنتمُ خير قومكم ... فلا تُشركوا في أمركم كلَّ واغل (٧)
ألم تعلموا أنَّ ابننا لا مكذَّبٌ ... لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل ؟
أشمَّ من الشُّمِّ البهاليل ينتمي ... إلى حسب في حومة المجدِ فاضل
لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمد ... وأحببته حبَّ الحبيب المواصل

---

(١) يُقال : ركب ردعه ، أي خرّ صريعاً لوجهه . الأنكب : الذي يمشي على شق .
(٢) حولا مجرّما : أي مكملاً . يُقال : تجرّمت السنة ، إذا كملت وانقضت .
(٣) الذمار : ما يلزمك أن تحميه . ذرب : فاسد . مواكل : يتكل على غيره .
(٤) لا يخيس من قولهم : خاس بالعهد إذا نقضه وأفسده . ويروى «لا يخسّ» أي لا ينقص عائل : جائر .
(٥) قيضاً بنا : عوضاً منّا تقول : قاضه بكذا أي عوضه به . الغيطلة : من بني مرّة بن عبد مناة أخوة مدلج بن مرّة وهي أم الغياطل فقيل لولدها : الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص .
(٦) الطمل : الرجل الفاحش لا يبالي ما صنع . اللئيم . الأحمق . اللص الفاسق .
(٧) كل واغل ، أراد كل ملصق ليس من صميم ، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى .

فلا زال في الدُّنيا جمالاً لأهلها	وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكل
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ	تقصِّر عنه سورةُ المتطاول
حدبت بنفسي دونه وَحَميته	ودافعت عنه بالذرى والكلاكل[1]
فأيَّده ربُّ العباد بنصره	وأظهر ديناً حقُّه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته ج ١ ص ٢٨٦ ـ ٢٩٨ ، أربعة وتسعين بيتاً وقال : هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة . وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه ج ٣ ص ٥٣ ـ ٥٧ ، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال في ص ٥٧ : قلت هذه قصيدةٌ عظيمةٌ بليغةٌ جِدّاً لا يستطيع أنْ يقولها إلَّامن نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلّقات السبع ، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الأمويّ في مغازيه مطوّلة بزيادات أُخر والله أعلم .

وذكرها أبو هفان العبدي في ديوان أبي طالب ص ٢ ـ ١٢ في مائة وأحد عشر بيتاً ولعلّها تمام القصيدة .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٣١٥ بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب : فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنّه إن لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدلُّ على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ومجموعها متواترٌ كما أنَّ كلّ واحدة من قتلات عليّ عليه السلام الفرسان منقولة آحاداً ومجموعها متواترٌ يفيدنا العلم الضروريَّ بشجاعته ، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء إياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك . قالوا : واتركوا هذا كلّه جانباً ما قولكم في القصيدة اللاميَّة التي شهرتها كشهرة قفا نبك . وإن جاز الشكُّ فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشكُّ في قفا نبك وفي بعض أبياتها .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٢ ص ٢٢٧ : قصيدةٌ جليلةٌ بليغةٌ من بحر الطويل وعدَّة أبياتها مائة وعشرة أبيات قالها لمّا تمالأ قريش على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام .

---

(١) حدبت : عطفت ومنعت . الذرى جمع ذرة : أعلى ظهر البعير . الكلاكل جمع كلكل : معظم الصدر .

وذكر منها في المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٨ ، أبياتاً فقال : هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين : إنَّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنَّه كان يعرف نبوَّة النبيِّ ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» وغيره من شأنه . وقال العيني في عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٤ : قصيدةٌ طنّانةٌ وهي مائة بيت وعشرة أبيات أوَّلها :

خليليَّ ما أُذني لأوَّل عاذلٍ بصغواء في حقّ ولا عند باطل

ذكر منها البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص ٢٥٢ ـ ٢٦١ إثنين وأربعين بيتاً مع شرحها وقال أوَّلها :

خليليَّ ما أُذني لأوَّل عاذلٍ بصغواء في حقّ ولا عند باطل
خليليَّ إنَّ الرأي ليس بشركة ولا نهنه عند الأُمور البلابل
ولَمّا رأيت القوم لا ودَّ عندهم وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائل

وذكر الآلوسي عدَّة منها في بلوغ الأرب ج ١ ص ٢٣٧ وذكر كلمة ابن كثير المذكورة وقال : هي مذكورةٌ مع شرحها في كتاب لبِّ لباب لسان العرب .

وذكر منها السيِّد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبويّة هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٨٨ فقال : قال الإمام عبد الواحد[١] السفاقسي في شرح البخاري : إنَّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنَّه كان يعرف نبوَّة النبيِّ ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من أحواله ومنها الإستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوَّته لله جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره .

قال الأميني : أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والإعتراف بالنبوَّة إن لم يكن منها هذه الأساليب المتنوِّعة المذكورة في هذه الأشعار ؟ ولو وُجد واحدٌ منها في شعر أيِّ أحد أو نثره لأصفق الكلُّ على إسلامه ، لكن جميعها لا يدلُّ على إسلام أبي طالب . فاعجب واعتبر .

هذه جملةٌ من شعر أبي طالب عليه السلام الطافح من كلِّ شطره الإيمان

(١) هو ابن التين المذكور في كلام القسطلاني .

الخالص ، والإسلام الصحيح ، قال العلاّمة الأوحد ابن شهر أشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى : ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره﴾ في سورة الحجِّ : إنَّ أشعار أبي طالب الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ويصحِّح نبوَّته . ثمَّ ذكر جملة ضافية وممّا ذكر له في قوله في وصيَّته :

أُوصي بنصر نبيِّ الخير أربعة	إبني عليّاً وشيخ القوم عبّاسا
وحمزة الأسد الحامي حقيقته	وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم أُمِّي وما ولدت	في نصر أحمد دون الناس أتراسا[1]

٢ ـ ما ناء به من عمل بار وقول مشكور :

أمَّا ما ناء به سيِّد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عمل ٍ بارٍّ وسعي مشكور في نصرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وكلاءته والذَّب عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير ، وقد تخلّل ذلك جملٌ من القول كلّها نصوصٌ على إسلامه الصحيح ، وإيمانه الخالص ، وخضوعه للرسالة الإلٰهيَّة ، فإلى الملتقى . روى القوم :

١ ـ قال ابن إسحاق : إنَّ أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً فلمّا تهيَّأ للرحيل وأجمع السير هبّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : يا عمّ إلى مَن تكلني لا أب لي ولا أُمّ لي ؟ فرقّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أُفارقه أبداً . قال : فخرج به معه فلمَّا نزل الركب «بصرى» من أرض الشام وتهيَّأ راهب يُقال له : بحيرا ، في صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانيَّة ، ولم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن ، فلمّا نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرُّون عليه قبل ذلك فلا يكلِّمهم ولا يتعرَّض لهم حتّى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب

(١) في النسخة المطبوعة من متشابهات القرآن تصحيف وتحريف في الأبيات راجع ج ٢ ص ٦٥ .

حين أقبلوا ، وغمامة تظلّه ﷺ من بين القوم . ثمَّ أقبلوا حتّى نزلوا بظلِّ شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلّت الشجرة وتهصّرت يعني تدلّت أغصانها على رسول الله ﷺ حتّى استظلَّ تحتها فلمّا رأى «بحيرا» ذلك نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثمَّ أرسل إليهم فقال : إنّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ! وأنا أحبُّ أن تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وحرُّكم وعبدكم فقال له رجلٌ منهم : يا بحيرا : إنَّ لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنّا نمرُّ بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقولون ولكنكم ضيوف فأحببت أن أُكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلّكم ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة فلمّا نظر «بحيرا» في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده فقال : يا معشر قريش ! لا يتخلّف أحدٌ منكم عن طعامي هذا فقالوا : يا بحيرا ! ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغي أن يأتيك إلاّ غلامٌ هو أحدث القوم سنّاً تخلّف في رحالهم قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجلٌ من قريش : واللاّت والعزّى إنَّ لهذا اليوم نبأ . أيليق أن يتخلّف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا ؟ ثمَّ قام إليه فاحتضنه ثمَّ أقبل به حتّى أجلسه مع القوم فلمّا رآه «بحيرا» جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتّى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرّقوا قام «بحيرا» فقال له : يا غلام أسألك باللاّت والعزّى إلاّ أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللات والعزّى شيئاً قطُّ ، فقال بحيرا : فبالله إلاّ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال : سلني عمّا بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيئته وأُموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند «بحيرا» من صفته ثمَّ نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوَّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده . الحديث . فقال أبو طالب في ذلك :

إنَّ ابن آمنة النبيَّ محمَّداً ... عندي يفوق منازل الأولاد
لَمّا تعلّق بالزمام رحمتُه ... والعيس قد قلّصن[1] بالأزواد

---

(١) قلص القوم : اجتمعوا فساروا . قلصت الناقة : استمرت في مضيّها . تقلص : انضم وانزوى . تدانى .

فارفضّ من عينيّ دمعٌ ذارفٌ ... مثل الجمان مفرِّق الأفراد
راعيتُ فيه قرابةً موصولةً ... وحفظت فيه وصيَّة الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت أنجاد[1]
ساروا لأبعد طيَّة معلومة ... فلقد تباعد طيَّة[2] المرتاد
حتّى إذا ما القوم بصرى عاينوا ... لاقوا على شركٍ من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً ... عنه وردَّ معاشر الحسّاد
قومٌ يهودٌ قد رأوا لمّا رأى ... ظلَّ الغمام وعنَّ ذي الأكباد[3]
ثاروا القتل محمَّد فنهاهمُ ... عنه وجاهد أحسن التجهاد
فثنى زبيراً من بُحيرا فانثنى ... في القوم بعد تجاول وبعاد
ونهى دريساً فانتهى عن قوله ... حبرٌ يوافق أمره برشاد

وقال أيضاً :

ألم ترني من بعد همّ هممته ... بفرقة حرّ الوالدين حرام
بأحمد لمَّا أن شددت مطيَّتي ... برحلي وقد ودَّعته بسلام
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا ... وأخذت بالكفين فضل زمام
ذكرت أباه ثمَّ رقرقتُ عبرةً ... تجود من العينين ذات سجام
فقلت : ترحَّل راشداً في عمومة ... مواسير في البأساء غير لئام
فجاء مع العير التي راح ركبها ... شآميّ الهوى والأصل غير شآم
فلمّا هبطنا أرض بصرى تشرَّفوا ... لنا فوق دورٍ ينظرون جسام
فجاء بُحيرا عند ذلك حاشداً ... لنا بشرابٍ طيِّب وطعام
فقال : اجمعوا أصحابكم لطعامنا ... فقلنا : جمعنا القوم غير غلام
يتيم فقال : ادعوه إنَّ طعامنا ... كثيرٌ عليه اليوم غير حرام

---

(١) مصالت : الماضي في الحوائج . الصلت الجبين : الواضح . أنجاد جمع النجد : الضابط للأمور يذلل المصائب . الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . سريع الإجابة إلى ما دُعي إليه .
(٢) في الموضعين في رواية : طبّة . بالموحدة مؤنث الطبّ بفتح الطاء : الناحية .
(٣) وفي رواية :

قوم يهود قد رأوا ما قد رأوا ... ظلّ الغمامة ناغري الأكباد

فلولا الّذي خبَّرتمُ عن محمَّد ... لكنتم لدينا اليوم غير كرام
فلمّا رآه مقبلاً نحو داره ... يوقِّيه حرَّ الشمس ظلُّ غمام
حنى رأسه شبه السجود وضمَّه ... إلى نحره والصدر أيَّ ضمام
وأقبل ركبٌ يطلبون الذي رأى ... بُحيرا من الأعلام وسط خيام
فثار إليهم خشيةً لعرامهم[(١)] ... وكانوا ذوي بغي لنا وعرام
دريس وتمام وقد كان فيهمُ[(٢)] ... زبيرٌ وكلُّ القوم غير نيام
فجاؤوا وقد همّوا بقتل محمَّد ... فردَّهمُ عنه بحسن خصام
بتأويله التوراة حتى تيقّنوا ... وقال لهم : رمتم أشَدَّ مرام
أتبغون قتلاً للنبيِّ محمَّدٍ ... خصصتم على شؤم بطول أنام
وإنَّ الذي نختاره منه مانعٌ ... سيكفيه منكم كيد كلِّ طغام
فذلك من أعلامه وبيانه ... وليس نهارٌ واضحٌ كظلام

ديوان أبي طالب ص ٣٣ ـ ٣٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ ، الروض الأنف ج ١ ص١٢٠ .

وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٤ فقال في ص ٨٥ : وقال أبو طالب في ذلك أبياتاً منها :

فما رجعوا حتّى رأوا من محمَّد ... أحاديث تجلو غمَّ كلِّ فؤاد
وحتّى رأوا أحبار كلِّ مدينةٍ ... سجوداً له من عصبةٍ وفراد
زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً ... دريساً وهمُّوا كلّهم بفساد
فقال لهم قولاً بُحيرا وأيقنوا ... له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرهط الذين تهوَّدوا ... وجاهدهم في اللّه كلّ جهاد
فقال ولم يترك له النصح : رُدّه ... فإنَّ له إرصاد كلِّ مصاد
فإنِّي أخاف الحاسدين وإنَّهُ ... لفي الكتب مكتوبٌ بكلِّ مداد

---

(١) العرام : الشراسة والأذى .
(٢) دريس ، وتمام ، وزبير ـ في بعض النسخ : زدير . أحبار من اليهود .

٢ ـ استسقاء أبي طالب بالنبيِّ (ص) :

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكـة وهـم في قحط فقـالت قريش : يـا أبا طـالـب ! أقحط الـوادي ، وأجـدب العيـال ، فهلمَّ واستسقِ فخـرج أبو طـالـب ومعه غـلامٌ كأنَّـه شمسٍ دجن تجلّت عنه سحـابةٌ قتمـاء وحوله أُغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذَ بإصبعه الغلام ، ومـا في السماء قزعة[١] فأقبل السحاب من هٰهنـا وهٰهنا وأغـدق واغدودق وانفجـر له الـوادي وأخصب البادي والنادي ففي ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يُستسقى الغمـام بـوجهـه ... ثمـال اليتامى عصمـة لـلأرامـل
يـلوذ بـه الهـلاّك من آل هـاشـم ... فهم عنـده في نعمـةٍ وفـواضـل
وميـزان عـدل لا يـخيس شعيـرة ... ووزّان صـدق وزنـه غيـر هـائـل

شرح البخاري للقسطلاني ج ٢ ص ٢٢٧ ، المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٨ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٦ ، ١٢٤ ، شرح بهجة المحافل ج ١ ص ١١٩ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ١٢٥ ، السيـرة النبويَّـة لزيني دحلان هامش الحلبيَّـة ج ١ ص ٨٧ ، طلبة الطالب ص ٤٢ .

ذكـر الشهرستـاني في الملل والنحل بهـامش الفصـل ٣ ص ٢٢٥ سيِّـدنـا عبد المطلب وقال : وممّا يدلُّ على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوّة أنّ أهل مكّـة لمّا أصابهم ذلك الجدب العظيم وأمسك السحاب عنهم سنتين أمر أبا طالب إبنه أن يحضـر المصطفى عليـه الصّلاة والسّـلام وهو رضيـعٌ في قماط فـوضعه على يـديـه واستقبل الكعبة ورماه إلى السّماء وقال : ياربّ بحقّ هذا الغلام . ورماه ثانيـاً وثالثـاً وكان يقول : بحقِّ هذا الغلام إسقنـا غيثاً مغيثـاً دائماً هـاطلاً . فلم يلبث سـاعة أن طبَّق السحاب وجه السَّماء وأمطر حتَّى خافوا على المسجـد وأنشد أبـو طالب ذلـك الشعر اللاّمي الذي منه :

وأبيض يستسقى الغمـام بـوجهـه ... ثمـال اليتـامى عصمـة لـلأرامـل

---

(١) القزعة : القطعة من السحاب .

ثمَّ ذكر أبياتاً من القصيدة ، ولا يخفى على الباحث أنَّ القصيدة نظمها أبو طالب عليه السلام أيّام كونه في الشعب كما مرّ .

فاستسقاء عبد المطلب ،وابنه سيّد الأبطح بالنبيِّ الأعظم يوم كان صلى الله عليه وآله وسلم رضيعاً ويافعاً يُعرب عن توحيدهما الخالص ، وإيمانهما بالله ، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة ، وقداسة صاحبها من أوّل يومه ، ولو لم يكن لهما إلاَّ هذين الموقفين لكفياهما كما يكفيان الباحث عن دليل آخر على اعتناقهما الإيمان .

٣ ـ أبو طالب في مولد أمير المؤمنين (ع) :

عن جابر بن عبد الله قال : سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد عليٍّ بن أبي طالب فقال : لقد سألتني عن خير مولود وُلد في شبيه المسيح عليه السلام إنَّ الله تبارك وتعالىٰ خلق عليّاً من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد . ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكيَّة فما نقلت من صلب إلاَّ ونقل عليٌّ معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة . واستودع عليّاً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد . وكان في زماننا رجلٌ زاهدٌ عابدٌ يُقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عَبدَ الله تعالىٰ مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجةً فبعث الله إليه أبا طالب فلمّا أبصره المبرم قام إليه وقبَّل رأسه وأجلسه بين يديه ثمَّ قال له : من أنت ؟ فقال : رجلٌ من تهامة . فقال : من أيِّ تهامة ؟ فقال : من بني هاشم . فوثب العابد فقبَّل رأسه ثمَّ قال : يا هذا إنَّ العليَّ الأعلىٰ ألهمني إلهاماً . قال أبو طالب : وما هو ؟ قال : ولدٌ يولد من ظهرك وهو وليُّ الله عزَّ وجلَّ ، فلمّا كان الليلة التي وُلد فيها عليٌّ أشرقت الأرض فخرج أبو طالب وهو يقول : أيُّها الناس وُلد في الكعبة وليُّ الله فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول :

يا ربَّ هذا الغسق الدجيِّ ... والقمر المنبلج المضيِّ
بيِّن لنا من أمرك الخفيِّ ... ماذا ترى في اسم ذا الصبيِّ ؟

قال : فسمع صوت هاتف يقول :

يا أهل بيت المصطفى النبيِّ ... خصصتم بالولد الزكيِّ
إنَّ اسمه من شامخ العليِّ ... عليٌّ من اشتقَّ من العليِّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٦٠ وقال : تفرَّد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي ، وتفرَّد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروفٌ عندنا .

٤ - بدء أمر النبيِّ وأبو طالب :

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمَّد الدينوري في كتابه - نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرَّسول[١] - بإسناده عن طاوس عن ابن عبّاس في حديث طويل : إن النبيَّ ﷺ قال للعبّاس رضي الله عنه : إنَّ الله قد أمرني بإظهار أمري وقد أنبأني واستنبأني فما عندك ؟ فقال له العبّاس رضي الله عنه : يابن أخي تعلم أنَّ قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك ، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامّة الطمّاء والداهية العظيمة ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً ، صِلنا ولكن قرِّب إلى عمِّك أبي طالب فإنّه كان أكبر أعمامك إنْ لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك ، فأتياه فلمّا رآهما أبو طالب قال : إنَّ لكما لظنَّة وخبراً ما جاء بكما في هذا الوقت ؟ فعرَّفه العبّاس ما قال له النبيُّ ﷺ وما أجابه به العبّاس فنظر إليه أبو طالب وقال له : أُخرج ابن أبي فإنّك الرفيع كعباً ، والمنيع حزباً ، والأعلىٰ أباً ، والله لا يسلقك لسانٌ إلاَّ سلقته ألسنٌ حداد ، واجتذبته سيوفٌ حداد ، والله لتذلّنَّ لك العرب ذلَّ البهم لحاضنها ، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ولقد قال : إنَّ من صلبي لنبيّاً لوددت أنِّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به .

قال الأميني : أترى أنَّ أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به ؟ فينشّط رسول الله ﷺ هذ التنشيط لأوّل يومه ، ويأمره بإشهار أمره والإشادة بذكر الله وهو مخبتٌ بأنَّه هو ذلك النبيُّ الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة ، ويتكهّن بخضوع العرب له ، أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلّها ثمَّ لا يُؤمن به ؟ إن هذا إلاَّ اختلاق .

---

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاوس ص ٨٥ ، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

٥ ـ أبو طالب وفقده النبيَّ (ص) :

ذكر ابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى ص ١٨٦ ج ١ ط مصر وص ١٣٥ ط ليدن حديث ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره ﷺ إلى أن قال : فاشمأزّوا ونفروا منها (يعني من مقالة محمّد) وغضبوا وقاموا وهم يقولون: إصبروا على آلهتكم ، إنَّ هذا لشيءٌ يُراد . ويُقال : المتكلّم بهذا : عقبة بن أبي معيط . وقالوا : لا نعود إليه أبداً ، وما خير من أن نغتال محمّداً ، فلمّا كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله ﷺ وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه ، فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب ثمَّ قال : ليأخذ كلُّ واحد منكم حديدةً صارمة ، ثمَّ ليتبعني إذا دخلت المسجد ، فلينظر كلّ فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم : ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فإنّه لم يغب عن شرّ إن كان محمَّد قد قُتل ، فقال الفتيان : نفعل ، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال ، فقال : يا زيد ! أحسست ابن أخي ؟ قال : نعم كنت معه آنفاً . فقال أبو طالب : لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه ؛ فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدَّثون ، فأخبره الخبر ، فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب ، فقال : يا بن أخي ! أين كنت ؟ أكنت في خير ؟ قال : نعم . قال : أُدخل بيتك ، فدخل رسول الله ﷺ فلمّا أصبح أبو طالب غدا على النبيِّ ﷺ فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميّون والمطلبيّون فقال : يا معشر قريش ! هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا : لا : فأخبرهم الخبر ، وقال للفتيان : إكشفوا عمّا في أيديكم . فكشفوا ، فإذا كلُّ رجل منهم معه حديدةٌ صارمةٌ . فقال : والله لو قتلتموه ما بقّيت منكم أحداً ، حتّى نتفانى نحن وأنتم ، فانكسر القوم وكان أشدُّهم إنكساراً أبو جهل .

لفظ آخر :

وأخرج الفقيه الحنبلي إبراهيم بن عليٍّ بن محمَّد الدينوري في كتابه ـ نهاية الطلب[1] ـ بإسناده عن عبد الله بن المغيرة بن معقب قال : فقد أبو طالب رسول

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاووس ص ٨٥ .

الله صلى الله عليه وآله وسلم فظنَّ أنَّ بعض قريش إغتاله فقتله فبعث إلى بني هاشم فقال : يا بني هاشم أظنُّ أنَّ بعض قريش إغتال محمَّداً فقتله فليأخذ كلُّ واحد منكم حديدةً صارمةً وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش فإذا قلت : أبغي محمَّداً . قتل كلٌّ منكم الرجل الذي إلى جانبه ، وبلغ رسول الله جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا فأتى أبا طالب وهو في المسجد فلمّا رآه أبو طالب أخذ بيده ثمَّ قال : يا معشر قريش ! فقدت محمَّداً فظننت أنَّ بعضكم اغتاله فأمرت كلَّ فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدةً ويجلس كلُّ واحد منهم إلى عظيم منكم فإذا قلت : أبغي محمَّداً : قتل كلُّ واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه ، فاكشفوا عمّا في أيديكم يا بني هاشم ! فكشف بنو هاشم عمّا في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك فعندها هابت قريش رسول الله ﷺ ثمَّ أنشأ أبو طالب :

ألَّا أبلغ قريشاً حيث حلّت ... وكلُّ سرائر منها غرور
فإنّي والضوابح عاديات[1] ... وما تتلو السفاسرة الشهور[2]
لآل محمّد راعٍ حفيظ ... وودّ الصدر منّي والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ... ولو جرَّت مظالمها الجزور
أيأمر جمعهم أبناء فهر ... بقتل محمَّد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ... ولا أمَّت رشاداً إذ تشير
بُنيّ أخي ونوط القلب منّي ... وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان ريّاً ... وأحمد قد تضمَّنه القبور
أيا بن الأنف أنف بني قُصيّ[3] ... كأنَّ جبينك القمر المنير

لفت نظر :

قال شيخنا العلاّمة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٣١ روى جامع الديوان - يعني ديوان أبي طالب - نحو هذا الخبر مرسلاً ثمَّ ذكر الأشعار هكذا فذكر الأشعار

---

(١) في تاج العروس ج ٣ ص ٢٧٢ «فإنّي والسوابح كلّ يوم» وفي ص ٣٢٠ «فإنّي والضوائح كل يوم» .

(٢) السفاسرة : أصحاب الأسفار وهي الكتب . الشهور : العلماء جمع الشهر . كذا فسر البيت كما في تاج العروس ج ٣ ص ٢٧٢ ، ٣٢٠ .

(٣) الأنف : السيد .

وفيها زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر وهي لا توجد في الديوان المطبوع لسيِّدنا أبي طالب .

لفظٌ ثالثٌ :

وقال السيِّد فخار بن معد في كتابه «الحجَّة» ص ٦١ : وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرّحمٰن بن محمَّد بن الجوزي المحدِّث البغدادي (وكان ممَّن يرى كفر أبي طالب ويعتقده) بواسط العراق سنة إحدى وتسعين وخمسمائة بإسناد له إلى الواقدي قال : كان أبو طالب بن عبد المطلب لا يغيب صباح النبيِّ ولا مساءه ، ويحرسه من أعدائه ، ويخاف أن يغتالوه، فلمّا كان ذات يوم فقده فلم يره وجاء المساء فلم يره وأصبح الصباح فطلبه في مظانِّه فلم يجده فلزم أحشاءه وقال : وا ولداه وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه فقال لهم : إنَّ محمّداً قد فقدته في أمسنا ويومنا هذا ولا أظنُّ إلاَّ أنَّ قريشاً قد اغتالته وكادته وقد بقي هذا الوجه ما جئته وبعيدٌ أن يكون فيه واختار من عبيده عشرين رجلاً ، فقال : امضوا وأعدّوا سكاكين وليمض كلُّ رجل منكم وليجلس إلى جنب سيّد من سادات قريش فإن أتيت ومحمَّد معي فلا تُحدثن أمراً وكونوا على رسلكم حتّى أقف عليكم ، وإن جئت وما محمَّد معي فليضرب كلُّ منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش فمضوا وشحذوا سكاكينهم حتّى رضوها ، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أراده ومعه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكّة قائماً يصلّي إلى جنب صخرة فوقع عليه وقبّله وأخذ بيده وقال : يابن أخ! قد كدت أن تأتي على قومك، سر معي ، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوسٌ عند الكعبة فلمّا رأوه قد جاء ويده في يد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمَّد إنَّ له لشأناً ، فلمَّا وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده : أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كلُّ واحد منهم ما في يده فلمّا رأوا السكاكين قالوا : ما هذا يا أبا طالب ؟ قال : ما ترون ؛ إنِّي طلبت محمَّداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم : إن جئت وليس محمَّدٌ معي فليضرب كلٌّ منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذنِّي فيه ولو كان هاشميّاً فقالوا : وهل كنت فاعلاً ؟ فقال : أي وربِّ هذه وأومى إلى الكعبة ، فقال له المطعم بن عدي بن

نوفل بن عبد مُناف وكان من أحلافه : لقد كدت تأتي على قومك ؟ قال هو ذلك . ومضى به وهو يقول :

إذهب بُنيَّ فما عليك غضاضةٌ إذهب وقرَّ بذاك منك عيونا
واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أُوسَّد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وذكرت ديناً لا محالة إنّه من خير أديان البريَّة دينا(١)

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والإستعطاف وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم .

قال الأميني : هذا الشيخ الأبطح يروقه أن يُضحّي كلّ قومه دون نبيِّ الإسلام وقد تأهّب لأن يطأ القوميّات كلّها والأواصر المتّشجة بينه وبين قريش بأخمص الدين . فحيّاها الله من عاطفة إلٰهيَّة ؛ وآصرة دينيَّة هي فوق أواصر الرَّحم .

٦ - أبو طالب في بدء الدعوة :

لمّا نزلت : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾(٢) . خرج رسول الله ﷺ فصعد على الصفا فهتف : ياصباحاه . فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدِّقي ؟ قالوا : نعم ما جرَّبنا عليك كذباً . قال : فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك ، أما جمعتنا إلاَّ لهذا ؟ ثمَّ أحضر قومه في داره فبادره أبو لهب وقال : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمِّك فتكلّم ودع الصبأة(٣) واعلم أنّه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وإنَّ أحقّ من أخذك فحبسك بنو أبيك ، وإن أقمت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن ينبَّ لك بطون قريش ، وتمدَّهم العرب فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرٍّ ممّا جئتهم به. فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلّم .

---

(١) راجع ما أسلفناه ص ٣٧٤ .
(٢) مرّ حديثها في الجزء الثاني ص ٣٢٣
(٣) الصبأ : الخروج من دين إلى دين آخر .

ثمَّ دعاهم ثانية وقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأُومن بـه وأتوكَّل عليه وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له . ثمَّ قال : إنَّ الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلَّا هو انِّي رسول الله إليكم خاصَّة وإلى الناس عامَّة ، والله لتموتنَّ كما تنامون ، ولتبعثنَّ كما تستيقظون ، ولتحاسبنَّ بماتعملون ، وإنَّها الجنَّة أبداً والنار أبداً .

فقال أبو طالب : ما أحبَّ إلينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشدَّ تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنَّما أنا أحدهم غير أنِّي أسرعهم إلى ما تحبُّ ، فامضِ لما أُمرت به ، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أنَّ نفسي لا تُطاوعني على فراق دين عبد المطلب[1] .

قال الأميني : لم يكن دين عبد المطلب سلام الله عليه إلَّا دين التوحيد والإيمان بالله ورسله وكتبه غير مشوب بشيء من الوثنيَّة ، وهو الذي كان يقول في وصاياه : إنَّه لن يخرج من الدنيا ظلومٌ حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة . إلى أن هلك ظلومٌ لم تصبه عقوبة . فقيل له في ذلك ففكّر في ذلك فقال : والله إنَّ وراء هذه الدار دارٌ يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته ، وهو الذي قال لأبرهة : إنَّ لهذا البيت ربّاً يذبُّ عنه ويحفظه ، وقال وقد صعد أبا قبيس :

لا هُمَّ أنَّ المرء يمنع ... حلّه فامنع حلالك
لا يغلبنَّ صليبهم ... ومحالهم عدوا محالك
فانصر على آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمرٌ ما بدا لك[2]

ويُعرب عن تقدُّمه في الإيمان الخالص والتوحيد الصَّحيح إنتماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه ومباهاته به يوم حُنين بقوله :

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني هامش الفصل ج ٣ ص ٢٢٤ ، الدرج المنيفة للسيوطي ص ١٥ ، مسالك الحنفاء ص ٣٧ .

أنا النبيُّ لا كَذِب أنا ابن عبد المطَّلب[١]

وقد أجاد الحافظ شمس الدين بن ناصر بن الدمشقي في قوله :

تنقَّل أحمد نوراً عظيماً تلألأ في جباه الساجدينا
تقلّب فيهمُ قرناً فقرناً إلى أن جاء خير المرسلينا[٢]

وهذا هو الذي أراده أبو طالب سلام الله عليه بقوله : نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب . وهو صريح بقيَّة كلامه ، وقد أراد بهذا السياق التعمية على الحضور لئلّا يناصبوه العداء بمفارقتهم ، وهذا السياق من الكلام من سنن العرب في محاورتهم ، قد يريدون به التعمية ، وقد يراد به التأكيد للمعنى المقصود كقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أنَّ سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائب

ولو لم يكن لسيِّدنا أبي طالب إلَّا موقفه هذا لكفى بمفرده في إيمانه الثابت ، وإسلامه القويم ، وثباته في البدء .

قال ابن الأثير : فقال أبو لهب : هذه والله السوء خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنَّه ما بقينا . وفي السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٠٤ : إنَّ الدعوة كانت في دار أبي طالب .

قال عقيل بن أبي طالب : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إنَّ ابن أخيك يُؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويُسمعنا ما نكره فإن رأيت أن تكفَّه عنّا فافعل . فقال لي : يا عقيل ! إلتمس لي ابن عمِّك فأخرجته من كبس من كباس أبي طالب فجاء يمشي معي يطلب الفيء يطأ فيه لا يقدر عليه حتَّى انتهى إلى أبي

---

(١) طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٦٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٩ .
(٢) مسالك الحنفا للسيوطي ص ٤٠ ، الدرج المنيفة ص ١٤ .

طالب فقال : يا بن أخي ! والله لقد كنت لي مطيعاً جاء قومك يزعمون أنَّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم فتؤذيهم وتسمعهم ما يكرهون ، فإن رأيت أن تكفَّ عنهم . فحلق بصره إلى السَّماء وقال : والله ما أنا بقادر أن أردَّ ما بعثني به ربِّي ، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً . فقال أبو طالب : والله ما كذب قطُّ فارجعوا راشدين .

قال الأميني : هكذا أخرجه البخاري في تاريخه بإسناد رجاله كلّهم ثقات ، وبهذا اللفظ ذكره المحبُّ الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٢٣ . غير أنَّ ابن كثير لمّا رأى لكلمة : راشدين . قيمة في إيمان أبي طالب فحذفها في تاريخه ج ٣ ص ٤٢ . حيّا الله الأمانة .

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٧١ حديث الدعوة عن عليّ وفيه : ثمَّ قال لهم ﷺ : من يؤازرني على ما أنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنَّة ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، وإنِّي لأحدثهم سنّاً ، وأحمشهم ساقاً . وسكت القوم ، ثمَّ قالوا : يا أبا طالب ! ألا ترى إبنك ؟ قال : دعوه فلن يألو[1] ابن عمّه خيراً .

وروى أبو عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن ابن الأعرابي انَّه قال في لغة - العور - إنَّه الرديّ من كلِّ شيء قال : ومن العور ما في رواية ابن عبّاس . ثمَّ ذكر حديث عليّ ؁ بطوله إلى أن قال : فلمّا أراد النبيُّ ﷺ أن يتكلَّم اعترضه أبو لهب فتكلّم بكلمات وقال : قوموا . فقاموا وانصرفوا . قال : فلمّا كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب ودعوتهم فأقبلوا ودخلوا فأكلوا وشربوا فقام رسول الله ﷺ ليتكلَّم فاعترضه أبو لهب فقال له أبو طالب : اسكت يا أعور ! ما أنت وهذا ؟ ثمَّ قال : لا يقومنَّ أحدٌ . فجلسوا ثمَّ قال للنبيِّ ﷺ : قم يا سيِّدي فتكلَّم بما تحبّ وبلِّغ رسالة ربِّك فإنَّك الصّادق المصدَّق .

وإلى هذا الحديث وكلمة أبي طالب - اسكت يا أعور ! ما أنت وهذا ؟ - وقع الإيعاز إليه في النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٦ ، والفائق للزمخشري ج ٢ ص ٩٨

---

(١) يألو : يقصر .

نقلاً عن ابن الأعرابي ، وفي لسان العرب ج ٦ ص ٢٩٤ ، تاج العروس ج ٣ ص ٤٢٨ .

قال الأميني : أيّ كافر طاهر هذا سلام الله عليه وهو يدافع عن الإسلام المقدّس بكلّ حوله وطوله ، ويسلق رجال قومه بلسان حديد ، ويحضُّ النبيَّ الأعظم على الدَّعوة وتبليغ رسالته عن ربِّه ، ويراه الصّادق المصدَّق ؟ .

٧ - قول أبي طالب لعليّ : إلزم ابن عمِّك :

قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصَّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليُّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصَّلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أنْ يمكثا ، ثمَّ إنَّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يُصلّيان فقال لرسول الله ﷺ : يا بن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عمّ ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم .

وذكروا أنَّه قال لعليّ : أي بنيَّ ! ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدَّقته بما جاء به ، وصلَّيت معه للّه واتَّبعته ، فزعموا أنَّه قال له : أما إنَّه لم يدعك إلاَّ إلى خير . فالزمه . وفي لفظ عن عليّ : إنَّه لمَّا أسلم قال له أبو طالب : إلزم ابن عمِّك .

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٤ ، تفسير الثعلبي ، عيون الأثر ج ١ ص ٩٤ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، أسنى المطالب ص ١٠ .

وفي شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ : روي عن عليّ قال : قال أبي : يا بنيَّ! إلزم ابن عمِّك فإنَّك تسلم به من كلِّ بأس عاجل وآجل ثمَّ قال لي :

إنَّ الوثيقة في لزوم محمَّد ... فاشدد بصحبته عليُّ يديكا

فقال : ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي ... عند مُلمِّ الزمان والنوب

لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما   أخي لأُمّي من بينهم وأبي
واللّه لا أخذل النبيَّ ولا   يخذله من بنيّ ذو حسب

هذه الأبيات الثلاث توجد في ديوان أبي طالب أيضاً ص ٣٦ وذكرها العسكري في كتاب الأوائل قال : إنَّ أبا طالب مرَّ بالنبيِّ ﷺ ومعه جعفر فرأى رسول الله ﷺ يصلّي وعليٌّ معه فقال لجعفر : يا بنيَّ ! صل جناح ابن عمِّك . فقام إلى جنب عليّ فأحسَّ النبيُّ فتقدَّمهما وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا فانصرف أبو طالب مسروراً وأنشأ يقول :

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي   عند ملمِّ الزمان والنوب

وذكر أبياتاً لم يذكرها ابن أبي الحديد ومنها :

نحن وهذا النبيُّ ننصره   نضرب عنه الأعداء كالشهب

وأخرج أبو بكر الشيرازي في تفسيره : إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أُنزل عليه الوحي أتى المسجد الحرام وقام يصلّي فيه فاجتاز به عليٌّ عليه السلام وكان ابن تسع سنين فناداه : يا عليّ ! إليَّ أقبل ، فأقبل إليه ملبّياً فقال له النبيُّ : إنّي رسول الله إليك خاصّة وإلى الخلق عامّة فقف عن يميني وصلِّ معي . فقال : يا رسول الله ! حتى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي ؛ فقال له : إذهب فإنّه سيأذن لك ، فانطلق إليه يستأذنه في اتِّباعه ، فقال : ياولدي ! نعلم أنَّ محمَّداً أمين الله منذ كان ، إمض إليه واتَّبعه ترشد وتفلح . فأتى عليٌّ عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائمٌ يصلّي في المسجد فقام عن يمينه يُصلّي معه فاجتاز أبو طالب بهما وهما يصلّيان فقال : يا محمَّد ما تصنع ؟ قال : أعبد إله السَّماوات والأرض ومعي أخي عليّ يعبد ما أعبد وأنا أدعوك إلى عبادة الواحد القهّار فضحك أبو طالب حتّى بدت نواجذه وأنشأ يقول :

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم   حتّى أُغيَّب في التراب دفينا

إلى آخر الأبيات التي أسلفناها ص ٣٧٤ .

٨ ـ قول أبي طالب : صِل جناح ابن عمِّك :

أخرج ابن الأثير : إنَّ أبا طالب رأى النبيَّ ﷺ وعليّاً يصلّيان وعليٌّ إلى يمينه

فقال لجعفر رضي الله تعالىٰ عنه : صِل جناح ابن عمِّك ، وصَلِّ عن يساره ، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه عليٍّ بقليل . وقال أبو طالب :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهراً للدين وُفِّقت صابرا
وحط مَن أتى بالحقِّ من عند ربِّه ... بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمزُ كافرا
فقد سرَّني إذ قلت : إنَّك مؤمنٌ ... فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشاً بالذي قد أتيته ... جهاراً وقل : ما كان أحمد ساحرا

اسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٥ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٦ ، أسنى المطالب ص ٦ وقال : قال البرزنجي : تواترت الأخبار أنَّ أبا طالب كان يُحبُّ النبيَّ ﷺ ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه . ويُصدِّقه فيما يقوله ؛ ويأمر أولاده كجعفر وعليّ باتِّباعه ونصرته .

وقال في ص ١٠ : قال البرزنجي : هذه الأخبار كلّها صريحةٌ في أنَّ قلبه طافحٌ وممتلىءٌ بالإيمان بالنبيِّ ﷺ .

٩ ـ أبو طالب وحنوه على النبيِّ (ص) :

قال أبو جعفر محمَّد بن حبيب رحمه الله في أماليه : كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبد الله أخاه لأبويه وكان شديد الحبِّ والحنوِّ عليه ، وكذلك كان عبد المطَّلب شديد الحبِّ له ، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيات إذا عرف مضجعه فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع إبنه عليّاً مكانه ، فقال له عليٌّ ليلة : يا أبت إنِّي مقتولٌ . فقال له :

إصبرَن يا بنيَّ فالصبر أحجى ... كلُّ حيٍّ مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغرِّ ذي الحسب الثا ... قب والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى[1] ... فمصيبٌ منها وغير مصيب

---

(١) في بعض المصادر : تترى .

كـلُّ حـيٍّ وإن تـملّى بـعـمـرٍ(١) آخـذٌ من مـذاقـهـا بـنـصـيـب

فأجـاب عليٌّ بقوله :

أتـأمـرني بـالصبـر في نصـر أحمـد ؟ ووالـلّه مـا قلت الـذي قلت جـازعـا
ولـكـنّـني أحـببـت أن تـرَ نـصـرتـي وتـعـلـم أنّـي لـم أزل لـك طـائـعـا
سـأسعى لـوجـه اللّه في نصـر أحمـد نبيِّ الهـدى المحمـود طفـلاً ويـافعـا

وذكـره ابن أبي الحديـد نقلاً عن الأمـالي ج ٣ ص ٣١٠ وهنـاك تصحيفٌ في البيت الثـاني والثالث من أبيـات أبي طالب صحّحنـاه من طبقات السيِّـد علي خـان الناقل عن شرح ابن أبي الحديد المخطوط ، وذكر القصَّة أبو علي الموضح العمري العلوي كما في كتابه (الحجَّة) ص ٦٩ .

قال الأميني : إنَّ القرابة والرحم تبعثان على المحاماة إلى حدّ محـدود ، لكنَّه إذا بلغت حدَّ التضحية بولد كأمير المؤمنين هو أحب العالمين إلى والـده فهناك يقف التفاني على موقفه ، فلا يستسهـل الوالـد أن يعرض إبنـه على القتل كـلَّ ليلة فينيمه على فـراش المفـدَّى ، ويستعـوض منه ابن أخيـه ، إلاَّ أن يكون منـدفعاً الى ذلـك بـدافع دينيٍّ وهـو معنى اعتنـاق أبي طـالب بـالـدين الحنيف ، وهـو الـذي تعـطيـه المحاورة الشعريَّة بين الوالد والولد فترى الولد يصارح بالنبـوَّة فلا ينكـر عليه الـوالد بأنَّ هذا التهالك ليس إلاَّ بـدافعٍ قـوميّ غير فـاتر عن حضِّ إبنـه على ما يبتغيـه من النصرة ولا متثبِّط عن النهوض بها (فسلام الله على والد وما ولد) .

١٠ ـ أبو طالب وابن الزبعرى :

قال القرطبي في تفسيره ص ٤٠٦ : روى أهل السير قال : كـان النبيُّ ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلّي ، فلمّا دخل في الصّلاة قال أبـو جهل ـ لعنـه الله ـ : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبعـرى فأخـذ فرثـاً ودماً فلطخ به وجه النبيِّ ﷺ ، فانفتل النبيُّ ﷺ من صلاته ، ثمَّ أتى أبا طـالب عمَّه فقال : يا عمّ ! ألا ترى إلى ما فُعِلَ بي ؟ فقال أبـو طالب : من فعـل هذا بـك ؟!

(١) في مصادر مخطوطة عتيقة : كل حيّ وإن تطاول عمراً .

فقال النبيُّ ﷺ عبد الله بن الزبعرى . فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتّى أتى القوم فلمّا رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون فقال أبو طالب والله لئن قام رجلٌ لجللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بُنيَّ مَنِ الفاعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبعرى ؛ فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم ، وأساء لهم القول .

حديث موقف أبي طالب هذا يوجد في غير واحد من كتب القوم وقد لعبت به أيدي الهوى وسنوقفك إن شاء الله على حقِّ القول فيه تحت عنوان [أبو طالب في الذكر الحكيم] .

١١ - سيِّدنا أبو طالب وقريش :

قال ابن إسحاق : لَمّا بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه فيما بلغني حتّى ذكر آلهتهم وعابها ، فلمّا فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلّا من عصم الله تعالىٰ منهم بالإسلام وهم قليلٌ مستخفون ، وحَدب[١] على رسول الله ﷺ عمّه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره ، لا يردُّه عنه شيءٌ .

وقال : إنَّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا بن أخي ! إنَّ قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أُطيق ، قال : فظنَّ رسول الله ﷺ أنّه قد بدا لعمِّه فيه بداء ، وأنّه خاذله ومسلمه ، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : يا عمُّ ! والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . قال : ثمَّ استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثمَّ قال : فلمّا ولّى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يابن أخي ! قال : فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : إذهب يابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أُسلمك لشيء أبداً .

---

(١) حدب : عطف عليه ومنع له .

ثمَّ إنَّ قريشاً حين عرفوا أنَّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتىً في قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره.واتّخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذي قد خالفك دينك ودين آبائك وفرَّق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنَّما هو رجلٌ برجل ، قال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني إبنكم أغذوه لكم وأعطيكم إبني تقتلونه ؟ ! هذا والله مالا يكون أبداً . قال : فقال المطعم بن عديّ بن نوفل : والله يا أبا طالب ! لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلّص ممّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال .

قال : فحقب الأمر ، وحميت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادى بعضهم بعضاً ، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عديّ ويعمُّ من خذله من عبد مُناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمرو والوليد ومطعمٍ	ألا ليت حظّي من حياطتكم بَكر[١]
من الخور حبحابٌ كثيرٌ رُغاؤه	يُرشُّ على الساقين من بوله قطر[٢]
تخلّف خلف الورد ليس بلاحقٍ	إذا ما علا الفيفاء قيل له : وَبر[٣]
أرى أخوينا من أبينا وأمِّنا	إذا سُئلا قالا : إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمرٌ ولكن تجرجما	كما جرجمت من رأس ذي علقٍ صخر[٤]
أخصّ خصوصاً عبد شمس ونوفلاً	هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما	فقد أصبحا منهم أكفّهما صفْر

---

(١) البكر : الفتى من الإبل .

(٢) الخور جمع أخور : الضعيف . حبحاب بالمهملتين : القصير . ويروى بالجيمين المعجمتين : الكثير الكلام . ويروى بالخاء المعجمة ومعناه : الضعيف .

(٣) الفيفاء : الأرض القفر . وبر : دويبة على قدر الهرّة .

(٤) تجرجما : سقطا وانحدرا ، يُقال : تجرجم الشيء إذا سقط . ذو علق : جبل في ديار بني أسد .

هما أشركا في المجد من لا أبا له ... من الناس إلّا أن يُرسَّ له ذكر[(١)]

وتيمٌ ومخزومٌ وزهرة منهمُ ... وكانوا لنا مولىً إذا بُغي النصر

فوالله لا تنفكُّ منّا عداوةٌ ... ولا منهمُ ما كان من نسلنا شفر[(٢)]

فقد سفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفرٍ بئس ما صنعت جفر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما. قال الأميني : حذف ابن هشام منها ثلاث أبيات لا تخفى على أيِّ أحد غايته الوحيدة فيه ، وإنَّ الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره . ألا وهي :

وما ذاك إلَّا سؤدد خصَّنا به ... إلٰه العباد واصطفانا له الفخر

رجالٌ تمالوا حاسدين وبغضة ... لأهل العلى فبينهمُ أبداً وتر

وليد أبوه كان عبداً لجدِّنا ... إلى علجة زرقاء جال بها السحر

يريد به الوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبيِّ الأعظم ومن الَّذين مشوا إلى أبي طالب عليه السلام في أمر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد نزل فيه قوله تعالىٰ : ﴿**ذرني ومن خلقت وحيدا**﴾[(٣)] وكان يسمّى : الوحيد . في قومه .

ثمَّ قام أبو طالب ـ حين رأى قريش يصنعون ما يصنعون ـ في بني هاشم وبني المطّلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه ، وأجابوه ما دعاهم إليه إلاَّ ما كان من أبي لهب عدوِّ الله الملعون .

فلمّا رأى أبو طالب من قومه ما سرج في جهدهم معه وحدبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ؛ ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ، ومكانه منهم ، ليشدّ لهم رأيهم ، وليحدبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ ... فعبد مُنافٍ سرّها وصميمها[(٤)]

---

(١) يرسّ له ذكر : يذكر ذكراً خفيفاً . رسّ الحديث : حدّث به في خفاء .

(٢) شفر : أحد . يُقال : ما بالدار شفر ، أي ما بها أحد .

(٣) الروض الأنف ج ١ ص ١٧٣ ، تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٥٦٢ ، الكشاف ج ٣ ص ٢٣٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٣ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٤) سرّها وصميمها : خالصها وكريمها . يُقال : فلان من سرّ قومه . أيّ : من خيارهم ولبابهم وأشرافهم .

فإن حُصّلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإنَّ محمَّداً ... هو المصطفى من سرّها وكريمها
تدعّت قريشٌ غثّها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها[1]
وكنّا قديماً لا نُقرُّ ظُلامة ... إذا ما ثنوا صُعر الخدود نُقيمها[2]
ونحمي حماها كلّ يوم كريهةٍ ... ونضرب عن أحجارها مَن يرومها
بنا انتعش العود الذّواء وإنَّما ... بأكنافنا تندى وتنمى أرومها[3]

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٥ ـ ٢٨٣ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٦ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٨ ـ ٢٢١ ، ديوان أبي طالب ص ٢٤ ، الروض الأنف ج ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٢٦ ، ٢٥٨ ، وج ٣ ص ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، عيون الأثر ج ١ ص ٩٩ ، ١٠٠ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٧ ، السيرة الحلبيّة ج ١ ص ٣٠٦ ، أسنى المطالب ص ١٥ فقال : هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب للنبيِّ ﷺ الدالة على تصديقه إيّاه ، طلبة الطالب ص ٥ ـ ٩ .

١٢ ـ سيِّد الأباطح وصحيفة قريش :

اجتمع قريش وتشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، ويخلوا بينهم وبينه ، وكتبوه في صحيفة بخطِّ منصور بن عكرمة ، أو بخطِّ بغيض بن عامر ، أو بخطِّ النضر بن الحرث ، أو بخطِّ هشام بن عمرو ، أو بخطِّ طلحة ابن أبي طلحة ، أو بخطِّ منصور بن عبد، وعلّقوا منها صحيفةً في الكعبة في هلال المحرَّم سنة سبع من النبوَّة وكان اجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصَّب فانحاز بنو هاشم

---

(١) طاشت حلومها : ذهبت عقولها .
(٢) ثنوا : عطفوا . صعر جمع أصعر : المائل . يُقال : صعر خده . أي أماله إلى جهة كما يفعل المتكبر .
(٣) انتعش : ظهرت فيه الخضرة . الذواء : اليابس . الأكناف : النواحي . الأرومة : الأصل .

وبنو المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه في الشعب إلّا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وإنَّهم جهدوا في الشعب حتّى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر .

قال ابن كثير : كان أبو طالب مدَّة إقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشه كلّ ليلة حتّى يراه من أراد به شرّاً وغائلة فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمِّه أن يضطجع على فراش المصطفى ﷺ ويأمر هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها .

ثمَّ إنَّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلى النبيِّ ﷺ أنَّ الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط فأخبر النبيُّ ﷺ عمَّه أبا طالب بذلك فقال : يا بن أخي ! أربّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : والثواقب ما كذبتني قطُّ فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك وظنُّوا أنَّهم خرجوا من شدَّة البلاء ليسلموا إليهم رسول الله ﷺ فقال أبو طالب : يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أُمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعلَّ أن يكون بيننا وبينكم صلحٌ ، وإنَّما ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكّون أنَّ أبا طالب يدفع إليهم النبيَّ ﷺ فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عمّا أحدثتم علينا وعلى أنفسكم ؟ فقال : أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم إنَّ ابن أخي أخبرني ولم يكذبني : إنَّ الله قد بعث على صحيفتكم دابَّة فلم تترك فيها إلَّا اسم الله فقط ، فإن كان كما يقول ؟ فأَفيقوا عمّا أنتم عليه ، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا . وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم ؟ فقالوا : رضينا . ففتحوها فوجدوها كما قال ﷺ . فقالوا : هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً .

وإنَّ أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به ﷺ : علامَ نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبيّن أنكّم أولى بالظلم والقطيعة ؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال : اللّهُمَّ انصرنا على مَن ظلمنا ، وقطع أرحامنا ، واستحلَّ ما يحرم عليه منّا .

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فقال أبو طالب :

ألا هل أتى بَحريّنا[1] صنع ربِّنا ... على نأيهم ؟ واللّه بالناس أرودُ[2]
فيخبرهم : أنَّ الصحيفة مُزّقت ... وأن كلّ ما لم يرضه اللّه مفسد
تراوحها إفكٌ وسحرٌ مُجمَّع ... ولم يلف سحرٌ آخر الدهر يصعد
تداعى لها مَن ليس فيها بقرقر ... فطائرها في رأسها يتردَّد[3]
وكانت كفاءً وقعةٌ بأثيمةٍ ... ليقطع منها ساعدٌ ومقلّد
ويظن أهل المكّتين فيهربوا ... فرائصهم من خشية الشرِّ ترعد
ويُترك حرّاثٌ يقلّب أمره ... أيُتهم فيها عند ذاك ويُنجد[4]
وتصعد بين الأخشبين كتيبةٌ ... لها حُدُجٌ سهمٌ وقوسٌ ومرهد[5]
فَمَنْ ينشُ مِن حضّار مكّة عزُّه ... فعزَّتنا في بطن مكَّة أتلد[6]
نشأنا بها والناس فيها قلائلٌ ... فلن نَنفَكِك نزداد خيراً ونحمد
ونُطعم حتّى يترك الناس فضلهم ... إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد[7]
جزى اللّه رهطاً بالحجون تتابعوا ... على ملأ يهدي لحزم ويُرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنَّهم ... مقاولةٌ[8] بل هم أعزُّ وأمجد
أعان عليها كلُّ صقر كأنَّه ... إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد[9]
ألا إنَّ خير الناس نفساً ووالداً ... إذا عدَّ سادات البريَّة أحمد
نبيُّ الإله والكريم بأصله ... أخلاقه وهو الرشيد المؤيَّد
جريءٌ على جُلّى الخطوب كأنَّه ... شهابٌ بكفّي قابس يتوقَّد[10]

---

(١) يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر .

(٢) أرود : أرفق .

(٣) القرقر : اللين السهل . وقال السهيلي : من ليس فيها بقرقر : أي ليس بذليل . وطائرها : أي حظها من الشؤم والشرّ ، وفي التنزيل : **﴿ألزمناه طائره في عنقه﴾** .

(٤) الحراث : المكتسب . يتهم : يأتي تهامة . ينجد : يأتي نجداً .

(٥) الأخشبان : جبلان بمكة . المرهد : الرمح اللين .

(٦) ينش : أي ينشأ بحذف الهمزة على غير قياس . أتلد : أقدم .

(٧) المفيضين : الضاربون بقداح الميسر . يريد سلام الله عليه : إنَّهم يطعمون إذا بخل الناس .

(٨) المقاولة : الملوك .

(٩) رفرف الدرع : ما فصل منها . أحرد : بطيء المشي لثقل الدرع .

(١٠) وفي رواية :

=

من الأكرمين من لوي بن غالب إذا سيم خسفاً وجهه يتربد[١]
طويل النجاد[٢] خارجٌ نصف ساقه على وجهه يُسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيِّدٌ وابن سيِّد يحضّ على مَقرى الضيوف ويحشد
ويبني لأبناء العشيرة صالحاً إذا نحن طُفنا في البلاد ويمهد
ألَظَّ[٣] بهذا الصلح كلَّ مبرّأ عظيم اللوا أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثمَّ أصبحوا على مَهَلٍ وسائر الناس رُقَّد
همُ رجَّعوا سهل بن بيضاء راضياً وسُرَّ أبو بكر بها ومحمَّد
متى شرك الأقوام في جُلِّ أمرنا وكنّا قديماً قبلها نتودَّد
وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامَةً ونُدرك ما شئنا ولا نتشدَّد
فيا لقَصُيٍّ هل لكم في نفوسكم ؟ وهل لكُم فيما يجيء به غد ؟
فإنّي وإيّاكم كما قال قائلٌ : لديك البيان لو تكلّمت أسود[٤]

طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣ ، ١٩٢ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٤ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢ ، الإستيعاب ترجمة سهل بن بيضاء ج ٢ ص ٥٧٠ ، صفة الصفوة ج ١ ص ٣٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ٢٣١ ، خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٥٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٢٧ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٥١ ، ديوان أبي طالب ص ١٣ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٥٧ ـ ٣٦٧ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٦ ـ ٢٩٠ ، طلبة الطالب ص ٩ ، ١٥ ، ٤٤ ، أسنى المطالب ص ١١ ـ ١٣ .

= حزيم على جل الأمور كأنه شهاب بكفي قابس يتوقد

(١) سيم ـ بالبناء للمجهول ـ : كلف . الخسف : الذل . يتربّد : يتغير إلى السواد .
(٢) النجاد : حمائل السيف .
(٣) ألظَّ : ألحّ ولزم .
(٤) أسود : جبل ، قتل فيه قتيل فلم يُعرف قاتله فقال أولياء المقتول : لديك البيان لو تكلمت أسود . فذهب مثلاً . توجد في ديوان أبي طالب أبيات من هذه القصيدة غير ما ذكر لم نجدها في غيره .

وذكر ابن الأثير قصَّة الصحيفة في الكامل ج ٢ ص ٣٦ فقال : قال أبـو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم، أبياتاً منها :

وقــد كــان في أمــر الصحيفــة عبــرةٌ ... متى مــا يُخبَّــر غــائب القــوم يـعجـب
محا اللّه منهــا كفــرهــم وعقــوقــهم ... ومــا نقمــوا من نــاطق الحقّ مُعــرب
فــأصبح مــا قالوا مـن الأمـر بــاطـلاً ... ومن يختلق مــا لـيس بــالحقّ يكـذب

١٣ ـ وصيَّة أبي طالب عند موته :

عن الكلبي قـال : لمّا حضـرت أبـا طـالب الـوفـاة جمـع إليـه وجـوه قـريش فـأوصاهم فقـال : يا معشـر قريش أنتم صفـوة الله من خلقه وقلب العـرب ، فيكم السيِّد المطاع ، وفيكم المِقدام الشجاع ، الـواسع البـاع ، واعلموا انَّكم لم تتـركوا للعرب في المآثر نصيباً إلاَّ أحرزتموه ، ولا شـرفاً إلاَّ أدركتمـوه ، فلكم بذلـك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حـربٌ وعلى حربكم إلب ، وإني اوصيكم بتعـظيم هذه البنيَّـة (يعني الكعبة) فـإنَّ فيها مـرضـاةً للربّ ، وقـوامـاً للمعاش ، وثباتاً للوطأة ، صِلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإنَّ صِلة الرحم منسأةٌ في الأجل ، وزيادةٌ في العدد ، واتركـوا البغي والعقوق ففيهمـا هلكة القـرون قبلكم ، أجيبوا الداعي ، وأعطوا السائل فإنَّ فيهما شرف الحيـاة والممات ، وعليكم بصـدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإنَّ فيهما محبَّة في الخاصّ ، ومكرمة في العام .

وإنِّي اوصيكم بمحمَّد خيراً فـإنَّه الأمين في قـريش ، والصدِّيق في العـرب ، وهو الجامـع لكلِّ مـا أوصيتكم به ، وقـد جاءنـا بأمـر قَبِله الجنان ، وأنكـره اللسان مخـافـة الشنـآن ، وأيم الله كـأنِّي أنــظر إلى صعاليـك العـرب وأهــل الأطـراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدَّقوا كلمته ، وعظَّموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قـريش وصناديـدها أذنـابـاً ، ودورهـا خرابـاً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحـظاهم عنده ، قد محضته العـرب ودادها ،وأصفت لـه فؤادها ، وأعـطته قيـادها ، دونكم يـا معشر قـريش ! ابن أبيكم ، كونـوا له ولاةً ولحـزبه حمـاةً ، والله لا يسلك أحـدٌ سبيله إلاَّ رَشَد ، ولا يؤخذ أحدٌ بهديـه إلاَّ سَعَد ، ولـو كان لنفسي مـدَّة ، وفي أَجلي تأخيـر ،

لكففت عنه الهزاهز ، ولدافعت عنه الدواهي .

الروض الأنف : ج ١ ص ٢٥٩ ، المواهب ج ١ ص ٧٢ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٩ ، ثمرات الأوراق هامش المستطرف ج ٢ ص ٩ ، بلوغ الأرب : ج ١ ص ٣٢٧ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٥ ، السيرة لزيني دحلان على هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩٣ ، أسنى المطالب ص ٥ .

قال الأميني : في هذه الوصيَّة الطافحة بالإيمان والرشاد دلالةٌ واضحةٌ على أنَّه عليه‌السلام إنَّما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يئس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه ، المؤدِّي إلى ضعف المُنَّة وتفكّك القوى ، فلا يتسنّى له حينئذ الذبُّ عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وإن كان الإيمان به مستقرّاً في الجنان من أوَّل يومه ، لكنه لمّا شعر بأُزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجنته أضالعه فأوصى بالنبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بوصيَّته الخالدة .

١٤ - وصيَّة أبي طالب لبني أبيه :

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى : إنَّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمَّد ، وما اتَّبعتم أمره فاتَّبعوه وأعينوه ترشدوا .

وفي لفظ : يا معشر بني هاشم ! أطيعوا محمَّداً وصدِّقوه تفلحوا وترشدوا .

وتوجد هذه الوصيَّة في تذكرة السبط ص ٥ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٧ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩٢ ، ٢٩٣ ، أسنى المطالب ص ١٠ . ورأى البرزنجي هذا الحديث دليلاً على إيمان أبي طالب ونعمّاً هو ، قال : قلت : بعيدٌ جِدّاً أن يَعرف أنَّ الرشاد في اتّباعه ويأمر غيره بذلك ثمَّ يتركه هو .

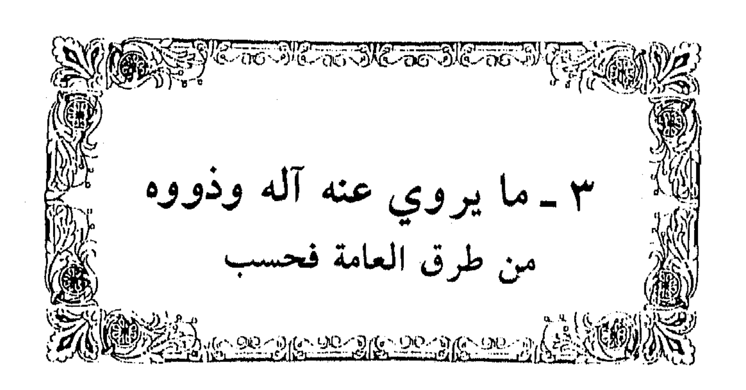
قال الأميني : ليس في العقل السليم مساغٌ للقول بأنَّ هذه المواقف كلّها لم تنبعث عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف وتصديقه للصادع به صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وإلاَّ فماذا الذي كان يحدوه إلى مخاشنة قريش ومقاساة الأذى منهم وتعكير الصفوِ من

حياته لا سيَّما أيّام كان هو والصفوة من فئته في الشعب ، فلا حياة هنيئة ، ولا عيش رغد ، ولا أمن يطمأنُّ به ، ولا خطرٌ مدروء ؛ يتحمّل الجفاء والقطيعة والقسوة المؤلمة من قومه ؟ فماذا الذي أقدمه على هذه كلِّها ؟ وماذا الذي حصره وحبسه في الشعب عدَّة سنين تِجاه أمر لا يقول بصدقه ولا يخبت إلى حقيقته ؟ لاها الله لم يكن كلُّ ذلك إلاَّ عن إيمانٍ ثابت ، وتصديقٍ وتسليم وإذعان بما جاء به نبي الإسلام ، يظهر ذلك للقارىء المستشفِّ لجزئيّات كلٍّ من هذه القصص ، ولم تكن القرابة والقوميَّة بمفردها تدعوه إلى مقاساة تلكم المشاقّ كما لم تدع أبا لهب أخاه ، وهب أنَّ القرابة تدعوه إلى الذبِّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم لكنَّها لا تدعو إلى المصارحة بتصديقه وأنَّ ما جاء به حقٌّ ، وأنَّه نبيٌّ كموسى خطَّ في أوَّل الكتب ، وأنَّ من اقتصَّ أثره فهو المهتدي ، وأنَّ الضالَّ من إزورَّ عنه وتخلّف ، إلى أمثال ذلك من مصارحات قالها بملءفمه ، ودعا إليه صلى الله عليه وآله وسلم فيها بأعلى هتافه .

١٥ ـ حديثٌ عن أبي طالب :

ذكر ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٦ من طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبي رافع قال : سمعت أبا طالب يقول : سمعت ابن أخي محمَّد بن عبد الله يقول : إنَّ ربَّه بعثه بصلة الأرحام ، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره ، ومحمَّد الصدوق الأمين .

وذكره السيِّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٦ وقال : أخرجه الخطيب . وأخرجه السيِّد فخار بن معد في كتاب الحجَّة ص ٢٦ من طريق الحافظ أبي نعيم الإصبهاني ، وبإسناد آخر من طريق أبي الفرج الإصبهاني . وروى الشيخ إبراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال : سمعت أبا طالب رضي الله عنه يقول : حدَّثني ابن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً : إنَّ ربَّه أرسله بصلة الأرحام ، وإقام الصّلاة ، وإيتاء الزكاة . وكان يقول : أُشكر ترزق ، ولا تكفر تُعذَّب .



٣ - ما يروي عنه آله وذووه
من طرق العامة فحسب

أمّا رجال آل هاشم ، وأبناء عبد المطلب ، وولد أبي طالب ، فلم يؤثر عنهم إلاّ الهتاف بإيمانه الثابت ؛ وإنَّ ما كان يؤثره في نصرة النبيِّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم كان منبعثاً عن تديّن بما صدع به صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت أدرى بما فيه ، قال ابن الأثير في جامع الأُصول وما أسلم من أعمام النبيِّ ﷺ غير حمزة والعبّاس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام . اهـ .

نعم : هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بملء الأفواه وبكلِّ صراحة وجبهوا من خالفهم في ذلك .

إذا قالت حذام فصدِّقوها ... فإنَّ القول ما قالت حذام

١ - قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٢ : روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العبّاس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة : إنَّ أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلاَّ الله ، محمَّدٌ رسول الله . والخبر مشهورٌ أنَّ أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفيّاً أصغى إليه أخوه العبّاس[١] وروي عن عليّ عليه السلام أنَّهُ قال :ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا .

وذكر أبو الفدا والشعراني عن ابن عبّاس : إنَّ أبا طالب لمّا اشتدّ مرضه قال

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧ ، دلائل النبوة للبيهقي ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٢٣ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ١٣١ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، المواهب اللدنية ج ١

له رسول الله ﷺ : يا عمّ ! قلها أستحلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة يعني الشّهادة فقال له أبو طالب : يا بن أخي ! لولا مخافة السبّة وأن تظنَّ قريش إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها فلمّا تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرِّك شفتيه فأصغى إليه العبّاس باذنه وقال : والله يابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك يا عمّ[1] ! .

وقال السيد أحمد زيني دحلان في السيرة الحلبية ج ١ ص ٩٤ : نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة أنّ ذلك الحديث أعني حديث العبّاس ثبت عند بعض أهل الكشف وصحّ عندهم إسلامه .

قال الأميني : ذكرنا هذا الحديث مجاراةً للقوم وإلاَّ فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التلفُّظ بتينك الكلمتين اللّتين كرّس حياته الثمينة بالهتاف بمفادهما في شعره ونثره ، والدعوة إليهما ، والذبِّ عمَّن صدع بهما ، ومعاناة الأهوال دونهما حتى يومه الأخير ؟ ما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عندئذ إلى التفوُّه بهما كأمر مستجدّ ؟ فمتى كفر هو ؟ ومتى ضلَّ ؟ حتّى يؤمن ويهتدي بهما ، أليس من الشهادة قوله الذي أسلفناه ص ٣٧١ :

ليعلم خيار الناس أنَّ محمَّداً ... وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به ... فكلٌّ بأمر اللّه يهدي ويعصم
وإنَّكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث مبرجم

وقوله في ص ٣٧١ :

أمينٌ حبيب في العباد مسوَّمٌ ... بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
نبيٌّ أتاه الوحي من عند ربِّه ... ومن قال : لا . يقرع بها سنَّ نادم

وقوله في ص ٣٧٢ :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمَّداً ... رسولاً كموسى خُطَّ في أوَّل الكتب

= ص ٧١ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٢ ، السيرة الدحلانية هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٨٩ ، أسنى المطالب ص ٢٠ .

(١) تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢٠ ، كشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٤٤ .

وقوله في ص ٣٧٣ :

وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى ... وأمرٌ أتى من عند ذي العرش قيِّم

وقوله في ص ٣٧٤ :

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرَّ منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنَّك ناصحي ... ولقد دعوت وكنتَ ثَمَّ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دين محمَّد ... من خير أديان البريَّة دينا

وقوله في ص ٣٧٥ :

أو تؤمنوا بكتابٍ مُنزلٍ عجبٍ ... على نبيٍّ كموسى أو كذي النون

وقول في ص ٣٧٧ :

نصرت الرَّسول رسول المليك ... ببيض تلألأ كلمع البروق
أذبُّ وأحمي رسول الإله ... حماية حامٍ عليه شفيق

وقوله في ص ٣٨٠ :

فأيَّده ربُّ العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقُّه غير باطل

وقوله في ص ٣٩٧ :

واللّه لا أخذل النبيَّ ولا ... يخذله من بنيَّ ذو حسب
نحن وهذا النبيُّ ننصره ... نضرب عنه الأعداء بالشهب

وقوله في ص ٣٨٥ :

أتبغون قتلاً للنبيِّ محمَّدٍ ... خصصتم على شؤم بطول أثام

وقوله في ص ٣٩٨ :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهراً للدين وفِّقت صابرا
وحط مَن أتى بالحقِّ من عند ربِّه ... بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمز كافرا
فقد سرَّني إذ قلت : إنَّك مؤمنٌ ... فكن لرسول اللّه في اللّه ناصرا

وقوله وقد رواه أبو الفرج الأصبهاني :

زعمت قريش انَّ أحمد ساحرٌ كذبوا وربِّ الراقصات إلى الحرم[١]
مازلت أعرفه بصدق حديثه وهو الأمين على الحرائب والحرم

وقوله المرويُّ من طريق أبي الفرج الإصبهاني كما في كتاب (الحجَّة) ص ٧٢ ومن طريق الحسن بن محمَّد بن جرير كما في تفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٢ .

قل لمن كان من كنانة في العزِّ وأهل الندى وأهل المعالي
: قد أتاكم من المليك رسولٌ فاقبلوه بصالح الأعمال
وانصروا أحمداً فإنَّ من اللّه رداءً عليه غير مدال

وقوله : من أبيات في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٥ :

فخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترةٍ[٢]

ولو كان يؤثر أقلّ من هذا عن أحد من الصحابة لطبَّل له ، وزمَّر من يتشبَّث بالطحلب في سرد الفضائل لبعضهم مغالاةً فيهم ، لكنِّي أجد إسلام أبي طالب مستعصياً فهمه على هؤلاء ولو صرخ بألف هتاف من ضرائب هذه . لماذا ؟ أنا لا أدري .

٢ ـ أخرج ابن سعد في طبقاته : ج ١ ص ١٠٥ عن عبيد الله بن أبي رافع عن عليّ قال : أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ثمَّ قال : إذهب فاغسله وكفِّنه وواره غفر الله له ورحمه .

وفي لفظ الواقدي : فبكى بكاء شديداً ثمَّ قال : إذهب فاغسله . الخ .

وأخرجه ابن عساكر كما في أسنى المطالب ص ٢١ ، والبيهقي في دلائل النبوَّة ، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٦ ، وابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٤ ، والحلبي في السيرة ج ١ ص ٣٧٣ ، والسيد زيني دحلان في السيرة هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٩٠ ، والبرزنجي في نجاة أبي طالب وصحَّحه كما في أسنى المطالب ص ٣٥ وقال : أخرجه أيضاً أبو داود وابن الجارود وابن خزيمة .

---

(١) أراد بالراقصات إلى الحرم : الإبل الراكضات . رقص الجمل إذا ركض .

(٢) أشار إلى قوله تعالى :﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ . وتوجد الأبيات في كتاب الحجة للسيد فخار سلام الله عليه ص ٧٤ .

وقال : إنَّما ترك النبيُّ ﷺ المشي في جنازته إتّقاءً من شرِّ سفهاء قريش ، وعدم صلاته لعدم مشروعيَّة صلاة الجنازة يومئذ .

عن الأسلمي وغيره : توفّي أبو طالب للنصف من شوّال في السنة العاشرة من حين نُبِّيء رسول الله ﷺ ، وتوفّيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيّام فاجتمع على رسول الله ﷺ عليها وعلى عمِّه حزناً شديداً حتّى سمّي ذلك العام عام الحزن .

طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٠٦ ، الإمتاع للمقريزي ص ٢٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٣٤ ، السيرة الحلبيّة ج ١ ص ٣٧٣ ، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبيَّة ج ١ ص ٢٩١ ، أسنى المطالب ص ١١ .

لفت نظر :

عيَّن ابن سعد لوفاة أبي طالب يوم النصف من شوّال كما سمعت وقال أبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٢٠ توفّي في شوّال ، وأوعز القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٧١ موته في شوّال إلى القيل ، وقال المقريزي في الإمتاع ص٢٧ : توفّي أوَّل ذي القعدة وقيل : النصف من شوّال ؛ وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٩١ : مات بعد خروجهم من شعب في ثامن عشر رمضان سنة عشر ؛ وفي الإستيعاب : خرجوا من الشعب في أوّل سنة خمسين وتوفّي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب (ا هـ). وهذا الإختلاف موجودٌ في تآليف الشيعة أيضاً .

٣ ـ أخرج البيهقي عن ابن عبّاس : إن النبيَّ ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحم ، وجزيت خيراً يا عمّ ! وفي لفظ الخطيب : عارض النبيُّ جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحم جزاك الله خيراً يا عمّ ! .

دلائل النبوة للبيهقي ، تاريخ الخطيب البغدادي ج١٣ ص ١٩٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٥ ؛ تذكرة السبط ص ٦ ، نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف ص ٨٦ ، الإصابة ج ٤ ص١١٦ ، شرح شواهد المغني ص ١٣٦ .

وقال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٢٦ : لمّا قيل لرسول الله : إنَّ أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتدَّ له جزعه ثمَّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات

وجبينه الأيسر ثلاث مرّات ، ثمَّ قال : يا عمّ ! ربّيت صغيراً ، وكفلت يتيماً ، ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عنّي خيراً ، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول : وصلتك رحم ، وجُزيت خيراً .

٤ ـ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال : قال العبّاس : يا رسول الله ! أترجو لأبي طالب ؟ قال : كلُّ الخير أرجو من ربِّي .

أخرجه ابن سعد في الطبقات ج ١ ص ١٠٦ بسند صحيح رجالهم كلّهم ثقاتُ رجال الصِّحاح وهم : عفّان بن مسلّم . وحمّاد بن سلمة . وثابت البناني . وإسحاق بن عبد الله .

وأخرجه ابن عساكر كما في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٧. والفقيه الحنفي الشيخ إبراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرئف ص ٦٨ . وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١١ ، والسيوطي في التعظيم والمنّة ص ٧ نقلاً عن ابن سعد .

٥ ـ وعن أنس بن مالك قال : أتى أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! لقد أتيناك وما لنا بعير يئط ، ولا صبيٌّ يصطبح ، ثمَّ أنشد :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها ... وقد شغلت امُّ الصبيِّ عن الطفل
وألقى بكفَّيه الصبيَّ استكانة ... من الجوع ضعفاً ما يمرُّ ولا يحلي
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا إلّا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلّا إلى الرُّسل

فقام رسول الله ﷺ يجرُّ رداءه حتّى صعد المنبرفحمد الله تعالى وأثنى عليه ثمَّ قال : اللَّهُمَّ اسقنا غيثاً مغيثاً سحّاً طبقاً غير رايث ، تنبت به الزرع ، وتملأ به الضرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون .

فما استتمَّ الدعاء حتّى التقت السّماء بروقها ، فجاء أهل البطالة يضجّون : يا رسول الله ! الغرق فقال : حوالينا ولا علينا . فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه وقال : لِلَّه درُّ أبي طالب لو

كان حيّاً لقرَّت عيناه ، مَن الذي ينشدنا شعره ؟ فقال عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه يا رسول الله ! كأنَّك أردت قوله :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل فأنشده أبياتاً من القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ثمَّ قام رجل من كنانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممَّن شكرْ ... سقينا بوجه النبيِّ المطر
دعا اللّه خالقه دعوةً ... وأشخص معها إليه البصر
فلم يك إلَّا كإلقا الردى ... وأسرع حتّى رأينا الدرر
دفاق العزاليّ جمّ البعاق[1] ... أغاث به اللّه عليا مضر
فكان كما قاله عمُّه ... أبو طالب أبيضٌ ذو غرر
به اللّه يسقي صيوب الغمام ... وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ : إن يك شاعراً يحسن فقد أحسنت .

أعلام النبوَّة للماوردي ص ٧٧ ؛ بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٦ ، السيرة الحلبيَّة ، عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥ ، شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦ ، سيرة زيني دحلان ج ١ ص ٨٧ ، أسنى المطالب ص ١٥ ، طلبة الطالب ص ٤٣ .

قال البرزنجي كما في أسنى المطالب : فقول النبيِّ ﷺ : لله درُّ أبي طالب يشهد له بأنَّه لو رأى النبيَّ وهو يستسقي على المنبر لسرَّه ذلك ، ولقرَّت عيناه فهذا من النبيِّ ﷺ شهادةٌ لأبي طالب بعد موته أنَّه كان يفرح بكلمات النبيِّ ﷺ وتقرُّ عينه بها ، وما ذلك إلَّا لسرٍّ وقر في قلبه من تصديقه بنبوَّته وعلمه بكمالاته . اهـ .

قال الأميني : وذكر جمعٌ هذا الحديث في استسقاء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وحذف منه كلمة [لِلّه درُّ أبي طالب] وأنت أعرف منّي بالغاية المتوخّاة في هذا التحريف ، ولا يفوتنا عرفانها .

---

(١) راجع ص١٤من الجزء الثاني من هذا الكتاب .

٦ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٦ : ورد في السير والمغازي أنَّ عتبة بن ربيعة أو شيبة لمّا قطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه عليٌّ وحمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفهما حتّى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنَّ مخَّ ساقه ليسيل فقال : يا رسول الله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنّه قد صدق في قوله :

كذبتم وبيت اللّه نُخلي محمَّداً ... ولمّا نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتّى نصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إستغفر له ولأبي طالب يومئذ .

٧ ـ عن رسول الله ﷺ أنّه قال لعقيل بن أبي طالب : يا أبا يزيد ! انّي أُحبُّك حبّين حبّاً لقرابتك منّي ، وحبّاً لما كنت أعلم من حبِّ عمِّي أبي طالب إيَّاك .

أخرجه أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٥٠٩ ، والبغوي ، والطبراني كما في ذخائر العقبى ص ٢٢٢ ، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٦٣ ؛ وعماد الدين يحيى العامري في بهجة المحافل ج ١ ص ٣٢٧ ، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٢ وقال : قالوا : إشتهر واستفاض هذا الحديث ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٣ وقال : رجاله ثقات .

هذا شاهد صدق على أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتقد إيمان عمّه وإلّا فما قيمة حبِّ كافر لأيِّ أحد حتّى يكون سبباً لحبّه صلى الله عليه وآله وسلم أولاده . وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نصَّ عليه الإمام العامري في بهجة المحافل وقال : وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي ، ولمّا أسلم قال له النبيّ ﷺ : يا أبا يزيد . الخ . وقال جمال الدين الأشخر اليمني في شرح البهجة عند شرح الحديث : ومن شأن المحبِّ محبَّة حبيب الحبيب .

ألا تعجب من حبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب إن لم يك معتنقاً بدينه ـ العياذ بالله ـ ومن إعرابه عنه بعد وفاته . ومن حبّه عقيلاً لحبِّ أبيه إيّاه ؟ !! .

٨ ـ أخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عبّاس وغيره قالوا : كان أبو طالب يحبُّ

النبيَّ ﷺ حبّاً شديداً لا يحبُّ أولاده مثله ، ويقدمه على أولاده ، ولذا كان لا ينام إلّا إلى جنبه ، ويخرجه معه حين يخرج .

ولمّا مات أبو طالب نالت قريشٌ منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتّى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ؛ فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها : يا بنيَّة لا تبكي فإنَّ الله مانع أباك ، ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب .

وفي لفظ : ما زالت قريش كاعين (أي جبانين) حتّى مات أبو طالب .

وفي لفظ : ما زالت قريش كاعة حتّى مات أبو طالب .

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٩ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤ ، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٣٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢١ ، الفائق للزمخشري ج٢ ص ٢١٣ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٣ ، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٣٧٥ ، فتح الباري ج ٧ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، شرح شواهد المغني ص ١٣٦ نقلاً عن البيهقي ، أسنى المطالب ص ١١ ؛ ٢١ ؛ طلبة الطالب ج ٤ ص ٥٤ .

٩ ـ عن عبد الله قال : لمّا نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر : لو أنَّ أبا طالب حيّ لعلم أنَّ أسيافنا قد أخذت بالأماثل يعني قول أبي طالب :

كذبتم وبيت الله إن جدَّ ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

الأغاني ج ١٧ ص ٢٨ ، طلبة الطالب ص ٣٨ نقلاً عن دلائل الإعجاز .

١٠ ـ أخرج الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٦٨ : من طريق الحافظ ابن فنجويه عن ابن عبّاس في حديث مرفوعاً قال لعليّ : لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحقّ منك لقدمتك في الإسلام ، وقرابتك من رسول الله ، وصهرك عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب ، أتاني حين نزل القرآن وأنا حريصٌ أن أرعى ذلك في ولده بعده .

قال الأميني : إنَّ شيئاً من مضامين هذه الأحاديث لا يتَّفق مع كفر أبي طالب فهو صلى الله عليه وآله وسلم لا يأمر خليفته الإمام عليه السلام بتكفين كافر ولا تغسيله ، ولا يستغفر له ولا يترحَّم عليه ، كما في الحديث الثالث ، ولا يرجو له بعض الخير فضلاً عن كلِّه كما في الحديث الرابع ، ولا يستدرُّ له الخير كما في حديث الإستسقاء ؛ ولا يستغفر له كما في الحديث السادس ؛ ولا يحبُّ عقيلاً لحبّه إياه ، فإنَّ الكفر يزع المسلم عن بغض هذه فكيف بكلّها فضلاً عن نبيِّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادع بقول الله العزيز : ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**﴾[١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿**يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء تلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق**﴾[٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿**يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتَّخذوا آبائكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولَّهم منكم فأولئك هم الظالمون**﴾[٣] .

وقوله تعالىٰ : ﴿**ولو كانوا يُؤمنون بالله والنبيِّ وما أُنزل إليه ما اتخذوهم أولياء**﴾[٤] . إلى آيات أُخرىٰ .

الكلم الطيّب :

أخرج تمام الرّازي في فوائده بإسناده عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأُمّي وعمّي أبي طالب وأخٍ لي كان في الجاهليَّة .

ذخائر العقبى ص ٧ ، الدرج المنيفة للسيوطي ص ٧ ، مسالك الحنفا ص ١٤ ، وقال فيه : أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأنَّ الأخ من الرضاعة ،

---

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الممتحنة ؛ الآية : ١ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٢٣ .

(٤) سورة المائدة : الآية : ٨١ .

فالطرق عدّة يشدُّ بعضها بعضاً فإنَّ الحديث الضعيف يتقوّى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود فإنَّ الحاكم صحّحه .

وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦ روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّهُ قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ وعدني في أربعة في أبي وأمّي وعمّي وأخ كان لي في الجاهليَّة .

أخرج ابن الجوزي بإسناده عن عليّ عليه السلام مرفوعاً : هبط جبرائيل عليه السلام عليَّ فقال : إنَّ الله يقرئك السّلام ويقول : حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك ، أمّا الصلب فعبد الله ، وأمّا البطن فآمنة ، وأمّا الحجر فعمّه يعني أبا طالب وفاطمة بنت أسد . التعظيم والمنّة للحافظ السيوطي ص ٢٥ .

وفي شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال لي جبرائيل : إنَّ الله مشفّعك في ستّة : بطن حملتك آمنة بنت وهب . وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب . وحجر كفلك أبو طالب . وبيت آواك عبد المطلب . وأخ كان لك في الجاهليَّة . الخ .

رثاء أمير المؤمنين والده العظيم :

ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٦ أنَّ عليّاً عليه السلام قال في رثاء أبي طالب :

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظُّلَم
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ ... فصلّى عليك وليُّ النّعم
ولقّاك ربُّك رضوانه ... فقد كنت للطهر من خير عم

هذه الأبيات توجد في ديوان أبي طالب أيضاً ص ٣٦ ، وذكرها أبو علي الموضح كما في كتاب الحجّة ص ٢٤ للسيِّد فخار بن معد المتوفّى سنة ٦٣٠ ، وقال ابن أبي الحديد : قال أيضاً :

أرقت لطير آخر الليل غرّدا ... يذكّرني شجواً عظيماً مجدّدا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى ... جواداً إذا ما أصدر الأمر أوردا
فأمست قريش يفرحون بموته ... ولست أرى حبّاً يكون مخلّدا

أرادوا أُموراً زيَّنتها حُلومهم ... ستوردهم يوماً من الغيِّ موردا
يُرجُّون تكذيب النبيِّ وقتله ... وأن يفترى قِدماً عليه ويجحدا
كذبتم وبيت اللّه حتّى نذيقكم ... صدور العوالي والحسام المهنَّدا
فإمّا تبيدونا وإمّا نبيدكم ... وإمّا تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلاّ فإنَّ الحيَّ دون محمَّد ... بني هاشم خير البريَّة محتدا

هذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع تغيير يسير وزيادة وإليك نصّها :

أرقت لنوح آخر الليل غرَّدا ... يُذكّرني شجواً عظيماً مجدَّدا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى ... وذا الحلم لا خُلفاً ولم يك قُعددا
أخا الملك خلّى ثلمة سيسدّها ... بنو هاشم أو يستباح فيُهمدا
فأمست قريشٌ يفرحون بفقده ... ولست أرى حيّاً لشيء مخلَّدا
أرادت أُموراً زيَّنتها حلومهم ... ستوردهم يوماً من الغيِّ موردا
يُرجُّون تكذيب النبيِّ وقتله ... وأن يفتروا بهتاً عليه ويُجحدا
كذبتم وبيت اللّه حتّى نذيقكم ... صدور العوالي والصفيح المهنَّدا
ويبدو منّا منظرٌ ذو كريهة ... إذا ما تسربلنا الحديد المسرَّدا
فإمّا تبيدونا وإمَّا نبيدكم ... وإمَّا تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلاّ فإنَّ الحيَّ دون محمَّد ... بنو هاشم خير البريَّة محتدا
وإنَّ له فيكم من اللّه ناصراً ... ولست بلاقٍ صاحب اللَّه أوحدا
نبيٌّ أتى من كلِّ وحي بحظه ... فسمّاه ربِّي في الكتاب محمَّدا
أغرّ كضوء البدر صورة وجهه ... جلا الغيم عنه ضوءه فتوقَّدا
أمينٌ على ما استودع اللّه قلبه ... وإن كان قولاً كان فيه مسدَّدا

كلمة الإمام السجّاد :

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٢ : روي أنَّ عليّ بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا ـ يعني عن إيمان أبي طالب ـ فقال : واعجبا إنَّ الله تعالىٰ نهى رسوله أن يقرَّ مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من

السّابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتّى مات .

كلمة الإمام البـــاقر :

سُئل عليه السلام عمّا يقوله الناس إنَّ أبا طالب في ضحضاح من نار فقال : لو وضع إيمان أبي طالب في كفّة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفَّة الأُخرى لرجح إيمانه ثمَّ قال : ألم تعلموا أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يؤمر أن يحجَّ عن عبد الله وابنه وأبي طالب في حياته ثمَّ أوصى في وصيَّته بالحجِّ عنهم ؟ .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١١]

كلمة الإمام الصّادق :

روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنَّ أصحاب الكهف أسرُّوا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرَّتين وإنَّ أبا طالب أسرَّ الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرَّتين .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٢]

قال الأميني : هذا الحديث أخرجه ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي ص ٢٤٤ عن الإمام الصّادق غير مرفوع ولفظه : إنَّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرُّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرَّتين .

وبلفظ ابن أبي الحديد ذكره السيِّد ابن معد في كتابه (الحجَّة) ص ١٧ من طريق الحسين بن أحمد المالكي وزاد فيه : وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالىٰ بالجنَّة .

كلمة الإمام الرِّضـــا :

كتب أبان بن محمود إلى عليِّ بن موسى الرضا عليه السلام : جعلت فداك إنِّي قد شككت في إسلام أبي طالب . فكتب إليه : ﴿**ومن يشاقق الرَّسول من بعدما تبيَّن له الهدى ويتَّبع غير سبيل المؤمنين**﴾ . الآية . وبعدهاإنك إن لم تقرَّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النّار .

قصــارى القــول
في سيد الأبطح عند القوم

إنَّ كـلًّا من هـذه العقـود الـذهبيَّـة بمفـرده كـافٍ في إثبـات الغـرض فكيف بمجموعها ومن المقطوع به أنَّ الأئمَّـة من ولد أبي طـالب ﷺ أبصر النـاس بحال أبيهم ، وأنَّهم لم ينـوِّهوا إلاَّ بمحض الحقيقـة ، فإنَّ العصمـة فيهم رادعـةٌ عن غيـر ذلك ، ولقد أجـاد مفتي الشافعيَّـة بمكّة المكرَّمة في (أسنى المطالب) حيث قـال في ص ٣٣ :

هذا المسلك الذي سلكه العلاَّمة السيِّد محمَّـد بن رسول البـرزنجي في نجاة أبي طالب لم يسبقه إليه أحدٌ فجـزاه الله أفضل الجـزاء ، وسلكه هـذا الذي سلكـه يرتضيه كلُّ من كان متَّصفاً بالإنصـاف من أهل الإيمـان ، لأنَّه ليس فيـه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيفٌ لها ، وغاية ما فيه أنَّه حملها على معـان مستحسنة يـزول بها الإشكال ويرتفع الجدال ، ويحصـل بـذلك قـرَّة عين النبيِّ ﷺ ، والسَّلامـة من الـوقوع في تنقيص أبي طـالب أو بغضه ، فـإنَّ ذلـك يؤذي النبيَّ ﷺ وقـد قـال الله تعالىٰ : ﴿**إنَّ الَّذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً**﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿**والَّذين يؤذون رسول الله لهم عـذابٌ أليم**﴾ .

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شـرحه على الكتاب المسمّى بشهاب الأخبـار للعلاّمـة محمَّد بن سـلامة القضـاعي المتـوفّى سنة ٤٥٤ : إنَّ بغض أبي طـالب كفـرٌ . ونصَّ على ذلـك أيضـاً من أئمَّـة المالكيَّة العلاّمة عليّ الأجهوري في فتاويه ، والتلمساني في حاشيتـه علـى الشفـاء فقال عند ذكر أبي طالب : لا ينبغي أن يذكر إلَّا بحماية النبيِّ ﷺ لأنَّه حماه ونصـره بقـوله وفعله ، وفي ذكـره بمكروه أذيَّـةٌ للنبيِّ ﷺ ومؤذي النبيِّ ﷺ كافـر ، والكافـر يقتل ، وقال أبو طاهر : من أبغض أبا طالب فهو كافرٌ .

وممّا يؤيِّد هذا التحقيق الذي حقَّقه العلاّمة البرزنجي في نجـاة أبي طالب انَّ كثيراً من العلماء المحقِّقين وكثيـراً من الأولياء العـارفين أرباب الكشف قـالوا بنجـاة أبي طالب منهم : القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون وقالوا : هذا الـذي

نعتقده وندين الله به ، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي ، فقد اتَّفق معهم على القول بنجاته ، فقول هؤلاء الأئمَّة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالىٰ لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتها العلاَّمة البرزنجي . اهـ .

وذكر السيِّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٤٣ قال : ولِلَّهِ درّ القائل :

قفا بمطلع سعد عزّ ناديه ... وأمليا شرح شوقي في مغانيه
واستقبلا مطلع الأنوار في أُفق الـ ... حجون واحترسا أن تبهرا فيه
مغنى به وابل الرضوان منهمرٌ ... ونائرات الهدى دلَّت مناديه
قفا فذا بلبل الأفراح من طربٍ ... يروي بديع المعاني في أماليه
واستمليا لأحاديث العجائب عن ... بحرٍ هناك بديع في معانيه
حامي الذمار مجير الجار من كرمت ... منه السجايا فلم يفخر مباريه
عمّ النبيِّ الذي لم يثنه حسد ... عن نصره فتغالى في مراضيه
هو الذي لم يزل حصناً لحضرته ... موفَّقاً لرسول اللّه يحميه
وكلُّ خير ترجَّاه النبيُّ له ... وهو الذي قطُّ ما خابت أمانيه
فيا مَن أمَّ العلى في الخالدات غدا ... أغث لِلَهفانه واسعف مناديه
قد خصَّك اللّه بالمختار تكلؤه ... وتستعزُّ به فخراً وتطريه
عنيت بالحبِّ في طه ففزت به ... ومن ينل حبّ طه فهو يكفيه
كم شمت آيات صدق يستضاء بها ... وتملأ القلب إيماناً وترويه ؟
مَن الذي فاز في الماضين أجمعهم ... بمثل ما فزت من طه وباريه؟
كفلت خير الورى في يتمه شغفاً ... وبتَّ بالروح والأبناء تفديه
عضدته حين عادته عشيرته ... وكنت حائطه من بغي شانيه
نصرت مَن لم يشمّ الكون رائحة الـ ... ـوجود لو لم يقدَّر كونه فيه
إنَّ الذي قمت في تأييد شوكته ... هو الذي لم يكن شيءٌ يساويه
إنَّ الذي أنت قد أحببت طلعته ... حبيب مَن كلُّ شيء في أياديه
لِلَّه درُّك من قنّاص فرصته ... مذ شمت برق الأماني من نواحيه
يهنيك فوزك أن قدَّمت منك يداً ... إلى مليٍّ وفيٍّ في جوازيه

من يسـد أحسن معـروف لأحسن مَن ... جـازى ينـل فـوق مـا نـالت أمانيـه

ومَـن سعـى لسعـيـد فـي مـطالبـه ... فهـو الحـريُّ بـأن تحـظى أمـاليـه

فيـا سعيـد المسـاعي في متـاجـره ... قـد جئت ربعـك أستهمي غـواديـه

مستمـطراً منـك مـزن الخيـر معتـرفاً ... بـأنَّ غـرس المنى يعنى بصـافيه الـخ

ثمَّ قال : في ص ٤٤ وقيل أيضاً :

إنَّ القلوب لـتبكي حين تـسمـع مـا ... أبـدى أبـو طـالب في حقٍّ من عـظمـا

فـإن يـكـن أجـمـع الأعـلام انَّ لـه ... نـاراً فللّه كـلّ الكـون يـفعـل مـا[١]

أمَّـا إذا اخـتلفـوا فـالـرأي أن تـردا ... مـوارداً يـرتضيـهـا عقـل مـن سلمـا

تـتـابـع المثبتي الإيمـان مِن زمـر ... في معـظم الـدين تـابعناهمُ فكمـا[٢]

وهم عـدولٌ خيـارٌ فـي مقـاصـدهـم ... فـلا نقـل : إنَّهم لن يبلغـوا عـظمـا

لا تـزدريهم أتـدري من هـمُ فهـمُ ... هـمُ عرى الـدين قـد أضحـوا بـه زعمـا

هم السيـوطيُّ والسبـكيُّ مـع نـفـر[٣] ... كـعـدّة النقبـا حـفّـاظ أهـل حـمـا

وأهـل كـشـف وشعـرانيُّـهـم وكـذا ... القـرطبي والسحيمي الجميع كمـا[٤]

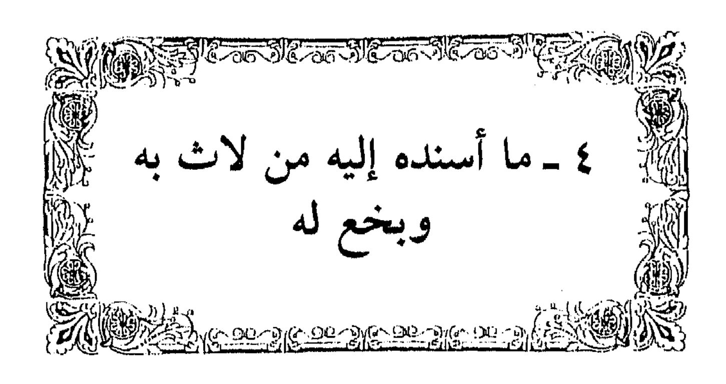
---

(١) أي يفعل ما يشاء .

(٢) أي كما تابعناهم في معظم الدين نتابعهم في هذا .

(٣) للسيوطي كتاب (بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته) توجد نسخته في مكتبة «قوله» بمصر ضمن مجموعة رقم ١٦ ، وهي بخط السيد محمود فرغ من الكتابة سنة ١١٠٥ . راجع الذريعة لشيخنا الطهراني ج ٢ ص ٥١١ .

(٤) أي كما ترى في الوثاقة .



٤ ـ ما أسنده إليه من لاث به وبخع له

هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يشكُّ أحدٌ منهم في ايمان أبي طالب عليه السلام ويرونه في أسمى مراقيه وعلى صهوته العليا آخذين ذلك يداً عن يد حتّى ينتهي الدور إلى الصحابة منهم والتابعينَ لهم بإحسان، ومذعنين في ذلك بنصوص أئمّتهم عليهم السلام بعدما ثبت عن جدِّهم الأقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال المعلّم الأكبر شيخنا المفيد في (أوائل المقالات) ص ٤٥ : إتّفقت الإماميَّة على أنَّ آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عزَّ وجلَّ موحِّدون (إلى أن قال) : وأجمعوا على أنَّ أبا طالب مات مؤمناً، وأنَّ آمنة بنت وهب كانت على التوحيد . الخ . وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان ج ٢ ص ٣٩٨ : عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام أنَّ أبا طالب كان مسلماً، وعليه إجماع الإماميَّة لا يختلفون فيه، ولها على ذلك أدلَّة قاطعة موجبة للعلم .

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧ : قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجَّة لأنَّهم أحد الثقلين اللذين أمر النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما بقوله : إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا .

وقال سيِّدنا ابن معد الفخار : لقد يكفينا من الإستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام إجماع أهل بيت رسول الله صلّىٰ الله عليه وعليهم أجمعين وعلماء شيعتهم

على إسلامه واتِّفاقهم على إيمانه ، ولو لم يرد عنه من الأفعال التي لا يفعلها إلاَّ المؤمنون ، والأقوال التي لا يقولها إلاَّ المسلمون ، ما يشهد له بصحَّة الإسلام وتحقيق الإيمان ، إذ كان إجماعهم حجَّة يعتمد عليها ودلالة يصمد إليها . كتاب الحجَّة ص ١٣ .

وقال شيخنا الفتّال في روضة الواعظين ص ١٢٠ : إعلم أنَّ الطائفة المحقَّة قد أجمعت على أنَّ أبا طالب . وعبد الله بن المطلب ، وآمنة بنت وهب ، كانوا مؤمنين وإجماعهم حجَّة .

وقال سيِّدنا الحجّة ابن طاوس في الطرائف ص ٨٤ : إنَّني وجدت علماء العترة مجمعين على إيمان أبي طالب . وقال في ص ٨٧ : لا ريب أنَّ العترة أعرف بباطن أبي طالب من الأجانب ، وشيعة أهل البيت مجمعون على ذلك ، ولهم فيه مصنَّفات وما رأينا وما سمعنا أنَّ مسلماً أحوجه ما أحوجهم في إيمان أبي طالب ، والذي نعرفه منهم أنَّهم يثبتون إيمان الكافر بأدنى خبر واحد وبالتلويح ، وقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك بالحجج الثواقب إنَّ هذا من جملة العجائب .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١١ : إختلف الناس في أبي طالب فقالت الإماميَّة وأكثر الزيديَّة : ما مات إلاَّ مسلماً ، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما .

وقال العلاَّمة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٩ : قد أجمعت الشيعة على إسلامه وأنَّه قد آمن بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في أوَّل الأمر ولم يعبد صنماً قطُّ بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى انَّ المخالفين كلّهم نسبوا ذلك إليهم وتواترت الأخبار من طرق الخاصَّة والعامّة في ذلك ، وصنَّف كثيرٌ من علمائنا ومحدِّثينا كتاباً مفرداً[١] في ذلك كما لا يخفى على من تتبَّع كتب الرجال .

---

(١) ستوافيك عدّة ممن أفرد التأليف في إيمان أبي طالب عليه السلام .

ومستند هذه الإجماعات إنَّما هو ما جاء به رجالات بيت الوحي في سيِّد الأبطح وإليك أربعون حديثاً :

١ - أخرج شيخنا أبو علي الفتّال وغيره عن أبي عبد الله الصّادق عليه‌السلام قال : نزل جبرائيل عليه‌السلام على النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقال : يا محمَّد ! إنَّ ربَّك يقرئك السَّلام ويقول : إنِّي قد حرَّمت النار على صُلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك . فالصُّلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب . وأمّا حجر كفلك فحجر أبي طالب . وزاد في رواية : وفاطمة بنت أسد(١) .

[روضة الواعظين ص ١٢١]

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٢ ، معاني الأخبار للصدوق ، كتاب الحجَّة للسيد فخار بن معد ص ٨ ، ورواه شيخنا المفسِّر الكبير أبو الفتوح الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٢١٠ ولفظه : انَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّم على النار صُلباً أنزلك ، وبطناً حملك ، وثدياً أرضعك، وحِجراً كفلك .

٢ - عن أمير المؤمنين قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : هبط عليَّ جبرائيل فقال لي : يا محمَّد إنَّ الله عزَّ وجلَّ مشفِّعك في ستَّة : بطن حملك آمنة بنت وهب . وصُلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب . وحجر كفلك أبو طالب . وبيت آواك عبد المطلب وأخ كان لك في الجاهليَّة . وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذويب .

رواه السيِّد فخار بن معد في كتاب الحجَّة ص ٨ .

٣ - روى شيخنا المعلّم الأكبر الشيخ المفيد بإسناد يرفعه قال : لمّا مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فآذنه بموته فتوجَّع توجُّعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً ثمَّ قال لأمير المؤمنين عليه‌السلام : إمض يا عليّ فتولَّ أمره ، وتولَّ غسله وتحنيطه وتكفينه ، فإذا رفعته على سريره فأعلمني . ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه‌السلام فلمّا رفعه على السرير اعترضه النبيُّ عليه‌السلام فرقَّ وتحزَّن وقال : وصلتك رحم

(١) راجع ما أسلفناه ص ٤٢٠ .

وجزيت خيراً يا عمّ ! فلقد ربّيت وكفلت صغيراً ، ونصرت وآزرت كبيراً ، ثمَّ أقبل على الناس وقال : أمَ والله لأشفعنَّ لعمِّي شفاعة يعجب بهاأهل الثقلين .

وفي لفظ شيخنا الصدوق : ياعمّ كفلت يتيماً ،وربيت صغيراً ، ونصرت كبيراً فجزاك الله عنِّي خيراً[1] .

راجع تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، أمالي ابن بابويه الصدوق ، الفصول المختارة لسيِّدنا الشريف المرتضى ص ٨٠ ، الحجَّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص ٦٧ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة لسيِّدنا الشيرازي ، ضياء العالمين .

٤ ـ عن العبّاس بن المطلب رضي الله عنه أنَّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : كلَّ الخير أرجو من ربِّي عزَّ وجلَّ .

كتاب الحجَّة ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة . راجع ما أسلفناه ص ٤١٥ .

٥ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انَّه قال لعقيل بن أبي طالب : أنا احبُّك يا عقيل حبَّين : حبّاً لك وحبّاً لأبي طالب لأنَّه كان يحبُّك[2] .

علل الشرائع لشيخنا الصدوق ، الحجّة ص ٣٤ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٦ .

٦ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأُمِّي وعمّي وأخ لي مواخياً في الجاهليَّة . تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، ٤٩٠ ، تفسير البرهان ج ٣ ص ٧٩٤ . راجع ما أسلفناه في صفحة ٤٢٠ .

٧ ـ عن الإمام السبط الحسين بن عليّ عن والده أمير المؤمنين انَّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجلٌ فقال له : يا أمير المؤمنين ! إنَّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذَّبٌ في النار فقال له : مَه فضَّ الله فاك ، والذي بعث محمّداً بالحقِّ نبيّاً لو شفع أبي في كلِّ مذنب على وجه الأرض لشفَّعه الله ، أأبي

(١) راجع ما مرّ في صفحة ٤١٥ .
(٢) راجع ما أسلفناه ص ٤١٨ .

معذَّبٌ في النار وابنه قسيم الجنَّة والنار ؟ والذي بعث محمَّداً بالحقِّ إنَّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلاَّ خمسة أنوار : نور محمَّد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمَّة ، ألا إنَّ نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام .

المناقب المائة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان[1] كنز الفوائد للكراجكي ص ٨٠ أمالي ابن الشيخ ص ١٩٢ ، إحتجاج الطبرسي كما في البحار ، تفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١١ ، الحجَّة ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٥ ، ضياء العالمين ، تفسير البرهان ج ٣ ص ٧٩٤ .

٨ - عن مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام أنَّه قال : والله ما عَبَدَ أبي ولا جدِّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مُناف صنماً قطُّ . قيل له : فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يُصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه‌السلام متمسِّكين به .

رواه شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين ص ١٠٤ ، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١٠ ، والسيِّد في البرهان ج ٣ ص ٧٩٥ .

٩ - عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : قال عليّ عليه‌السلام إنَّ أبي حين حضره الموت شهده رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها .

رواه بإسناده السيِّد فخار بن معد في كتاب الحجَّة ص ٢٣ ، وذكره الفتوني في ضياء العالمين .

١٠ - عن أمير المؤمنين عليه‌السلام قال : ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من نفسه الرضا . تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، كتاب الحجَّة ص ٢٣ ، الدرجات الرفيعة ، ضياء العالمين .

١١ - عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنّه قال : كان والله أبو طالب بن

---

(١) محمد بن أحمد القمي الفامي أحد مشايخ شيخ الطائفة الطوسي والكراجكي ، والكتاب مخطوط موجود عندنا .

عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش .

قال أبو علي الموضح : ولأمير المؤمنين في أبيه يرثيه :

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ فصلّى عليك وليُّ النعم
ولقَّاك ربُّك رضوانه فقد كنت للمصطفى خير عم[1]

[كتاب الحجّة ص ٢٤]

١٢ - عن الأصبغ بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يقول : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمّونها الفهيرة ويذبحونها على النصب فلم يسلّم عليهم فلمّا انتهى إلى دار الندوة قالوا : يمرُّ بنا يتيم أبي طالب فلا يسلّم علينا فأيّكم يأتيه فيفسد عليه مصلّاه ؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي : أنا أفعل ؛ فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجدٌ فملأ به ثيابه ومظاهره فانصرف النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى أتى عمَّه أبا طالب فقال : يا عمّ من أنا ؟ فقال : ولِمَ يا بن أخي ؟ فقصَّ عليه القصَّة فقال : وأين تركتهم ؟ فقال : بالأبطح فنادى في قومه : يا آل عبد المطلب ! يا آل هاشم ! يا آل عبد مُناف ! فأقبلوا إليه من كلِّ مكان ملبِّين فقال : كم أنتم ؟ قالوا : نحن أربعون قال : خذوا سلاحكم . فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتّى انتهى إلى أُولئك النفر فلمّا رأوه أرادوا أن يتفرَّقوا فقال لهم : وربِّ هذه البنيَّة لا يقومنَّ منكم أحدٌ إلَّا جللته بالسيف . ثمَّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتّى قطعها ثلاثة أفهار[2] ثمَّ قال : يا محمَّد ! سألتني من أنت ؟ ثمَّ أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم :

أنت النبيُّ محمَّدُ قرمٌ أغرّ مسوَّد

إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٧٦ ثمَّ قال : يا محمَّد ! أيُّهم الفاعل بك ؟ فأشار

---

(١) راجع ما أسلفناه ص ٤١٨ .

(٢) ثلاثة أفهار : ثلاث قطع كل منها تملأ الكف .

النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبد الله بن الزبعرى السهمي الشاعر فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتّى أدماها ثمَّ أمر بالفرث والدم فأمرّ على رؤوس الملأ كلّهم ثمَّ قال : يا ابن أخ أرضيت ؟ ثمَّ قال : سألتني من أنت ؟ أنت محمَّد بن عبد الله ثمَّ نسَّبه إلى آدم عليه السلام ثمَّ قال : أنت والله أشرفهم حسباً ، وأرفعهم منصباً ، يا معشر قريش ! من شاء منكم يتحرَّك فليفعل ؛ أنا الذي تعرفوني[1] .

رواه السيِّد ابن معد في الحجَّة ص ١٠٦ ، وذكر لِدة هذه القضيَّة الصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٢٢ وفي طبع ص ٩١ ، وابن حجَّة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ج ٢ ص ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي .

١٣ ـ ذكر ابن فيّاض في كتابه شرح الأخبار : إنَّ عليّاً عليه السلام قال في حديث له : إنَّ أبا طالب هجم عليَّ وعلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ونحن ساجدان فقال : أفعلتماها ؟ ثم أخذ بيدي فقال : انظر كيف تنصره ، وجعل يرغِّبني في ذلك ويحضّني عليه . الحديث .

راجع ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف الفتوني .

١٤ ـ روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قيل له : من كان آخر الأوصياء قبل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : أبي .

[ضياء العالمين للفتوني]

١٥ ـ عن الإمام السّجاد زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي عليهم السلام أنّه سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً ؟ فقال عليه السلام : نعم . فقيل له : إنَّ هٰهنا قوماً يزعمون أنّه كافرٌ . فقال عليه السلام : واعجباً كلَّ العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وقد نهاه الله تعالىٰ أن يقرَّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ولا يشكّ أحدٌ انَّ فاطمة بنت أسد رضي الله تعالىٰ عنها من المؤمنات السابقات ، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه .

---

(١) راجع ما أسلفنا ص ٤٠٠ ويأتي في الجزء الثامن في الآيات ما يؤيد هذه القصة .

راجع ما مرّ ص ٤٢٢ ، وكتاب الحجّة ص ٢٤ ، والدرجات الرفيعة ؛ ضياء العالمين فقال : قيل إنّها متواترةٌ عندنا .

١٦ ـ عن أبي بصير ليث المرادي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : سيّدي إنّ الناس يقولون : إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فقال عليه السلام : كذبوا والله إنّ إيمان أبي طالب لو وُضع في كفّة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفّة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم . إلى آخر ما مرّ ص ٤٢٢ ، رواه السيّد في كتاب الحجّة ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصّدوق ، والسيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والفتوني في ضياء العالمين .

وروى السيّد ابن معد في كتاب الحجّة ص ٢٧ من طريق آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً . الخ .

١٧ ـ عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام قال : إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرُوا الإيمان وأظهروا الشّرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين .

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٤ ، أمالي الصدوق ص ٣٦٦ ، روضة الواعظين ص ١٢١ ، كتاب الحجّة ص ١١٥ ، وفي ص ١٧ ولفظه من طريق الحسين بن أحمد المالكي :

قال عبد الرَّحمٰن بن كثير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ الناس يزعمون أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار : فقال : كذبوا ، ما بهذا نزل جبرائيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قلت : وبمَ نزل ؟ قال : أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه فقال : يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول لك : إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشّرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين ، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرّتين ، وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالىٰ بالجنّة ، ثمّ قال : كيف يصفونه بهذا ؟ وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال : يا محمّد أُخرج من مكّة فما لك بها ناصرٌ بعد أبي طالب .

وذكره العلاّمة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٤ ، والسيّد في الدرجات

الرفيعة ، والفتوني في ضياء العالمين ، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره ج ٤ ص ٢١٢ .

١٨ ـ أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ج ١ ص ٢٤٤ بالإسناد عن إسحاق بن جعفر عن أبيه عليه‌السلام قال : قيل له : إنّهم يزعمون أنَّ أبا طالب كان كافراً ، فقال : كذبوا ، كيف وهو يقول :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمَّداً نبيّاً كموسى خُطَّ في أوَّل الكتب ؟

وذكره غير واحد من أئمَّة الحديث في تآليفهم رضوان الله عليهم أجمعين .

١٩ ـ أخرج ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي ج ١ ص ٢٤٤ عن الإمام الصادق قال : كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول ؟ :

لقد علموا أنَّ ابننا لا مكذَّبٌ لدينا ولا يعبأ بقيل الأَباطل

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وذكره السيِّد في البرهان ج ٣ ص ٧٩٥ ، وكذلك غير واحد من أعلام الطائفة أخذاً عن الكليني .

٢٠ ـ روى شيخنا أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ عن الإمام الصّادق عليه‌السلام قال : لمّا حضر أبا طالب رضي الله عنه الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش ! أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل حرمه ، فيكم السيِّد المطاع ، الطويل الذراع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، إعلموا أنَّكم لم تتركوا للعرب في المفاخر نصيباً إلَّا حزتموه ، ولا شرفاً إلَّا أدركتموه ، فلكم على الناس بذلك الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب إلى آخر ما مرَّ في ص ٤٠٧ من مواقف سيِّدنا أبي طالب المشكورة المرويَّة من طرق أهل السنَّة ، وذكر هذه الوصيَّة شيخنا العلّامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٣ .

٢١ ـ حدَّث شيخنا أبو جعفر الصدوق في إكمال الدين ص ١٠٣ بالإسناد عن محمّد بن مروان عن الإمام الصادق عليه‌السلام : إنَّ أبا طالب أظهر الكفر وأسرَّ الإيمان

فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أُخرج منها فليس لك بها ناصر . فهاجر إلى المدينة .

وذكره سيِّدنا الشريف المرتضى في الفصول المختارة ص ٨٠ فقال : هذا يبرهن عن إيمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقوية أمره .

وذيل الحديث رواه السيِّد الحجَّة ابن معد في كتابه «الحجَّة» ص ٣٠ وقال في ص ١٠٣ : لمّا قبض أبو طالب اتَّفق المسلمون على أنَّ جبرائيل عليه السلام نزل على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال له : ربُّك يقرئك السَّلام ويقول لك : إنَّ قومك قد عولوا على أن يُبيِّتوك وقد مات ناصرك فاخرج عنهم وأمره بالمهاجرة . فتأمل إضافة الله تعالىٰ أبا طالب رحمه الله إلى النبيِّ عليه السلام وشهادته له أنَّه ناصره ، فإنَّ في ذلك لأبي طالب أوفى فخر وأعظم منزلة وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطاً لهم مع ما سمعوا مِن شعره وتوحيده وتصديقه للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يمكنهم قتله والمنابذة له لأنَّ قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مُناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم ، كافرهم ومؤمنهم كانوا معه ، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافَّة ، ولذلك قال أبو لهب لمّا سمع قريشاً يتحدَّثون في شأنه ويفيضون في أمره : دعوا عنكم هذا الشيخ فإنَّه مغمٌ بابن أخيه ، والله لا يُقتل محمَّد حتَّى يُقتل أبو طالب ، ولا يقتل أبو طالب حتّى تُقتل بنو هاشم كافّة ، ولا تُقتل بنو هاشم حتّى تُقتل بنو عبد مُناف ، ولا تقتل بنو عبد مُناف حتّى تُقتل أهل البطحاء ؛ فامسكوا عنه وإلاَّ ملنا معه فخاف القومِ أن يفعل فكفُّوا ، فلمّا بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته فقال يستعطفه ويرقِّقه :

عجبت لحلم يا ابن شيبة حادث ... وأحلام أقوام لديك ضعاف

إلى آخر أبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣٠٧ مع زيادة خمسة أبيات لم يذكرها السيِّد في الحجّة . وذكرها ابن الشجري في حماسته ص ١٦ .

فقال السيِّد : فلمّا أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضاً :

وإنَّ امرأً من قومه أبو معتب[1] ... لفي منعة من أن يسام المظالما

---

(١) يعني به أبا لهب .

أقول له وأين منه نصيحتي : أبا معتب ثبِّت سوادك قائما

إلى أبيات خمسة . وقد ذكرها ابن هشام في سيرته ج ١ ص ٣٩٤ مع زيادة أربعة أبيات غير أنَّ البيت الأوَّل فيه :

وإنَّ امرأً أبو عُتيبة عمُّه لفي روضة ما إن يُسام المظالما

وذكرها ابن أبي الحديد في الشرح ج ٣ ص ٣٠٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٣ ص ٩٣ .

٢٢ - عن يونس بن نباتة عن الإمام الصّادق عليه السلام قال : يا يونس ! ما يقول الناس في أبي طالب ؟ قلت : جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار يغلي منها أمّ رأسه فقال : كذب أعداء الله ، إنَّ أبا طالب من رفقاء النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً .

كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي ص ٨٠ ، كتاب الحجَّة ص ١٧ ، ضياء العالمين .

٢٣ - روى الشريف الحجَّة ابن معد في كتاب الحجَّة ص ٢٢ من طريق شيخنا أبي جعفر الصّدوق عن داود الرقي قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين وقد خفت نواه فشكوت ذلك إليه فقال عليه السلام : إذا مررت بمكّة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلِّ عنه ركعتين ، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلِّ عنه ركعتين ، وطف عن عبد الله طوافاً وصلِّ عنه ركعتين ، وطف عن آمنة طوافاً وصلِّ عنها ركعتين ، وعن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلِّ عنها ركعتين . ثم ادع الله عزَّ وجلَّ أن يردَّ عليك مالك . قال : ففعلت ذلك ثمَّ خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول : يا داود ! جئني هناك فاقض حقّك .

وذكره العلاّمة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٤ .

٢٤ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : بينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام وعليه ثيابٌ له جدد فألقى المشركون عليه سلا[1]

(١) السلا : الجلدة التي يكون فيها الولد .

ناقة فملأوا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب إلى أبي طالب فقال له : يا عمّ ! كيف ترى حسبي فيكم ؟ فقال له : وما ذاك يابن أخي ؟ فأخبره الخبر فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة : خذ السلا ثمَّ تَوجَّه إلى القوم والنبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة ، فلمّا رأوه عرفوا الشرَّ في وجهه ثمَّ قال لحمزة : أمرَّ السلا على أسبلتهم[1] ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم ثمَّ التفت أبو طالب إلى النبيِّ فقال : يابن أخي هذا حسبك فينا .

وذكره جمع من الأعلام وأئمّة الحديث في تآليفهم .

٢٥ ـ أخرج أبو الفرج الأصبهاني بإسناده عن الإمام الصّادق عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب عليه السلام وأن يدوّن وقال : تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنّه كان على دين الله وفيه علمٌ كثير .

كتاب الحجّة ص ٢٥ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ٢٤ ، ضياء العالمين للفتوني .

٢٦ ـ روى شيخنا الصَّدوق في أماليه ص ٣٠٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : أوّل جماعة كانت انَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلّي وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب معه إذ مرَّ أبو طالب به وجعفر معه قال : يا بنيَّ صِلْ جناح إبن عمِّك فلمّا أحسّه رسول الله تقدَّمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول :

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي عند ملمِّ الزمان والكرب

إلى آخر أبيات مرَّت صحيفة ٣٩٧ وتأتي في ص ٤٤٠ ، والحديث رواه الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١١ .

٢٧ ـ أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٢ بإسناده عن درست بن أبي منصور أنَّه سأل أبا الحسن الأوَّل ـ الإمام الكاظم ـ عليه السلام : أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محجوجاً بأبي طالب ؟ فقال : لا . ولكنَّه كان مستودعاً للوصية فدفعها إليه فقال : قلت : فدفع إليه الوصية على أنَّه محجوجٌ به؟ فقال : لو كان محجوجاً به ما

(١) وفي بعض النسخ . سبالهم جمع السبلة : مقدمة اللحية . وما على الشارب من الشعر .

دفع إليه الوصيَّة قال : قلت : فما كان حال أبي طالب ؟ قال : أقرَّ بالنبيِّ وبما جاء به ودفع إليه الوصية ومات من يومه .

قال الأميني : هذه مرتبة فوق مرتبة الإيمان فإنَّها مشفوعةً بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه‌السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجيَّة في وقته فضلاً عن بسيط الإيمان ، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حدِّ ظنِّ السائل أنَّ النبيَّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كان محجوجاً به قبل بعثته ، فنفى الإمام عليه‌السلام ذلك ، وأثبت ما ثبت له من الوصاية وأنَّه كان خاضعاً بالإبراهيميَّة ، ثمَّ رضخ للمحمديَّة البيضاء ، فسلّم الوصية للصادع بها ، وقد سبق إيمانه بالولاية العلويَّة الناهض بها ولده البارُّ صلوات الله وسلامه عليه .

٢٨ ـ أخرج شيخنا أبو الفتح الكراجكي ص ٨٠ بإسناده عن أبان بن محمَّد قال كتبت إلى الإمام الرضا عليِّ بن موسى الرضا عليه‌السلام : جعلت فداك . إلى آخر ما مرَّ في ص ٤٢٣ .

وذكره السيِّد في كتاب الحجَّة ص ١٦ ، والسيِّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والعلاَّمة المجلسي في بحار الأنوار ص ٣٣ ، وشيخنا الفتوني في ضياء العالمين .

٢٩ ـ روى شيخنا المفسِّر الكبير أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١١ عن الإمام الرّضا سلام الله عليه وقال روى عن آبائه بعدَّة طرق : إنَّ نقش خاتم أبي طالب عليه‌السلام كان :

رضيت بالله ربّاً ، وبابن أخي محمَّد نبيّاً ، وبابني عليّ له وصيّاً .

ورواه السيِّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والأشكوري في محبوب القلوب .

٣٠ ـ أخرج الشيخ أبو جعفر الصدوق بإسناد له : إنَّ عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرِّضا عليه‌السلام : عرِّفني يابن رسول الله عن الخبر المرويِّ : إنَّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي

منه دماغه . فكتب إليه الرِّضا عليه السلام :

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم ، أمّا بعد : فإنَّك إن شككت في ايمان أبي طالب كان مصيرك إلى النّار .

كتاب الحجَّة ص ١٦ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف .

٣١ ـ أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصَّدوق بالإسناد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل : إنَّ الله تبارك وتعالىٰ أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إنِّي قد أيَّدتك بشيعتين : شيعةٌ تنصرك سرّاً ، وشيعةٌ تنصرك علانية ، فأمَّا التي تنصرك سرّاً فسيِّدهم وأفضلهم عمُّك أبو طالب ، وأمَّا التي تنصرك علانية فسيِّدهم وأفضلهم ابنه عليٌّ بن أبي طالب . ثمَّ قال : وإنَّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه .

كتاب الحجَّة ص ١١٥ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف .

٣٢ ـ أخرج شيخنا الصَّدوق في أماليه ص ٣٦٥ من طريق الأعمش عن عبد الله بن عبّاس عن أبيه قال : قال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يابن أخي ! الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : فأرني آية . قال : ادع لي تلك الشجرة . فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمَّ انصرفت ، فقال أبو طالب : أشهد أنّك صادق ، يا علي صِل جناح ابن عمِّك .

ورواه أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ ، ورواه السيِّد ابن معد في الحجِّة ص ٢٥ ولفظه : قال أبو طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمحضر من قريش ليريهم فضله : يابن أخي الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : إنَّ للأنبياء معجزاً وخرق عادة فأرنا آية . قال : ادع تلك الشجرة وقل لها : يقول لك محمَّد بن عبد الله : أقبلي بإذن الله . فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمَّ أمرها بالإنصراف فانصرفت ، فقال أبو طالب : أشهد أنَّك صادقٌ . ثمَّ قال لابنه عليّ عليه السلام : يا بنيَّ إلزم ابن عمِّك .

وذكره غير واحد من أعلام الطائفة .

٣٣ ـ أخرج أبو جعفر الصَّدوق قدس الله سره في الأمالي ص ٣٦٦ بإسناده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عبّاس أنَّه سأله رجل فقال له : يابن عمِّ رسول الله ! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً ؟ قال : وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل ؟ :

وقد علموا أنَّ ابننا لا مكذَّب ... لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطل

إنَّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسرّوا الإيمان وأظهروا الشِّرك فأتاهم الله أجرهم مرَّتين .

ورواه السيِّد ابن معد في (الحجّة) ص ٩٤ ، ١١٥ ، وذكره غير واحد من أئمّة الحديث .

٣٤ ـ أخرج شيخنا أبو علي الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين ص ١٢٣ عن ابن عبّاس قال : مرَّ أبو طالب ومعه جعفر ابنه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد الحرام يصلّي صلاة الظهر وعليٌّ عليه السلام عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر : صِلْ جناح ابن عمِّك فتقدَّم جعفر وتأخّر عليٌّ واصطفا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى قضى الصَّلاة وفي ذلك يقول أبو طالب :

إن عليّاً وجعفراً ثقتي ... عند ملمِّ الزمان والنوب[1]

أجعلهما عرضة العداء إذا ... أُترك ميتاً وانتمي إلى حسبي

لا تخذلا وانصرا ابن عمِّكما ... أخي لأمّي من بينهم وأبي

واللّه لا أخذل النبيَّ ولا ... يخذله من بَنيَّ ذو حسب[2]

وأخرج سيِّدنا ابن معد في كتاب الحجَّة ص ٥٩ بإسناده عن عمران بن الحصين الخزاعي قال : كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه ، وذلك : مرَّ أبو طالب ومعه إبنه جعفر برسول الله وهو يُصلّي وعليٌّ عليه السلام عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر : صِلْ جناح ابن عمِّك فجاء جعفر فصلّى مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فلمّا قضى

---

(١) وفي نسخة : عند احتدام الهموم والكرب .

(٢) راجع فيما أسلفناه ص ٤٣٧ .

صلاته قال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : يا جعفر ! وصلت جناح ابن عمّك ، إنَّ الله يعوِّضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنّة . فأنشأ أبو طالب رضوان الله عليه يقول :

إنَّ عليّاً وجعفراً ثقتي ... عند ملمِّ الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما ... أخي لأُمّي من بينهم وأبي
انَّ أبا معتب قد أسلمنا ... ليس أبو معتب بذي حدب[1]
واللّه لا أخذل النبيَّ ولا ... يخذله من بَنيَّ ذو حسب
حتى ترون الرؤوس طايحةً ... منّا ومنكم هناك بالقضب
نحن وهذا النبيُّ أُسرته ... نضرب عنه الأعداء كالشهب
إن نلتموه بكلِّ جمعكُم ... فنحن في الناس الأَم العرب

ورواه شيخنا أبو الفتح الكراجكي بطريق آخر عن أبي ضوء بن صلصال قال : كنت أنصر النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب قبل إسلامي ، فإنّي يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدَّة القيظ إذ خرج أبو طالب إليَّ شبيهاً بالملهوف فقال لي : يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين ؟ يعني النبيَّ وعليّاً عليهما السلام فقلت : ما رأيتهما مُذ جلست فقال : قم بنا في الطلب لهما فلست آمن قريشاً أن تكون اغتالهما قال : فمضينا حتّى خرجنا من أبيات مكّة ، ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناه إلى قلّته فإذا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ عن يمينه وهما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان فقال أبو طالب لجعفر ابنه وكان معنا : صِلْ جناح ابن عمِّك . فقام إلى جنب عليّ فأحسَّ بهما النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فتقدَّمهما وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا ممّا كانوا فيه ثمَّ أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردَّد في وجه أبي طالب ثمَّ انبعث يقول الأبيات .

٣٥ ـ عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : أخبرني أبي أنَّ أبا طالب رضي الله عنه شهد عند الموت أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله .

[ضياء العالمين]

---

(١) أبو معتب كنية أبي لهب كما مرّ . ذي حدب : ذي تعطف .

٣٦ - في تفسير الوكيع من طريق أبي ذر الغفاري أنَّه قال : والله الذي لا إلٰه إلَّا هو ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتّى أسلم بلسان الحبشة قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أتفقه الحبشة ؟ قال : يا عمّ ! إنَّ الله علّمني جميع الكلام . قال : يا محمَّداً ! اسدن لمصاقا قاطالاها . يعني أشهد مخلصاً لا إلٰه إلَّا الله ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : إنَّ الله أقرَّ عيني بأبي طالب . ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

أحبَّ سيِّد الأبطح الشهادة بلغة الحبشة في موقفه هذا بعدما أكثرها بلغة الضّاد وبغيرها كما فصّل القول فيها شيخنا الحجَّة أبو الحسن الشريف الفتوني المتوفّى سنة ١١٣٨ في كتابه القيِّم الضخم «ضياء العالمين» وهو أثمن كتاب أُلِّف في الإمامة .

٣٧ - روى شيخنا أبو الحسن قطب الدين الراوندي في كتابه - الخرائج والجرائح - عن فاطمة بنت أسد أنَّها قالت : لمّا توفّي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عنده لوصيَّة أبيه به وكنت أخدمه وكان في بستان دارنا نخلات وكان أوَّل إدراك الرطب وكنت كلّ يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي.فاتَّفق يوماً أن نسيت أن أُلتقط له شيئاً ونسيت جاريتي أيضاً ، وكان محمَّد نائماًودخل الصبيان وأخذوا كلّما سقط من الرطب وانصرفوا فنمت ووضعت الكمّ على وجهي حياءً من محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتبه. فانتبه محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ودخل البستان فلم ير رطبةً على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال : أيَّتها الشجرة أنا جائع . فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتَّى أكل منها ما أراد ثمَّ ارتفعت إلى موضعها ، فتعجَّبت من ذلك وكان أبو طالب رضي الله عنه غائباً فلمّا أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال : هو إنَّما يكون نبيّاً وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس . فولدت عليّاً عليه السلام كما قال .

٣٨ - روى شيخنا الفقيه الأكبر ابن بابويه الصَّدوق في أماليه ص ١٥٨ بالإسناد عن أبي طالب سلام الله عليه قال : قال عبد المطلب : بينا أنا نائمٌ في الحجر إذ رأيت رؤياً هالتني فأتيت كاهنة قريش وعليَّ مطرف خزّ وجمّتي تضرب منكبي ، فلمّا نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغيّر ، فاستوت وأنا يومئذ سيِّد قومي فقالت : ما شأن

سيِّد العرب متغيّر اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب ؟ فقلت لها : بلى إنّي رأيت الليلة وأنا نائمٌ في الحجر كأنَّ شجرة قد نبتت على ظهري قد نال رأسها السَّماء وضربت بأغصانها الشرق والغرب ، ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها ، وهي كلّ يوم تزداد عظماً ونوراً ، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شابٌّ من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً فيأخذهم ويكسِّر ظهورهم ويقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشابُّ وقال : مهلاً ليس لك منها نصيب ، فقلت : لمن النصيب والشجرة منّي ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين قد تعلَّقوا بها وسيعود إليها ، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغيِّر اللون ، فرأيت لون الكاهنة قد تغيَّر ثمَّ قالت : لئن صدقت ليخرجنَّ من صُلبك ولدٌ يملك الشرق والغرب وينبّىء في الناس . فتسرّى عنّي غمّي ، فانظر أبا طالب لعلَّك تكون أنت ، وكان أبو طالب يحدِّث بهذا الحديث والنبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين .

٣٩ ـ قال السيِّد الحجَّة في كتابه (الحجَّة) ص ٦٨ : ذكر الشريف النسَّابة العلوي العمري المعروف بالموضح بإسناده : انَّ أبا طالب لَمَّا مات لم تكن نزلت الصَّلاة على الموتى فما صلّى النبيُّ عليه ولا على خديجة ، وإنَّما اجتازت جنازة أبي طالب والنبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ وجعفر وحمزة جلوسٌ فقاموا وشيعوا جنازته واستغفروا له فقال قوم : نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ظنّاً منهم أنَّ أبا طالب مات مشركاً لأنَّه كان يكتم إيمانه فنفى الله عن أبي الشرك ونزّه نبيَّه صلّى الله عليه وآله وسلّم والثلاثة المذكورين عليهم السلام عن الخطأ في قوله : ﴿**ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى**﴾ ، فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبيِّ بالخطأ والله تعالىٰ قد نزَّهه عنه في أقواله وأفعاله . الخ .

وأخرج أبو الفرج الإصبهاني بالإسناد عن محمَّد بن حميد قال : حدَّثني أبي قال : سئل أبو الجهم بن حذيفة : أصلّى النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على أبي طالب ؟ فقال : وأين الصَّلاة يومئذ ؟ إنَّما فرضت الصَّلاة بعد موته ، ولقد حزن عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمر عليّاً بالقيام بأمره وحضر جنازته وشهد له العبَّاس وأبو بكر بالإيمان

وأشهد على صدقهما لأنه كان يكتم إيمانه ولو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر إيمانه .

٤٠ ـ عن مقاتل : لمّا رأت قريش يعلو أمر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : لا نرى محمَّداً يزداد إلّا كبراً وإن هو إلّا ساحرٌ أو مجنونٌ ، فتعاقدوا لئن مات أبو طالب رضي الله عنه ليجمعنَّ القبائل كلّها على قتله ، فبلغ أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصّاهم بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ابن أخي كلّما يقول أخبرنا بذلك آباؤنا وعلمائنا ، وأنَّ محمَّداً نبيٌّ صادقٌ ، وأمينٌ ناطقٌ ، وانَّ شأنه أعظم شأن ، ومكانه من ربِّه أعلى مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته ، وروموا عدوّه من وراء حوضته ، فإنَّه الشرف الباقي لكم طول الدهر ثمَّ أنشأ يقول :

أُوصي بنصر النبيِّ الخير مشهده	عليّاً ابني وعمّ الخير عبّاسا
وحمزة الأسد المخشيّ صولته	وجعفراً أن يذودوا دونه النّاسا
وهاشماً كلّها أُوصي بنصرته	أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فداءً لكم أُمّي وما ولدت	من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكلِّ أبيض مصقول عوارضه	تخاله في سواد الليل مقباسا[1]

قال الأميني : هذه جملةٌ ممّا أوقفنا السير عليه من أحاديث رواة الحقِّ والحقيقة وصفحنا عمّا يربو على الأربعين روماً للاختصار ، فأنت اذا أضفت إليها ما أسلفناه ممّا يروى عن آل أبي طالب وذويه ، وأشفعتها بما مرَّ من أحاديث مواقف سيِّد الأباطح ، وجمعتها مع ما جاء من الشهادات الصريحة في شعره تربو الأدلّة على إيمانه الخالص وإسلامه القويم على مائة دليل ، فهل من مساغ لذي مسكة أن يصفح عن هذه كلّها ؟ وكلُّ واحد منها يحقُّ أن يستند إليه في إسلام أيِّ أحد ، نعم : إنَّ في أبي طالب سرّاً لا يثبت إيمانه بألف دليل ، وإيمان غيره يثبت بقيل مجهول ودعوى مجرَّدة ، إقرأ واحكم .

وقد فصَّل القول في هذه الأدلَّة جمعٌ من أعلام الطائفة كشيخنا العلّامة الحجة

---

(١) ضياء العالمين لشيخنا الفتوني .

المجلسي في بحار الأنوار ج ٩ ص ١٤ - ٣٣ ، وشيخنا العلم القدوة أبي الحسن الشريف الفتوني في الجزء الثاني من كتابه القيِّم الضخم ضياء العالمين (والكتاب موجودٌ عندنا) وهو أحسن ما كتب في الموضوع كما أنَّ ما ألَّفه السيِّد البرزنجي ولخَّصه السيِّد أحمد زيني دحلان أحسن ما أُلِّف في الموضوع بقلم أعلام أهل السنّة ، وأفرد ذلك بالتأليف آخرون منهم :

١ - سعد بن عبد الله أبو القاسم الأشعري القميّ المتوفى سنة ٢٩٩/٣٠١ ، له كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله أبي النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم «رجال النجاشي ص ١٢٦» .

٢ - أبو علي الكوفي أحمد بن محمّد بن عمّار المتوفّى سنة ٣٤٦ ، له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست الشيخ ص ٢٩ ، ورجال النجاشي ص ٧٠ .

٣ - أبو محمَّد سهل بن أحمد بن عبد الله الديباجي سمع منه التلعكبري سنة ٣٧٠ له كتاب إيمان أبي طالب ، ذكره النجاشي في فهرسته ص ١٣٣ .

٤ - أبو نعيم عليٌّ بن حمزة البصري التميمي اللغوي المتوفّى سنة ٣٧٥ له كتاب إيمان أبي طالب ، توجد نسخته عند شيخنا الحجّة ميرزا محمّد الطهراني[١] في سامراء المشرَّفة . نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي طالب واتَّهم مؤلفه بالرفض .

٥ - أبو سعيد محمَّد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري جدُّ المفسِّر الكبير الشيخ أبي الفتوح الخزاعي لأُمّه ، له كتاب (منى الطالب في إيمان أبي طالب) رواه الشيخ منتجب الدين كما في فهرسته ص ١٠ عن سبطه الشيخ أبي الفتوح عن أبيه عنه .

٦ - أبو الحسن عليُّ بن بلال بن أبي معاوية المهلبي الأزدي له كتاب (البيان عن خيرة الرحمٰن) في إيمان أبي طالب وآباء النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ذكره له الشيخ في فهرسته ص ٩٦ ، والنجاشي ص ١٨٨ .

---

(١) توفّي قدس الله سرّه وأبقى ا، آثارا ومآثر تذكر مع الأبد وتشكر .

٧ ـ أحمد بن القاسم ، له كتاب إيمان أبي طالب ، رآه النجاشي (كما في فهرسته ص ٦٩) بخطِّ الحسين بن عبيد الله الغضائري .

٨ ـ أبو الحسين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن طرخان الكندي الجرجاني صديق النجاشي المتوفّى سنة ٤٥٠ ، ذكر له النجاشي في فهرسته ص ٦٣ كتاب إيمان أبي طالب .

٩ ـ شيخنا الأكبر أبو عبد الله المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان المتوفّى سنة ٤١٣ له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست النجاشي ص ٢٨٤ .

١٠ ـ أبو علي شمس الدّين السيِّد فخار بن معد الموسوي المتوفّى سنة ٦٣٠ ، له كتاب (الحجَّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) قرَّظه العلاّمة السيِّد محمّد صادق بحر العلوم بقوله :

بشراك (فخار) بما أولا ... ك الخالق في يوم المحشر

نزَّهت بحجَّتك الغرّا ... شيخ البطحاء أبا حيدر

عمّا نسبوه إليه من الـ ... ـكفر المردود دعاة الشر

أنّى وبه قام الإسلا ... م فنال بعلياه المفخر

قسماً بولاء (أبي حسن) ... لولاه الدين لما أزهر

فعليه من اللّه الرضوا ... ن وللأعدا نارٌ تسعر

١١ ـ سيِّدنا الحجَّة أبو الفضائل أحمد بن طاوس الحسني المتوفّى سنة ٦٧٣ ، له كتاب إيمان أبي طالب ، ذكره في كتابه بناء المقالة العلويَّة لنقض الرسالة العثمانيّة ، وهو كتاب في الإمامة ألَّفه في الردِّ على رسالة أبي عثمان الجاحظ .

١٢ ـ السيِّد الحسين الطباطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ المتوفّى سنة ١٣٠٧ له كتاب (منية الطالب في ايمان أبي طالب) فارسيٌّ مطبوع .

١٣ ـ المفتي الشريف السيِّد محمد عباس التستري الهندي المتوفّى سنة ١٣٠٦ ، له كتاب (بغية الطالب في إيمان أبي طالب) أحد شعراء الغدير تأتي

ترجمته في القرن الرابع عشر ، إن شاء الله تعالىٰ .

١٤ ـ شمس العلماء ميرزا محمَّد حسين الكركاني له كتاب (مقصد الطالب في إيمان آباء النبيِّ وعمّه أبي طالب) فارسيٌّ طبع في بمبيء سنة ١٣١١ .

١٥ ـ الشيخ محمَّد علي ابن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي نزيل مكّة المعظَّمة له كتاب (القول الواجب في إيمان أبي طالب) .

١٦ ـ شيخنا الحجَّة الحاج ميرزا محسن ابن العلاّمة الحجَّة ميرزا محمَّد التبريزي .

١٧ ـ السيِّد محمَّد علي آل شرف الدين العاملي[١] له كتاب (شيخ الأبطح أو أبو طالب) طبع في بغداد سنة ١٣٤٩ في ٩٦ صفحة وقد جمع فيه فأوعى ، ولم يبق في القوس منزعاً .

١٨ ـ الشيخ ميرزا نجم الدين ابن شيخنا الحجَّة ميرزا محمَّد الطهراني ، له كتاب (الشهاب الثاقب لرجم مكفِّر أبي طالب) .

١٩ ـ الشيخ جعفر ابن الحاج محمَّد النقدي «المرحوم» . له كتاب (مواهب الواهب في فضائل ابي طالب) طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤١ في ١٥٤ صفحة ، فيه فوائد جمَّة وطرائف ونوادر .

وقد نظم ذلك كثيرون من أعاظم الشيعة في قريضهم وممّا يسعنا إثباته هٰهنا قول السيِّد أبي محمَّد عبد الله بن حمزة الحسني الزيدي من قصيدة :

حماه أبونا أبو طالب ... وأسلم والناس لم تسلم
وقد كان يكتم إيمانه ... وأمّا الولاء فلم يكتم

وقول الشريف العلاّمة السيِّد علي خان الشيرازي[٢] في الدرجات الرفيعة :

---

(١) انتقل إلى دار البقاء سنة ١٣٧٢ وأبقى لهفة وجوى في قلوب أُمّة كبيرة كانت تعرفه بفضائله وفواضله .

(٢) أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته إن شاء الله تعالىٰ .

أبو طالب عمُّ النبيِّ محمَّد ... به قام أزر الدين واشتدَّ كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر أنّه ... موازره دون الأنام وكافله
لئن جهلت قومٌ عظيم مقامه ... فما ضرَّ ضوء الصبح من هو جاهله
ولولاه ما قامت لأحمد دعوةٌ ... ولا انجاب ليل الغيِّ وانزاح باطله
أقرَّ بدين اللّه سرّاً لحكمة ... فقال عدوُّ الحقِّ ما هو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة ... إذا عصفت من ذي العناد أباطله ؟
وكيف يحلُّ الذمُّ ساحة ماجدٍ ... أواخره محمودةٌ وأوائله
عليه سلام اللّه ما ذرَّ شارقٌ ... وما تليت أحسابه وفضائله

ومن قصيدة للشريف الأجلّ سيِّدنا آية الله السيِّد ميرزا عبد الهادي الشيرازي (١) :

ولي ندحةٌ في مدحة الندب والد الـ ... ـأئمة أعدال الكتاب أولي الأمر
هو العلم الهادي أزين بمدحه ... شعوري ويزهو في مآثره شعري
أبو طالب حامي الحقيقة سيِّدٌ ... تزان به البطحاء في البرِّ والبحر
أبو طالب والخيل والليل واللوا ... له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر
أبو الأوصياء الغرّ عمُّ محمَّد ... تضوع به الأحساب عن طيِّب النجر
لقد عرفت منه الخطوب محنَّكاً ... تدرَّع يوم الزحف بالباس والحجر
كما عرفت منه الجدوب أخا ندى ... دُوين سداه الغمر ملتطم البحر
فذا واحد الدنيا وثان له الحيا ... وقل في سناه ثالث الشمس والبدر
وأنّى يحيط الوصف غُرَّ خصاله ... وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
حمى المصطفى في باس ندب مدجَّج ... تذلُّ له الأبطال في موقف الكرِّ
فلولاه لم تنجح لطاها دعاية ... ولا كان للإسلام مستوسق الأمر
وآمن باللّه المهيمن والورى ... لهم وثبات من يعوق إلى نسر
وجابه أسراب الضَّلال مصدِّقاً ... نبيّ الهدى إذ جاء يصدع بالأمر
كفى مفخراً شيخ الأباطح أنَّه ... أبو حيدر المندوب في شدَّة الضرِّ

(١) أحد شعراء الغدير يأتي ذكره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله .

وصلّى عليه اللّه ما هبَّت الصبا ... برِيّا ثنا شيخ الأباطح في الدهر

وقال العلاَّمة الحجَّة شيخنا الأوردبادي[١] :

بشيخ الأبطحين فشا الصَّلاحُ ... وفي أنواره زهت البطاح
براه اللّه للتوحيد عضباً ... يلين به من الشركِ الجماح
وعمٌّ المصطفى لولاه أضحى ... حمى الإسلام نهباً يستباح
نضا للدين منه صفيح عزم ... عنت لمضائه القضب الصفاح
وأشرع للهدى بأْساً مريعاً ... تحطَّم دونه السّمر الرماح
وأصحر بالحقيقة في قريض ... عليه الحقُّ يطفح والصلاح
صريخة هاشم في الخطب لكن ... تزمّ لنيله الإبل الطلاح
أخو الشرف الصراح أقام أمراً ... حداه لمثله الشرف الصراح
فلا عابٌ يدنِّسه ولكن ... غرائز ما برحن به سجاح
فعلمٌ زانه خلقٌ كريمٌ ... ودينٌ فيه مشفوعٌ سماح
ومنه الغيث إمّا عمَّ جدب ... وفيه الغوث إن عن الصباح
مناقب أعيت البلغاء مدحاً ... وتنفد دونها الكلم الفصاح
وصفو القول إنَّ أبا عليّ ... له الدين الأصيل ولا براح
ولكن لابنه نصبوا عداءً ... وما عن حيدر فضلٌ يزاح
فنالوا من أبيه وما المعالي ... لكلِّ محاولٍ قصداً تُباح
وضوء البدر أبلج لا يوارى ... وإن يك حوله كثر النباح
(وهبني قلت : إنَّ الصبح ليلٌ) ... فهل يخفى لذي العين الصباح ؟
فدع بمتاهة التضليل قوماً ... بمرتبك الهوى لهم التياح

فذا شيخ الأباطح في هداه ... تصافقه الإمامة والنجاح
أبو الصيد الأكارم من لويّ ... مقاديم جحاجحة وضاح

---

(١) من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالىٰ .

لهم كأبيهمُ إن جال سهمٌ لأهل الفضل فائزة قداح

وقال العلاّمة الأوحد الشيخ محمَّد تقي صادق العاملي من قصيدة يمدح بها أهل البيت عليهم السلام :

بسيف عليّ قد أُشيدت صروحه كما بأبيه قام قدماً بناؤه
أبو طالب أصل المعالي ورمزها ومبدأ عنوان الهدى وانتهاؤه
توحّد في جمع الفضائل والنُّهى وضمَّ جميع المكرمات رداؤه
وتنحطُّ عنه رفعةً هامة السُّهى ويأرج في عرف الخزامى ثناؤه
حمى الخائف اللاجي ومربع أمنه وكعبة قصد المرتجي وغناؤه
تحلّق في جمع المكارم نفسه ويسمو به للنيِّرين إباؤه
أصاخ إلى الدين الحنيف ملبِّياً لدعوته لمّا أتاه نداؤه
وباع بإعزاز الشريعة نفسه فبورك قدراً بيعه وشراؤه

وقال العلاّمة الشريف المبجّل السيِّد علي النقي اللكهنوي[١] :

زهت أمُّ القرى بأبي الوصيِّ غداة غدا يذود عن النبيِّ
وقام بنصرة الإسلام فرداً يراغم كلَّ مختال غويِّ
يذبُّ عن الهدى كيد الأعادي بأمضى من ذباب المشرفيِّ
وأبصر رشده من دين طاها فجاهر فيه بالسرِّ الخفيِّ
وآمن بالإله الحقِّ صدقاً بقلب موحِّدٍ بَرٍّ تقيِّ
بنى للسؤدد العربيِّ صرحاً محاطاً بالفخار الهاشمي
تلقّى الرشد عن آباء صدقٍ توارثه صفيّاً عن صفيِّ
كأنَّ الأمّهات لهم أبت أن تلدن سوى نبيّ أو وصيِّ
فكان على الهدى كأبيه قِدماً ولم يبرح على النهج السويِّ
وكان به رواء الشَّرع بدءاً وتمَّ بنجله الزاكي عليِّ

وقال العلاّمة الفاضل الشيخ محمَّد السماوي[٢] من قصيدة نشرت في آخر

---

(١) أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله .

(٢) أحد شعراء الغدير يأتي ذكره إن شاء الله . توفّي رحمه الله في يوم الأحد ٢ محرم سنة ١٣٧٠ .

كتاب الحجّة ص ١٣٥ مطلعها :

فؤاديَ بالغادة الكاعب ... غدا كُرةً في يدي لاعب
كأنّي بدائرة من هوى ... فمن طالع لي ومن غارب
بليت بمن ضربت خدرها ... بمنقطع النظر الصائب
بحيث الصفاح وحيث الرما ... ح فمن مشرفيٍّ إلى راغب
لها منعةٌ في ذرى قومها ... كأنَّ أباها (أبو طالب)
فخار الأبيِّ وعمُّ النبيِّ ... وشيخ الأباطح من غالب
وأمنع لا يرتقي أجدل ... إلى ذروة منه أو غارب
إذا الرافع الطرف يرنوله ... يعود بتنحية الناصب
تهلّل طلعته للعيو ... ن كما جرِّد الغمد عن قاضب
أقام عماد العلى سامكاً ... بأربعة كالسنا الثاقب
بمثل (عليٍّ) إلى (جعفر) ... ومثل (عقيل) إلى (طالب)
أولئك لا زمعات الرجا ... ل من قالص الذيل أو ساحب
ومن ذا كعبد مُناف يطو ... ل على راجل ثمَّ أو راكب
حمى الدين في سيفه فانبرى ... بمكّة ممتنع الجانب
وآمن بالله في سرِّه ... لأمرٍ جليٍّ على الطالب
وصدَّق (أحمد) في وحيه ... وقام بما كان من واجب
فكم بين مخفٍ لتصديقه ... وآخر مبدٍ له كاذب
لنعم ملاذ الهدى والتقى ... ومنتجع الوافد الراغب
ومعتصم الدين في مكّة ... إذ الدين منفرد الصاحب
ومانح حوزة أهل الهدى ... مدى العمر من وثبة الواثب
فلولاه ما طفق (المصطفى) ... ينادي على المنهج اللاحب
ولم يعب الشرك مستظهراً ... بيوم يضيق على العائب

وللبحاثة الفاضل صاحب التآليف القيِّمة الشيخ جعفر بن الحاج محمَّد النقدي[1] من قصيدة ذكرها في كتابه (مواهب الواهب في فضائل أبي طالب)

---

(١) من شعراء الغدير يأتي تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله . ارتحل إلى =

المطبوع في النجف الأشرف في ١٥٤ صفحة مطلعها :

برق ابتسامك قد أضاء الوادي ... وحيا خدودك فيه ريُّ الصادي

قوله :

مهما تراكمت الخطوب فإنَّها ... تجلى متى بأبي الوصيِّ أُنادي
عبد المناف الطُّهر عمّ محمَّد ... الطاهر الآباء والأجداد
غيث المكارم ليث كلِّ ملمَّةٍ ... غوث المنادي بدر أُفق النادي
شيخ الأباطح من بصارم عزمه ... بلغ الأنام لخطَّة الإرشاد
دانت لديه المكرمات رقابها ... وإليه ألقى الدهر فضل قياد
جدُّ الأئمَّة شيخ أُمَّة أحمد ... ربع الأماني مربع الوفّاد
سيفٌ له المجد الأثيل حمائل ... وله الفخار غدا حليَّ نجاد
داعي الورى للرشد في عصر به ... لا يعرفون الناس نهج رشاد
وله قريش كم رأت من معجزٍ ... عرفوه فيه واحد الآحاد
كرضاعه خير البريَّة أحمداً (١) ... وقبول دعوته لسقي الوادي (٢)
وبشارة الأسد الهصور بنجله ... وشفائه بدعا النبيِّ الهادي (٣)
وكلامه بالوحي قبل صدوره ... وله انفجار الأرض إذ هو صادي
وبيوم مولد أحمد إخباره ... عن حيدر الكرّار بالميلاد (٤)
وله على الإسلام من سنن غدت ... للمسلمين قلائد الأجياد
كفل النبيَّ المصطفى خير الورى ... ورعى الحقوق له بصدق وداد
ربّاه طفلاً واقتفاهُ يافعاً ... وحماه كهلاً من أذى الأضداد
ولأجله عادى قريشاً بعدما ... سلكوا سبيل الغيِّ والإفساد

= رحمة ربّه الودود يوم السبت ٨ محرم سنة ١٢٨٠ بالكاظمية ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف .

(١) أخرج حديث هذه المكرمة شيخنا ثقة الإسلام الكليني في أُصول الكافي ص ٣٤٤ .

(٢) راجع ما أسلفناه صفحة ٣٤٥ .

(٣) يوجد حديثه في غير واحد من كتب الفريقين .

(٤) راجع ما مرّ في صفحة ٣٤٨ ، ٤٠٠ .

ورآهم متعاضدين ليقتلوا خير البريّة سيّد الأمجاد
فسطا بعزم ناله من معشر شمّ الأنوف مصالت أنجاد
وانصاع يفدي أحمداً في نفسه والجاه والأموال والأولاد
وأقام ينصره إلى أن أصبحت تزهو شريعته بكلّ بلاد
أفديه من صاد لواءً للهدى يحمي لأفصح ناطق بالضاد
قد كان يعلم أنّه المختار من ربّ السماء عميد كلّ عماد
ولقد روى عن أنبياء جدوده فيه حديثاً واضح الإسناد
وعلا به عيناً على كلّ الورى إذ قال فيه بمطرب الانشاد
: (إنّ ابن آمنة النبيّ محمّداً عندي يفوق منازل الأولاد)[1]
راعيت فيه قرابةً موصولةً وحفظت فيه وصيّة الأجداد
ياوالد الكرّار والطيّار وال أطهار أبناء النبيّ الهادي
كم معجز أبصرته من أحمد باهلت فيه معاشر الحسّاد
من لصق أحجار ومزق صحيفةٍ ونزول أمطار ونطق جماد[2]
لا فخر إلّا فخرك السامي الذي فقئت به أبصار أهل عناد
إنّ المكارم لو رأت أجسادها عين رأتك الروح للأجساد
شكر الإله فعالك الغرّ التي فرحت بها أملاك سبع شداد
لِلّه همّتك التي خضعت لها من خوف بأسك شامخ الأطواد
لِلّه هيبتك التي رجفت بها أعداء مجدك عصبة الإلحاد
لِلّه كفّك كم بها من معدم أحييت في الإصدار والأيراد

وله قصيدة من ٤٣ بيتاً يمدح بها شيخ الأباطح أبا طالب سلام الله عليه توجد في كتابه مواهب الواهب ص ١٥١ مستهلها :

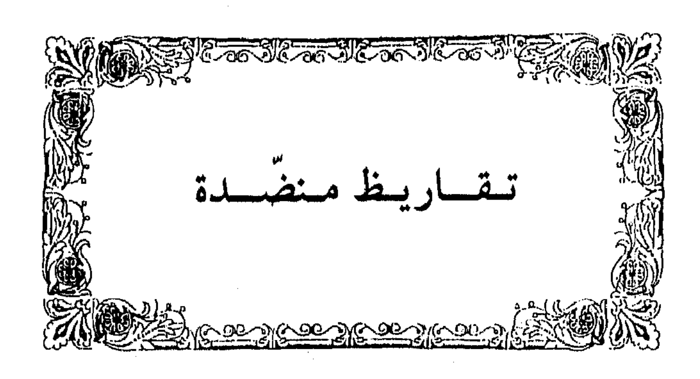
---

(١) راجع ما أسلفناه ص٣٨٢ .

(٢) أشار شاعرنا (النقدي) بهذا البيت إلى أربع مكرمات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهدها شيخ الأبطح أبو طالب ، مرّ حديثها صفحة ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٤٤٠ .

بالله يـا قـاصـد الأطـلال في الـعـلَمِ سـلمت سـلّم على سـلمى بـذي سَلَم

هٰهنا نجعجع بالقلم عن الإفاضة في القول ، لأنَّ نطاق الجزء
ضاقَ عن التبسُّط فنرجىء تكملة البحث إلى أُوليات
الجزء الثامن إن شاء الله تعالىٰ
وآخِرُ دعوانا أن الحمدُ للّٰه ربِّ العالَمينَ



تقاريظ منضّدة

أتانا شعر كثير في تقريظ الكتاب من الأساتدة والشعراء نظراء العلاّمة الشيخ قاسم محيي الدين ، والنطاسي المحنَّك ميرزا محمّد الخليلي مؤلف كتاب ـ معجم أدباء الأطباء ـ والخطيب الهاشمي السيّد علي مؤلف كتاب ـ محمّد بن الحنفية ـ والفاضل الفذّ الشيخ علي السماوي ، والخطيب المغفور له الشيخ محسن أبي الحب الحائري طاب ثراه ، والأستاذ الفاضل الشيخ أسد حيدر النجفي ، ونحن نشكر الجميع ونرجىء ذكر قريضهم إلى تراجمهم الآتية في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالىٰ ، ونقتصر الآن ـ مشفوعاً بالشكر ـ على ما جاءت به قريحة العلويِّ الشاعر السيِّد رؤوف جمال الدين ، وشاعر أهل البيت المكثر الشيخ محمَّد رضا الخالصي ، والأستاذ عبد الصاحب الدجيلي صاحب كتاب شعراء العراق ـ قال السيِّد آل جمال الدين :

١ ـ بنت الحقيقة في كتاب الغدير :

بنت الحقيقة أسفرت عن وجهها ... ما بين أسطره وشعَّ سناها
أبدت محيّاها الجميل وقبله ... كانت غياهبُ باطلٍ تغشاها
تلكَ الحقيقة في «الغدير» فحيِّها ... إن كنت ذا عقلٍ وخذ بهداها
كانت محجَّبةً يشقُّ حصولها ... واليوم قد برزَتْ لمن يهواها

برزتْ برغم (حسودها) وضَّاءةً ... أعظم (بمن) في جهده أبداها
كم معول للحقدِ رامَ بناءَها ... هدماً فلم يفلح بهدم بناها
سبعون ألفاً ضيّعوا ميثاقها ... تَبّاً لهم من جهلهم معناها
سَدلوا عليها الستر من أحقادهم ... سفهاً. وهل تخفى ذكاء ضياها ؟
ويل التعصّب كم به حقٌّ خبت ... أنواره أو بدعة أحياها
لا منصفٌ يعطي الحقيقة مالها ... في ذمَّة الوجدان أو يرضاها
بنت الحقيقة في علوِّ مقامها ... جذلانة في فعل مَن والاها
يهوى الحقيقة منصفاً لا ينثني ... عن حبِّها أو يعشقنّ سواها
مثل (ابن أحمد) مَن غدا متجاهراً ... في نصرها لا يحذرنَّ عِداها
بذل النفيس لوجهها لا ينبغي ... أجراً فنال الفوز في إحياها
إيهاً حليف الحقِّ كم من بدعة ... كانت محجَّبةً كشفت غطاها
أظهرْتها بين الملاكي يعرفوا ... أين الهدى ثاوٍ وأين عماها
ذاك (الغدير) وقد تضمَّن معجزاً ... يبقى مدى الأعوام لا يتناها
فاهنأ بذكرٍ لا يزولُ وفي غدٍ ... دار النعيم تفوز في سكناها

٢ ـ وقال الشيخ الخالصي :

إنَّ (الأمينيَّ) شئا من مضى ... بسعيه المشكور ما بين الورى
آياتُ فضل اللّه قد فصّلت ... رتّلها في الناس من أبصرا
عيلم علم لم يزل مدّه ... يطفحُ حتى أخجل الأبحرا
لِلَّهِ مفضال بتأليفهِ ... حاز العلى والمجد والمفخرا
لا يبلغ المعشار من فضله ... مادحه ما عاش أو أكثرا
ولا يوفّي الكيل في مدحه ... الشاعر إنْ عمَّر ما عمّرا
لا خيّب الرّحمٰنُ آماله ... وكلّما في القلب قد أضمرا
قد أزهقَ الباطل إرشادهُ ... والحقّ للنظّار قد أسفرا

* * *

غديره السّادس بحرٌ طمى ... فيه من اللؤلؤ ما أبهرا

سفرٌ حوى أسرارَ قدس بها … أصبح منهاج الهدى نيّرا
مَن ذا الذي ممن قضى قبله … كمثل ما حرَّر قد حرَّرا ؟
روضةُ آداب بأزهارها … واللّه (عَصر النور) قد عَطّرا
وكلّما قلّبت أوراقه … شممت من أوراقه عنبرا
كتاب تاريخ لأهل الحجى … عن سير الماضين قد أخبرا
ما سرَّح الطرف به كامل … إلاّ لعينيه به أسهرا
أسأل ربّي أن يُريني الذي … بعدُ ويأتي بالهدى مشعرا
وثامن الأجزاء من بعده … ومايليه بعده أن أرى
وأتحف اللّه بنعمائه … جامعه المفضال بين الورى
دامتْ أياديه وأيّامه … ما بلّت السحبُ أديم الثرى
أدامهُ اللّه لنا مرجعاً … وللخفايا بيننا مُظهرا
لِلَّهِ مِن فذّ بأنواره … أشرق وَجه الشرق مستبشرا
أوضح للضلاّل نهج الهدى … وكان بالتمويه قد ستّرا
أصدر أسفاراً بإصدارها … أصبح مَن قد ضلَّ مستبصرا
لِلَّهِ مِن مجتهد نيقد … أبدع واللّه بما أصدرا

٣ ـ وقال الأستاذ الدجيلي :

ألا حُيِّيت من فذٍّ ضليع … سديد الرأي منقطع القرين
تغوصُ على المعاني الغرِّ فرداً … لتلقى الناس بالدرِّ الثمين
تُحدِّثنا ـ وأنتَ بنا أمينٌ ـ … لذاك دُعيت بالحبر «الأميني»
كتابك في الغدير (غدير خُمّ) … تضمُّ به البحور من الفنون
وما يوم «الغدير» سوى شعاع … سرى لينير في دنيا ودين
تمرُّ به القرون وما سواه … جدير بالخلود مدى القرون

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة